

أبو علي أحمد بن محمد مسكويه

الحكمة الخالدة

جاويدان خسرد

حققه وقدم له

عبد الرحمن بزي

ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها، حسن يوسف محمد وأخواتها
٩ شارع عدلي إيشا بالقاهرة

١٩٥٢

كتاب جاویدان خرد

يشتمل على حِكم الفرس والهند والعرب والروم ،
خلفه أوشهنج الملك وصيةً على خلفه ، ونقله
من اللسان القديم إلى اللسان الفارسي كنجور
ابن اسفنديار ، وزير ملك إيران شهر ، ونقله
إلى العربية الحسن بن سهل ، أخو الفضل بن سهل :
ذی الیاسنین ، وتمّمه أحمد بن محمد [بن] مسکویه (١)

(١) ف : « كتاب جاویدان خرد ، خلفه أوشهنج الملك لخلفه • نقله كنجور
ابن اسفنديار ، وزير ملك ایران ، من اللسان القديم إلى الفارسي ؛ ونقله
إلى العربية الحسن بن سهل أخو ذی الیاسنین ؛ وتمّمه أحمد بن
مسکویه ، اذ أضاف إليه حکم الفرس والهند والعرب والروم » •

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه عون^(١)

[٢ ب]

قال أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه :

بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله والصلاة على محمد النبي^(٢) وآله الطيبين^(٣) الأخيار :

إني كنت قرأت في الحداثة كتاباً^(٤) لأبي عثمان الجاحظ يعرف بـ «استطالة»^(٥) الفهم « يذكر فيه كتاباً يعرف بـ «جاويدان خرد»^(٦) ويحكى كلمات يسيرة فيه ، ثم يعظمه تعظيماً يخرج فيه عن العادة في تعظيم مثله . فحرصتُ على طلبه في البلدان التي جلتُ فيها ، حتى وجدته بفارس عند موبدان موبذ^(٧) .

فلما نظرت فيه وجدت له أشكالا ونظائر كثيرة من حكم الفرس والهند والعرب والروم ، وإن كان هذا الكتاب أقدمها وأسبقها بالزمان — فانه وصية أوشهنج لولده وللملوك من خلفه^(٨) ، وهذا الملك كان بُعِيد^(٩) الطوفان ، وليس يوجد لمن كان قبله سيرة ولا أدب يستفاد . فرأيت أن أنسخ هذه الوصية على جهتها ، ثم ألحق بها جميع ما التقطته من وصايا^(١٠) وآداب الأمم

(١) ف : وبه العصمة • (٢) ف : النبي محمد •

(٣) ناقصة في ص • (٤) ف : كتابا في حدائتي لأبي •••

(٥) لم نعثر على اسمه في فهرست كتب الجاحظ الذي أورده ياقوت في «معجم الأدباء» ١٦ ص ١٠٦ - ص ١١٠ طبع مصر •

(٦) ف : حاويدان خرد • (٧) ف : موبدان •

(٨) ف : بعده • (٩) ص : بعد •

(١٠) ف : وصايا الفرس والهند والعرب والروم وغيرهم من أصناف الأمم • ومن الله استمد العناية والتوفيق ، أنه خير موفق ومعين • والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين ، محمد المصطفى ، وآله الطيبين الطاهرين ، وسلم تسليماً • قال أوشهنج - ويعرف ببديداد - من الله •••

الأربع ، أعنى : الفرس والهند والعرب والروم - ليرتاض بها الأحداث ،
ويتذكر بها العلماء ما تقدم لهم من الحكم والعلوم . واتمست [١٣] بذلك تقويم
نفسى ومن يتقوم به بعدى . وغرضى الأقصى فيه الأجر والثوبة من الله
- عز وجل - وهو ولى الخيرات ، والمثيب على الحسنات ، ولا قوة إلا بالله .

قال أوشهنج :

من الله المبتدأ ، وإليه المنتهى ، وبه التوفيق ، وهو المحمود .
من عرف الابتداء شكر ، ومن عرف الانتهاء أخلص .
ومن عرف التوفيق خضع ، ومن عرف الإفضال أناب بالاستسلام
والموافقة - أما بعد :

فان أفضل ما أُعْطى العبد فى الدنيا الحكمة ، وأفضل^(١) ما أُعْطى فى الآخرة
المغفرة ، وأفضل^(٢) ما أُعْطى فى نفسه الموعظة ؛ وأفضل ما سأل العبد العافية ،
وأفضل ما قال كلمة التوحيد^(٣) .

رأس اليقين المعرفة بالله .

ملاك العلم العمل ، وملاك العمل السُّنة ، وإصابة السنة لزوم القصد .
الدين بِشُعْبِهِ^(٤) كالحصن بأركانه : ففى تداعى واحد منها تتابع بعده سائرهما .
أعمال البر على أربع شعب : العلم ، والعمل ، وسلامة الصدر ، والزهد .
فالعلم : بالسُنن ، والعمل : بإصابة السنن ، وسلامة الصدر^(٥) : بإماتة الحسد ،
والزهد : بالصبر .

جماع أمر العباد فى أربع خصال : العلم ، والحلم ، والعفاف ، والعدالة .
فالعلم بالخير للاكتساب ، وبالشر للاجتناب . والحلم فى الدين للإصلاح ،
وفى الدنيا للكرم . والعفاف فى الشهوة للرزانة ، وفى الحاجة للصيانة . [٣]
والعدالة فى الرضا والغضب للقسط .

(١) وأفضل ما أُعْطى : ناقصة فى ف .

(٢) ف : كلمة التوحيد لأنها رأس اليقين المعرفة وملاك ...

(٣) ف : بشعبه . (٤) ف : بأمانة . ف : الحسد .

العلم على أربعة أوجه : أن تعلم أصل الحق الذى لا يقوم إلا به ، وفروعه التى لا بد منها ، وقصده الذى لا يقع إلا فيه ، وضده (١) الذى لا يفسده إلا هو .

العلم والعمل قرينان كمقارنة الروح للجسد : لا ينفع (٢) أحدهما إلا بالآخر . الحق يعرف من وجهين : ظاهر يعرف بنفسه ، وغامض (٣) يعرف بالاستنباط من الدليل . وكذلك الباطل أربعة أشياء يُتقوى بها على العمل : الصحة ، والغنى ، والعزم ، والتوفيق .

طرق النجاة ثلاث : سبيل الهدى ، وكمال التقى (٤) ، وطيب الغذاء . العلم (٥) روح ، والعمل بدن ، والعلم أصل ، والعمل فرع ، والعلم (٦) والد ، والعمل مولود . وكان العمل لمكان العلم ، ولم يكن العلم لمكان العمل . الغنى فى القناعة ، والسلامة فى العزلة ، والحرية فى رفض الشهوة (٧) ، والمحبة فى ترك الطمع (٨) والرغبة .

واعلم (٩) أن التمتع فى أيام طويلة يوجد بالصبر على (١٠) أيام قليلة . الغنى الأكبر فى ثلاثة (١١) أشياء : نفس عاملة تستعين بها على دينك ، وبدن صابر تستعين به (١٢) فى طاعة ربك وتزود (١٣) به لمعادك وليوم فقرك ، وقناعة بما رزق الله : باليأس عما عند الناس .

-
- (١) ف : وفروعه وضده - وهو تحريف ظاهر .
 (٢) ف : ولا يقع . (٣) ف : وباطن . (٤) ص : التقوى .
 (٥) هنا تبتدىء النسخة رقم ٦٧٢ مجاميع بدار الكتب المصرية ، من ورقة ٢٧ ب الى ٤٤ ب . وهى ناقصة الآخر) ، بعنوان : « يتيممة السلطان » لابن المقفع . وأولها : « هذه يتيممة السلطان تجمع جوامع الحكم والبيان لابن المقفع ، رحمه الله تعالى . قال : العلم روح والعمل بدن . . . » وسنشير إليها بحرف : ي . (٦) و : ناقصة فى ف .
 (٧) ف : الشهوات ، وكذا فى ي . (٨) الطمع : ناقصة فى ي .
 (٩) ف : على \ ي : أعلم (١٠) ي : فى . (١١) ي : أربعة .
 (١٢) ف : وباليأس . - وفى ي : وبدن صابر فى طاعة ربك تستعد به ليوم فقرك ، وقناعة بما يرزق الله ، واليأس عما عند الناس .
 (١٣) ف : تزود .

أخرج الطمع^(١) من قلبك ، تحل القيد من رجلك وتُرحَ بدئك^(٢) .
الظالم نادم وإن مدحه قوم ، والمظلوم سالم وإن ذمه قوم .
المقتنع غني وإن جاع وعري ، والحريص فقير وإن ملك الدنيا .
الشجاعة [١٤] سعة الصدر بالإقدام على الأمور المتلفة^(٣) .
والصبر^(٤) احتمال الأمور المؤلمة والمكاره الحادثة .
والسخاء سماحة النفس لمستحق البذل ، وبذل الرغائب الحليلة في مواضعها .
والحلم^(٥) ترك الانتقام مع إمكان القدرة .
والحزم انتهاز الفرصة .
الدنيا دار عمل ، والآخرة دار ثواب .

وزمام العافية بيد البلاء ، ورأس^(٦) السلامة تحت جناح العطب ، وباب
الأمن^(٧) مستور بالخوف ؛ فلا تكونن في حالٍ من هذه الثلاثة^(٨) غير
متوقع لأضدادها ؛ ولا تجعل نفسك غرضاً^(٩) للسهام المهلكة ، فان الزمان
عدو لابن آدم ، فاحترز من عدوك بغاية الاستعداد وإذا^(١٠) فكرت في نفسك
وعدوها استغنيت عن الوعظ .

أجل قريب في يد غيرك^(١١) ، وسوق حثيث من الليل والنهار . وإذا
انتهت المدة حيل بينك وبين العدة — فاحتل قبل المنع ، وأكرم أجلك لصحبة
السابقين^(١٢) .

-
- (١) ف : أخرج عن قلبك الطمع .
(٢) من هذه العبارة يختلف ما في ي عما في نصنا هذا في الترتيب
والزيادات ، ولهذا لا نستعين بنسخة : ي الا في تصحيح ما اتفق وروده
فيها وفي كتابنا هذا .
(٣) ص : المختلفة . والتصحيح عن ف ، ي .
(٤) ف : والصبر على . . . (٥) ف : والعلم — وهو تحريف ظاهر .
(٦) رأس : ناقصة في ف . (٧) ي : مردود على الخوف .
(٨) الثلاثة : ناقصة في ي . (٩) ف : لسهام . (١٠) ص ، ي : فاذا
(١١) ي : أجل ابن آدم قريب في يدي غيره ، والسوق حثيث . . .
(١٢) ي : ولتكن نفسه بصحبة الصالحين .

إذا آنستك^(١) السلامة فاستوحش من العطب ؛ وإذا فرحت للعافية^(٢) فاحزن للبلاء : فإنه تكون الرجعة ، وإذا بسطك الأمل فاقبض نفسك بقرب الأجل : فهو الموعد .

الحيلة^(٣) خير من الشدة ، والتأني أفضل من العجلة ، والجهل في الحرب خير من العقل ، والفكر^(٤) هناك في العاقبة مادة الخزع .

أيها المقاتل ! احتلّ تغم ، ولا تفكر في العاقبة فتهمز^(٥).

التأني^(٦) فيما لا تخاف عليه الفوت أفضل من العجلة إلى إدراك الأمل [٤١].
أضعف الحيلة أنفع من أقوى الشدة ؛ وأقل^(٧) التأني أجدى من أكثر العجلة ؛ والدهاء^(٨) رسول القضاء المبرم ؛ وإذا استبد الملك برأيه عمت عليه المرشد .

يحرم^(٩) على السامع تكذيب القائل إلا في ثلاث من غير الحق : صبر الجاهل على مضض المصيبة ، وعقل أبغض من أحسن إليه ، وحماسة أحب كنة .

ثلاث لا يستصلح^(١٠) فسادهن بشئ من الحيل : العداوة بين الأقارب ، وتحاسد الأكفاء ، والركاكة في الملوك .

وثلاث لا يستفسد صلاحهن بنوع من المكر : العبادة في العلماء ، والقناعة في المستبصرين ، والسخاء في ذوى الأخطار .
وثلاث لا يشبع منهن : العافية ، والحياة ، والمال .

(١) ي : إذا آنسته ... فليستوحش

(٢) ف : فرضت العافية . ي : وإذا فرح للعافية ... فليحزن ... بسطه

الأمل فليذكر قرب الأجل ، فهو الموعد واليه المورد ، ولينزود للموت قبل الفوت . (٣) ص : والحيلة .

(٤) ف : والتفكر . ي : خير من العقل والتفكر ، هناك في العاقبة ...

(٥) ف : تهزم - وهذه العبارة كلها لم ترد في ي .

(٦) ي : التأني فيما لا يخاف عليه أقرب من العجلة ...

(٧) أقل : ساقطة في ي . (٨) ص : والدولة ، وكذا في ي .

(٩) هذه الفقرة لم ترد في ي . (١٠) ي : لا يرجى .

إذا (١) كان الداء من السماء بطل الدواء . وإذا قدر (٢) الرب بطل حذر المربوب .

ونعم الدواء : الأجل ، وبئس الداء : الأمل [والمال] (٣) .
ثلاث (٤) هن سرور الدنيا ، وثلاث نعيمها : فأما السرور فالرضا بالقسم ، والعمل بالطاعة في النعم ، ونبي الاهتمام لرزق غد . وأما النعم فحرص مسرف ، وسؤال (٥) ملحف ، وتمنى ما يلحف .

الدنيا (٦) أربعة أشياء : البناء ، والنساء ، والطلاء ، والغناء .
أربعة من جهد البلاء : كثرة العيال ، وقلة المال ، والجار السوء ، وزوجة خائنة (٧) .

شدائد الدنيا (٨) في أربعة : الشيخوخة مع الوحدة ، والمرض في الغربة ، وكثرة الدين مع القلة ، وبعد الشقة (٩) مع الرحلة .

المرأة (١٠) الصالحة عماد الدين وعمارة البيت وعون على الطاعة .
ليس بكامل من غزا ولم يبن على امرأة تزوجها (١١) ، أو يبن بناء لم يكمله [١٥] ، أو زرع زرعاً (١٢) لم يحصده .
ثلاث ليس للعاقل أن ينساهن : فناء الدار ، وتصرف أحوالها ، والآفات (١٣) التي لا أمان منها .

ثلاث لا تدرك بثلاث : الغنى بالمئى ، والشباب بالخضاب ، والصحة بالأدوية .

-
- (١) ي : وقال : اذا (٢) ي : أراد .
(٣) لم ترد في ي ، ووردت في ص ، ف .
(٤) ف : ثلاث هن سرور الدنيا : التقلب في النعم ، والرضا بالقسم ، وترك الاهتمام لرزق غد .
(٥) ي : « ووعد مخلف » في نسخة : وسؤال ملحف .
(٦) ي : وقال : لذة الدنيا في أربعة
(٧) ف : الخائنة . ي : والزوجة الجائرة . (٨) في : ساقطة من ي .
(٩) ي : المسافة . (١٠) ي : وقال : المرأة
(١١) تزوجها : ناقصة في ف/ي : ليس بكامل الا من
(١٢) ص : ولم . (١٣) ف : والأحوال .

أربع^(١) بحلال إذا أعطيتهم فليس يضربك^(٢) ما فاتك من الدنيا :
عفاف طعنة ، وحسن خليقة^(٣) ، وصدق حديث ، وحفظ أمانة .

سنة أشياء تعدل الدنيا : الطعام المرى ، والسيد الرؤوف ، والولد البر ،
والزوجة الموافقة ، والكلام المحكم ، وكمال العقل .

صقلك السيف وليس له^(٤) من سنخه جوهر خطأ ، ونترك^(٥) الحب
قبل أوانه في الأرض المسبخة^(٦) جهل ، وحملك الصعب المسن على الرياضة عناء .

الدليل الناصح غريزة الطبع ، والقائد^(٧) المشفق مُحسن المنطق .

العناء المعنى^(٨) تطيع من لا طبع له .

الداء العياء رعونة^(٩) مولودة .

الجرح الذوئ المرأة السوء^(١٠) .

الحمل الثقيل الغضب .

ثلاثة^(١١) أشياء حسنها في ثلاثة مواضع : المواساة عند الجوع ، والصدق^(١٢)
عند السخط ، والعفو عند المقدرة .

العاقل لا يرجو ما يعنف برجائه ، ولا يسأل ما يخاف منعه ، ولا يضمن
ما لا يثق بالقدره عليه .

ثلاث ليس معهن غربة : حسن الأدب ، وكف الأذى ، واجتناب^(١٣)
الرَّيب .

(١) ي : وقال : أربع ... (٢) ف : يضرك ، وكذا في ي

(٣) ي : خلق . (٤) له : ناقصة في ف

(٥) الواو ناقصة في ف . وفي ي سقط قوله : « صقلك ... خطأ »

وورد : « وقال : ترك الحب ... » (٦) ي : سبخة

(٧) الواو ناقصة في ف . (٨) ي : المعنى

(٩) ف : مولدة ، وما أثبتنا عن ص و ي . (١٠) ي : امرأة السوء

(١١) ف : ثلاث . ي : وقال : ثلاثة أشياء حسنة في ...

(١٢) ي : والصدق في اللقاء والعفو في الغضب

(١٣) ص : فاجتناب

ثماني^(١) خصال من طباع الجهال : الغضب في غير معنى^(٢) ، والإعطاء في غير حق ، وإتعايب البدن في الباطل ، وقلة معرفة الرجل^(٣) صديقه من عدوه ، ووضعه السرّ في غير أهله ، وثقته بمن^(٤) لم يجربه [٥ ب] ، وحسن ظنه بمن لا عقل له ولا وفاء ، وكثرة الكلام بغير^(٥) نفع .

من^(٦) ظلم من الملوك فقد خرج من كرم الملك والحرية ، وصار^(٧) إلى دناءة الشره والقيصة^(٨) والتشبه بالرعية والعبيد .

إذا ذهب الوفاء نزل البلاء .

إذا^(٩) مات الاعتصام عاش الانتقام .

إذا^(١٠) ظهرت الخيانات^(١١) استخفت البركات .

الهزل آفة الحد^(١٢) ، والكذب عدو الصدق ، والجور^(١٣) مفسد العدل : فإذا^(١٤) استعمل الملك الهزل ذهبت هيئته ، وإذا استصحب الكذب استخف به ، وإذا ظهر الجور فسد^(١٥) سلطانه .

الحزم انتهاز الفرصة عند القدرة ، وترك^(١٦) الوتئى فيما يخاف عليه النفوت . الرئاسة^(١٧) لا تتم إلا بحسن السياسة ، ومن طلبها صبر على مضضها .

باحتمال المؤمن يجب^(١٨) السؤدد ، بالأفضال^(١٩) تعظم الأخطار ، وبصالح الأخلاق تزكو الأعمال .

(١) ي : وقال : ثمان خصال من طبائع الجهال ...

(٢) ف : المرء / ي : الرجل بصدقه من ...

(٣) ف : المرء ي : الرجل يصدقه من ...

(٤) ي : لا • (٥) ي : من غير ...

(٦) ي : وقال : من ... (٧) وصار : ناقصة في ف •

(٨) ف : والتقصير/ ي : والمعصية وتشبه بالعبيد والرعية •

(٩) ي ، ف : وإذا • (١٠) ي : وإذا • (١١) ي : محقت •

(١٢) من دون واو في ي • (١٣) من دون واو في ي •

(١٤) ي : وإذا • (١٥) ي : أفسد • (١٦) ي : التواني •

(١٧) ي : وقال : لا يتم الرئاسة الا ...

(١٨) ي : تحت • (١٩) ف : وبالأفضال •

إذا كان الرأي عند من لا يقبل منه ، والسلاح^(١) عند من لا يستعمله^(٢) ،
والمال عند من لا ينفقه^(٣) - ضاعت الأمور .

على الملك أن يعمل بثلاث خصال^(٤) : تأخير العقوبة^(٥) عند سلطان
الغضب ، وتعجيل مكافآت^(٦) المحسن ، والأناة في الذي^(٧) يحدث . فإن له
في تأخير العقوبة إمكان العفو ، وفي تعجيل المكافأة بالإحسان المسارعة بالطاعة
من الرعية والجند^(٨) ، وفي الأناة انفساح الرأي وإيضاح الصواب .

الحازم فيما أشكل عليه من الرأي بمنزلة من [١٦] أضل لؤلؤة^(٩) ، فجمع
ما حول مسقطها من التراب فنخله^(١٠) حتى وجدها - وكذلك الحازم جامع
فنون^(١١) الرأي في الأمر المشكل ، ثم يخلصه ويسقط بعضه حتى يخلص^(١٢)
منه الرأي الخاص .

لا ضعة^(١٣) مع حزم ، ولا شرف مع عجز : الحزم مطية^(١٤) النجح ،
العجز يورث الحرمان^(١٥) .

أربع خصال ضعة في الملوك^(١٦) والأشراف^(١٧) : التعظم ، ومجالسة
الأحداث^(١٨) والنساء ، ومشاورتهم ، وترك ما يحتاج إليه من الأمور فيما يعمل
بيده ويحضره بنفسه .

-
- (١) ف : الصلاح - وهو تحريف مصدره خطأ السامع .
(٢) ي : ينفقه . (٣) والمال . . . ينفقه : ساقطة في ي .
(٤) ي : بخصال ثلاث .
(٥) ص ، ف : في سلطان - والتصحيح عن ي .
(٦) ف : وتعجيل المكافأة بالإحسان ، والمسارعة بالطاعة من الرعية
والجند ؛ وفي الأناة انفساح الرأي واتضاح الصواب - وهنا نقص
وتحريف .
(٧) ي : والأناة فيما لا يخاف فوته .
(٨) والجند : ناقصة في ي . (٩) ي : جوهرة .
(١٠) فنخله : ناقصة في ف . وكذلك : الواو ناقصة في ف .
(١١) ص : جامع جميع الرأي . ي : الحازم يجمع أصناف الرأي . .
(١٢) ف : حتى يصفو . ي : حتى يصفو منه الرأي الحاصل .
(١٣) ي : وقال : لا . . . (١٤) ف : مظنة .
(١٥) في ي زيادة : والضة تورث الذل . (١٦) ي : تقبح بالملوك . . .
(١٧) ف : الملوك الأشراف والتعظم - التعظم : ساقطة في ي .
(١٨) ي : والأشراف : مجالس النساء والصبيان ومشاورتهم ، وترك . .

- لا يكون الملك ملكاً حتى يأكل من غرسه ، ويلبس (١) من طرازه ، وينكح من تلاده ، ويركب من نتاجه .
- إحكام (٢) هذه الأمور بالتدبير ، والتدبير بالمشورة ، والمشورة بالوزراء الناصحين المستحقين لرتبهم (٣) .
- استظهر على من دونك بالفضل ، وعلى نظرائك (٤) بالانصاف ، وعلى من فوقك بالإجلال — تأخذ بوثائق (٥) أزمنة التدبير .
- يجب (٦) على العاقل : في حق الله — عز وجل (٧) — : التعظيم والشكر (٨) ، وفي حق السلطان : الطاعة والنصيحة ، وفي حقه على نفسه : الاجتهاد في الخيرات واجتناب السيئات ، وفي حق الخلطاء (٩) : الوفاء بالود والبذل للمعونة ، وفي حق العامة : كف الأذى (١٠) وحسن المعاشرة .
- لا يكمل المرء إلا بأربع : قديم في شرف ، وحديث (١١) في نفس ، وإعطاء (١٢) عند مال ، وصدق عند بأس .
- من لم يبطره الغنى ، ولم يستكن (١٣) في الفاقة ، ولم تهدئه المصائب ، ولم يأمن الدوائر ، ولم ينس العواقب — فذاك الكامل (١٤) .
- الكمال في [٦٦] ثلاث : الفقه في الدين ، والصبر على النوائب (١٥) ، وحسن التقدير في المعيشة .
- ويستدل (١٦) على تقوى المرء بثلاث : التوكل فيما لم ينل ، وحسن الرضا (١٧) بما قد نال ، وحسن الصبر عما فات (١٨) .
-
- (١) ي : غرسه ، وينكح من طراذه ، ويلبس من طرازه ، ويركب
- (٢) هذه : ساقطة في ي . (٣) ي : الناصحين المشتدين بالرأى .
- (٤) وعلى ... بالانصاف : وردت بعد الفقرة التالية .
- (٥) أزمنة : ناقصة في ف — بوثائق : ناقصة في ي .
- (٦) ي : وقال : يجب (٧) عز وجل : ناقصة في ي .
- (٨) والشكر : ناقصة في ي . (٩) ي : الخلطاء الوداد والمعونة .
- (١٠) ي : كف الأذى وبذل الندى وحسن المعاشرة .
- (١١) وردت في آخر المذكور في ف . ي : وحديث في نسب .
- (١٢) ي : اخطار . (١٣) ي : عند .
- (١٤) ي : فذلك الرجل الكامل . (١٥) ي : المصائب .
- (١٦) ف : تعرف تقوى (١٧) ف : والرضا بما قد نال — ص : بما .
- (١٨) ف : قد فات — ي : على ما قد فات .

ذروة (١) الإيمان أربع خلال : الصبر (٢) للحكم ، والرضا بالقدر (٣) ،
والإخلاص بالتوكل (٤) ، والاستسلام للرب (٥) .
ليس للدين عوض ، ولا للأيام (٦) بدل ، ولا للنفس خلف .
من كان مطية الليل والنهار فانه يساربه وإن لم يسر .
من جمع (٧) السخاء والحياء فقد استجاد الإزَارَ والرداء .
من لم يبال بالشكاية فقد اعترف بالدناءة .
من استرجع هبته فقد استحکم اللؤم .
أربعة أشياء القليل منها كثير : الوجد (٨) ، والفقر ، والعار ، والعداوة .
من جهل قدر نفسه فهو لقدر غيره أجهل .
من أنف من عمل نفسه اضطر إلى عمل غيره .
من استنكف من أبويه فقد انتفى من الرشيد (٩) .
من لم يتضع (١٠) عند نفسه لم يرتفع عند غيره (١١) .
اذكر (١٢) مع كل نعمة زوالها ، ومع كل بلية كشفها ، فان ذلك أبقى
للنعمة وأسلم من البطر وأقرب (١٣) من الفرج .
إذا لم يكن العدل غالباً على الجور ، لم يزل (١٤) تحدث ألوان البلاء والآفات .
ليس (١٥) شيء لتغيير نعمة وتعجيل نقمة أقرب من الإقامة على الظلم .

-
- (١) ي : وقال ذروة ... على أربع خصال .
(٢) ي : الصبر على الحكم . (٣) ي : بالقضاء .
(٤) ي : في التوكل . (٥) ي : للرب سبحانه .
(٦) ف : ليس للصحة عوض ، ولا للرضى بدل .
(٧) ص : جميع - من كان ... يسر : ناقصة في ص - في ي : زيادة :
ومن كان مطية الليل والنهار ، فانه يسار به وان لم يسر .
(٨) ف : الفقر والوجد ... ي : المرض والدين والنار والعداوة .
(٩) ص : الرشدة . (١٠) ف : يتصنع - وهو تحريف ظاهر .
(١١) من هنا تبدأ نسخة ط . (١٢) ي : وقال ابن آدم ! اذكر ...
(١٣) ص : الى من الفرج . ط : أقرب الى الفرج - ي : الفرج .
(١٤) ف : الجور أحدث ألوان ...
(١٥) ي : وليس شيء لتغيير النعمة وتعجيل النقمة ...

الأمل قاطع (١) من كل خير ، وترك (٢) الطمع مانع من كل خوف ،
والصبر صائر إلى كل ظفر ، والنفس داعية إلى كل شر .

باستصلاح (٣) المعاش يصلح أمر العباد (٤) ، وبصدق التوكل يستحق
الرزق ، وبالإخلاص (٥) يستحق الجزاء ، وبسلامة الصدر توضع (٦) المحبة
في القلب ، [١٧] وبالكف عن المحارم ينال رضا الرب ، وبالحكمة يكشف
غطاء العلم ، ومع الرضا (٧) يطيب العيش ، وبالعقول تنال ذروة الأمور (٨) ،
وعند نزول البلاء تظهر فضائل الإنسان ، وعند طول الغيبة تظهر مواساة الإخوان ،
وعند الحيرة (٩) تنكشف عقول الرجال ، وبالأسفار تختبر الأخلاق ،
ومع الضيق يبدو السخاء ، وفي الغضب يعرف صدق الرجال ، وبالإيثار (١٠)
على النفس (١١) تملك الرقاب ، وبالأدب (١٢) الصالح يلهم العلم ، وبترك
الخطأ يسلم من العيوب ، وبالزهد تقام (١٣) الحكمة ، وبالتوفيق تبرز (١٤) الأعمال ،
وعند الغايات تظهر العزائم (١٥) ، وبصاحب الصدق يتقوى على الأمور ،
وبالملاقة (١٦) يكون ازدياد المودات ، ومع الزهد في الدنيا تثبت المؤاخاة (١٧) .

ومن الوفاء دوام المواصلات ، ومن قبول رشد العالم ركوب مطية العلم ،
ومن استقامة النية (١٨) اختيار صحبة الأبرار ، ومن مصافحة الغرر (١٩) ركوب

(١) ي : عن • (٢) وترك : ساقطة في ي •

(٣) ي : وقال : باستصلاح ••• (٤) ف : المعاد •

(٥) ط ، ص : وبلاستخلاص • ي : وبإخلاص العمل يستحق •••

(٦) ي : تتأكد • (٧) ي : الرضا بالقضاء • (٨) الواو ناقصة في ف •

(٩) ط ، ص : تستكشف • ف : تنكشف عن عقول ••• ي : يستشف
عقل الرجل •

(١٠) ومع الضيق ••• الرجال : ناقصة في ص - ي : ومع ضيق اليد

يبين السخاء ••• صدق الرجل • (١١) ط : النفوس •

(١٢) ي : وبالأدب يفهم العلم • وقال : بترك الخطايا يسلم المؤمن من العيوب •

(١٣) ي : يفهم • (١٤) ي : تحرير •

(١٥) ي : قوى العزائم • (١٦) ي : وبملاقة الاخوان •

(١٧) ي : المؤاخاة في الله عز وجل •

(١٨) ي : استقامة صحبة الأخيار اجتناب صحبة الأشرار ، ومن الغرر •••

(١٩) ط : الغرور •

البحر ، ومن عز (١) النفس لزوم القناعة ، ومن سلطان اليقين التجلد على من يطمع في دينك (٢) ، ومن الدخول في كامن الصدق الوقوع على ما لا تعرفه العوام ، ومن حب الصحة الانقطاع (٣) عن الشهوات ، ومن خوف المعاد (٤) الانصراف عن السيئات ، ومن طلب الفضول الوقوع في البلايا (٥) ، ومن (٦) لم يجد للإساءة إليه مضضاً لم يجد للإحسان عنده موقعاً .

قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل .

الحسود لا يسود .

منازع الحق مخصوم (٧) .

أولى الناس بالفضل [٧ب] أعودهم بفضله .

أعون الأشياء على تركية (٨) العقل التعلم ، وأدل الأشياء على عقل

العاقل حسن التدبير .

المستشير متحصن عن السقط (٩) ، والمستبد متهور في الغلط .

من ألبسه الحياء (١٠) ثوبه غطى عن الناس عيبه .

أحسن (١١) الآداب ألا يفخر المرء بأدبه ، ولا يظهر القدرة على من

لا قدرة له عليه ، ولا يتوانى في العلم إذا طلبه .

(١) ي : غنى .

(٢) من يطمع في : ناقصة في ف . ي : التجلد على الشدة .

(٣) ف : الصحة رفض الشهوات . (٤) ي : النار .

(٥) ي : البلاء . (٦) الواو ناقصة في ف .

(٧) خصمه يخصمه (من باب ضرب) : غلبه ، فهو مخصوم : مغلوب .

(٨) ط ، ص ، ف : تركية . ي : على عقل العاقل حسن التدبير .

(٩) الواو ناقصة في ط . (١٠) ص ، ف : زينة .

(١١) في ي بعد قوله : « حسن التدبير » ورد : « وقال : العلم قائد والعمل سائق والنفس حرون . فإذا كان القائد لا سائق له تلكأت ؛ وإذا كان السائق بلا قائد عدلت يميناً وشمالاً ؛ وإذا كان لها قائد وسائق أتت طوعاً وكرهاً . وقال : العلم يرشدك ، وترك ادعائه ينفي عنك الحسد ، والشيطان عدوك فلا تتخذ صديقك ، والمنطق يبلغ بك حاجتك ، والصمت يكسبك المحبة ، وأنت في الاستماع أكثر فائدة من المنطق » .

ثلاثة ضروب من الناس لا يستوحشون في غربة ولا يقصر بهم عن مكرمة :
 الشجاع حينما توجه ، فان بالناس حاجة إلى شجاعته وبأسه ؛ والعالم ، فان
 بالناس حاجة إلى علمه (١) وفهمه ؛ والحلو اللسان الظاهر البيان ، فان (٢) الكلمة
 تجوز له بحلاوة لسانه ولين كلامه (٣) . فان لم تعطوا في أنفسكم رباطة الحاش
 وجرأة الصدر (٤) ، فلا يفوتكم العلم وقراءة الكتب ، فانه أدب (٥) وعلم قد (٦)
 قيده لكم من مضى من قبلكم ، تزدادون به عقلا .
 اجعل الحلم عُدّة تدفع بها السفية (٧) .

∴

قال (٨) أبو عثمان الجاحظ : قال الحسن بن سهل أخوذى (٩) الرياستين
 الفضل بن سهل :

فهذا (١٠) ماتبها لنا ترجمته من الأوراق التي أخذناها من كتاب « جاويزان (١١)
 خرد » . على أنا أسقطنا الكثير منها ، لانقطاع آخر الكلام (١٢) عن أوله ، لأن
 ذوبان (١٣) لم تسمح نفسه بدفع الأوراق إلينا على الولاء والنظم والتأليف ؛
 وتركنا سائرهما ، إذ لم يكن لنا مطمع (١٤) فيها . ومن لم يتعظ بالقليل لم ينفعه
 الكثير . وفيما أوردناه غنى وكفاية [١٨] ، وبلاغ لمن أراد الانتفاع (١٥) به .
 والحمد لله وحده .

- (١) وفهمه : وردت في ي . (٢) ي : فان عند الناس الكلمة ...
 (٣) ف : لسانه مودات القلوب فان لم تعطوا ... ي : وقال : اذا لم
 تعطوا في أنفسكم رباطة ...
 (٤) وجرأة الصدر : ناقصة في ف . ص : في القسم ...
 (٥) ف : آداب .
 (٦) ص : وقد . من قبلكم : ناقصة في ف . ي : « قد قيد لكم من مضى ،
 تزدادون به عقلا ومهابة وفهما » - وبهذا انتهى ما ورد في نسخة ي من
 « جاويزان خرد » . (٧) ص : عُدّة للسفيه .
 (٨) ط : ثم قال . (٩) أخو ... سهل : ناقص في ف .
 (١٠) ط : ما بلغنا لنا ترجمته ... (١١) ف : جاويزان .
 (١٢) ف : لانقطاع الكلام بعض عن بعض ، لأن ...
 (١٣) ف : موبدان موبذ .
 (١٤) فيها : تأكل أولها في ص . مطمع : طمع في ف .
 (١٥) ف : الانتفاع به ، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلامه .
 ط : والحمد لله حق حمده ، وصلى الله على محمد عبده ، وعلى الأئمة
 الطاهرين من بعده ، وحسبنا الله وحده .

حكى أبو عثمان الحافظ خبر هذا الكتاب في كتابه المسمى : « استطالة
 الفهم » فقال (١) : حدثني الواقدي قال : قال لي الفضل بن سهل :
 لما دعي للمأمون في كورخراسان (٢) بالخلافة جاءتنا (٣) هدايا الملوك ،
 ووجه ملك كابلستان بشيخ يقال له : ذوبان (٤) ، وكتب يذكر أنه وجه هدية
 ليس في الأرض أسنى ولا أرفع ولا أنبل ولا أفخر (٥) منها . فعجب المأمون
 وقال : سل الشيخ (٦) : ما معه من الهدايا ؟ فسألته فقال : ما معي (٧) شيء
 أكثر من علمي . فقال (٨) : أي شيء علمك ؟ فقال : تدبير ورأي ودلالة .
 فأمر المأمون بانزاله وإكرامه وكتمان أمره . فلما أجمع على التوجه (٩) إلى العراق
 لقتال (١٠) أخيه محمد ، دعا بذوبان فقال : ما ترى في التوجه (١١) إلى العراق
 لقتال محمد ؟ فقال : رأي مصيب ، وملك قريب ، يناله أريب (١٢) .

ثم حكى الحافظ عن ذوبان (١٣) بأسناده أنه كان يسجع سجاعة
 الكهان (١٤) ، ويصيب في كل (١٥) ما يسأله المأمون . فلما ورد كتاب فتح
 العراق عليه ، دعا بذوبان (١٦) وأكرمه وأمر له بمائة ألف درهم . فلم يقبلها
 وقال : أيها الملك ! إن الملك (١٧) لم يوجهني إليك لأنتقصك ؛ فلا تجعل ردي
 نعمتك تسخطاً ، فاني لست أردّها عن استصغار (١٨) لقدرها . وسوف أقبل
 منك ما ينق هذا المال ويزيد ، وهو كتاب يوجد بالعراق (١٩) فيه مكارم

-
- (١) ص ، ف : قال . . .
 (٢) ص : للمأمون بكورخراسان - وهو تحريف ظاهر . ط : بكورخراسان .
 (٣) ف : جانباً . (٤) ف : ذوبال . ط : ذوبان .
 (٥) ف : الأرض أسنى منها ولا أفخر . فعجب . . .
 (٦) ف : عما معه ! فقال ما معي . . . (٧) شيء : ناقصة في ص ، ف .
 (٨) ف : فقلت : وما علمك : قال : تدبير . ط : قلت : فأى شيء علمك .
 (٩) ط ، ف : التوجيه . (١٠) أخيه : ناقصة في ص .
 (١١) دعا . . . التوجه : ناقص في ص .
 (١٢) يناله أريب : ناقص في ف ، ط . (١٣) ف : ذوبال أنه . . .
 (١٤) ف : الكهان . (١٥) ما : ناقصة في ط .
 (١٦) ف : بذوبال - وكذلك في كل ما يلي . ط : وإكرامه .
 (١٧) ط : ف : ان ملكي ، أيها الملك ! لم أوجه اليك هذا ، فلا تجعل . . .
 (١٨) ف : عن استقصار وسوف . . .
 (١٩) ف : في العراق . ط : يوجد في الخزان تحت الايوان بالمدائن .

الأخلاق وعلوم الآفاق من كتب عظيم الفرس ، يوجد في الخزائن تحت الإيوان بالمدائن .

فلما قدم المأمون^(١) بغداد واستقرت به دار ملكه [٨ ب] اقتضاه ذوبان حاجته . فأمر بأن يكتب الصفة ويذكر الموضع^(٢) فكتبه ذوبان وعين الموضع وقال : إذا بلغت الحجر ووصلت إلى الساحة فاقلعها تجد الحاجة^(٣) ولا تعرض لغيرها فيلزمك غيبٌ ضيرها . فوجه المأمون في ذلك^(٤) رجلاً حصيفاً ، فوجد هناك صندوقاً صغيراً من زجاج أسود ، وعليه قفل^(٥) منه فحمله ، ورد الحفرة إلى حالها .

قال : فحدثني الحسن بن سهل قال : إني عند المأمون إذ أدخل ذلك الصندوق . فجعل يعجب منه . ثم^(٦) دعا بذوبان فقال : هذه بغيتك ؟^(٧) قال : نعم . قال : خذه وانصرف ! لا تظن أن الرغبة فيما لعله يوجد فيه تحملنا^(٨) على مسألتك فتحه بين أيدينا . فقال : كلا ، أيها الملك ! لست ممن تنقض رغبته ذمام عهده . ثم فتح القفل وأدخل يده وأخرج^(٩) خرقة من الديباج ونثرها^(١٠) فسقط منها أوراق ، فعدها فاذا هي مائة ورقة ؛ ثم نفّض الصندوق فلم يكن فيه سوى الأوراق ؛ فرد الأوراق إلى الخرقة وحملها ونهض . ثم قال : أيها الملك ! هذا الصندوق يصلح لخبيثات خزانتك . فأمر به فرغ . قال الحسن بن سهل : فقلت : يرى أمير المؤمنين أن أسأله^(١١) ما في الكتاب ؟ فقال : يا حسن ! أفرّ من اللوم ، ثم أرجع إليه ؟ !

فلما خرج صرت إليه في منزله فسألته عنه فقال : هذا كتاب « جاويدان خرد »^(١٢) أخرجه كنجور وزير ملك إيراني شهر من الحكمة القديمة . فقلت :

-
- (١) المأمون : ناقصة في ف .
(٢) فكتبه . . . الموضع : ناقصة في ص . ط : وعين على الموضع .
(٣) فخذها : ناقصة في ص . ط : فاقلعها .
(٤) ط : رسولا . (٥) ص : فقل .
(٦) ف : فدعا . (٧) ف : فقال .
(٨) ط ، ص : حملتنا . (٩) ط : فأخرج خرقة ديباج .
(١٠) ف : ونفضها . (١١) ما : ناقصة في ص ، ف .
(١٢) ف : جاويدان .

أعطيني [١٩] ورقة^(١) منه أنظر فيها ! فأعطاني ، فأجلت فيها نظري ، وأحضرت لها ذهني ، فلم أزد مما فيها إلا بعداً . فدعوت بالخضر بن علي ، وذلك في صدر النهار ، فلم ينتصف حتى فرغ من قراءتها بينه^(٢) وبين نفسه . ثم أخذ يفسرها وأنا أكتب^(٣) . ثم رددت الورقة وأخذت منه أخرى ، والخضر عندي . فجعل يقرأ^(٤) وأنا أكتب حتى أخذت^(٥) منه نحواً من ثلاثين ورقة وانصرفت في ذلك اليوم . ثم دخلت يوماً عليه فقلت : يا ذوبان ! هل يكون في الدنيا أحسن من هذا العلم ؟ فقال : لولا أن العلم مضنون به ، وهو سبيل الدنيا والآخرة ، لرأيت أن أدفعه إليك بتمامه . ولكن لا سبيل إلى أكثر مما أخذت . — ولم تكن الأوراق التي أخذتها ، على التأليف ، لأنها تتضمن أموراً لا يمكن إخراجها . فحدثني الحسن بن سهل قال : قال لي المأمون يوماً : أي كتب العرب أنبل وأفضل ؟ — فجعلت أعدد كتب المغازي والتواريخ حتى ذكرت تفسير القرآن ، فقال : كلام الله تعالى^(٦) لا يشبهه شيء . ثم قال : أي كتب العجم أشرف ؟ فذكرت كثيراً منها ، ثم قلت : كتاب « جاويزان خرد » يا أمير المؤمنين . فدعا بفهرست كتبه ، وجعل يقلبه ، فلم ير لهذا الكتاب أثراً^(٧) ولا ذكراً . فقال : كيف^(٨) يسقط ذكر هذا الكتاب عن الفهرست ؟ فقلت : يا أمير المؤمنين ! هذا هو كتاب ذوبان وقد كتبت بعضه . قال : فأتني به الساعة . فوجهت في حمله ، فوافاه الرسول وقد نهض [٩ب] للصلاة . فلما رآه مقبلاً والكتاب معي^(٩) ، انحرف عن القبلة وأخذ يقرأ الكتاب . فكلما^(١٠) فرغ من فصل قال : لا إله إلا الله ! فلما طال ذلك قلت : يا أمير المؤمنين ! الصلاة تفوت ، وهذا لا يفوت . فقال : صدقت ! ولكنني أخاف السهو في صلاتي لاشتغال قلبي به . ثم صلي وعاود قراءته ، ثم قال : أين تمامه ؟

-
- (١) ف : منها .
(٢) ف : قراءتها في نفسه .
(٣) ف : أكتب حتى أخذت منه نحو من ثلاثين . . .
(٤) ط : يفسر .
(٥) منه : ناقصة في ط .
(٦) تعالى : ناقصة في ط .
(٧) ط : لهذا الكتاب ذكراً .
(٨) ص : سقط .
(٩) ص : معه .
(١٠) ص : فلما .

قلت : لم يدفعه إلى ذوبان^(١) . فقال : لولا أن العهد جبل طرفه بيد الله وطرفه
بيدي لأخذته منه ! فهذا ، والله ، الحكمة ، لا ما نحن فيه من لئى ألسنتنا
في فجوات أشداقنا .

قال^(٢) أحمد بن محمد مسكويه :

فهذا آخر كتاب أوشهنج وخبره مع ذوبان . وقد سمعت شعف^(٣)
المأمون به وبخل الناس بما تضمنته^(٤) ، وستسمع — مما أضفناه إليه — مما لا تخفى
زيادة حسنه عليه ، من قرائح الحكماء ونتائج أفكارهم واتفاقهم مع تباعد أقطارهم .
وأبدأ بكلام أفتتح به^(٥) لك دفائن الحكماء وأسرارهم وأغراضهم لتوهمه
بقريحتك وتسلك طريقه ، حتى يؤدبك إلى مقصدك ، ولا تعدل عنه فتضل وتقع
في التيه الذى لا آخر له ، فان الطريق^(٦) إذا كان قصداً^(٧) سهل الوصول منه
إلى الغرض الأقصى . وإذا كان غير قصد فكلما زاد إمعاناً فيه ازداد من
غرضه بعداً .

وأسأل الله — الذى بيده مفاتيح^(٨) الخيرات — العصمة والتوفيق ، وهو^(٩)
حسبنا ونعم الوكيل !

-
- (١) ذوبان : ناقصة فى ط .
(٢) ط : قال الأستاذ أبو على أحمد بن مسكويه أدام الله علومه .
(٣) بالعين المهملة فى ص ، ط ، ف ، (٤) ف : يضمه .
(٥) ف : لك به .
(٦) ف : اذا كان غير قصد فكلما ازداد إمعاناً فيه ازداد من غرضه بعداً .
(٧) ط : قرب .
(٨) ط : مفاتيح ، وكذا فى ف .
(٩) ف : فهو .

فأقول :

كل إنسان يحب نفسه ، وكل من أحب شيئاً أحب أن يحسن [١٠]
إليه . فليت شعري عن لا يعرف نفسه (١) كيف يحسن إليها ! ومن لا يعرف
طريق الإحسان كيف يسلكه !

ولقد سمعت وزيراً من وزراء عصرنا ، وقد أقام لنفسه وظيفة استغفره (٢)
فيها طبائخه وصاحب شرابه (٣) ، وزين كل يوم (٤) مجلسه برحان الوقت (٥)
وفاكهته ، وأحضر - اليوم الذي دعاني فيه - من أغانيه ما كان يعجبه ويغرب
له ، فقال في معرض كلامه : إن عشت فسأحسن (٦) إلى نفسي . فتدبرت
كلامه وفعاله ، وإذا (٧) هو لا يدري كيف يحسن إلى نفسه ، ولا يفرق بين
الإحسان إلى بدنه بركوب الشهوات ، وبين الإحسان إلى نفسه بمعرفة الحقائق
والتقرب إلى الله تعالى (٨) بأنواع القربات . فكان من عاقبة أمره أن حسده
نظراؤه فأزالوه عن موضعه ، ونكبوه في نعمته ، وأشتموه به أعداءه ، ثم وقع
في أمراض لم يجنحها عليه إلا انهماكاه في مطعمه ومشربه وتمكنه من نيل لذاته .
ثم أقول أيضاً : لو كانت معرفة النفس أمراً سهلاً ما تعبت (٩) لها
الحكماء ، ولا تبرمت (١٠) بها الجاهل ، ولما أنزل في الوحي القديم :
« يا إنسان ! اعرف ذاتك » ؛ وقد (١١) قال الله - عز من قائل (١٢) - :
« يا أيها النفس المطمئنة ! إرجعي إلى ربك (١٣) . . . » إلى آخر الآية .
وروينا في الخبر (١٤) الصحيح أن : « من عرف نفسه عرف ربه » . وفي حديث

(٢) ص ، ط : كيف لا يحسن - وهو تحريف ؛ وما أثبتناه ورد في ف .

(٢) أى اختار الطباخ وصاحب الشراب حاذقين .

(٣) شرابه : ساقطة في ف . (٤) ط : وزين مجلسه كل يوم ...

(٥) الواو ناقصة في ص . (٦) ف : فأحسن .

(٧) ف : فإذا . (٨) ط : عز وجل .

(٩) ص : تعبت - ف : ما تعنت به . (١٠) ف : به .

(١١) قد : ساقطة في ف . (١٢) ط : في محكم كتابه ، وكنا في ف .

(١٣) سورة « الضحى » : آية ٢٧ - ٣٠ . (١٤) ص : الخير .

آخر : « من عرف ربه لم يشق » . وقال المسيح عليه السلام : « بماذا نفع امرؤ نفسه ! باعها بجميع ما فى الدنيا ، ثم ترك ما باعها به [١٠ب] ميراثاً لغيره ، وأهلك نفسه . ولكن طوبى لامرئ خلص نفسه واختارها على جميع الدنيا » . وفى الوحي القديم : « من لم يعرف نفسه مادامت فى جسده فلا سبيل له إلى معرفتها بعد مفارقتها ^(١) جسده » .

من لم يتفكر فى كل شئ ، خفى عليه كل شئ .

من لم يعرف معدن الشر ، لم يقدر على النجاة منه .

اعلم أن الأفلاك المختلفة دائرة بالحركات المختلفة للعلل المعروفة عند الراسخين فى العلم ؛ فلذلك يقع التضاد بين الخلق فى عالمنا هذا ، ولا يقع هناك تضاد ألبتة . والكون والفساد لاحق بعالم النشوء والبلى ، وليس هناك كون ولا فساد . فرياح الآفات تهب عندنا بالهلكات ، وتتبعها الزلازل والرجفات ، ولا سبيل إلى الاحتراس منها إلا بالهرب منها إلى حيث لا يلحقنا شئ من مكروهاها .

تميز الباقي ^(٢) من الفانى هو أشرف النظر .

اطراح الموءن أشرف قنية ^(٣) .

نظر النفس للنفس هو العناية بالنفس .

ردع النفس للنفس هو العلاج للنفس .

عشق النفس للنفس هو المرض للنفس .

النفس العزيزة هى التى لا تؤثر فيها النكبات .

النفس الكريمة هى التى لا تثقل عليها الموءونات .

لا تصدق بما لا برهان عليه .

الكذب فضاح ^(٤) ، والكاذب يستشهد بالحلف ^(٥) أبداً .

لسان العلم الصديق .

من عدم الفهم عن الله عز وجل لم يجز أن يستمع موعظة حكيم .

(١) ص ، ط : مفارقة . (٢) ف : تمييز الفانى من الباقي . . .

(٣) القنية (بضم القاف وكسرهما بعدها نون ساكنة) : ما اكتسب -

والجمع قنى . (٤) الواو ناقصة فى ف . (٥) ط : أبداً بالحلف .

فهذه جمل نُحْكَمُها قبل تفصيلها بالجزئيات ، ولولا [١١٩] (١) أنا قد
أَحْكَمْنَا لك الأصول كلها في كتابنا المرسوم : « تهذيب الأخلاق » لأَوْجَبْنَا لك
إِيرَادَهَا هنا . ولكن هذا كتاب غرضنا فيه إيراد جزئيات الآداب بمواعظ
الحُكَمَاء من كل أمة وكل نَحْلة ، وتبعنا فيه صاحب كتاب « جاويزان خرد »
كما وعدنا به (٢) في أوله . ولأن الموضوع الأول كتاب فارسيّ ، وجب أن نبدأ
بآداب الفرس ومواعظهم ، ثم نتبعها بآداب الأمم (٣) الآخرين .

(١) وقع هنا خطأ في تجليد مخطوط المكتبة الأهلية بباريس (رقم ٢٩٥٧
عربي) وهو أصل نشرتنا هذه ، فجاءت ورقة ١٩ متأخرة وكان يجب
أن توضع مكان ورقة ١١ .
(٢) ط : وعدناك .
(٣) الأمم : ساقطة ف .

< آداب الفرس >

فمن ذلك مواعظ أذرباذ . قال (١) لابنه يعظه :

يا بني ! اقتصد في القرى تكن مضافاً ؛ وتمسك بالقناعة ، تكن رخي البال ؛ واستشعر الرضا ، تكن وادعاً ؛ واجتهد في الطلب ، تكن واجداً ؛ وتجنب الذنوب ، تكن آمناً ؛ والزم (٢) القصد تكن أميناً ؛ وحالف الأدب ، تكن عالماً ؛ وثابر على الشكر ، تكن مستوجباً ؛ والزم التواضع ، تكن كثير الإخوان ؛ وكن لزوجك (٣) مضافاً برّاً طاهراً .

لاتدعن ، من أجل اكتساب المال ، ما هو أفضل من المال . لاتركن ، من أجل حظوظ الدنيا الفانية ، طلب الفوز بحظوظ الآخرة الباقية . وليكن العلم أحظى الأشياء وأكرمها عليك . أنعم الوعى عن العلماء ؛ وأحسن الطاعة لأهل المقدرة (٤) . عاشر (٥) الأصدقاء بما لا تحتاج معه إلى حاكم . درب (٦) نفسك على التواضع للناس ، فلن يضع ذلك منك ، بل يرفعك (٧) ويزيد في مقدارك . لا تستعمل اليقين في الأمور التي يعرض فيها الشك . ليكن (٨) ذكر المعاد وخوف العقاب منك على بال [١٩ ب] . لا تثقن بالشفعاء . لا (٩) تستعمل الثقة بالنساء ، ولا تفش إليهن سراً . ولا تهتم بما (١٠) لا يحدث . لا تذكرن (١١) ما مضى لك من قول وعمل ، واستعمل الرضا والتسليم

(١) قال : ساقطة في ف .

(٢) والزم ٠٠٠٠ أميناً : ناقصة في ص - ف : تكن رشيداً .

(٣) ف : لروحك (بالراء والحاء المهملتين) .

(٤) ط : القدرة ، وكذا في ف . (٥) ف : وعاشر .

(٦) ف : ودرب . (٧) ف : ويزيدك ويزيد في مقدارك .

(٨) ف : وليكثر - وهو تحريف . (٩) ف : ولا .

(١٠) ط : بما لم - ف : لا تهتمن بما لم يحدث

(١١) ف : ما قد ط : استشعر ٠٠٠ وقد وجدت .

لما حدث . لا تغرم (١) بافتتاح المنطق في المجالس قبل كل أحد . لا تداين الرجل القوى فيلحقك التعب عند محاولتك استرجاع ذلك منه . لا تنازع الأكفاء في المتكأ ولا في المراتب . لا تطلع الحسود على جدتك . لا تخاطرن أحداً . لا تنقن (٢) بشئ في عالم الكون والفساد أصلاً . لا تطاعم (٣) الشره الوقح . لا تعاشر الرجل السكير السيء الخلق . لا تنازع الأريب المفوه (٤) . لا تماش الأثيم . استعمل الرجل العفيف بواباً ، والحر الذكي (٥) رسولا ، والحر الكريم صديقاً لئلا يخذلك ولا يخونك . لا تستعمل الغش والتمويه في شئ من أمورك . تنكب البطر والاستكانة ، فان العالم الأديب لا تسكره النعمة ولا تكثره النكبة . إذا رأيتم الأمر المنكر الغريب فلا يتداخلنكم الارتياح بربكم ، ولا تندموا على ما قدمتم من الخير والبر . لا تأسفن على ما فاتك من الثراء ، فان المال شبيه بطائر ينتقل من نشر (٦) إلى نشر : فهو عند إقباله سريع الإقبال ، وعند إدباره حيث الانتقال . لا تؤانس (٧) المعجب الكفور الذي (٨) يعيب الناس ، فانك منه (٩) بعرض عثرهم مجحف ، ثم لا تعدم على بابك شفعاء ممن يثقل عليك رده (١٠) وتصبغ مخالفته فيما يسألك . اجتنب الحلف في حال الصدق ، فأما الكذب فاجتنبه [١١١] أصلاً . لا تمار إخوانك ، وإن كنت لسناً جَدلاً . وإن كنت جد ماهر بالسباحة ، فلا تسرعن إلى تيار الوادي . وإن كنت حاذقاً بالرقى ، فلا تبادرن إلى تناول الحيات . إذا (١١) شرعت في خير فلا تشك في ثوابه ، وإذا حركت في شر فكن متوقفاً لعقابه . تعهد مالك بالثمير ، وشدة التفقد وإنعام المحاسبة لئلا يلحقك المثل السائر : « حين حضر المال عزب العقل ،

(١) ط : لا تعز من ، وكذا في ف .

(٢) ف : تيقن . (٣) ط : تطعم .

(٤) ص : المقوه - ط : الأديب وكذا في ف . (٥) ف : الزكي .

(٦) بالراء المهملة في ص - والنشز (بفتح النون وسكون الشين

وفتحها) : المرتفع من الأرض ، وهو أيضاً ما ارتفع عن الوادي الى

الأرض . (٧) ف : لا تؤانس .

(٨) ط : الدينئ . (٩) ف : فيه .

(١٠) ف : ردهم . . . مخالفتهم فيما يسألونك ، توق الحلف . . .

(١١) إذا شرعت . . . لعقابه : ساقطة في ص ، ط .

وحين حضر العقل عزب المال^(١)». ثابر على الاجتهاد في ادخار الحسنات لئلا تلحقك الحسرة والندامة وقت حاجتك إليها . ولا ينجدعنك الشيطان العاني بغروره وتمويهه^(٢) فيستولى عليك ، فانه كما الناس ينصبون الفخ ويعمون أثره ويظهرون حبه ويعقدونه حيلة على الطير وذريعة إلى صيده ، كذلك الشيطان يزين صنوف المهالك والمهاوى للناس تطرقاً^(٣) إلى التمكن من زمامهم ، وتسبباً إلى أن يورطهم ويطبق الشقوة^(٤) عليهم . تنكب الإكثار^(٥) من ذبح السوائم ما استطعت وتوخ فيه القصد ، فان التبعة عليه في الآخرة شديدة ؛ وتأمل سوء مغيبته^(٦) أيضاً في الدنيا ، لأن كل مكان يكون القتل^(٧) وسفك الدماء فيه أقل ، يكون عدد الناس فيه أكثر ، ولا يظهر فيه الشر ظهوراً فاحشاً ، وتكون سلامتهم أعم ، وسلطان الآفات والعاهات^(٨) أضعف ، وفساد الشياطين والسحرة أقل وأوهن .

قدروا الأشياء على تقدير العقل وموافقة الروح ، لا موافقة الهوى والبطن والفرج ، بمنزلة البهائم . المجتهد هو الذي يبادر [١١ب] الفراغ من العمل الذي يحتاج إليه في حينه^(٩) ووقته قبل أن يعجل عنه ، ويكون كل حين على ثقة وبصيرة من أن نيته إن فاجأته لم يحتاج إلى تأهب ولا رمّ شيء من أسبابه وأحواله . استهن بالدنيا مع المعاد ، وأنعم النظر والتفكير^(١٠) لمعادك ، وكن على ثقة^(١١) ويقين من أن ربنا قاهر^(١٢) حاكم عادل وأن الشيطان جاهل ليس^(١٣) بتام القدرة ، وأنه غير عالم بحضور الأجل إذا اقترب ، وتتمام المدة إذا اقتربت — فهذا هو عين اليقين^(١٤).

-
- (١) في ص : الأولى عزب ، والثانية غرب .
(٢) ف : بغرور تمويهه .
(٣) ص : تطرقا (بالفاء ذات النقطة الواحدة) .
(٤) عليهم : ناقصة في ص ، ف ، وواردة في ط .
(٥) ف : الاكثار ما استطعت من ذبح الحيوان وتوخ ...
(٦) أيضاً : ساقطة في ف . (٧) في : القتل فيه — وهو تحريف .
(٨) ف : العاهات والآفات . (٩) ف : في وقته وحينه .
(١٠) ص : والتكرمة . (١١) ف : على أتم ثقة .
(١٢) ط : قادر . (١٣) ص : ينال .
(١٤) فهذا ... اليقين : ناقصة في ط ، ف .

ما اخترته من آداب بزرجمهر

قال :

رأيت الدنيا ذات تصرف وزوال ؛ ورأيت أهلها رهائن مصائب ومتالف (١) ؛
ورأيت المتاع فيها قليلا والفناء كثيراً ؛ ورأيت أن العيش زهيد والتبعة مخوفة ؛
ورأيت أن الدنيا (٢) لو فتحت بأسرها لأمري حتى يعطى من سرورها ونعيمها
وما تشره (٣) إليه النفوس من كل مطلوب كان منافساً فيها (٤) فأتاه من ذلك
ما تمنى ورفع عنه الآفات والمخاوف ووقى المكار والشرور والأذى ، ورزق السعة
من المال وقوة العين في الأهل والولد والمحبة في الناس والشرف من السلطان ،
ثم تمتع (٥) بما أعطى فطال به متاعه وفضل على نظرائه وعلى أعدائه ، وغبطه
الخاصة والعامة ، وبنى مشرفاً مكرماً قدير العين مسروراً ممل (٦) — لكان أبعد
غايته مائة عام حتى يبلى جسده ويفارقه جماله ويذل عزه وينمحق سلطانه (٧) ،
ثم أبعد ما يخلف بعده ثلثمائة عام حتى يصير جميع ما جمع متفرقاً ، وما عمل
[١١٢] منتشرأ ، وما شيد خراباً ، فيصير اسمه مجهولاً وذكره منسياً وحسبه خاملاً
وشرفه حقيراً وما نعم وبالا وما كسب خبالاً ، ويرث سلطانه ولاية الأمور بعده
وتنساق الأرزاق والمواريث من الأول إلى الآخر . فلما رأيت كل مجموع متفرقاً ،
وكل مكسوب مستلباً إلا التقوى وعمل البر الذي لا يسلب (٨) عامله ولا يبلى
ولا يهلك ، رأيت عند ذلك أن أوجه رأيي (٩) وقولي وفعلی إلى عمل (١٠) البر
فيكون ذلك هو الكسب الذي اكتسب والعقد الذي اعتقد . فلم أزل أحب العمل

(١) ص : رهائن سالف . (٢) أن : ناقصة في ص .

(٣) ف : تسره — وشره ويشره (من باب فرح) شرها (بالتحريك)
الى الطعام : اشتد حرصه عليه .

(٤) ف : مطلوب منافسا فأتاه . . . (٥) ص : منع .

(٦) ممل : ممتع — يقال ملاك الله حبيبك : أى متعك به وأعاشك معه
طويلاً ، وتمليت عمرى : استمتعت به .

(٧) ينمحق : وردت في ط ، ولم ترد في ف ، ص .

(٨) ص : يسكب عاملة . (٩) رأيي : ناقصة في ف .

(١٠) عمل : ناقصة في ف .

بما قويت عليه من الخير ، والاجتناب لما قدرت عليه من الشر مع التصديق بالله والايمان بالبعث والمعاد والثواب والعقاب ، فكان (١) ما رجوت بقاءه أحرفاً كتبها في هذا الكتاب على طريق (٢) المسألة والجواب .

إن قيل لى : أى الناس أولى بالسعادة ؟ قلت : أقلهم ذنباً .

فان (٣) قيل لى : وأيهم أقل ذنباً ؟ قلت : أقومهم بأمر الله (٤) على دينه الحقى ، وأبعدهم من أمر الشيطان .

فان قيل : وما دين الله (٥) ؟ قلت : دين الله (٦) الحسنات (٧) وحسن النية والقول والفعل .

فان قيل : وما حسن النية ؟ قلت : الاقتصاد فيها ؛ وحسن القول : الصدق ، وحسن الفعل : الجود والسماحة (٨) .

فان قيل : وما سوء النية ؟ قلت : إفراط الهمة ؛ وسوء القول : الكذب ، وسوء الفعل : البخل .

فان قيل : وما القصد ، وما الجور ، وما الإفراط ، وما البخل ؟ — قلت : الاقتصاد في الهمة التذكر لزوال الدنيا وانقطاع أمورها وكف [١٢ب] جامحات الهوى عن الأمور التى فيها البلاء في الدنيا والشقاء في الآخرة . والسخاء إعطاء الجسد حقه مع الدين موفراً . والصدق هو ركوب الطريقة الواضحة ، وصدق النفس عنها فلا يخادع المرء نفسه ولا يكذبها . وإفراط الهمة الإخلاد إلى الدنيا والطمأنينة إليها والطماع إلى الأمور التى عاقبتها فساد (٩) ، وثمرتها عقاب الآخرة . والبخل هو منع الجسد حظه والدين حقه . والكذب كذب المرء نفسه فلا يزال هواها مشفعاً ودينها مسوفاً .

فان قيل : أى الرجال أفضل ؟ قلت : أعملهم بالعقل .

(١) ط : بما . (٢) ط : طريقة .

(٣) ص : قيل أيهم ، وكذا فى ف . (٤) ف : الله تعالى .

(٥) ط : وما دين الله وما دين الشيطان . (٦) دين الله : ناقصة فى ف .

(٧) الواو ناقصة فى ص . (٨) والسماحة : ناقصة فى ط .

(٩) الواو ناقصة فى ص .

فان قيل : وأيهم أعقل^(١) ؟ قلت : أنظرهم في العاقبة ، وأبصرهم
بخصائمه ، وأشدّهم منهم احتراساً .

فان قيل : وما تلك العاقبة ؟ ومن^(٢) الخصماء الذين يعرفهم العاقل ويحتس
منهم ؟ قلت : العاقبة الفناء ، والخصماء الطبايع والأهواء الموكلة بالإنسان .

فان قيل : وما تلك الطبايع والأهواء الموكلة بالإنسان^(٣) ؟ قلت :
الحرص والفاقة والغضب والحسد والحمية والشهوة والحقد والوسنة^(٤) والرياء .

فان قيل : فأى^(٥) هذه الخصال أقوى في بابه وأمره ، وأقل أن يسلم
منه ؟ قلت : الحرص أبعد رضاً وأفحش غضباً ، والفاقة أشدّ حزناً وأمراً للقلب ،
والغضب أجور سلطاناً وأقلّ شكراً ، والحسد أسوأ نية وأخلف ظناً ، والحمية
أشدّ لحاجاً وأفلج^(٦) مغالبة ، والحقد أطول توقداً وأقلّ رحمة وأشدّ سطوة ، والوسنة
أشدّ كسلاً وأرسخ بلادة ، والرياء^[١١٣] أشدّ خديعة وأحقّ اكتتاماً ، وهو
أخفى^(٧) وأكذب ، والشهوة أغلب وأشدّ قهراً .

قال : أيها ، إذا ظفر به الشيطان ، كان أبلغ له في إهلاكهم ؟— قلت :
تعميته عليهم البر والمأثم ، والعقاب والثواب ، وعواقب الأمور والأعمال ،
والقوة التي قوى الله^(٨) بها العباد لمغالبة تلك^(٩) الأهواء .

قال : وما هذه الأعمال والقوة ؟ قلت^(١٠) : العقل والعفاف والصبر
والرجاء والدين والنصيحة .

-
- (١) ف : ومن أعقلهم ؟ (٢) ض ، ط : وما — وما أثبتناه عن ف .
(٣) الموكلة بالإنسان : ناقصة في ط .
(٤) ص : الوسوسة — والوسنة والوسن : قلة النوم ، وقيل النعاس وهو
أول النوم ، وسن يوسن (من باب فرح) وسنا (بالتحريك) فهو
وسن ووسنان وميسان ، والانشئ وسنة ووسنى وميسان .
(٥) ف : أى .
(٦) فلج يفلج (من باب نصر) فلجاً (بضم الفاء وفتحها وسكون) : غلب
وفاز وبرز وظهر ، والاسم الفلج (بضم الفاء) .
(٧) ص ، ف : انفى . ط : أبقى .
(٨) ف : الله عز وجل . (٩) تلك : ناقصة في ط .
(١٠) ف : قال .

قال : وما عمل كل^(١) واحد من هذه الخلال ؟ قلت : عمل العقل الخلاص من الخوف والخطايا ، والنصب فيما لا عاقبة له ، وإكثار التذكر لفناء الدنيا وقرب الأجل والاحتفاظ من أن ينتقص بما يفتن ، وعمل العلم إيضاح الحق وتدبير الأمور واعتبار باقيها بفانيها^(٢) والاحتفاظ من التصديق بما لا يعرف والتناول لما لا ينال . وعمل العفاف كف النفس عن السيئات وعن الشهوات المردية ، والحمل لها — بالعادة الحسنة والخلق الحمود — على البر والفضائل . وعمل الرجاء حسن الظن بما يرجى من الأمر في تقاربه ، وأن يكون أمله بقدر سعيه حتى يبلغ غاية العمل بالخير . وعمل الصبر الرضا بما حضر ، ولزوم الصدق والمعرفة بما في الشره من التعب ، وما في الإفراط من الخوف ، وحسن العزاء عما فات ، وطيب النفس عنه ، وترك معالجة ما لا يتم ، والبصر بالأمر الذي إليه المرد ، والإكرام له عن أن يباع بثمن أو خطر لغرض . وعمل الدين اختيار سبيل [١٣ب] الرشد على سبيل الغي ، وتوطين النفس على أن من يعمل^(٣) خيراً يجز به . والعمل بالتقوى والنصيحة كف الصاحب عن إتباع الهوى وركوب القبيح والعمل بالرأى والأخذ بالحزم . فان أتاه البلاء أتاه^(٤) وهو حذر غير لأنم لنفسه ولا ملوم .

قال : أى الأخلاق أكرم ؟ قلت : التواضع ولين الكلمة .

قال : أى العبادة أحسن ؟ قلت : الوقار والتؤدة^(٥) .

قال : أى السير أرضى ؟ قلت : العدل .

قال : أى الأعوان أحضر نفعا ؟ قلت : الزهادة في الدنيا .

قال : أى الأمور أملك^(٦) : الأدب ، أم العفاف ، أم الطبيعة ؟ —

قلت : الأدب زيادة^(٧) في العفاف ، والطبيعة معدنهما وحاملتهما ، ولكل آفات : فأعظمها منفعة أسلمها من الآفات .

(١) كل : ناقصة في ف . (٢) ط : بماضيها .

(٣) ص : عمل . ط : يجز به ومن يعمل سوءا < يجز به > ف : عمل .

يجزى . (٤) أتاه : ناقصة في ص و ف ، واردة في ط .

(٥) ص : التؤدة . (٦) أملك : ناقصة في ف .

(٧) ص : زيادة في العقل ، وكذا في ف .

قال : وكيف السلامة من الآفات ؟ قلت : ألا يشوب العقل عجب ،
ولا العلم فجور ، ولا النجدة بغى ، ولا اللب زيف ، ولا الحلم حقد ،
ولا القناعة صغر خطر ، ولا الأمانة بخل ، ولا العفاف سوء نية ، ولا الرجاء
تهاون ، ولا الجود سرف ، ولا الاستقامة رقة ، ولا الرقة جزع (١) ،
ولا الجزع محادة ، ولا التواضع احتقار ، ولا اللطف ملق ، ولا صحبة السلطان
رياء ، ولا التودد سوء سيرة ، ولا النصيحة غائلة ، ولا حسن الطلب (٢) حسد ،
ولا الحياء بلادة ، ولا الورع (٣) حُب مُسمَّعة .

قال : أبقدّر يصيب الناس ما أصابهم ، أم بعمل ؟ — قلت : القدر
والعمل كالجسد والروح : فالجسد بغير روح لا حراك به ، والروح بغير جسد
لا تحس ؛ فإذا اجتمعا قويا معاً وصلحا (٤) . فكذلك العمل [١١٤] والقدر (٥) :
لو لم يكن العمل لم يكن القدر يقع على العمل وكان شيئاً لا يحس ، ولو لم يكن
العمل يوافق القدر لم يتم ولم يمض ؛ ولكنهما باجتماعهما قويا .

قال : وما القدر ؟ قلت : القدر (٦) علة ما هو كائن ، والعمل علة
ما لم يكن .

قال : أى شئ أشبه بالدنيا ؟ — قلت : أحلام النائم .

قال : أى الناس أحق أن يغبط ؟ — قلت : الملك الصالح المظفر (٧) .

قال : أى الشقاء أشقى ؟ — قلت : الفقر والإثم .

قال : أى الرجال أمقت ؟ — قلت : الفقيه الفاجر .

قال : أى الرجال أقل همّاً ؟ — قلت : أفضلهم رضا .

قال : وأيهم أفضل رضا؟ — قلت : أقلهم غفلة عن ذكر الله تعالى وفناء الدنيا .

قال : أى الرجال أعظم أمانة ؟ — قلت : أعفهم . قال : وأيهم (٨) أعف؟ —

قلت : أحياهم . قال : وأيهم أحياء؟ — قلت : من كان الذم أشد عليه من الفقر .

(١) ط : جزع ، ولا التواضع محادة ، ولا اللطف . . . وكذا فى ف .

(٢) ف : الظن . (٣) حب : ناقصة فى ف .

(٤) ف : وصلحا جميعاً / ص ، ف : وكذلك .

(٥) ط : القدر والعمل . (٦) القدر : ناقصة فى ط .

(٧) المظفر : ناقصة فى ف . (٨) ف : فأيهم .

قال : وأى الرجال أحق بحسن الأمل ؟ - قلت : المعذر الموفق . قال : ومن (١) المعذر الموفق ؟ قلت : إعدار الرجل إقباله على عمله وقلة فتوره عنه ، والتوفيق موافقة القضاء .

قال : من أشد من تدبر الأمور تحيراً فيها ؟ - قلت : العاقل ذو التجارب . قال (٢) : ومن أقنع وأعدل ؟ - قلت : من خياؤه يغلب شهوته ، ووده يعلو حسده ، وتخوفه يعلو حقه ، وحلمه يعلو غضبه ، ورضاه يعلو حاجته ، والحق يعلو لحاجته وهواه .

قال (٣) : من أحق بحسن الثناء ؟ - قلت : من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر . قال : من أحق بالظفر ؟ [١٤ب] - قلت : المجاهد على الحق .

قال : أى الأشياء أقرُّ للعين ؟ - قلت : الولد النجيب والزوجة (٤) الموافقة .

قال : من أصبر على الأذى ؟ - قلت : الحريرص المحتاج إذا طمع .

قال : من أشد لحاجاً ؟ - قلت : الحقود الحنق القوى .

قال : أى الأذى أئرم ؟ - قلت : الزوجة غير الموافقة والولد السوء .

قال : من أسوأ عهداً ؟ - قلت : السلطان السفية الغشوم .

قال : من أطول كآبة وحزناً ؟ - قلت : الفقير بعد الغنى ، والذليل بعد

العز ، والبائس بعد النعمة (٥) ، وتابع الهوى عند عواقب الأمور وخواتيم الأعمال .

قال : من أحق بالرحمة ؟ - فقلت (٦) : الكريم يسلط عليه اللئيم ، والعاقل

يسلط عليه الجاهل ، والبر يسلط عليه الفاجر .

قال : من أشد الناس سقوطاً ؟ - قلت : الجاهل المحازف .

قال : من أحق بالعذر ؟ - قلت : الذكى (٧) المضطهد الذى قد ظام وضيم .

(١) ف ، ص : وما - وما أثبتناه عن ط .

(٢) الواو ناقصة فى ط . (٣) ف : وقال .

(٤) ف : والمرأة . (٥) ط : واليأس بعد الطمع .

(٦) ط : قلت .

(٧) ف ، ص : الدنى - وما أثبتناه عن ط .

قال : من أشد الناس ندامة ؟ — قلت : أما عند الموت : فالعالم المفرط ،
وأما عند الأعمال : فالعَجَلُ التَّزِقُ الذي يدركه رأيه بعد فوت الأمور ،
والمدخر الصنعة عند من لا يشكرها .

قال : من أولى باللوم ؟ — قلت : من كفر المعروف^(١) وأضاع الإخاء .

قال : من^(٢) أحق بالذم وسوء الثناء ؟ — قلت : من كان سعيه فيما
يفسد الناس .

قال : أى الأشياء أثر عند الإنسان^(٣) إذا أحصى^(٤) الرغائب ؟ — قلت :
ثلاث : أما مادام صحيحاً فعصيانته هوى النفس ، وأما عند السقم فالصحة ،
وأما عند حضور الموت فالأمن من العقاب .

قال : أى [١٥] شئ الناس عليه أحرص ؟ — قلت : انبساط الهوى ،
ودرك ما يُشتهى ، ووجود ما يلتبس ، وسعة الغنى .

قال : أى شئ أحق^(٥) أن يخاف ؟ — قلت : زمان السوء ، والصاحب^(٦)
المخادع ، والعدو^(٧) القوى الصبور .

قال : أى الأشياء أحق أن يستأنس^(٨) إليه ؟ — قلت : الزمان الصالح ،
والعمل بالخير ، وذو الود الوفي بالإخاء الموفق في الدين ، والسلطان ذو الرحمة^(٩)
والعدل .

قال : أى الزمان أفضل ؟ — قلت : ما لم تكن الغلبة فيه والاستئثار
للأشرار والثام .

قال : أى الملوك أفضل ؟ — قلت : أرأفهم بالرعية ، وأعظمهم عفواً ،
وأحرصهم على المعروف .

قال : أى الرجال أفضل ؟ — قلت : أحسنهم في السراء والضراء خُلةً
ومواساة .

(١) ص : من الكفر المعروف .

(٢) ط : فمن / ف : وقال : فمن ...

(٣) ف ، ص : الناس . (٤) ص : أحضر - ف : أحضر .

(٥) ص : أحق عليه . (٦) والصاحب المخادع : بياض في ف .

(٧) القوى : ناقصة في ص . (٨) ف : يستأنم .

(٩) ف : المرحمة .

قال : من أكثر صديقاً ؟ - قلت : المتواضع ، اللين الكلمة ، العظيم الخطر ، الحمول للموؤنات .

قال : من أكثر عدواً ؟ - قلت : الفاحش لساناً ، الصغير خطراً ، الشديد تكبراً .

قال : أى الإخاء أدوم ؟ - قلت : العمل الصالح .

قال : أى الخزائن أعمر وأبقى ؟ - قلت : خزائن البر .

قال : أى المساعي خير صحة ؟ - قلت : صحة العلماء الأخيار .

قال : أى الأشياء أروح ؟ - قلت : الأمن .

قال : أى الأمن أفضل ؟ - قلت : صالح الزمان .

قال : أى السرور أفضل ؟ - قلت : سرور العواقب .

قال : أى العيش أرغد ؟ - قلت : رضا المرء بحظه واستئناسه بالصالحين .

قال : أى الأشياء أجنى (١) وأصعب ؟ - قلت : السلطان العاتب

ذو القلب القاسى .

قال : أى [١٥ب] الأمور أخبث عاقبة ؟ - قلت : التماس رضا الأشرار .

قال : أى التعب أدوم ؟ - قلت : صحة السلطان السىء الخليفة .

قال : أى شىء أنفذ فى هلاك الإنسان ؟ - قلت : الهوى المتبع .

قال :+ أى شىء أسرع تقلباً (٢) - قلت : قلب الملوك +.

قال : أى شىء أعجب ؟ - قلت : الرقيق المحارف (٣) ، والأخرق

المصنوع له (٤) .

قال : أى شىء أسرع انقطاعاً ؟ - قلت : مودة الأشرار .

قال : فأى شىء أسرع لإفساداً ؟ - قلت : كلام النيمة .

قال : أى الرجاء أخبث ؟ - قلت : رجاء الأشرار .

(١) ف : أخفى (بالخاء المعجمة) - وهو تحريف .

(+ .. +) ما بين العلامتين نقص فى ف .

(٢) ص : فيه نقص وتكرار لما ورد قبله .

(٣) المحارف : المحروم المحدود الذى اذا طلب فلا يرزق ، أو يكون لا يسعى فى

الكسب . (٤) له : ناقصة فى ف .

قال : أى شىء أشد تهجيناً للمروءة ؟ — قلت للعالم : الصِّلَفُ ، والشَّجَاعُ ،
البَغْيُ ، وللملوك صغر الخطر ، والنساء قلةُ الحياء ، ولفقيه اتباع الهوى ، ولعامة
الناس الكذب .

قال : أى شىء أكره^(١) إلى الملوك ؟ — قلت : أن يلجأوا إلى ترك سُنَّةِ ،
وَألا تستقيم لهم الأمور إلا ببسط العقوبة .

قال : ما بال الحكماء لا يكثرُونَ ملامة الجُهاال ؟ — قلت : لأنهم
لا يلومون العُمَيان ألا يبصروا .

وقال بزرجهر :

خمسة أشياء من سجايا العلماء : ألا يأسوا على ما فاتهم ، ولا يحزنوا لما لم
يصبهم ، ولا يرجوا ما لا يجوز لهم فيه الرجاء ، ولا يستكينوا ويفشلوا فى الشدة ،
ولا يبطروا فى الرخاء .

وقال^(٢) أيضاً : سبع خصال من طباع الجُهاال : الغضب فى غير شىء ،
والإعطاء فى غير حق ، وقلة المعرفة بأنفسهم ، ولا يفرقون بين عدوهم
وصديقهم^(٣) ، والتصنع للأشرار ، وكثرة الكلام فى غير نفع ، وحسن الظن^(٤)
بمن ليس لذلك بأهل .

وقال أيضاً [١١٦] : خمسة أشياء تقبح بأهلها : ضيق ذرع الملك ، وسرعة
غضب العلماء ، وبذاءة^(٥) النساء ، ومرض الأطباء ، وكذب القضاة .

وقال السائل : من أشد الأشياء مؤونة ؟ — قلت : من تكلف إخفاء
الفاقة . وما يزيد الفاقة شدةً على أهلها الاستكانة لمن لا يجبر فاقهم .

قال^(٦) : ما أشد^(٧) الأشياء عن أهلها غنى ؟ — قلت : النصيحة لمن
لا يقبلها ، والإشارة على المعجب برأيه ، والمجادلة لكف حرص الحريص .

(١) ف : للملوك . (٢) أيضاً : ناقصة فى ف .

(٣) وصديقهم : ناقصة فى ف . (٤) ف : لمن .

(٥) ص : بذادة . ط : وبذاء ، وكذا فى ف .

(٦) ف : وقال . (٧) ط : ما أقل ، وكذا فى ف .

قال : أى السعادات أفضل ؟ - قلت : موافقة القدر للهوى وللأمل (١) ،
أى البخت (٢) .

وقال : ثلاث خصال لا يؤمن ضرهن وإن قلن : حب الله ، وسوء
الخلق ، ولزوم التواني .

وقال : أرجى علمائنا وأولادنا وفتياتنا أرغبهم فى صالح الأدب ،
وأحذرهم للشر ، وآخذهم بالسنن ، وألزمهم للطبقة (٣) التى فوقهم فى السن والحال .
وقال : من علامة الكبر ضعف ما كان قوياً من غير سقم ولا علة .

وقال : ثلاث خصال ينبغى للمرء أن يرغب فيهن : الدعة فى غير تضييع ،
والنعمة فى غير شين ، واللذة فى غير مأثم .

وقال : من الدليل على القدر أنه حق : تأتى الأمور لأهل الجهل بجهلهم ،
وامتناعها على العلماء بعلمهم .

وقال : ينبغى للمرء أن يقي ماله بجاهه ، وأن يقي جسده بماله ، وأن يقي
روحه بجسده ، وأن يقي دينه بروحه ؛ ولن تعدو أمور الناس بعض ذلك .

وقال : قوة الغضب الحقد ، ومأواه اللجاجة والحرص . ومن ذخائر
الشیطان اللجاجة والحقد .

وقال : مما تُعرف به عزة العقل أنه لا [١٦ب] يمكن أن يستفاد بالتمن
ولا يغتصب (٤) من صاحبه .

وقال : إرادة الله من الناس أن يعرفوه ؛ فانهم إذا (٥) عرفوه أطاعوه .
وإرادة الشيطان من الناس أن يجهلوه ، فانهم إذا عرفوه هان عليهم فعبوه .

وقال : رفض الدنيا قبل الالتباس بها أهون من التخلص منها بعد
الوقوع فيها .

وقال : من حزم الرجل ألا يخادع أحداً ، ومن (٦) كمال عقله
ألا يخدعه أحد .

(١) ف : والامل . (٢) أى البخت : ناقصة فى ط .

(٣) ص : الطبقة . (٤) ف : يغضب .

(٥) ص ، ط : فاذا عرفوه . . . وما أثبتناه عن ف .

(٦) ومن : ناقصة فى ط .

وقال : من صالح أعمال^(١) البر الجود في العسرة ، والصدق في الغضب ،
والأ يتكبر على ذى ضرورة .

وقال : على كل امرئ أن يصلح من الأرض قدر باع ، فاذا أصلحه^(٢)
فقد أصلح جميع الأرض - وذلك الباع بدنه .

وقال : كما ينبغي للمرأة أن تكون أضواءً من الناظر فيها ، فكذلك الإمام
المؤدب : يجب أن يكون أفضل ممن يؤم ويؤدب .

وقال : ثمانية رهط لا ينبغي لهم إذا أهينوا أن يلوموا إلا أنفسهم : الذي
يأتى مائدة لم يدع إليها ، والجالس المجلس الذي ليس له بأهل ، وطالب الخير
من أعدائه ، ومهين^(٣) رب البيت في بيته ، والواقع في حديث بين اثنين
لم يدخلا فيه ، والمتعرض للفضل في أيدي اللثام ، والمتحمق في الدالة على السلطان ،
والمقبل بحديثه على من لا يسمع منه .

وقال : خصال يعرف بها إخوان العلانية : أن يستر الرجل منهم على أخيه
ما يعرفه من عيب فيه ؛ وأن يحضره^(٤) بما يحب ويغيب عنه ما يكره ؛
ولا يخذله عند الشدة ؛ ولا يحسده في الرخاء ؛ ولا يشمت به في المصيبة ؛ ولا يكتمه
سره ،^(٥) ولا يفشي^(٦) عليه أسرار ؛ ولا يفسده على أهله ؛ ولا يحرشه
على إخوانه ؛ ولا يسأله^[١١٧] ماله ، ولا يضمن عليه بما عنده .

وقال^(٧) : مما يكرم به النساء على بعولهن : الكفاية والعفة والهيبه
لأزواجهن ، وحسن التبعل^(٨) ، وقلة المعاتبة ، والإجمال في الغيرة .

(١) ف : الاعمال الجود . . .

(٢) ف : قدر وهو تحريف .

(٣) الواو ناقصة في ف .

(٤) ف : ما .

(٥) الواو ناقصة في ص .

(٦) ص : نفسي .

(٧) ص : ما .

(٨) « تبعلت المرأة : أطاعت بعلها ، وتبعلت له : تزينت . وامرأة حسنة
التبعل : اذا كانت مطاوعة لزوجها محبة له . وفي حديث أسماء
الأنصارية : « اذا أحسنتن تبعل أزواجهن » . - أى مصاحبتهن في
الزوجة والعشرة ؛ والتبعل حسن العشرة من الزوجين » (لسان العرب
ج ١٣ ص ٦٢) .

وقال : يجب على العاقل أن يحسن الثقة بالله تعالى في الحالات كلها ، وبذوى القرابة في الشدائد ، وبالمراة الصالحة في المسكنة ، وبأهل الصدق في العهود ، وبالعامل الصالح عند الموت النازل (١) .

وقال : إن أمر الدنيا كله مختلط (٢) العسر باليسر ، فلست كائنًا في حال يسر (٣) لا عُسْر معه ، ولا في حال عسر لا يسر معه . فاذا كنت في حال الغالب فيها عليك اليسر ، فاعرف ما يفضي (٤) إليك من لذته مع ما فيه من خلط العسر . واذكر أن يُسَرَّ الآخرة هو الخالص من كل عسر ؛ وإن كنت في حال عسر فاعرف ما يفضي إليك من مؤنته مع ما فيها من خلط اليسر . واعلم أنه لم يصل إليك قط يسر (٥) لا عسر معه ، ولا عسر لا يسر معه .

وقال : المرأة الصالحة تشبه الوالدة والأخت والصديق والأمة . والمرأة السوء تشبه الربة والعدو والسارق . فأما شبهها بالوالدة فلمحببتها لقربه ، وكرهتها غيبته عنها (٦) ، واحتمالها في جنبه كل ما أصابها : فهي تفرح لما يفرحه وإن كان عليها فيه مؤونة ، ويحزنها ما يحزنه (٧) وإن كان لها فيه بعض الراحة . وأما شبهها بالأخت فلملحبة (٨) المحلة القائمة عليه مقام الأخت على أخيها (٩) الأكبر منها . وأما شبهها بالصديق فلائها تقنع (١٠) منه بما أتاها وتعذره فيما زواه عنها ، وتبذل ما لها له ، وتوافق على خلقه ، وتعينه على زمانه . وأما شبهها بالأمة فلائها تتدلل له [١٧ب] وتبذل في خدمته وتصبر على خلقه إن ساء ، وعلى فضله إن قل ، ولأنها تظهر فضله عند الناس فلا تمن (١١) عليه ، وتشكر ما أولاها وتقل معاتبته فيما تنكره منه أو ينكره منها .

-
- (١) النازل : زيادة في ص ، لم ترد في ف و ط .
 (٢) ط : مخلوط . (٣) ط : ولا .
 (٤) ص : يقضى (بالقاف) . (٥) ط : ولا .
 (٦) ف : وكرهتها لبعده .
 (٧) ص ، ط : أحزنه — وما أثبتنا عن ف .
 (٨) ط ، ص : فالمحبة ، وكذا في ف .
 (٩) ط : أختها .
 (١٠) منه : وردت في ط ، ولم ترد في ص ، ف .
 (١١) ط : تتمنى/ ف : تمن وتشكره على ما أولاها .

والمرأة السيئة تشبه الربة والعدو والسارق . أما تشبهها^(١) بالربة فلنكسلها وفحشها وكثرة تجنبها وغضبها ، ولإغفالها ما يسر زوجها أو يسوؤه^(٢) . وأما تشبهها^(١) بالعدو فلا ستخفافها به^(٣) وغلظها عليه وجحودها ما كان من إحسانه إليها ، ولسرعة غضبها وطول^(٤) حقدتها وكثرة شكائتها . وأما تشبهها^(١) بالسارق فلخيانتها لزوجها في ماله ولسوئها إياه ما لا حاجة بها إليه ، ولاحتقارها إحسانه ، ولأنها تزين له من الود بما ليس في قلبها ، ولأنها تلج عليه^(٥) فيما يكره .

ما اخترته من حكم كسرى قباز^(٦)

جوابات كسرى^(٧) قباز ملك الروم عما سأله عنه
وما أجاب به غيره من المسائل

سأله^(٨) سائل : هل من أحد ليس فيه عيب ؟ — قال : لا ! لأن الذي ليس فيه^(٩) عيب لا ينبغي له أن يموت .
وسأله : أى شيء يصيبه الناس هم به أسعد ؟ — قال : من طلب حقاً فأدركه ثم وافق ذلك هواه .

قال : فمن يعد سعيداً من الناس ؟ — قال : ذو العقل الموفق .
قيل له : أى رجل أحمد عندكم بالعقل ؟ — قال : البصير بقلة بقاء الدنيا ، لأنه يجتنب الذنوب لبصره بذلك ، ولا يمنعه ذلك أن يصيب من لذة الدنيا بقصد .
قيل له : أحتاج مع الإيمان إلى العقل ؟ — قال : نعم ! لأن^(١٠) بالعقل يفصل^(١١) بين الحق والباطل ؛ والإيمان هو التصديق بما ينبغي أن يصدق به .

-
- (١) ط : شبهها/ ف : والمرأة السيئة أما شبهها بالربة فلنكسلها ...
(٢) ص : ويسوؤه . (٣) ط : بزوجها/ ف : وغلظتها عليه .
(٤) ص : يطول . (٥) أى تدخل عليه بما يكره .
(٦) غير موجود فى ط و ف . (٧) ف : كسرى بن قباز .
(٨) ف : سائل . (٩) ط : لا عيب فيه .
(١٠) ط : نعم ! لأن الإيمان إنما هو التصديق بما ينبغي أن يصدق به ،
وبالعقل يفصل بين الحق والباطل .
(١١) ص : يفصل (بالضاد المعجمة) / ف : بينها .

قيل : وكيف يفصل (١) بينهما ؟ — قال : لا [١١٨] يبحث العاقل عما
 استيقن (٢) به من الأمر ، ولا يمتنع من البحث عما شك فيه .
 قل : أى شىء أنفع للعاقل ؟ وأى شىء أضر له ؟ — قال : أنفع الأشياء له
 مشاورة العلماء والتجربة والتوادة ؛ وأضرها له الكسل واتباع الهوى والعجلة
 فى الأمور .
 سئل : ما بال العلماء أكثر الناس فرحاً وأقلهم حزناً ؟ — قال : فرحهم
 لما قدموا لآخرتهم من الخير ، وقلة حزنهم لصبرهم ورضاهم بما يصيبهم .
 قيل له : أى شىء أزين بالناس ؟ — قال : أما للعلماء (٣) فلزوم السيرة
 المرتضاة ، وأما للشجاع فالظفر والعفو بعد الظفر .
 سئل (٤) : أغير المال العلماء ؟ — قال : ليس بعالم من غيره المال (٥) .
 سئل : العلماء كانوا أحمد عند الأولين ، أم الشجعان ؟ — قال : بل العلماء ،
 لأن منفعتنا اليوم بعلمهم كمنفعة الذين كانوا معهم (٦) فى زمانهم .
 سئل : بأى شىء يعرف العالم ؟ — قال : بحسن عمله .
 سئل : أى الملوك ترونه أفضل ملكاً ؟ — قال : الذين يسوسون بالخير ،
 ويتقرر فى زمان ملكهم العافية شاملة .
 قيل : ما الذى ينبغى للملك أن يصنعه حتى يعم صلاحه أهل مملكته ؟ —
 قال : يولى خيار أهل مملكته .
 قيل : ما الذى ينبغى للملوك أن يسروا به فى رعيتهم ؟ — قال : أربع
 خلال هن ملاك سلطانهم : الحيلة (٧) من ورائهم ، والقيام بسنتهم فيهم ،
 (٨) والإحسان إلى عامتهم ، وإصلاحهم وكف الظلم عنهم .
 قيل : وما ثمرة الشجاعة ؟ وما ثمرة العلم ؟ — قال : ثمرة الشجاعة الأمن
 من العدو ، وثمره العلم الأمن من الذنوب .

-
- (١) ص : يفضل (بالضاد المعجمة) / ف : بينها .
 (٢) ط : لا يستيقن به .
 (٣) ف : العلماء .
 (٤) ف : وسئل .
 (٥) سئل : أغير ... المال : ناقص فى ط .
 (٦) ناقصة فى ص ، ف ، واردة فى ط .
 (٧) ف : والحيلة .
 (٨) الواو ناقصة فى ف .

سئل عن الفرق بين الفرح وبين اللهو واللعب — قال : الفرح يبقى ، واللهو إنما يكون ما دمت فيه . قيل (١) : [١٨ب] ما معنى ذلك ؟ — قال : لأن الفرح يبقى ، وهو ما رجي خيره في الآخرة . فأما (٢) ما سوى ذلك فإنما يعد لهواً لأنه يزول .

سئل : ما الذى ينبغى أن يعمل به لله تعالى (٣) وللنفس وللسلطان وللأقربين وللأصحاب ؟ — قال : أما لله تعالى (٤) فالحمد والشكر ؛ وأما للنفس فالاجتهاد (٥) علماً وعملاً واجتناب المسأثم ؛ وأما للسلطان فالطاعة والنصيحة ؛ وأما للأقربين فالحبة والصلة ؛ وأما للأصحاب فاللين والمواساة .

سئل : لم كانت الملوك تتطير من ذكر الموت عندهم وأنتم + الآن تكثر من ذكر الموت ؟ — قال : لأنهم كانوا يومئذ (٦) ينظرون في بقاء ملكهم وتدبيره ، ونحن اليوم ننظر في فراق ملكنا وتدبير ما بعده .

سئل : لم لا يرى أثر الفرح والأمن الشديدين إذا أتياكم (٧) ؟ — قال : لأننا نعلم أنا سنفارقهما (٨) ويفارقانا .

سئل : لم تفخرون بكثرة المال ؟ — قال : لأننا نزداد به إفضالاً (٩) وإحساناً إلى الناس وقوة على الأعداء .

سئل : أى السلطان ترويه أفضل ؟ — قال : الذى يثق (١٠) به البرى ، ولا يأمنه المريب .

قيل : سمعناكم تقولون (١١) : من لا يتيقن (١٢) أن قتلته لا تستطاع دون أجله فلا ينبغى له أن يعد نفسه من أهل القتال .

(١) قيل : مكررة فى ص . (٢) ف : وأما .

(٣) تعالى : ناقصة فى ط ، ف . (٤) تعالى : ناقصة فى ط ، ف .

(٥) ص : والاجتهاد .

(٦) ... +) وأنتم ... الموت : ناقصة فى ف .

(٧) ط : حينئذ .

(٨) ف ، ص : أتيناكم . الشديدين : فى ط : الشديد .

(٩) ط : أو / ف : لأننا نعلم سنفارقها أو تفارقنا .

(١٠) ف : احساناً وافضالاً على الناس . (١١) ف : اليه .

(١٢) تقولون : ناقصة فى ف . (١٣) ط : يستيقن ، وكذا فى ف .

فلم قلت ذلك ؟ قال : إنما قلنا ذلك لأن الأساورة إذا تمهروا أدبناهم بقلة الخوف من الموت . فمن لم يتيقن أن أجله معلوم لم تشايعه^(١) نفسه .

قيل له : كنا^(٢) سمعناكم تقولون : لا ينبغي لأحد أن يشك في أربع خصال - فما هي ؟ - قال : أما واحدة ففي الله عز وجل ، وأما الثانية ففي العمل بالخير ، وأما الثالثة ففي أنه لا يستقيم ملك إلا بشريعة ، وأما الرابعة ففي [١٢٠] قضاء^(٣) الملوك .

قال^(٤) : فما معنى قولكم : اغبطوا الناس باجتنب الذنوب لا بالغنى ، ونحن نرى كثيراً ممن^(٥) يتجنب الذنوب في ضرور بلاء شديد ، ونرى أهل الغنى في دعة وحسن معيشة ؟ - قال : إن الغنى يصيب أهله منه فرحاً قليلاً وحزناً طويلاً ؛ وإن^(٦) الاجتناب من الذنوب يصيب أهله منه نصيبٌ قليل وأمن طویل . قيل : سمعناكم تقولون : إنما ينبغي الاجتهاد^(٧) فيما يقلل^(٨) الحزن عند الموت ، لا في الذي يزيد في وجع الموت ؛ فما الذي يزيد في وجع الموت شدة ؟ وما الذي ينقصه ؟ - قال : أما الذي يزيد في وجع الموت شدة فالعمل باللهو والباطل ، وكثرة الأعداء ، وقلة أدب الأولاد . وأما الذي^(٩) ينقص من وجع الموت فالعمل الصالح والصديق الصالح وأدب الأولاد .

سئل : لم يسلم الإنسان نفسه للموت^(١٠) ولا شيء أعز عليه منها ؟ - قال : ليس^(١١) يفعل ذلك أحد إلا لأربع خصال : إما للشر ، وإما لخافة^(١٢) العار ، وإما للدين ، وإما للضرورة .

(١) ص : اتشايحه .

(٢) ص : كنا نسمع سمعناكم . ط : قال كنا سمعناكم - وما أثبتنا عن ف .

(٣) هنا أقحمت الورقة المنقولة عن موضعها وهي الورقة ١٩ وكان حقها أن يكون رقمها ١١ .

(٤) ف : قيل . (٥) ص : تجتنب / ف : يجتنب .

(٦) ص : وان أهل الاجتناب . (٧) ص : للاجتهاد .

(٨) ص ، ف : يقل . (٩) الذي : ناقصة .

(١٠) ط : وليس .

(١١) ط : ليس أحد يفعل ذلك الا . . . (١٢) ص : المخافة .

سأل رسول ملك الروم كسرى^(١) أن يوصي صاحبه بما ينتفع به . قال كسرى : مُرّه أن يحافظ على الشكر ، ويحرص على الإحسان إلى من أنس منه خيراً . ومره أن لا يزال حذراً متشجعاً . ومره ألا يثق بأمر الدنيا فانه^(٢) لا عهد لها ولا استقامة ؛ ولا يعين^(٣) أحداً على إثم ؛ ولا يطر لخير أصابه ، ولا يخشع لضر إن نزل به . ومره^(٤) فلا يجزع مما لا بد أن^(٥) يصيبه ، ولا يرغب فيما لا ينبغي أن يرغب فيه . ومره أن يأخذ بسيرة لا يلجأ فيها إلى الحكام . ومره^(٦) فلا يذم إخوانه على ما لا يذم عليه نفسه .

نسخة كتاب لبزرجهر إلى [٢٠ ب] كسرى

لما سأل ذلك^(٧)

اعلم أنه ما ظفر الناس - ملوكهم وسوقهم - بشيء هم أحظى به وأسعد ، ولا هو لهم أزين وأجل من التقوى لله عز وجل والتعظيم له ، والتصغير لأنفسهم والإقرار له بالعزة ولأنفسهم بالذلة ، واليقين بالفناء منهم والرجوع إليه . وأن تتصرم أعمارهم إلى غاية أجلهم في طلب الحق وما يجب^(٨) عليهم معرفته وتنبغي لهم أحكامه من العلوم والمعارف ، والعمل بما توجبه عليهم . فانه بذلك يتم لهم التوفيق وسلوك سبيل مرادهم وبلوغ ما يحبون من دنياهم وآخرتهم ، وهى السعادة المطلوبة والنعمة المحبوبة . فمن حسنت نيته وخلصت^(٩) سريرته ، ودامت طلبته ظفر بمعرفة^(١٠) ما يحق عليه الله تعالى جَدُّه ولزم التقوى^(١١) واتبع سنة الله في عدله وحكمته .

(١) كسرى هنا مفعول به . (٢) ف : فانها .

(٣) ص ، ط : يعين . (٤) ف : أن لا يجزع .

(٥) ص : يجزع / ف : يجزع منه (٦) ف : أن لا .

(٧) ط : وصية بزرجهر لكسرى لما سأل ذلك ؛ س : نسخة كتاب

وصية لبزرجهر الى كسرى لما سأل ذلك ؛ ف : كتاب وصية

لبزرجهر الى كسرى لما سأل ذلك .

(٨) ف : بما . (٩) ص : خاصت .

(١٠) ف : بمعرفته بما . (١١) ص : لزوم القوى .

وإنما يصلح الملك لمن حسنت سياسته لرعيته وكان ما يصلحهم أثر عنده من بلوغ هوى نفسه وطلب النفع للخاصة والعامة . وخير الملوك أشكرهم لله تعالى (١) وأفضاهم بالحق وأرأفهم بالرعية وأحسنهم نظراً فيما يصلح البلاد ويعمرها ؛ وليس يتم ذلك إلا بالعقل (٢) . وأنفع الملوك للرعية مُلكاً من عمل بالسنة المعروفة فيهم (٣) ، واستعمل خيارهم ، وحقق دماءهم ، ونفى العدو عن أرضه . وأسعدهم من ساس الناس في الزمان الذي قدر لهم بالرخاء والخير المشاع . وأفضلهم سعادة من كثر علمه ووفق (٤) للعمل به . وأحق ما فرح به الخير الذي (٥) يصاب منه وما احتاط فيه للرعية (٦) بما يستوجب به منهم (٧) الشكر ، ومن الله الأجر والمثوبة ، لينتق [١٢١] به البرىء ويخافه المريب . فان ثقة البرىء تزيد اجتهاداً ومناجحة ، وخوف المريب يزيده (٨) رعباً وهيبة . ومع الاجتهاد بالمناجحة العافية والسلامة (٩) ، ومع الخوف والرهبنة الاستقامة والطاعة . وأحسن أخلاق الملوك أوقرهم (١٠) عند الغضب وأكثرهم (١١) حلماء ودعة ؛ وأقبح أخلاقهم الحدة وضيق الذرع وقلة الفهم والفظاظة وغلبة البخل والقسوة وقلة الاهتمام بأمر العامة .

وينبغي لذوى السلطان أن يعلموا أنهم لا يقدرُونَ على ألا تنطق العامة بعيوبهم ، وألا (١٢) يتعنوا في ألا يبصر الناس ما فيهم . وليكن اجتهادهم في ألا يكون لهم عيب ولا سبيل للقاله عليهم . وينبغي ألا يسلط على الناس جهالهم ، فان (١٣) الجهالة قائد الضلالة ، والضلالة قائد البلاء والفتنة ، وفي الفتنة الدمار (١٤) والهلكة .

-
- (١) ط : عز وجل . (٢) ط : بالعدل ، وكذا في ف .
(٣) فيهم : ناقصة في ف . (٤) ف : ورفق .
(٥) ف : الخير المصاب منه . (٦) ف : للرعية فيه .
(٧) ط : يستوجب الخير منهم الشكر .
(٨) ف : خوفاً . (٩) والسلامة : ناقصة في ص ، ف .
(١٠) ف : الوقار - وهو أصح .
(١١) ف : وكثرة الحلم - وهو أصح .
(١٢) تعنى : تجشم ؛ وتعنيت في الأمر : عنيت فيه .
(١٣) ط : وان . (١٤) ف : الدماء .

ويحق على الملوك أن يأخذوا للضعيف من القوى ، والفقير من الغنى بحصصهما من الحق ونصيبهما من العدل . وأن يكونوا للضعيف والفقير (١) أشد نظراً ، وبهم أشد لطفاً ، وعن أمرهما أكثر فحصاً ، لأن القوى والغنى يمتنعان من جل الظلم والضميم . فأما الفقير (٢) والضعيف فأنما يكون امتناعهما بغز (٣) سلطانهما ، وقُـرَّتْهُمَا بمعونته إياهما .

واعلم أن سلطان ملوك الدنيا إنما هو على أبدان ما ملكوا وعلى ما يبدو من ظواهر (٤) أمورهم . فأما (٥) نياتهم وما يغيب عنهم من أمورهم فلا سبيل لهم عليه (٦) لأنه غيب محبوب (٧) عنهم . فلا ينبغي للملوك أن يأخذوا الرعية إلا بما يظهر لهم منهم . ويتركون (٨) التظنى ، فان التظنى يدعو إلى [٢١ ب] التهمة ، والتهمة تدعو إلى البلى .

وأكثر ما ينتفع به السلطان صحة العلماء والاستكثار من العلم ، فان من فضيلة العلم أن صاحبه كلما استكثر منه أحب أن يزداد منه – وهذا هو الحرص المدوح .

وقد يلام الناس على شدة الحرص في طلب الدنيا والمال ، ويمدحون على شدة الحرص في طلب العلم ومصاحبة العلماء . فازداد بما علمت من العلم ضناً (٩) وابتهاجاً ، وعليه حرصاً ودوؤياً ، ولا تحقرن أحداً وصل إليك علمه فتدع قبوله لاحتقاره ، فان العلم نافع لك (١٠) من حيث أصبته . واعلم أن لكل شيء عيناً ، وعين العلم البيان الواضح . ولا يمنعك من العلم تقادم السن والكبر ، فانك حقيق بطلبه ما قدر لك العمر ، لأن العلم أكثر من أيام العمر . فأكثر

(١) ف : للفقير . (٢) ف : الفقر والضعف .

(٣) ف : امتناعهما وقوتهما بمعونة إياهما – فهنا نقص .

(٤) ط : ظاهر ، وكذا في ف .

(٥) ف : وأما ... (٦) ط : عليهم .

(٧) ص : غير محبوب / عليهم : في ص : عليه / ف : لأنه محبوب

عنهم . (٨) ص : ويترك .

(٩) ف ، ص : ضياء – وما أثبتناه عن ط .

(١٠) ط : ذلك .

قراءة الكتب^(١) والنظر فيها لتزداد بصيرة وانتفاعاً به . وليس شيء أسرّ لأهل العلم ولا أشدّ جذلاً من العمل بالخير والإفشاء له جداً^(٢) والاستكثار منه والازدياد فيه . وهم أقلّ الناس حزناً بحسن عزائمهم عما فاتهم . وأحسن الناس تسليماً لما ينزل بهم^(٣) من الله عز وجل ، فليس للعالم فراغ لغير طلب العلم^(٤) والخير . وساعة فراغه أن يقدر على الخير ثم لا يفعله . وذلك غبن في رأيه ، وزلل في حكمه وعقله . وفراغ العالم إنما يكون في إجماع نفسه إذا كل خاطره وضاق ذرعه بالفكر في استخراج دقائق الحكمة ؛ فحينئذ يروّح قلبه حتى يعود نشاطه ويجمع رأيه ويصفو فكره .

شر الزمان زمان يخفى فيه العالم علمه خوفاً من الجهال وإشفاقاً من أن يعاب عليه .
لأعلم أن أحق من أكرمت [١٢٢] وقربت ، أيها الملك ، من وعظك وقوم أدبك . فأكرم العلماء ، وصلهم ، واستمع آدابهم ، واحفظ مواعظهم ، واحذر من تشبه بالعلماء وليس منهم ، فإن هؤلاء هم الأكثرون ، فأبعدهم وتوقّ حديثهم وما يحامون عليه من رياستهم المزورة . ولا تتبع الهوى ، ولا تتعد^(٥) الحق ، ولا تغنم الراحة ، ولا تسكن إلى التواني ، ولا تستحي من^(٦) استفادة العلم والتعلم ، ولا تغتر بدنيا أصبتها ، ولا تندم على عرف صنعته ، ولا تمل دراسة الكتب فإن طول^(٧) دراستها إنما هو تصفح عقول العالمين والعلم بأخلاق ذوى الحكمة الماضين والنبين وجميع الأمم وأهل الملل . إلا أن أكثر ما رتموه ودونوه فروع لم يبينوا أصولها وعللها ، ولم يكشفوا عن أسبابها ، وهى أمور محمودة إلا أنها كثيرة لا يضبطها حفظ ولا يحيط بمعرفة جميعها علم . وقد تعاطى الحكماء أصول هذه الفروع فدلوا على أسبابها وعللها ، وحسروا الجزئيات في كلياتها . ومن أحكم تلك الأصول استخراج دقائق الصواب من كل مطلوب ، واستكشف^(٨) سرائر الحكمة عن كل مستور . ومن فعل ذلك كان عمره طويلاً وإن قصرت أيامه .

- (١) ف : كتب العلم . (٢) جداً : ناقصة فى ط .
(٣) ف : من أمر الله تعالى . (٤) العلم : ناقصة فى ط ، ف .
(٥) ط : تتعدى . (٦) ف : معاودة .
(٧) ف ، ص : فإن دراستها إنما هى تصفح ...
(٨) ص : استكشف .

حكم توثّر عن أنوشروان

كل شيء أنفقته في شهوتك وأصبته منها فاعلم أنك ^(١) لم تصبه وإنما أصابك وهلك به بعضك . فالعاقل من ترك الهوى ليكون كتارك أكلة ليصل إلى أكالات ، وكمتنب فاحشة ظاهرة لتخفي عليه فواحش [٢٢ب] باطنة ، فلا يحال بينه وبينها فتكون حياته ^(٢) فيها أطول وحاجته منها أنجح .

وقال : إذا غلب الهوى العقل صرف محاسن خصاله إلى المساوى ، فجعل الحلم حقدًا والعلم رياءً ، والجود سرفاً ، والاقتصاد بخلاً ، والعفو جبنًا . فاذا بلغ الهوى من صاحبه ذلك المبلغ تركه لا يرى الصحة إلا ^(٣) صحة جسده ، ولا العلم إلا ما استطال به ، ولا الأمن إلا ^(٤) في قهر الناس ، ولا الغنى إلا في كسب المال ، ولا الثقة إلا في وجود الكنوز . وكل ذلك مخالف للقصد ، مباعد للبغية ، مقرب من الهلكة .

وقال : السكر في اثنتي عشرة منزلة ، وليس ينتهى الشراب بالرجل إلى السكر إلا بمعاونة جميعها أو بعضها وهي : سكر الشباب ، وسكر البطر ، وسكر الحمل ، وسكر الشبق ، وسكر الخمر ، وسكر الهوى ، وسكر القدرة . واعلم أن كظّة الطعام سكر ، وكثرة النوم سكر ، واستعلاء الجهل سكر ، واستيلاء الهم سكر + ، وعادة السوء سكر .

وقال : من عدم العقل فلن يزيده السلطان عزاً ، ومن عدم القناعة فلن يزيده المال غنى ، ومن عدم الإيمان فلن تزيده الرواية فقهاً . وإنما الإنسان عقل في صورة : فمن أخطأه ^(٥) العقل ولزمته الصورة لم يكن إنساناً تاماً ^(٦) ولم يكن إلا كتمثال لا روح فيه .

سئل : ما أغنى الغنى ؟ قال : نزاهة النفس وملك الهوى .

(١) ف : لن . (٢) ص : خيانة .

(٣) ف : لا - وهو تحريف ظاهر . (٤) الا : ناقصة - تحريفاً - في ف .

(+) .. +) ما بين العلامتين ساقط في ف .

(٥) ط : فمن عدم أخطأه العقل - وفي س و ص كما أثبتنا .

(٦) الواو ناقصة في ف .

سئل : أى هئية تكون أنفع للسلطان فى سلطانه وأعم [٢٣] نفعاً فى رعيته ؟
 قال : هئية العدل والنزاهة وحسم بوائق الأشرار وأهل الريب .
 قيل : هل السعادة أنفع للملوك ، أم العقل ؟ — قال : السعادة مقرونة
 بالعقل ، وإنما تبين آثاره بالدلائل .

سئل : أى الناس أحق بالملك ؟ — قال : أشدهم محبة لإصلاح الناس
 وأعلمهم بالتدبير . قيل : ثم من ؟ قال : أشدهم سلطاناً على هواه وأقهرهم له .
 قيل (١) : فما الذى يعرف به الوالى (٢) رضا الرب عنه ؟ — قال : مارضى
 الله عن وال لا يدع لذاته وهواه (٣) ولا يترك شهواته فى إصلاح رعيته وبسط
 العدل فيهم (٤) ورفع الظلم عنهم .

سئل (٥) : ما السرور الذى يغتبط به الملك ؟ — قال : السرور للملك
 وغيره (٦) ما كان معه رجاء لحسن معاده (٧) . فأما ما سوى ذلك (٨) فهو
 مُطَّرَحٌ عند ذوى الألباب .

قيل (٩) : وهل شئ من السرور توجد له لذة إذا كان مفرداً من هذا
 الرجاء ؟ — قال : (١٠) لا أعلم شيئاً أفرد من الرجاء له لذة إلا ما يجده أهل
 الشفاء من لذة التشفى من الأحقاد .

قيل له : ما القناعة ، وما التواضع ؟ — قال : أما القناعة فالرضا بالقسم ،
 وسخاء النفس عما لا ينبغى الرغبة فيه . وأما التواضع فاحتمال الأذى من (١١) كل
 أحد ، ولين الجانب لمن هو دونك .

قيل : وما ثمرة القناعة ، وما ثمرة التواضع ؟ — قال : ثمرة القناعة الراحة ،
 وثمره التواضع المحبة (١٢) .

(١) له : ناقصة فى ص . (٢) ف ، ص : الوالى به .

(٣) ط : ويترك . وما أثبتنا فى س و ص .

(٤) ف : ودفع . (٥) ف : وسئل .

(٦) ف : وغير الملك . (٧) ط : رجاء حسن المعاد .

(٨) ف : فمطرح . (٩) الواو ناقصة فى ف .

(١٠) لا : ناقصة — تحريفاً — فى ف (١١) ص ، ط : عن .

(١٢) فى الجملة تقديم وتأخير فى ط و س .

سئل : ما العجب ، وما الرياء ؟ - قال : العجب أن يظن المرء بنفسه ما ليس عنده حتى يرى رأيهُ صواباً ورأى غيره خطأ . والرياء أن يتصنع [٢٣ ب] للناس ويظهر لهم الصلاح وهو خلو منه . قيل : فأيهما أشد له ضرراً ؟ - قال : أما على نفسه فالعجب ، وأما على خلطائه فالرياء لطمأنيتهم إليه في مهماتهم (١) بما يظهر لهم من نفسه وليس تؤمن منه الحيانة (٢) .

قيل : ما الشره والبخل ، وأيهما أعظم ضرراً ؟ - قال : الشره طلب العبد غير حقه ، والبخل ضنه بالحقوق عن أهلها ؛ والشره أضرها ، لأن الشره أصل الشر ومعدن الظلم . ومن الشره البخل ، لأنه لا يشبعه من الدنيا شيء . قيل له : ما بذر جميع الفضائل ؟ - قال : العقل والعلم . قيل : فهل فوق العقل والعلم شيء ؟ - قال : التوفيق يزيههما ، والخذلان يشينهما .

قيل : ما الصبر المحمود ؟ - قال : الثبات (٣) على كل أمر كريم وزمُّ الهوى عن (٤) كل أمر (٥) لئيم . قيل : ثم ماذا ؟ - قال : ألا تغيرك السراء ولا الفراء فتنتقلك من حميد إلى ذميم . قيل (٦) : ثم ماذا ؟ - قال : القوة على الهوى عند إسراف (٧) الطمع ، والقهر للغضب في حال غليان الغيظ . قيل : ثم ماذا ؟ - قال : احتمال كل كربة فيما حيز به الفضل . والصبر له أربعة (٨) مواطن : ثبات ، وكفٌّ ، واحتمال ، وإقدام : فالثبات : على الكرائم ، والكف : عن المحارم والمآثم ، والاحتمال : للآزم فيما يوجب الفضل ويظهر المروءة ، والإقدام : على الحلائل التي فيها النجاة والفوز .

وقال : الصبر من الشكر ، والشكر من الفضيلة . وهما نوعان : صبر على طاعة الله تعالى (٩) ، وصبر عن معصية الله تعالى (٩) . فالصبر على طاعة الله أداء الفرائض ، والصبر عن معصية الله (١٠) اجتناب المحارم .

-
- | | |
|--|--------------------|
| (١) ف : مما . | (٢) ف : الجنائية . |
| (٣) ص : ثبات . | (٤) ف : من . |
| (٥) عن ... لئيم : ناقصة في ط . | |
| (٦) ص : قال . | (٧) ف : إشراف . |
| (٨) ف ، ص ، ط : أربع . | |
| (٩) تعالى : ناقصة في ط ، و ف / ف : الله ، وصبر عن اجتناب المحارم . | |
| (١٠) فالصبر ... الله : ناقصة في ط و ف . | |

سئل عن التدبير قال : [١٢٤] ما فيه طب (١) العالم . قيل له : وما طب العالم ؟ - قال : معرفة الدواء والداء في الكل . قيل : فهل فوق هذه الغاية غاية في التدبير ؟ - قال : نعم ؛ قيل : وما هي ؟ - قال : بلوغك من جزئ العلم والعمل ما تتقوى به على استخراج الفضائل والمنافع في الأشياء حتى تبلغ الغاية منهما . وذلك غير يسير إلا بولايته ومشيتته .

قيل : وما علامة السعادة ؟ - قال : مَنْ رضى بقضاء الله في المحبوب والمكروه ، وقنع (٢) بالبلغة من الدنيا ، وعلق قلبه بذكره ، وأخرج مطامع السوات من قلبه - فهي علامة السعادة .

قيل : ما محض الكرم ؟ - قال : الوفاء بالذم .
قيل : فما محض اللؤم ؟ - قال : التجنى ، بمنزلة الذئب الذي هم بأكل السخلة لعامها فقال لها : أنت شتمتني عام أول .

قيل : فما الأدب النافع ؟ - قال : أن تتعظ بغيرك ولا يتعظ غيرك بك .
قيل : ما توفير العقل ؟ - قال : أن تطرح عنك واردات الهموم بعزائم الصبر .

قيل : فما بالكم أكببتم على النظر في الكتب إكباباً كاد الناس يردون جميع رأيكم إلى ذلك ويحيلون عليه تدبيركم ؟ - قال : ذلك أنا لا نريد العلم للفرح ، بل نريده للانتفاع به .

قيل : ما بالكم تحملون على أنفسكم من مؤونة الشفقة (٣) ما كان ينبغي عليكم ما أنتم فيه ؟ - قال : ذاك لعلمنا أنه ليس من سرور الدنيا شيء يؤمن عليه الآفات والغير + .

قيل : فما بالكم تطرحون من المدح ما لم يكن مطرحة عند غيركم من الملوك ؟
قال : لكثرة من رأينا من الممدوحين الذين كانوا بالذم أولى منهم بالمدح .

(١) ص : التدبير ما فيه ، قال طب العالم .

(٢) باللغة ... الى : ولا تعرف وعدا ليس في يدك وفاءه . ولما جلس : ناقص في ط - فهنا كراسة مقحمة من ١٢٤ الى ٣١ ب .

(٣) ف : كان .

(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص في ف .

قيل (١) : أى [٢٤ب] الأشياء أمر مرارة ؟ - قال : الحاجة إلى الناس إذا طلبت من غير أهلها .

قيل : أى الأشياء أخلف ؟ - قال : مشورة الجاهل .

قيل : أى التفريطات التى تبتلون بها أشد عليكم ؟ - قال : أن نقدر على خير (٢) نعمله فتؤخره ، وربما كانت ساعة فلا تعود .

قيل : فأى الحالات أنتم (٣) فيها أخوف لعدوكم ؟ - قال : أشد ما نكون فيه ثقة بأنفسنا ، وأقل ما نكون فيه ثقة بربنا واتكالا على ملكنا وجَدَنَّا .

قيل له : سمعناكم تقولون : العاقل يدع السعى فيما يصعب عليه الموت عند نزوله به ، ويسعى فيما يهون عليه يوم حلوله ، فأردنا أن (٤) نتعرف ذلك ؟ قال : أما الذى يصعب الموت عند نزوله فالشهوات والأهواء التى يسلس (٥) المرء القياد فيها ، وهو من الانتفاع بها فى وقت حاجته إلى المنافع صفر . وأما الذى يهون عليه الموت وألمه فما قدم من عمل صالح تعود عليه منفعته يوم لا يأخذ بيد المرء إلى قرة عينه إلا العمل الصالح .

قيل : سمعناكم تقولون : ثلاثة أشياء لم نرها كاملة فى أحد فقط ، فما هى ؟

قال : اليقين والعقل والمعرفة .

قيل (٦) : سمعناكم تقولون : أربعة أشياء ليس ينبغى للعاقل أن ينساها عن كل (٧) حال ؛ فأجبنا أن نعلم ما هى ؟

قال : نعم ! سأخبركم بها فلا تغفلوها : فناء الدنيا ، والاعتبار بها ، والتحفظ بتصرف أحوالها ، والآفات التى لا أمان (٨) منها .

قيل له : سمعناكم تقولون : من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خلىق أن لا ينزل به مكروه ، فيكون هو الجانى فيه على نفسه ؛ فأردنا أن نعلم تلك الأشياء .

(١) ص : قال . (٢) ف : تعمله فتؤخره .

(٣) ف : أنتم أخوف فيها لعدوكم . (٤) أن : ناقصة فى ف .

(٥) ف : للمرء . (٦) س : قيل له .

(٧) كل : ناقصة فى ف . (٨) ف : فيها .

قال : العجلة ، والعجب ، واللجاجة ، والتواني . ثمرة العجلة الندامة ، وثمره العجب البغضة ، وثمره اللجاجة الحيرة والهلكة ، [١٢٥] وثمره التواني الفاقة والضرر .

سئل : هل يقدر الإنسان على عمل البر في كل حين ؟
قال : نعم ! لأنه لا بر أبلغ من الإخلاص في الشكر لله — جل ثناؤه — وتطهير النية من الفساد .

قيل : هل يقدر الإنسان أن يعُمَّ الناس بخيره ومعروفه ؟
قال : أما بكثرة ماله ، فلا . ولكن إذا أحب لهم الخير بنيته وقلبه فقد عمهم بخيره .

سئل : كيف للمرء أن يعيش آمناً ؟
قال : أن يكون للذنوب خائفاً ^(١) ، ولا يحزن من المقدور الذي لا بد أن يصيبه .
سئل : ما الرأي الجيد في أمر المعاش ؟

قال : من كان يريد عيش السرور ، فالقناعة ؛ ومن كان يريد عيش الذكر ، فالاجتهاد في الصلاح وعموم الناس بالخير . ومن أراد سعة الدنيا وفضولها ، فليوطن نفسه على الإثم والغم والنصب .

قيل : فأى الاجتهاد أعون على اكتساب محمود الذكر؟ وأيّهُ ^(٢) أعون على إصلاح المعيشة؟ وأيّهُ ^(٣) أعون على الأمن ؟

قال : أعونه على الذكر المحمود الإنصاف من النفس ؛ ثم اجتناب الظلم . وأعونه على الأمن ترك الذنوب . وأعونه على صلاح المعيشة الاجتهاد على الحق ورفض الشر والحرص .

قيل : أى الرجال العاقل ؟ وأيهم الكيّس ؟ وأيهم الداهي ؟
قال : العاقل هو البصير بما يحتاج إليه ^(٤) في أمر معاده ، المتفد لبصيرته بعزيمته . والكيّس هو العالم بما لا بد منه ^(٥) ولا غنى عنه في أمر دنياه . والداهي ذو الفطنة في التلطف لما يحتاج إليه من أبواب المدارة فيما بينه وبين جميع الناس .

(١) ف : خائفاً مجتبئاً ، ولا يحزن للمقدور .

(٢) ف : وانه — وهو تحريف ظاهر .

(٣) ف : وانه — وهو تحريف . (٤) ف : من .

(٥) لا بد منه و : ناقصة في ف .

قيل : هل للهو وقت ؟

قال : إن كان ، فحين لا يشتغل به عن صلاح معاده [٢٥ب] وما فيه مصلحة معاشه .

قيل : أى الدعة أهناً ؟

قال : ما كان منها بعد إحكام المهمات .

قيل : أى الناس أكمل سروراً ؟

قال : أما فى الدنيا فمن لم يكن به حاجة إلى غيره فيما يعنيه ، ولم يملك رقبته من غير ملك . وأما فى الآخرة فأوفرهم حسنات .

قيل : أى الناس أسكن ؟

قال : من لم يكن به إلى هلاك أحد ولا بأحد إلى هلاكه استعجال .

سئل : أى علم الوالى أنفع له ؟

قال : أن يعلم أنه لا قدرة له على سد أفواه الناس عن عيوبه ومساوئه ، فعند ذلك لا يلتمس إسكاتهم بالوعيد والغلظة ، ولا يلتمس رضاهم وانتقاهم عن ذكر مساوئه وعيوبه إلا بإصلاح تلك العيوب (١) عن نفسه ورأيه وأخلاقه .

سئل : ما ثمرة العقل ؟

فقال : ثماره الشريفة الكريمة كثيرة . ولكن سأحصى لكم ما يحضرنى منها . فمن ذلك أن يحرز الإنسان نصيبه بأن يعقد نيته على مكافأة كل ذى نعمة ، ويبلغ من ذلك الفعل (٢) غاية القدرة . ومنها أن لا يضيع التحفظ والاحتراس (٣) من المعاصى (٤) . ومنها أن لا يسكن من الدنيا إلى حال ، ولا يطمعها فى التفريط من الاستعداد . ومنها أن لا يكون لشيء من الشر مقتنياً . ومنها أن لا يترك ألطافه (٥) لمبغضه . ومنها أن لا يقتدى بالجهال ولا فى منفعة جسيمة من منافع الدنيا ، فأما منفعة الآخرة فلا حظ للجاهل فيها . ومنها أن لا يعمل عملاً إلا بعد

(٢) الفعل : ناقصة فى ف .

(١) ف : من .

(٣) ص : الاحراس .

(٤) ومنها أن لا يضيع . . . المعاصى : وردت فى ف بعد قوله : من الاستعداد .

(٥) ف : الطاعة لمعصية .

التثبت والرفق والأناة . ومنها أن لا تبلغ السراء به بطراً ولا الضراء استكانة .
ومنها أن يسر بينه وبين عدوه السيرة التي لا يخاف معها حكم الحاكم ، وفيما
بين صديقه [١٢٦] وبينه بالسيرة التي لا يحتاج معها إلى العتاب . ومنها أن
لا يستصغر أحداً عن التواضع له ، ولا ينقص أهل الفقر عن أهل الغنى ، إلا (١)
أن يكون الغنى عالماً والفقير جاهلاً . ومنها أن لا يجل أهل الدعارة إذا كانوا
قرباء أغنياء أو قرناء مداخلين . ومنها أن لا يكون مبتدئاً بالأذى ولا مكافئاً
به ، وإن انتصر لم يجاوز في الانتصار حد العدل والحق . ومنها أن يكون الهوى
عنده في جنب العقل لغواً . ومنها أن لا يستوطى العجز ، ولا يأنف من السعى
في الرشد . ومنها أن لا يجترئه ماضى ذنب سلف وسلم (٢) من عاقبته على معاودة
مثله . ومنها أن لا يغلب في شيء من حالاته على الحلم والوقار ، وأن لا يفرح
بمدح المادح بما يعلم أنه خيلو منه . ومنها أن لا يحقد على من عابه بما يعرفه
من نفسه . ومنها أن لا يقدم على أمر يخاف أن تعقبه ندامة . ومنها احتمال
نصيب البر ، وإلحام النفس عن كل لذة تخالط مائماً .

سئل : ما الذى يجب على الملوك للرعية ؟ وما الذى يجب للرعية على الملوك ؟

قال : للرعية (٣) على الملوك أن ينصفوهم وينتصفوا لهم ، ويؤثموا سربهم ،
ويحرسوا ثغورهم . وعلى الرعية للملوك النصيحة والشكر .

سئل : ما السرور ؟ وما اللذة ؟

قال : السرور ما كان معه رجاء الآخرة ، وما سوى ذلك من السرور

لهو وزواك ، وهو إلى الاضمحلال .

سئل : هل يكون لهو بلا إثم ؟

قال : لا !

سئل : ما الزهو ، وما الصِّلَف ؟

قال : الصِّلَف (٤) قد يمدح به في بعض الحالات . وذلك أن صاحبه

(١) الا : ناقصة في ف هكذا : أهل الغنى أن لا يكون الغنى عالماً ...

(٢) من : ناقصة في ف .

(٣) ف : للملوك على الرعية النصيحة والشكر ، وللرعية على الملوك ...

(٤) قد : ناقصة في ف . ثغورهم .

يأنف من الشيء الحقير ومن التعرض له . والزهو لا يمدح به لأن صاحبه يرفع نفسه فوق منزلتها ، حتى ربما ترفع عن رد [٢٦ب] السلام على من دونه .
قيل : فما الرياء ، وما التصنع ؟

قال : الرياء أن يكون رديئاً ويظهر الخير والجميل . والتصنع أن يظهر من نفسه خلاف ما هو عليه . قيل : فأياها شر ؟ قال : أما في نفسه فالتصنع ، وأما في العمل فالرياء .

سئل : ما الذي يرد اشتعال^(١) الغضب ؟
قال : ذكر الغضب^(٢) من الرب عز وجل عند عصيان المربوب وتعاطيه الفواحش ، وحلمه عنه .

قيل : ما أربع خلال : قلم^(٣) ليس ينبغي أن يرتاب بهن ؟
قال : طاعة الله^(٤) تعالى ، وإيثار الآخرة على الدنيا ، وطاعة الملك فيما يوافق الحق ، وأن لا يشك في ثواب المحسن ويفوض أمر المسمى إلى خالقه .
قيل : سمعناكم تقولون : هلاك الملوك في الدنيا والآخرة في خصلة لا ترتفع معها حسنة . فنجب أن نعرف هذه الخصلة حق معرفتها .
قال : استصغار أهل العلم والفضل .

قيل : سمعناكم تقولون : من كره العار فليجتنب خمس خصال ؛
فما هي ؟
قال : نعم ! الحرص ، والشح ، واحتقار الناس ، واتباع الهوى ، والمطّل بالعدة .

قيل : فما العار عندكم ؟ وهل عار أشد مما وصفتم ؟
قال : نعم ! الكبائر .
قيل : وما الكبائر ؟
قال : منع الواجد^(٥) ؛ وأشد منه أن يعد ويخلف^(٦) . والموبقات وهي^(٧)

(١) ف : استعال . (٢) ف : ذكر غضب الرب ...

(٣) ف : لا . (٤) تعالى : ناقصة في ف .

(٥) ص : الواجد ! وكذا في س ، ف .

(٦) ف : فيخلف . (٧) ف : فهي .

أن تمد عينك إلى ما لا تملك ولا حق لك (١) فيه . ورأس الكبائر الاستهانة
بحدود الله تعالى (٢) .

قيل : أى العيش أرغد وأنعم ؟

قال : عيش فى رخاء ، وكفاف بلا فقر ولا غنى .

قيل : كيف للمرء أن يعيش آمناً ؟

قال : يصبح مطيعاً لله ، ويمسئ مجتهداً فى طاعته ، راغباً فى عبادته .

سئل : كيف للمرء أن يكون فى جميع حالاته ذاكراً لله تعالى (٣)

ولا يكون ساهياً ؟

قال : ذلك إذا كان [١٢٧ | للإثم فى جميع حالاته حذراً وجلاً .

وكان يقول : البخل أحسن من المثل ، لأن اليأس يقطع الأمل والطمع ،
والمطل يكدر العطاء وإن جلت منفعته .

سئل : ما الذى يحتاج إليه صاحب الدنيا ؟

قال : السعة من غير تبعة ، والسرور من غير مأثم ، والدعة من غير

توانٍ ولا تضییع .

وقال : موت الأبرار راحة لهم ، وموت الأشرار راحة للعالم .

سئل عن رجل يبلى (٤) بقطيعة إخوانه : ما علة ذلك ؟

قال : ذاك من قلة وفائه وترك إيجابه لهم (٥) ما أوجبوه له ، وقد يكون

من قلة احتماله ذلة إخوانه .

سئل عن الذنوب والشكر — قال : من صح شكره لله تعالى برئ

من الذنوب .

قيل : أى الذنوب أعظم على الإنسان ؟

قال : أن يخفى عليه عيبه .

قيل (٦) : أى الأشياء أحق أن لا ينسى ؟

(١) فيه : ناقصة فى ص . (٢) تعالى : ناقصة فى ف .

(٣) تعالى : ناقصة فى ف . (٤) ف : بلى .

(٥) ف : وما . (٦) قيل الذنوب : ناقصة فى ف .

قال : أما عند أهل العقل فاقترافهم الذنوب ، أما عند أهل الجهل فالأوتار^(١).

قيل^(٢) : أى الأشياء أعون للحسود على ترك الحسد ؟

قال : أن يعلم أن ذلك أذى يحمله على نفسه ، وأنه لا حجة له في نقله نعمة عن موضعها ، وأنه لا ينتقص بحسده إلا نفسه .

قيل : فهل يقدر الحاسد أن يضر المحسود^(٣) ؟

قال : كيف يقدر على ذلك وهو لا يصل إلى ذلك إلا بشرٍّ يصل إلى نفسه ؛ وإن زالت نعمة المحسود لم تصل إليه .

قيل : أى شئ يوسم به الملوك أزين ؟

قال : التعفف .

قيل : عماذا ؟

قال : عن الحرمات .

قيل : ثم من ؟

قال : من يعف عما في أيدي الرعية .

قيل : ثم ماذا ؟

قال : أن لا يعرف بالحرص حتى ينسب إليه ، ولا بالخشع حتى تذهب عنه بهجة الوقار .

قيل : فما الذى يجمع للملوك الحمد ؟ وما الذى يجمع لهم الخزم ؟

وما الذى [٢٧ب] يجمع لهم الذم ؟

قال : أما الأمور المحمودة ففي خصلة واحدة وهي + إذا هموا بالخير أمضوه ،

وأما الخزم ففي خصلة واحدة + وهي الاستظهار في الأمور . وأما الأمور المذمومة ففي خصلة واحدة : إذا غضبوا أقدموا^(٤) .

(١) الوتر والوتر (بفتح الواو وكسرهما) والترة والوتيرة : الظلم فى

الذحل ، وقيل الذحل عامة - وجمع وتر : أوتار .

(٢) ص : قال . (٣) ف : بالمحسود .

(+ ... +) ما بين العلامتين وارد فى ف ، وساقط فى ص .

(٤) ص : قدموا .

قيل : فما الخصلة الواحدة الجامعة لثنى^(١) قاله الحسدة والأعداء عن الملوك ؟
قال : أن يكون متعلقاً بمجالسة^(٢) العلماء وأهل الفضل ، آخذاً بمحاسن
أفعالهم .

قيل : فما الخصلة التي تلتصق الباطل وما يلحق به من المساوى ؟

قال : مجالسة أهل الريب وأهل الدعارة والجهالة .

قيل : ما نهاية العقل الإنساني ؟

قال : استصغار الدنيا وقدرها عندما يعاين من نفيس أمر الآخرة ،

ورفض ما فيها من الخدع بالذات التي لا يأمن فيها من التبعات .

قيل : فهل للملوك عبرة في أنفسهم ليست للسوقة ؟

قال : نعم ! التفكر في سرعة انقضاء دولتهم وقصر أعمارهم وإفراط
رغبتهم في الأوزار .

قيل : فالتمتع والتلذذ بالملوك أقبح ، أم بالسوقة ؟

قال : بل بالملوك حين عرفوا قصر الاستمتاع ممن مضوا ، وكثرة التنغيص
والعوارض في نعمهم .

قيل : أى مناقب المرء زين له ؟

قال : الحلم عند الغضب ، والعفو عند القدرة ، والحدود بغیر طلب الثواب ،
والاجتهاد للدار الباقية لا للفانية .

قيل : أى الناس أحق بالانقضاء ؟

قال : السلطان الغشوم ، والعدو القوي ، والصديق المخادع .

قيل^(٣) : أى العيوب أعسر إصلاحاً ؟

قال : العجب واللجاجة .

قيل : أى الأشياء أولى بالاجتناب ؟

قال : أجلها نصيباً^(٤) من الهوى .

قيل : أى الأشياء أقل ؟

قال : الوادُّ الناصح .

(١) ص : لتقى . (٢) ف : أهل العلم والفضل .

(٣) ورد السؤال والجواب في س بعد قوله « من الهوى » .

(٤) ص : نصبا .

لما استتم أنوشروان كتاب « المسائل » قال فى آخره : قد كنت للعقل [١٢٨] فى الحداثة موثقاً ، وللعلم محباً ، وعن كل تعليم مفتشاً ؛ فرأيت العقل أكبر الأشياء وأجلها ، والخيم^(١) الصالح خير الأمور ، والحلم أزين الخصال ، والمواساة أفضل الأعمال ، والاقتصاد أحسن^(٢) الأفعال ، والتواضع أحمد^(٣) الخلال — وحسبنا الله ونعم الوكيل^(٤) .

حكم لبهمن الملك

كان بهمن الملك مشغولاً بمحاسن الكلام ، يقدم^(٥) به ويؤثر من أجله ندماء وخطاه . فجمع علماء أهل زمانه وأهل المعرفة المشهورين بالحكمة وأنفقهم ، ثم قال لهم :

إني جمعتكم لمهمّ تفكرت فيه ، ولأمور أحببت معرفتها وأنا سائلكم عنها . فليجتهد كل رجل منكم رأيه بالمبالغة من عقله وفهمه بلا عجلة ، ولا مبادرة إلى الجواب بلا روية . أخبروني عن أعز الأشياء وأرفعها لخساسة الخسيس الذى لم ينهضه قديم . فأجمعوا أنه الصلاح والعلم ، وأنهما يزيدان فى شرف الشريف ، ويتعدان العبيد مقعد الملوك . فقال الملك : هذا رأس أمور الدنيا والدين إذا كان بمساعدة العقل ، فان البناء بأساسه ، لأن الأساس الفهم ، وقوامه الرأى الأصيل . ولا رأى إلا بمعرفة العلم ، ولا أساس للعلم إلا بالعقل .

ثم قالوا : أقسام الأشياء مختلفة : فمنها حارس ، ومنها محروس . فالمحروس المال ، والحارس العقل . ومنها مسلوب ، ومنها محفوظ . فالمسلوب المال ، والمحفوظ العقل . فالعقل يحرسك وأنت تحرس المال . والمال لا يحفظ^(٦) من سرقة ومن خيانة ومن جور سلطان^(٧) وآفات آخر كثيرة سريعة إليه ، والعقل

(١) الخيم (بكسر الخاء) : السجية والطبيعة .

(٢) ف : أفضل .

(٣) ص : الخصال — وما أثبتنا عن س .

(٤) وحسبنا . . . الوكيل : لم ترد فى ف .

(٥) أى يفضل الناس بحسب اقتدارهم على الكلام .

(٦) ف : يحرس . (٧) ف : جور سلطاني .

لا يناله شيء من هذه ولا يغلبه شيء ، ولا يغصبه غاصب ، ولا يضره كيد حاسد . ثم إن صاحب العقل إن حرم المال عاش [٢٨ ب] بعقله ؛ وصاحب الجهل لا يعيش بماله . وذلك أن من لم يعش بعقله حرم معرفة الفصل (١) بين الحسن والقبيح ، والنظر في عواقب ما يجمل ويحل ، وما لا يجمل ولا يحل . ولا خير في حياة من فاتته (٢) هذه الخصال ، لاسيما الملوك ، فانهم إلى هذه الأشياء أحوج ، إذ هم الساسة والرؤساء ، وسائر الناس أتباع ؛ وهم إلى إصلاح أنفسهم أحوج ، إذ كانت الرعية إنما تصلح بصلاحهم ؛ وفساد الناس يكون بفسادهم ، فلا قوام للرعية إلا بالراعي ، ولا قوام للبدن إلا بالرأس ، ولا قوام للملك إلا بالهبة ، ولا هبة للملوك إلا بالعدل . وحاجة الأدب والمروءة إلى العقل كحاجة البدن إلى الغذاء ، وحاجة البلد (٣) إلى العمارة والماء . فالآداب والمروءات محتاجة إلى العقل ، والعقل غنى عنها . ويدل على العقل حسن منافع العقل في اجتناب الخطايا . والسعادة مقرونة بالعقل : فمن رزق العقل دله على أسباب السعادة ، ومن يرزق (٤) السعادة لم تبق له غاية يطلبها ، لأن السعادة غاية كل مطلوب .

وقال رئيس القوم : علامة العقل أن يرى العبد (٥) حارساً لنفسه من نفسه ، ولأثامه من بادرته ، ويروض صعب الهوى حتى يذله للعقل ، فان العقل والهوى مختلفان : اختلفا على هذه النفس في موافقتها ومخالفتها : فالعقل لها شجن ، والهوى لها سكن . وذلك أن الهوى يهdy إليها (٦) الشهوات واللذات ، والعقل يمنعها (٧) من ذلك إلا فيما يحل ويجمل ، ويحذرها من العواقب . فالنفس إلى ما قارب الهوى أسرع ، ومن كل ما يثقل عليها أجزع .

ثم قال لهم الملك : اتفقوا على كلمة تجمع المكارم في إيجاز وإحاطة [٢٩] بآرادة المريد ذلك . فابتدأ رئيس القوم فقال : من استصغر كبير (٨) ما يوتى

(١) ص ، ف : الفضل . (٢) ص : فاتته .

(٣) ص : حاجة البدن إلى العمارة . . .

(٤) ف : رزق . (٥) ف : الانسان .

(٦) ف : لها . (٧) ف : منعها الا . . .

(٨) ف : كثير .

من المعروف وسره ، واستكثر قليل الشكر من المصطنع (١) ، فقد استوجب الثناء وأحسن مجاورة النعم .

وقال + آخر : من ابتدأ المعروف من غير أن تبذل الوجه ، وإن لم يبتدىء به رد المتعرض بماء وجهه ، فقد استحق الثناء + .

وقال آخر : أيها الملك ! الكلمة الجامعة للمكارم : من لم تبطره النعمة إذا أصابته ، ولم يحسد عليها إذا أخطأته .

فقال لهم الملك : قد قلمت فأحسنتم . ولكن : من أخذ بمجامع المروءة واحتوى على الشرف فليترك الانتصار وهو قادر . وأبلغ من ذلك : احتمال الكلمة الموجهة عن أهل القلة ، والحلم عن أهل الذلة ، والعفو عند القدرة .

وقال آخر : إني لما فهمت أخبار زمانى ، ورعيت الآداب ، وقاسيت طبقات الناس تنبهت على أمر عظيم ، وأشرفت على سر من الأخلاق دفين ، وصلتُ إليهما بفراغ من القلب لهما ، وعناية من الفكر بهما . وذلك أنى كنت رجلاً نجوت من واحدة ، وذهبت إلى اثنتين ، وكانت في ست خصال : فأما التى نجوت منها فقلة الشهوة وحب الدنيا . وأما الخصلتان فأنى وكلت نفسى بحفظ العبر ، وصرت من ممر (٢) كل يوم على وجل . وأما الخصال الست : فقمعى للحسد إذا نهض وتحرك ، وقهرى للشهوة إذا مالت إلى خلاف الحق ، وإماتتى الضغائن والأحقاد ، والصبر الجميل على ما له عاقبة جميلة عند الحوادث والنوازل ، وسلامة طبعت عليها ، وخفة مؤونة على الناس . وبعض هذه الخصال أعانتنى (٣) على بعض : فمنها ما وجدته فى الحلقة [٢٩ب] طبعاً من غير تكلف ، ومنها ما أصلحته بقوة الله تعالى وتداركته بالرياضة والأدب .

وقال آخر وصية : خذ من نفسك عدة لما تريد دركه بعدل لا تشوبه خيانة ، وصدق غير مدخول ؛ ورُمَّ مطلوباتك بالإنصاف ، ثم أنا زعيمك بالإنصاف (٤) ، فانما عوقب من عوقب فى العاجل بطلهم ما أحبوا (٥) واشبهوا

(١) ف : المصطنع اليه :

(+ ... +) ما بين العلامتين ورد فى ف بعد الفقرة التالية .

(٢) ممر : ناقصة فى ف . (٣) ف : أعاننى .

(٤) ثم ... بالإنصاف : ناقصة فى ف . (٥) ص : احتوا

بالجور ، وسعيهم في جسيم الأمور بالباطل وكذلك لم ينجبوا فيما قصدوا ورجعوا خائبين . ثم حافظ على أحسن ما عرفت به عند أهل العقل والمعرفة ، وتزيد فيه ؛ وإيّاك أن تتعرض لأمر مذموم بدالة ما سبق لك إلى الناس من محمود عمل ، وتظن أن حسناتك تستغرق سيئاتك ، فإن القليل من الإساءة في القول والفعل يححق كثيراً من الحسنات .

..

وكان من سيرة قدماء الفرس أن يكتبوا في نواحي مجالسهم أربعة أسطر : أولها عندنا : الشدة في غير عنف واللين في غير ضعف ؛ والثاني : المحسن تجازى بإحسانه والمسيء يكافأ بأسأته ؛ والثالث : العطيات والأرزاق في حينها وأوقاتها ؛ والرابع : لا حجاب عن صاحب ثغر ولا (١) طارق ليل .

وكان قدماء (٢) الفرس لا يولون الثغور إلا من تكاملت فيه أربع عشرة خصلة من أخلاق الحيوانات وهي : أن يكون أسمع من فرس ، وأبصر من عقاب ، وأهدى من قطاة ، وأحذر من عقق (٣) ، وأجراً من أسد ، وأوثب من فهد ، وأروغ من ثعلب ، وأوقح من ذئب ، وأسنى من لا قطة الديك ، وأقدم من نمر ، وأجمع من ذرة (٤) ، وأحرس من كلب ، وأصبر من حمار ، وأطوع من جمل .

وفي عهد ملك من ملوك الفرس لابنه : [٣٠] لا تحقرن ذنباً ، ولا تظلمن أثراً ، ولا تماثلن عدواً ولا حسوداً ، ولا تصادقن (٥) غامراً ، ولا تعينن لثماً فيبטר ، ولا تسلطن ذنباً ، ولا تفرطن في طلب الأجر ، ولا تعينن غاوباً ، ولا تركنن إلى شبهة ، ولا تردن سائلاً ، ولا ترضين للناس إلا ما ترضاه (٦) لنفسك . واعلم أن للأعمال جزاء وللأمور تبعات ، فكن على حذر ، ولا يغرنك المرتقى السهل إذا كان المنحدر وعراً ، ولا تعدن (٧) وعداً ليس في يدك وفاؤه .

(٢) ف : حكماء .

(١) ص : الا .

(٣) راجع عنه « الحيوان » للجاحظ ٢ : ١٧٤ ، ٣٢٩ : ٥ : ١٥١ ، ٥٣٥ .

— اذ يضرب به المثل في شدة الحذر ، وصدق الحسن .

(٤) ص : ذرة — والذرة : النمل الأحمر الصغير ، يضرب به المثل في الادخار ، راجع « الحيوان » للجاحظ ١ : ٢١٣ : ٢ : ٢٩٥ : ٤ : ٥ .

(٥) ص : تصدقي .

٣٦٥ : ٥ : ٣٤

(٦) ف : بما . (٧) تعدن وعداً : آخر النقص في ط ورقة ١٣٢ .

ولما جلس حشيد على سرير ملكه (١) في أول أيامه (٢) اجتمع إليه
وجوه أهل مملكته ووقف وفود الملوك حوله وأرادوا أن يمتحنوا عقله وسيرته
فقام الوزراء والعظماء فقالوا : أيها الملك ! عشت الدهر ومبكت الأقاليم . إن
رأيت أن تمثل لنا مثالا نعمل عليه ونقتصر في إنفاذ الأمور عليه ؟

فقال لكاتب رسائله : إن كتابك لساني والخبر عن غائب أمري ، فاختصر
الطريق (٣) إلى الفطنة ، وأحط بحدود الأمور ، وابدأ بالأولى فالأولى .
وقال لصاحب خراجته : إنك عدل فيما بيني وبين رعيتي ، فأجبر الأمور على
على مواردنا ، ولا تقصر (٤) عن اتقانها ، ولا تكل إلى غيرك ما يحيط به نظرك
ويبلغه علمك . وقال لصاحب جيشه : إنك الحصن من العدو ، والمؤمن
على عُدّة الملك ، فاستدع المناصحة بالرغبة والطاعة بالرهبة ، واحترس بالتيقظ ،
وعاجل مواضع الفرض . وقال لصاحب حرسه : إنك جُستى التي أجتنب فيها ،
وعينى التي أنظر بها ، فلا تدع التحفظ ، ولا تكن أبداً إلا على أهبة ،
ولا تستبطن (٥) مريباً . وقال لصاحب شرطته : إنك ظلى فى رعيتي ، والقائم
بسوط أدبى . فالبسهم (٦) الأمن بالبراءة ، وأشعرهم المخافة [٣٠ب] بالريبة ،
ولا تخف (٧) فى إثثار الحق لومة لائم . وقال لحاجبه : إنك عدل على مراتب
خاصتى ، والحافظ لمكاناتهم (٨) منى ، فانظر إليهم بعينى ، واجعلهم على قدر
منازلم عندى ، وضعهم فى كل حالاتهم فى اللوم والإبطاء (٩) عن بائى ، ثم
ازرع فى قلوب الجميع محبتي . ثم قال لخادمه : إنك أمين (١٠) على مابه حياة الرعية ،
وبصلاحه صلاح الملك والأجناد : فاحفظ الوارد ، واستبطن الغائب ، وعجل
الجارى اللازم ، ووامر (١١) فى غير اللازم . وقال لصاحب الخاتم : إن التدبير

(١) ص : وفى .

(٢) ص : واجتمع .

(٣) ف : الطريقة .

(٤) ف : لا تستبطن .

(٥) ص : تخفف .

(٦) ط : لمكافأتهم \ ف لمكانتهم ؛ فانظر ...

(٧) عن بائى : ناقصة فى ص ، ف .

(٨) ف : لأمين .

(٩) أى : شاور ، والاسم : المؤامرة .

إنما يصدر عنك ، والأمر إنما ينفذ بك ، فاقنصر بحدود كتبى على مواقع أمرى ، ولا تنفذ منها شيئاً إلا عن علمى^(١) . وقال لصاحب ديوان النفقات : إناك والى خاصة كل ما يعينى ، والقائم بما يعود نفعه وضره علىّ ، فاحتط على أحكام ما تدعو إليه الحاجة فى النفقة ، واحذف نوازع ما تتوق إليه الشهوة . وقال لصاحب الزمام : أنت مستودع سرى ، وذو أمانة أمرى ، وبمكان من رأى - فأمت^(٢) بالكتمان سرى ، وتحمل ثقل مخالفتى ، ولا تأخذك بأحد رافةً فى حظى .

ثم قال لجميعهم : إنى قد عرفت ما حاولتم بمساءلتكم إياى ما سألتونى وإن كنتم أظهرتم أنكم إنما أردتم أن أففكم على مثال^(٣) تحتذون عليه . وإنما أطلعتكم على علمى بدفائن قلوبكم لتعلموا أنى لم أحقد عليكم إذ أظهرته لكم ، ولتجددوا شكرياً على ما أنعم به عليكم من عفوى عنكم ، واعلموا أنه لا يدرك بأعمال المذنبين ثواب المحسنين .

...

قال هرمز الملك لخرشيد^(٤) - وكان عامله على الأهواز وأمينه على كور دجلة ، والناظر فى قضائهن - : ما أعرف لك عيباً غير العظمة ، ولكن التعظم عيب واحد يقترن به [١٣١ | عشرة^(٥) عيوب . قال : وما هن أيها الملك ؟ - قال : العجب :^(٦) وعاقبته بغض الناس ، والتفتيش عن الأحساب وتركه حسب نفسه : وعاقبته طلب الناس عيوبه ، والاستحياء من التعلم : وعاقبته نقصان الأدب ، وطلب الجلوس فى المحافل للترتب : وعاقبته أن لا يبقى له صديق إلا صار له عدواً يطلب عثراته ويفشى عليه لكى يعرف بالندالة ، وتجاوز قدره وتعدى طوره وجراته على السلطان : وعاقبته جر الهوان على نفسه ، وتركه حقوق الناس فى العبادات والتسليم عليهم وما أشبه ذلك من الحقوق : وعاقبته المذلة ودعاء الناس إلى السخرية

(١) ط : علم / ف : الا عن أمرى وعلمى .

(٢) ص : فأمة . (٣) ص : منال .

(٤) ط ، ف : لخرشيد قوله .

(٥) ط ، ص : عشر / ف : يقرن .

(٦) الواو ناقصة فى ف .

والاستخفاف به ، وتركه الاستشارة : وعاقبته الندم بعد الفوت ، وطلبه إلى الناس أن يعظموه : وعاقبته الاستهانة به ، وبغضه أهل الفضل : وعاقبته التقصير بنفسه وبغض أهل الفضل إياه .

..

وقال حكيم الفرس^(١) آذرباذ : أمور الدنيا مقسومة على خمسة وعشرين سهماً : خمسة منها بالقضاء والقدر ، وخمسة منها بالاجتهاد والعمل ، وخمسة منها بالعادة ، وخمسة منها بالجواهر ، وخمسة منها بالوراثة . فأما الخمسة التي بالقضاء والقدر : فالأهل والولد والمال والسلطان والعمر . وأما الخمسة التي بالاجتهاد والعمل^(٢) : فالعلوم — وأشرفها العلم بالله عز وجل وجوده^(٣) — ، ثم العمارات ، ثم^(٤) الصناعات وأشرفها الكتابة ، ثم الفروسية والفقه^(٥) . وأما الخمسة التي بالعادة : فالأكل والنوم والمشى والجماع والتغوط . وأما الخمسة التي بالجواهر : فالخيرية ، والتواصل ، والسخاء ، والثقة ، والاستقامة . وأما الخمسة التي بالوراثة : فالذهن ، والحفظ ، والشجاعة ، والجمال ، والبهاء .

وقال أيضاً : التأتى فيما يخاف عليه الفوت أفضل من العجلة إلى إدراك الأمل [٣١ب] .

وقال أيضاً : أيها الشديد ! إحذر الحيلة . أيها العجول ! خف التأتى . أيها المحارب ! لا تفكر في العاقبة .

فصل^(٦) من كلام حكيم آخر فارسي

قال : لكل شيء داعية وسبب . فسبب طيب العيش مداراة الناس . وسبب المداراة وفور العقل . وسبب السر السر . وسبب المزيد الشكر . وسبب زوال النعمة البطر . وسبب العفة غض البصر . وسبب النشب الطلب . وسبب العطب الغضب . وسبب الزينة الأدب . وسبب الفجور الخلوة . وسبب البغضة

-
- (١) عنوان في ف .
 (٢) والعمل : ناقصة في ص .
 (٣) وجوده : ناقصة في ط .
 (٤) ف : والصناعات .
 (٥) ف : ثم الفقه .
 (٦) فصل : ناقصة في ط .

الحلدة . وسبب المحبة الهدية . وسبب الدعة الضعة . وسبب المودة والإخوة
البشاشة والبشر . وسبب القطيعة كثرة المعاتبة . وسبب الفقر السرف . وسبب
الثروة حسن التدبير . وسبب المقت الخلف . وسبب البلاء المراء . وسبب
الهوان الطمع . وسبب ^(١) الثناء السخاء . وسبب النجاة الصدق . وسبب ^(٢)
النجاح الرفق . وسبب المذلة المسألة . وسبب الحرمان الكسل . وسبب ^(٣)
الهلاك المداعبة . وسبب العلو حب ^(٤) الرياسة . وسبب الغدر الركون .
وسبب ^(٥) النبل ترك المُرْزِيَةِ . وسبب الأموال الحلول بساحة الملوك .
وسبب البغضة الصلف . وسبب الميل الملق . وسبب الخير كله — ما قيل
وما لم يقل — العقل .

..

وقال آخر : لا تستهن بالمال وتثميّره ، فان المال آلة المكارم ، وعون
على الدهر ، وقوة على الدين ، ومُتَأَلَّفٌ للإخوان . وفقد المال معه قلة
الاكتراث من الناس ؛ وتبعه قلة الرغبة إليه والرهبة منه . ومن لم يكن بموضع
رغبة أو رهبة استخف به الناس جداً ^(٥) .

..

وقال آخر لتلميذه ^(٦) : ضعوا من رفعت العامة ، وارفعوا من وضعته ^(٧) ،
فانهم [١٣٢] لا يفعلون شيئاً بعقول تامة ولا بأفهام راجحة ولا بعزائم صحيحة .

..

وقال آخر : لسنا بالكد في طلب المتاع الذي نلتمس به دفع الضر والعيلة
بأحق منا بالكد في طلب العلم الذي نلتمس به صلاح الدين والدنيا . اعلم أن
الواضعين أكثر من العارفين ، والعارفون أكثر من الفاعلين . وليس كل ذي

(١) ص : وسبب صوابه النبل البناء السخاء :

(٢) ص : وسبب الهوان الهلاك . . (٣) ف : حسن .

(٤) ض : سبب النبل ترك المرزیه .

(٥) جدا : ناقصة في ط و ف ، وواردة في ص .

(٦) ص : لتلميذه . (٧) ط : وضعته العامة .

نصيب^(١) من اللب بمستوجب أن يسمى لبيبا ، ولا أن يوصف بصفات أولى
الآلأباب . فمن رام أن يجعل لنفسه حظاً منه فليأخذ أهفته^(٢) ، وليؤثره على أهوائه
فانه قد رام أمراً جسيماً لا يصلح على الغفلة ، ولا يدرك بالمعجزة ، ولا يصبر
على الأثرة ، وليس هو كسائر أمور الدنيا وسلطانها ومالها وزينتها التي قد يدرك
المتواني منها ما يفوت الماثب ، ويصيب العاجز منها ما يخطيء الحازم . ولتعلم أن
العامل إذا ضيع ما عمله حكم عليه عقله بمقارنة الجهال ؛ فعلى العاقل أن يعلم
أن الناس مشتركون في الحب لما يوافق والبغض لما لا يوافق^(٣) ، وأن هذه
منزلة استوى^(٤) فيها الحمقى والأكياس ، ثم اختلفوا بعدها في ثلاث خصال
هن جماع الصواب وجماع الخطأ ، وعندهن تفرقت العلماء والجهال والخزنة^(٥)
والمعجزة . فالأول من ذلك أن العاقل ينظر فيما يؤذيه وفيما يسره فيعلم أن أحق
ذلك بالطلب ، إن كان مما يحب^(٦) ، وأحقه بالانقاء ، إن كان مما يكره ، أطولُه
وأدومُه وأبقاه^(٧) ، فاذا هو قد أبصر فضل^(٨) الآخرة على الدنيا ، وفضل^(٨)
سرور العلم على لذة الهوى ، وفضل^(٨) الرأي الجامع الذي يصلح به الأنفس
والأعقاب على حاضر الرأي الذي يستمتع به قليلاً ثم يضمحل ، وفضل^(٨)
الأكلات على الأكلة والساعات على الساعة . والثاني أن ينظر [٣٢ب] فيما يؤثره
من ذلك فيضع الرجاء والخوف فيه موضعه ، فلا يجعل اتقاءه المخوف ولا
رجاءه في غير المدرك ، فيترك عاجل اللذات طلباً لآجلها ، ويحتمل قريب
الأذى توقياً لبعيده . فاذا صار إلى العاقبة بدا له أن فراره كان تورطاً ، وأن
طلبه كان شكاً . والثالث تنفيذ البصر بالعزم وبعُد المعرفة بفضل الذي هو
أدوم ، وبعُد التثبت في مواضع الرجاء والخوف ، فان طالب الفضل
بغير صبر تائه حيران ، ومحصر الفضل بغير عزم ودون رصانة^(٩) محروم .

(١) ص : نصب . (٢) ف : له أهفته .

(٣) والبغض . لا يوافق : ناقص في ص \ ف : البغض (من دون
واو) .

(٤) ف : يستوى . (٥) ف : الخزنة .

(٦) ص : ما يجب . (٧) ص : أبقاه .

(٨) ص : فضل . (٩) ص ، ف : زمانه .

وعلى العاقل محاسبة نفسه ومخاصمتها والقضاء عليها والإبانة لها ثم التنكيل بها .
أما المحاسبة فيحاسبها بماله ، فانه لا مال له إلا أيامه المعدودة التي ما ذهب منها
لم يستخلف النفقة ، وما جعل منها في الباطل لم يرجع في الحق فيتنبه لهذه المحاسبة
عند الحول إذا حال والشهر إذا انقضى واليوم إذا ولى . فينظر^(١) فيما أفنى
من ذلك وما كسب لنفسه وما اكتسب عليها في أمر الدين وأمر الدنيا بحساب
فيه إحصاء وجد وتذكير وتبكيك للنفس وتذليل لها حتى تعترف وتذعن . فأما
الخصومة فإن من طباع النفس الأمانة بالسوء أن تدعى فيما مضى العذر^(٢) ، وفيما
بقى الأمانى ، فيرد عليها معاذيرها وعللها وشبهاتها . فأما القضاء فانه يحكم فيما
أرادت^(٣) من ذلك على السيئة أنها سيئة ، والسيئة فاضحة مُرّدية موبقة ،
وعلى الحسنة أنها زائنة وأنها مريحة منجية . وأما الإبانة والتفصيل فانه يسر نفسه
بتذكير تلك الحسنات ، ويرجو عواقبها ، ويأمل فضلها ، ويعاتب نفسه
على الحقيقة إذا تذكر السيئات فاستبشعها واقتشعر^[١٣٣] منها فحزن على ما ارتكبه
منها ، وعلم أن أفضل ذوى الألباب أكثرهم محاسبة^(٤) لنفسه وأقلهم فترة فيها .
وأما التنكيل بها فانه يعاقبها إذا عصته في بعض الأوقات بالزامها ما يشق عليها
من الصوم والطى والعبادات الثقيلة والسعى الذى فيه طول ومشقة إلى المواضع
التي يشرفها الناس .

وعلى العاقل أن يذكر الموت في كل يوم وليلة مراراً ؛ يياشر القلب
ويقدع^(٥) الطماح ، فان في كثرة ذكر الموت عصمة من الأشعر وأماناً من الهلع .
وعلى العاقل أن يحصى على نفسه مساوئها في الدين وفي الرأى وفي الأدب .
فيجمع^(٦) ذلك كله في صدره أو في كتاب ، ثم يكثر عرضها على نفسه
ويكلفها إصلاحه ، ويوظف ذلك^(٧) عليها من إصلاح الخلقة أو الخلقين
أو الخلال في اليوم أو الجمعة أو الشهر . وكلما^(٨) أصلح شيئاً محاه ، وكلما

-
- (١) ص : ينتظر . (٢) ف : والعذر - وهو تحريف .
(٣) ص : رادت . (٤) ص : لها ، وكذا في ف .
(٥) ص : يقزع . (٦) ف : فيجتمع ذلك في صدره .
(٧) عليها : ناقصة في ف . (٨) ف : فكلما .

نظر إلى محو استبشر ، وكلما نظر إلى ثابت اكتأب . وعلى العاقل أن يتفقد محاسن الناس ويحبسها ويصنع في توظيفها على نفسه وتعهدها مثل الذي وصفنا في إصلاح المساوي .

وعلى العاقل أن لا يخادن ^(١) ولا يصاحب ولا يجاور من الناس — ما استطاع — إلا إذا فضل في الدين ^(٢) والعلم والأخلاق ليأخذ عنه ، أو موافقاً له على إصلاح ذلك فيؤيد ^(٣) ما عنده وإن لم يكن له عليه فضل ، فإن الخصال الصالحة ^(٤) في المرء لا تحيا ولا تنمى إلا بالموافقين والمؤيدين . وليس لذى الفضل قريب ولا حميم هو أقرب إليه ممن وافقه على صالح الأعمال فزاده أو ثبته . ولذلك قال بعض الأولين : إن صحبة بليد نشأ مع العلماء أحب إليهم من صحبة لبيب ^(٥) ذكى نشأ مع الجهال .

وعلى العاقل أن لا يحزن على شيء [٣٣ب] من الدنيا تولى ، وأن ينزل ما أصاب من الدنيا ثم انقطع عنه بمنزلة ما لم يصب ^(٦) ، ولا يدع خطة من السرور بما أقبل منها من غير أن يبلغ به ذلك سكرًا أو طغيانًا ، فإن مع السكر الطغيان ، ومع الطغيان التهاون ؛ ومن نسي وتهاون فقد خسر خسراناً مبيناً .

وعلى العاقل أن يؤنس ذوى الألباب بنفسه ويجعلهم خزنة وحراساً على أفعاله ثم على سمعه وبصره ورأيه ، ويستنمى إلى ذلك ويستريح ^(٧) إليه قلبه ويعلم أنهم لا يغفلون ^(٨) عنه إذا غفل ^(٩) هو عن نفسه . وعلى العاقل ألا يشغله شغل عن أربع ساعات : ساعة ^(١٠) يرفع فيها حاجاته إلى ربه ، ساعة يفضى فيها إلى إخوانه وثقاته الذين يصدقونه ^(١١) عن عيوبه وينصحونه في أموره ، وساعة يصلح فيها أمر منزلته ^(١٢) ومعاشه ، وساعة يحلّي فيها نفسه

-
- (١) ط : يحادث . (٢) ف : في العلم والدين والأخلاق .
 (٣) ط : فيؤخذ . (٤) ف : من .
 (٥) لبيب : ساقطة في ف . (٦) ص : فلا .
 (٧) ف : يستروح . (٨) ص : يعقلون .
 (٩) ص : عقل / هو : ناقصة في ط .
 (١٠) ص : ترتفع . (١١) ص : يصدقونه .
 (١٢) ص : منزلة .

ولذاتها بما يحل ويجمل فلا يعترض بينها وبينها (١) ، فان هذه الساعة عون على الساعات الأخر ، واستجمام القلوب وتوديعها زيادة قوة لها وفضل ببلغة ، وعلى العاقل ألا ينظر إلا في ثلاث خصال : تزود لمعاد ، أو مومة للعاش ، أو لذة في غير محرم .

وعلى العاقل أن يجعل الناس طبقتين متباينتين ويلبس لهم لباسين مختلفين : طبقة من العامة يلبس لهم لباس انقباض وانحجاز وتحرز في كل كلمة ؛ وطبقة من الخاصة يخلع عندهم التحرز ويلبس لهم لباس الأمانة واللطف والمفاوضة ، ولا يدخل في هذه الطبقة إلا واحداً من ألف ليكون كلهم ذوى (٢) فضل في الرأي وثقة في المودة وأمانة في السرور (٣) ووفاء بالاخاء .

وعلى العاقل إذا استشار عقله ألا يخالفه ولا يستصغر شيئاً من الخطأ الذي يخالفه فيه إن كان في رأى وزلل في علم أو (٤) إغفال [١٣٤] في أمر . فان من استصغر صغيراً يوشك أن يجمع بينه وبين آخر صغير ثم صغير ، فاذا الصغير قد صار كبيراً . وإنما هي ثلثم يثلمها الجهل والعجز والاهمال ، فاذا لم تسد أو شكت أن تنفجر بما لا يطاق . ولم نر مستكثراً (٥) مستعظماً إلا وقد أتى من جهة الصغير المتغاوى (٦) فيه المتهاون به (٧) . وقد رأينا الملك يوثق من جهة المحتقر ، ورأينا الصحة توثق من جهة المحتقر حتى يهجم منه على الداء الذي لا خلاص منه ؛ ورأينا الأنهار تنبثق من الثقب الصغير اليسير (٨) المستهان به ؛ ورأينا الحريق العظيم يكون من قبل الشرارة الصغيرة (٩) ؛ ورأينا الأحقاد والعداوات من قبل الكلمة الحقيرة التي ربما كان سببها المزاح أو قلة التحفظ . وأقل الأمور احتمالاً لصغير الخطأ والتصنيع (١٠) الملك ، لأنه ليس شيء منه يضيع وإن كان صغيراً إلا اتصل بآخر يكون عظيماً .

-
- (١) ص : بعنها . (٢) ف : ذا .
(٣) ط : اليسر . (٤) ف : و .
(٥) ص ، ف : ولم نر مستعظماً الا ...
(٦) المتغاوى فيه : ناقصة في ف .
(٧) الواو ناقصة في ط . (٨) اليسير : ناقصة : في ط .
(٩) ص : الصغير . ط : الشررة العظيمة الصغيرة .
(١٠) ص : التصنيع .

وعلى العاقل أن يجنب عن المضى على الرأى الذى لا يجد عليه موافقاً وإن ظن أنه على اليقين .

وعلى العاقل إذا اشتبه عليه أمران فلم يدر أيهما الصواب أن ينظر إلى أقربهما إلى هواه مخالفةً ، فإن الهوى عدو العقل ، فيحذره . ومن نصب نفسه إماماً فى الدين والحكمة فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها فى السيرة والطعمة والرأى واللفظ والإخوان والمعاشرين^(١) ليكون تعليمه بسيرته أبلغ من تعليمه بلسانه : فانه كما أن كلام الحكماء^(٢) يروق الأسماع فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب . ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم إذا لم يبدأ بنفسه .

ولاية الناس بلاء عظيم ، فعلى الوالى أربع خصال هى أعمدة السلطان [١٣٤] وأركانه التى يقوم بها وعليها يثبت : الاجتهاد فى التخير^(٣) ، والمبالغة فى التقدم إلى الوصية ، والتعهد الشديد ، والحزاء العتيد .

أما التخير^(٤) فللعامل والوزراء فانه نظام الأمر ووضع مؤونة المنتشر^(٥) ؛ فانه عسى أن يكون بتخيره رجلاً واحداً قد اختار ألفاً ، لأنه إن كان من العمال خيار^(٦) فسيختار كما اختير . ولعل عامل العامل وعامل عماله سيلغون عدداً كثيراً . فمن ابتدأ بالتخير وسكته فقد أخذ بسبب وثيق . ومن أسس^(٧) أمره على خلاف ذلك وجد الخلاف والوهن .

وأما المبالغة فى التقدم والتوكيد فانه ليس كل ذى لب أو ذى أمانة يعرف وجوه الأمور والأعمال . ولو كان بذلك عارفاً لم يكن صاحبه حقيقاً أن يكل ذلك إلى علمه^(٨) دون توفيقه وتبيينه له والاحتجاج به عليه .

وأما التعهد الشديد فان الوالى إذا فعل ذلك كان سميعاً بصيراً ، وإن العامل إذا فعل ذلك وعمل هو به كان متحصناً حريزاً^(٩) .

(١) الواو ساقطة فى ط .

(٢) ط : يونق . (٣) ص : التخير .

(٤) ص : التقدم أى الوصية / الى الوصية : ناقص فى ط .

(٥) ص : المشر . (٦) ط : خيارا .

(٧) ف : أسر . (٨) ف : على عمله .

(٩) ص : عزيزا / ف : محصنا حريزا .

وأما الجزاء العتيد فانه يثيب المحسن ويريح من المسيء .
السلطان لا يستطيع إلا بالأمناء والنصحاء ، والأمناء والنصحاء (١)
لا يوجدون إلا مع المودة ؛ والمودة لا تتم إلا بمشاركة (٢) لا استئثار معها .
ولما كانت أعمال السلطان كثيرة ، لم يمكن (٣) أن تستجمع هذه الخصال
المحمودة عند أحد ؛ وإنما الوجه والطريقة في ذلك والسبيل الذي به (٤) يستقيم
العمل أن يكون صاحب السلطان عالماً بأمور الدنيا وبأمور من يريد الاستعانة
به حتى يندب لكل عمل من عرفه بالنفاذ والأمانة والرأى [٣٥] فيه . ثم على الملوك
بعد ذلك أن يتعهدوا عمالهم ويفقدوا أمورهم حتى لا يخفى عليهم (٥) إحسان
محسن ولا إساءة مسيء . ثم عليهم بعد ذلك ألا يتركوا محسناً بغير جزاء ، ولا
يقروا مسيئاً ولا عاجزاً على العجز . فان هم تركوا ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء .
وفسد الأمر وضاع العمل .

وصية أخرى للفرس

كن صدوقاً لتؤمن على ما تقول . وكن ذا عهد ليوفى بعهدك . وكن
شكوراً تستوجب الزيادة . وكن جواداً لتكون للخير أهلاً . وكن رحيماً
بالمضرورين لئلا تبتلى بالضر . وكن ودوداً لئلا تكون معدناً لأخلاق الشياطين .
وكن مقبلاً على شأنك لئلا تؤخذ بما لم تجترم . وكن متواضعاً ليفرح لك بالخير .
وكن عالماً لتقر عينك بما أوتيت . وسراً للناس بالخير لئلا يؤذيك الحسد . وكن
حذراً لئلا تطول مخافتك . ولا تكن حقوداً لئلا تضرب بنفسك الفانية إضراراً باقية .
وكن ذا حياء لئلا تستند إلى العلماء ، فان مخافة العاقل مذمة (٦) العلماء أشد
من مخافة السلطان . من العلم أن تعلم (٧) أنك لا تعلم . أحسن تقدير معاشك
ومعادك تقديراً لا يفسد عليك أحدهما الآخر ، فان أعيالك (٨) ذاك فارفض (٩)

(١) ط ، ص : والأمناء النصحاء .

(٢) ط : مع مشاركة . (٣) ط : ولم .

(٤) به : ناقصة في ص / ف : يستقيم به .

(٥) ف : أخبار . (٦) ص : مدته / بمذمة .

(٧) أن تعلم : ناقصة في ص ، ط (٨) ط : أغناك / ف : أعيالك ذلك .

(٩) ض : فارفض ، وكذا في ف .

الأذى^(١) وآثر الأعظم . إعلم أنه ليس أحد تؤديه التوبة إلى النار ، ولا أحد يؤديه الاصرار إلى الجنة ، فتب من كل ما تعلمه خطيئة ولا تصر على ذنب وإن كان صغيراً . أفضل البر ثلاث خصال : الصدق في الغضب ، والحدود في العسرة ، والعفو في القدرة . ورأس الذنوب الكذب ، وذلك أنه [٣٥ب] هو يوسوسها^(٢) وهو يؤيدها ويثبتها^(٣) بالإيمان الفاجرة وبالحدود مع المكابرة وبالحدل^(٤) واللجاج فيه ، فيبدأ صاحبه بالإيمان الكاذبة فيما يزين^(٥) من الشهوات للسوات^(٦) فيشجعه عليها بأن ذلك سيخفي عنه ؛ فإذا ظهر كابر به بالحدود فغلب بهما . فإذا أعياه ذلك ختمه بالحدل^(٧) فخاصم عنه بالباطل ووضع له الحجج واتمس به التبيين وكابر به الحق حتى يكون^(٨) شارعاً للضلالة ، مكابراً بالفواحش .

الرجال أربعة : اثنان يخبر ما عندهما بالتجربة ، واثنان قد كفيت تجربتهما . فأما اللذان يحتاج إلى تجربتهما فإن أحدهما برٌّ كان مع أبرار ، والآخر فاجر كان مع الفجار . فانك لا تدري^(٩) لعل البر منهما إذا خالط الفجار ، والفاجر منهما إذا خالط الأبرار^(١٠) تبدل البر فاجراً والفاجر برّاً . وأما اللذان قد كفيت تجربتهما وتبين لك صور أمورهما^(١١) فإن أحدهما فاجر كان في أبرار ، والآخر برٌّ كان في فجار .

احذر خصومة الأهل والولد والصدیق والضعيف ، واحتج عليهم من غير غضب .

لا يوقعنك بلائهم تخلصت منه في آخر لعلك لا تتخلصن^(١٢) منه .
على الرجل العاقل أن يعلم أنه إذا عمل بما يعلم أنه خطأ — من الهوى ، والهوى آفة العقل ، وهو جالب كل فتنة ؛ وتركه العمل بما يعلم أنه من الصواب

(١) ف : الأذى .

(٢) ف : أنه يوسوسها وهو يزيدها .

(٣) ص : يثبتها . (٤) ص : الواو ناقصة .

(٥) ف : يزين . (٦) ص : للسرات .

(٧) ص : بالحدود . (٨) ف : ليكون .

(٩) لعل : ناقصة في ف .

(١٠) ف : تبدل الفاجر برا والبر فاجرا .

(١١) ص : أمرهما . (١٢) ص : تتخلصن .

تَهَانُونَ ، وَالتَّهَانُونَ آفَةُ الدِّينِ ؛ وَإِقْدَامُهُ عَلَى مَا لَا يَدْرِي أَصَوَابٌ هُوَ أَمْ خَارِجٌ
مِنَ الصَّوَابِ جَمَاحٌ ، وَالْجَمَاحُ آفَةُ الْعَقْلِ .

وَقَرَّ مَنْ فَوْقَكَ ، وَإِنْ لَمْ دُونَكَ ؛ وَأَحْسَنُ مَوَاتَاةٍ أَكْفَاثُكَ ، وَلِيَكُنْ أَثَرُ
ذَلِكَ عِنْدَكَ مَوَاتَاةُ الْأَكْفَاءِ ، فَإِنْ هَذَا هُوَ الشَّيْءُ (١) الَّذِي يَشْهَدُ لَكَ بِأَنْ
إِجْلَالُكَ لِمَنْ فَوْقَكَ (٢) لَيْسَ [١٣٦] بِخُضُوعٍ لَهُمْ (٣) مِنْكَ ، وَأَنْ لَيْتَكَ لِمَنْ هُوَ
دُونَكَ لَيْسَ لَاتِمَّاسٍ أَخَذَ شَيْءٌ مِنْهُمْ .

خَمْسَةُ مَفْرُطُونَ فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ وَكُلُّهُمْ مُتَنَدِمُونَ أَبَدًا : الْوَاهِنُ الْمَفْرُطُ إِذَا
فَاتَهُ الْعَمَلُ ، وَالْمُنْقَطِعُ مِنْ إِخْوَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ إِذَا نَابَتْهُمْ النَّوَائِبُ ، وَالْمُسْتَمَكِّنُ مِنْهُ
عَدُوهُ لِسُوءِ رَأْيِهِ إِذَا ذَكَرَ حَقْدَهُ ، وَالْمُفَارِقُ الزَّوْجَةَ الصَّالِحَةَ إِذَا ابْتَلَى بِالطَّاعَةِ ،
وَالْجَرِيُّ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتَ .

أُمُورٌ لَا تَصْلُحُ إِلَّا بِقِرَائِنِهَا : لَا يَنْفَعُ الْعَقْلُ بَغَيْرِ وَرَعٍ ، وَلَا شِدَّةُ الْبُطْشِ
بَغَيْرِ شِدَّةِ الْقَلْبِ ، وَلَا الْجَمَالُ بَغَيْرِ حُلَاوَةٍ ، وَلَا الْحَسْبُ بَغَيْرِ أَدَبٍ ، وَلَا
السَّرُورُ بَغَيْرِ أَمْنٍ ، وَلَا الْغِنَى بَغَيْرِ جُودٍ ، وَلَا الْمَرْوَةُ بَغَيْرِ تَوَاضُعٍ ، وَلَا الْخَفْضُ
بَغَيْرِ كِفَايَةٍ ، وَلَا الْاجْتِهَادُ بَغَيْرِ تَوْفِيقٍ .

أُمُورٌ تَبَعُ الْأُمُورَ ، وَالْمَرْوَاتُ كُلُّهَا تَبِعُ لِلْعَقْلِ ، وَالرَّأْيُ تَابِعٌ (٤) لِلتَّجَرِبَةِ ،
وَالْغِبْطَةُ تَابِعَةٌ (٤) لِحَسَنِ الثَّنَاءِ ، وَالْقَرَابَةُ تَابِعَةٌ (٤) لِلْمُودَةِ ، وَالْعَمَلُ تَابِعٌ (٤) لِلْقَدْرِ ،
وَالْإِنْفَاقُ تَابِعٌ (٤) لِلْجِدَّةِ .

لَا تَذْكُرِ الْفَاجِرَ فِي الْعُقُلَاءِ ، وَلَا الْكَذُوبَ فِي الْأَعْفَاءِ ، وَلَا الْخَذُولَ
فِي الْكِرْمَاءِ ، وَلَا الْكَفُورَ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ (٥) . وَلَا تَوَاضِعْ خَبَأً (٦) ، وَلَا
تَسْتَنْصِرْ عَاجِزًا ، وَلَا تَسْتَعِينْ كَسَلًا (٧) ، وَلَا تَفْرَحْ بِالْبَطَالَةِ وَإِنْ كَانَ فِيهَا
رَاحَةٌ ، وَلَا تَجْنِ مِنَ الْعَمَلِ وَإِنْ كَانَ فِيهِ تَعَبٌ .

(١) الشَّيْءُ : نَاقِصَةٌ فِي ف

(٢) ط : هُوَ فَوْقَكَ • (٣) ط : مِنْكَ لَهُمْ •

(٤) ط : تَبِعَ • (٥) الْوَاحِدُ نَاقِصَةٌ فِي ف •

(٦) الْخَبْ (بِالْفَتْحِ ثُمَّ التَّشْدِيدِ) : الْخِدَاعُ وَالَّذِي يَسْعَى بَيْنَ النَّاسِ
بِالْفُسَادِ • (٧) الْوَاحِدُ نَاقِصَةٌ فِي ط •

اغتنم من الخير ما تعجلت^(١) ، ومن الأهواء^(٢) ما سوفت . من حاول الأمور احتاج فيها إلى^(٣) ست : الأدب والرأى والتوفيق والاجتهاد والفرصة والأعوان ، وهن أزواج : فالأدب والرأى زوج لا يكمل أحدهما إلا بالآخر ، والأعوان والفرصة زوج لا ينفع أحدهما إلا بالآخر ، والتوفيق [٣٦ب] والاجتهاد زوج : فالاجتهاد سبب التوفيق ، والتوفيق سبب نجاح الاجتهاد .

أمور^(٤) يلزمها كل من استبصر في عقله : لا تجد عاقلاً يحدث من يخاف^(٥) تكذبه ، ولا يسأل من يخاف^(٥) منه ، ولا يعد ما لا يثق بانجازه ، ولا يرجو ما يعتف برجائه ، ولا يقدم على ما يخاف العجز عنه . وهو يسخى^(٦) بنفسه عما يغبط به القوالون^(٧) خروجه من عيب نفسه^(٨) بالتكذيب . ويسخى بنفسه عن مراتب المتقدمين بما يرى من فضائح المقصرين . ويسخى بنفسه عما يسأل السائلون سلامته من مذمة الذكر وخوفه الرد^(٩) . خمول الذكر أحمل من النباهة بالذكر^(١٠) القبيح . لا يوجد الفجور محموداً ، ولا الغضوب مسروراً ، ولا الحر حريصاً ، ولا الكريم حسوداً ، ولا الشره غنياً ، ولا الملول ذا اخوان . قارب عدوك بعض المقاربة تمل حاجتك منه ، ولا تقاربه كل المقاربة فيجترى عليك مع ما تذلل به نفسك ويرعب ناصرك . والمثل في ذلك مثل العود المنصوب في الشمس : إن أمله قليلاً زاد ظله ، وإن جاوزت الحد في إمالته نقص الظل . الحازم لا يأمن عدوه على كل^(١١) حال : إن كان بعيداً لم يأمن من^(١٢) معرته بالكيد ، وإن كان قريباً لم يأمن موائبته ، وإن كان منكشفاً لم يأمن استطراده ،

-
- (١) ص : تعجلت به . (٢) ص : ما سوقة .
(٣) ف : سبب . (٤) ص : أمور تلزم ما كل .
(٥) ص : خاف ، وكذا في ف .
(٦) سَخَى (بفتح السين وبالحاء المعجمة المشددة) نفسه عنه وب نفسه : تركه . وسخيت نفسي عنه : تركته ولم تنازعني نفسي إليه .
(٧) ف : القائلون .
(٨) في ف : من عيب التكذيب عن مراتب المتقدمين ما يرى .
(٩) ط : الردة .
(١٠) القبيح : ناقصة في ص / ف : من نباهة الذكر القبيح .
(١١) كل : ناقصة في ط . (١٢) من : ناقصة في ط .

وإن كان وحيداً لم يأمن مكروه . الكريم يمنح أخاه مودته عن لقاء واحدة أو معرفة يوم ، والثلثم لا يواصل أحداً إلا عن رغبة أو رهبة . وجدنا البلبا يسوقها إلى أهلها الحرص والشره . ليحسن اجتهادك لنفسك مما تكون به للخير أهلاً ، فانك إذا فعلت ذلك أذاك الخير [١٣٧] يطلبك كما يطلب الماء في السيل (١) الحدود . خمسة أشياء لا بقاء لها ولا ثبات : ظل الغمام ، وخلة الأشرار ، وعشق النساء ، والثناء الكاذب ، والمال الكثير . ليس يفرح العاقل بالمال الكثير ولا يحزن (٢) لقلته ، ولكن ماله وعقله وما قدم من صالح عمله . لا يعد غنياً من لم يشارك في ماله (٣) ، ولا يعد نعيماً ما كان في سوء ثناء ، ولا يعد غماً ما ساق غرماء ، ولا يعد غمماً ما ساق غماً ، ولا يعد حياة ما كان في فراق الأحبة ، فان من المعونة على تسلية الهموم وسكون النفس لقاء الأخ أخاه إذا أفضى كل واحد (٤) إلى صاحبه ببته ، وإذا فرق بين الأليف وإلفه فقد حرم السرور وسلب الأنس وأفقد البهجة . من أناه (٥) الله سعة في الفهم وقوة في العقل فقد أناه السلطان الذي يملك به نفسه ؛ ومن ملك نفسه بسلطان عقله قل أسفه على كل شيء (٦) فائت ، وذلك أنه ينقض (٧) باليقين ما تبرم الشهوات ، ويسوس نفسه بأن يقهرها على درك الخيرات . ومن لم يكن كذلك ملكته نفسه فأوردته الموارد المهلكة (٨) المردية . بحسبك مثقفاً لعقلك ومهذباً (٩) لرأيتك وهادياً إلى مرشدك ما تراه في غيرك من سيرة حسنة يغبط (١٠) بها وقبيح يذم عليه . فمن لم يفهم من أحوال الناس ما يصطفي منه الأفضل ويتجنب الأنقص ، فلا حياة به ولا حيلة لمصلحته . الدهر أفصح المؤدبين ، وكفاك من كل يوم خبر

-
- (١) الحدود (بفتح الحاء) : اسم مقدار الماء في انحدار صبيه ، وكل موضع منحدر ، والهبوط ؛ والحدود (بضم الحاء) : جعل الشيء ينحدر ، يقال : حدر الشيء يحدره ويحدده (بكسر الدال وضمها) حدرا وحدورا ، فانحدر : حطه من علو الى سفلى - وضبطت في ف : بالفتح .
- (٢) ط : يفرح - وهو تحريف ظاهر .
- (٣) ف : حاله .
- (٤) ف : واحد منهما .
- (٥) ف : الله عز وجل .
- (٦) شيء : ناقصة في ط .
- (٧) ص : ينقص .
- (٨) المهلكة : ناقصة في ط و ف .
- (٩) ف : مهديا .
- (١٠) ص ، ط : به .

يورده عليك ويعلمك من أى ناحية أتى به وأين مصيره وما فيه من عبرة وتأديب .
فمن فهم عن الأيام أورث زيادة ، وسطح نور عمله ، ولم يفتقر إلى غير نفسه .
على أن للإنسان حالات في أيام عمره ؛ وإنما ذلك بقدر عزته بأيامه [٣٧ب]
وغفلته في زمانه وقلة تحفظه لما تفيد^(١) الأيام من تجاربه . فإذا فهم ما تبلى^(٢)
عليه الأيام^(٣) وحفظ أخبار الناس لم يلبث أن يصير محتسناً نافذ البصيرة^(٤)
حازماً فيما يحاول من الأمور كلها ، مستشاراً فيما ينوب غيره من الحوادث .
وعلى حسب إحاطة عقله وإعانة فهمه له يكون إشرافه على الأمور . فأما ذو
الغفلة فلو صحب الدنيا بعجائبها فيما تصرف به على القرون لكان جذعاً^(٥)
في الغرة متدلماً فيما يحدث ، لأن الغفلة ظلمة راکدة ، والمعرفة مصباح مضيء
للخليفة . ولولا غيبة المخلوق وما يعرب من عقولهم عن عجيب فطرهم لكان فيما
يقف عليه المرء من نفسه في رضاه وسخطه ، وضيقة وسعته ، وإمساكه وبذله ،
وسكونه وقلقه ، وإسرافه وقصده^(٦) ، وجده وملاله^(٧) وحزمه وتفريطه .
ما يكنى ميزان عقله مشغلة عن التعجب من غيره وتعرف أحواله من أحوال سواه .
وذاك^(٨) أن عنده وفيه ما يعرف به حال نفسه وفضل إحداها على الأخرى . فإذا
مال^(٩) إلى الأخس منهما — وقد تقدمت معرفته بشكوى عاقبته وخبرهما بنداמתها^(١٠)
في سالف أيامه — أما في هذا ما يمنع المنصف عن ادعاء الحكمة ويرده
عن الاستطالة بالفطنة ، ويوجب التقصير في الرأي ؟ لكنه أبصر^(١١) أمر سواه
بعينه وفهمه ، ونظر إلى نفسه بغفلته وسهوه ، فثبت عنده ما عاين في غيره ،

(١) ف : تفسده • (٢) ف : تبلى عليه •

(٣) ص : الأيام من تجاربه حفظ ...

(٤) ص : فاقد البصيرة / ف : نافذا لبصيرته •

(٥) جذعا : جديدا • متدله : متحير / ف : خدعا •

(٦) هنا تنتهي ورقة ٤٢ ب في ط وهنا أقحم كراس ، والنتمة ترد بعد
في ورقة ١٥٧ من المخطوط ط •

(٧) ص : ملاكه • وجده : •• : حدث خلط في تجليد ط فصارت هذه
الكلمة أول ورقة ١٥٧ • (٨) ط : وذلك •

(٩) ف : فإذا مال إلى الأخرى فإذا مال إلى الأخس منهما ...

(١٠) وقد ••• بنداמתها : ناقصة في ص •

(١١) أبصر : ناقصة في ط •

وسقط عنه ما يليه من أمره . ومن أعجب ما يوجد في الإنسان أنه لا يزال عاتياً على غيره ومستزيداً له ، كأنه قد كمل لمن عتب عليه ووفر لمن يستزيده . أما لو اعتاد قمع عوارض العدوان وإطلاقه العدل والانصاف لم يعدم ما يحمد من رأيه وبلوغ ما يجب مما يتعمناه لنفسه إذا [١٣٨] سكن من هيجه . لكنه استنقل الحمية ، ورق عن مخالفة نفسه الأمانة بالسوء في شهوراته ، ثم التمس الدواء بالتمنى ، والسلامة بغير احتمال مؤونة . هيهات ! لا تصلح أرض للزراع^(١) بغير حرث وبذر ، ولا تزكو خلقة حتى تحتل مضض المشقة ، ولن تحصل الفضيلة إلا بعد مغالبة النفس والهوى . فانظر ما تحمد من غيرك ، فلا ترضين من نفسك إلا به . ولا تأنسن بما خفي من عيوبك وإن لم ينتشر عنك ولم يظهر عليه سواك ، فان أنسك بذلك ضراوة على المعاودة ، وإذا تكرر القبيح بدا وغلبت الشقوة على صاحبه .

اعلم أن قليل العيب^(٢) يمحى كثير المحاسن ، لأجل الحسد الموكل بأهل الفضل ؛ فاحذر أن تُذكر بأنواع من الحميل ثم يعترض حاسد واحد بقبيح واحد فيهدم ما شيده مادحك ، فيكون ذلك مقروناً بذكرك في كل موضع حتى يمسك المادح عما يريد من تبجيلك مخافة أن يحبيه حاسدك بما يكره عند ذكرك ، مع أنه لا يسلم أحد من تهمة توجه نحوه وظن يرجم به^(٣) ويقال فيه . وليس هذا أخاف عليك ولا هو الذي يفسد جميل فعلك ، ولكن ما صبح عندك وعرفته من نفسك وصدق فيه حاسدك . فنه أشفق على صالح عملك وعلمك إن أردت زينة الدنيا وجمالاً لا تهدمه الأيام ، وطاعة فيما تسأل ، وثناء فيما تبشر ينتشر^(٤) في الآفاق ، ومحبة ممن وصفت عنده^(٥) على النأي ، وعزاً^(٦) لا ينداك

-
- (١) للزراع : ساقطة من ف • (٢) ف : العجب •
(٣) الرجم : القذف بالغيب والظن ، وكلام مرجم : عن غير يقين ، والمراجع : الكلم القبيحة ، وتراجعوا بينهم بمراجع : تراموا •
(٤) ط : ينتشر في الآفاق محبة • • •
(٥) وقع اضطراب آخر في تجليد ط فورد ما يتلو في ورقة ١٤٥ بعد ٥٧ ب •
(٦) ط : ينالك • ويندك : تأتيك ، ينالك - تقول : ما ندينني منه شيء : أي نالني ؛ وما ندينيت منه شيئاً : أي ما أصبت ولا علمت ، ولا ينداك مني شيء تكرهه : أي ما يصيبك •

معه ضيم ، وشرفاً تليداً باقياً . فاصحب العقل ، واصبر على صيانة نفسك ، فان صاحبها على ذروة من الشرف وإن لم تكن^(١) له ثروة [٣٨ب] ولا عدد . ولا تحسب الفضيلة التي تتم بها^(٢) المروءة والانسانية تمتنع على طالبها إلا ببذل الرغائب ، وأنها تشتت في السوم . فانها لو كانت كذلك وتنال بالمال ، كانت لا تنفيذ أكثر من قيمة ما يبذل لها . ولو كانت لا توجد إلا في البلد النازح^(٣) بالمؤمن العظام ، وجب على كل^(٤) من يعرف قدرها وتحلى من الفضائل بها أن يلتصقها على كل حال . لكنها عندك محبوسة ، وفي أخلاقك مستكنة ، فاقدحها ينتشر عنك رونقها ، وتظهر عندك جلالها ونبلها ، بأن تدع كل ما تكرهه من غيرك وترفض كل ما يشين أهله ولا تدع عليك حقاً إلا أدبت . فرضه بحسب الامكان . لا يقولن أحد : المروءة تكون بالمال ، فان المال يمحى المروءة والانسانية ويعسر انقيادها على صاحبه^(٥) لتوابع المال وغلبته على أهله . وربما أفسد الخلق الصالح وثلم في الكرم والحرية ، وشروطه متشعبة ، والفضيلة موجودة في كل طبقة ، وليست تباع بالثمن : إنما هو حسن يفعله قولاً وإن لم يكن يبذل ، أو صمت إن ضر القول ، وأنت تستحقها بهذا القدر إن لم تستطع أكثر منه . وعلى حسب التزيد فيما تجد السبيل إليه^(٦) يجب عليك التزيد^(٧) فيها .

داو الحسد ، إن وجدت حسه ، بقمعه بالتوبيخ . وصغر قدر من عرف به فانه لا يدفع النعمة عن المحسود ولا يوصلها إليه لو زالت عنه . وعلى كل مخلوق نعمة وإن خفيت عليه . والنعم أنواع وضروب . وما أعطى الله^(٨) تعالى عبداً في نفسه من السلامة ووهب له من العافية في الخوارج أفضل من غرض الدنيا . ورب حاسد لمن هو أعظم في نعمته التي حسده عليها ، فلو شغل بشكر ما أعطى كان أجدى عليه^(٩) . وفي الحسد اثنتان [١٣٩] : كمد عاجل يثلم العقل^(١٠) ،

- (١) ط : لك .
(٢) ط : بها تتم .
(٣) ف : ناصح - والنازح : البعيد .
(٤) كل : ناقصة في ط .
(٥) ص : صاحبها .
(٦) اليه : ناقصة في ف .
(٧) يجب . . . فيها : ناقصة في ط .
(٨) تعالى : ناقصة في ط / ف : الله عز وجل .
(٩) الواو ناقصة في ص . . . (١٠) ف : القلب .

وكدر حادث في العيش . تنكب القبايح التي تدمها من غيرك ؛ واعلم أنك موصوف بكل ما تسمعه في غيرك من قبيح إذا فعلت فعله . احذر العجلة قولاً وفعلاً ، واستفد من حريق الغضب بالآناة قبل أن تلهب^(١) ناره في قلبك ، فان إطفاءه قبل انتشاره يسير ، وإذا اشتعل كقبّح محاسن كنت تتجمل بها وعسر^(٢) إطفائها . اعلم أنه ليس في وقت الرضا وصف الحليم ، ولا عند الامساك حمد الجواد ، وليس يذكر بالشجاعة إلا من مارس الحروب . اعلم أن الفرائض^(٣) في الأموال أقل منها في الأخلاق ؛ وإنما قدرك بالمال ما صحبتك وكان لك ، وجاهلك بأخلاقك غير زائل ولا معصوب عليه ، والمال يتلفه الزمان لا محالة ، والفضيلة لا تبلى بهجتاً أبداً .

وقال^(٤) : رأيت خلقاً في بعض العلماء ممن أوتي فهماً وذكاءً وعلماً^(٥) بأمور الدنيا ولساناً يعبر به عن الدهر وأحداثه ، فعظمه كل من عرفه ، وجلّ قدره عند الناس . وكان الذي زاده عندهم على نظرائه أنه لم يكن يفتخر بما يحسن ولا يعرفه به إلا من باحثه عنه وناظره فيه ، وكان مع^(٦) ذلك في كل طبقة^(٧) مقارباً لهم فيما يحتاجون إليه ويجرون فيه . لا يبدخ بلسانه ، ولا يتناول بمنطقه ، ولا يخرجهم إلى ما لا يعلمون^(٨) من القول . يفهم الغني بقدر ما يدركه ذهنه ، ويحقق المعاني عند الذكي بشرح غوامضها . فعظمه العلماء والأوساط ، واجتمع له الحظان : من الخاصة والعامة .

ورأيت رجلاً يعذله على بذله العلم^(٩) لطبقات الناس وقبوله كل من تعرض لمودته ، فقال^(١٠) له : إن على حسب كثرة الرعية يعلو شأن الملك ، وفي^(١١) كل [٣٩ ب] مخلوق آلة لما يحتاج إليه . والمقصر عن علمك إذا

(١) ط : تلهب .

(٢) وعسر اطفائها : ناقصة في ط .

(٣) الفرائض : ناقصة في ف . (٤) الواو ناقصة في ط .

(٥) ف : وفهما وعلماً - تكرار .

(٦) ف : وكان مع كل الطبقات مقارباً . . .

(٧) ط : وكان مع كل الطبقات مقارباً . . .

(٨) ط : يفهمون . (٩) ص : الطبقات .

(١٠) ف : فقال : على حسب (١١) وفي : ناقصة في ف .

أفهمته قدر ما يحتمله^(١) عقله أسرع إلى تعظيمك . وكان أحوط عليك من نظيرك^(٢) في مذهبك . ولو كنتُ ذا مال كان أكثر ما أضرفه فيه استعطاف^(٣) الجمهور لأعز بهم وأسلم من مكروهم . ومن عظمك ليعلمك لم يحملك مؤونة في مالك ، وليس يجد العالم في كل وقت مثله . فان لم يعاشر إلا^(٤) من هو نظير له في كماله لم يعيش مغبوطاً ، ولم تره إلا مستوحشاً ، وذلك ما لا أراه تدبيراً . ورأيت رجلاً يعذله على مخاطبة رجل نال منه ما يكره في محفل وقبوله العذر منه بعد ذلك وتسرعه إلى العفو عنه ، فقال^(٥) : إنما أظهر بنقصانه رجحاني ، وبعداوته إنصافي ، وبزقه ركائتي^(٦) ، وبعجلته وقاري . وذلك مالم يكن عند القوم مني . ثم أتاني بعد ذلك يعثر في ذيل الندامة ، ويبذل القصاص من نفسه ، ويسألني كما يسأل العبد مولاه — الصفح^(٧) عن جرمه ، فبرحت قولاً حسناً يبق لي ذكره عند من شهد ما كان منه وليس لي^(٨) ذلاً بخضوعه ، واستكانة^(٩) باقراره ، وأوجب لي طَوْلاً عليه بالعفو عنه ، وشكراً ما بقيت . فلولاً مخافة العجز عن احتمال الأذى سألت الله^(١٠) تعالى في كل صباح مثلاً ما اتفق لي منه .

ورأيت بعض الحكماء كثير المعاشرة بالمصافحة ، قليل الثقة بالأنس — فقلت له في ذلك فقال : كنت امرأةً أوجب لمن صافيته أكثر مما كنت أجده عنده فتطول معاتبتي في ذلك فلا أجده ما أقنع به . فلما طال تصفحي للدهر وأهله ، ودامت^(١١) عشرتي للناس ، علمت^(١٢) أنني لا أجده كفءاً على مثل ما أنا عليه [١٤٠] في الأخلاق^(١٣) ، [فأريت ألا أتعب نفسي لمن هو في عزلة

(١) ف : يحتمل . (٢) من نظيرك : ناقصة في ف

(٣) ص : استعطاف . (٤) الا : ساقطة من ف .

(٥) ص : قال .

(٦) بالراء المهملة : السكون والوقار والرزانة — وبالزاي المعجمة : الفهم

أو الظن الصحيح . (٧) ص : والصفح .

(٨) ف : ليس . (٩) ص : ولا استكانة .

(١٠) تعالى : زيادة في ص \ ف : الله عز وجل .

(١١) ط : وطالت . (١٢) ف : عملت — وهو تحريف ظاهر .

(١٣) ص : أخلاق .

مما بي (١) ، وذلك لقلة اتفاق الأشكال . ورأيت أني إن كلفت أحداً ما لا يجدّه في خلقته ظلمته فيما أحسّه ، فطرحت عن نفسي العناية بما أوجهه وأبذله لمن صافيته . فبذلت لهم لين الكنف وسلامة الغيب وحسن اللقاء وتحري ما يحبون ، وسلامتهم ومساحتهم (٢) فيما تعذر عليهم ومنهم ، فان في ذلك بلغة ومتاعاً إلى حين . فاطرح عن نفسك طلب (٣) الوفاء من الناس ، ولا تعلق (٤) قلبك بحفظهم لعهدك إن كبا بك دهر (٥) وعثر بك زمان ، فقد صرحوا بذلك لمن حسن ظنه بهم قبلك . فاحسم هذا الطمع منك ، وكذب ظنك إن ضمنه لك عليهم . وبالحرى إن استشعرت ما أمرتك (٦) به ألا تموت أسفاً عند إعراض الثقة (٧) عنك وإفرادهم إياك بهمك ، وانصرفهم عما بك إلى هوهم ، واختداع آخر بزخرف غرورهم حتى يحل محلّك ، فانهم أبناء الدنيا الغرارة ، وقد عاشروا النكث قديماً ، فاذا تمكن بأسك (٨) منهم ومن وفائهم فكأن أنت على ما كنت تحبه منهم تصر حصناً يلجأ إليه ، وركناً يعتمد عليه ، ومفرجاً عند النوائب ، وفخراً للأعقاب . وإياك والاستئنان (٩) بشيء من الأعمال وقبيح (١٠) من الأفعال وإن كثر ذلك من الناس ، فان السيّد الذي يستحق هذا الاسم إنما يستحقه بصبره على الجميل واحتماله فرائض المروعة وصيانة نفسه عن ذنوب الأخلاق . ومن عرف نفسه بالكرم لم يستوحش ممن يأتيه عليه ، وله الفوز بالسبق يوم الحصال . إنه ليس في عقل من عقول العوام محتمل ، ولا مكان للأدب ، فلا تحمل الناس فوق وسعهم فتثقل نصيحتك عليهم ، فإن (١١) الطبيب الحاذق إنما يأمر من الدواء بقدر احتمال النجيزة (١٢) .

رأيت صلاح الأخلاق بمعاشرة الكرام وفسادها بمخالطة اللثام ، ورأيت الخلق إنما يستمر ويجرى على ما يساس به . ورب طبع صالح أفسدته [٤٠ ب]

-
- (١) ف : مما في ذلك لقلة . . . (٢) وسلامتهم : ناقصة في ص .
 (٣) ص : طالب .
 (٤) لا : ساقطة من ف .
 (٥) ص : أو .
 (٦) ف : وما .
 (٧) ط : القعات .
 (٨) ف : بأسك (بالباء الموحدة) منهم ومن رقابهم .
 (٩) الاستئنان : الاقتداء . (١٠) من : ناقصة في ص ، ط .
 (١١) ط : وان . (١٢) النجيزة : الطبيعة .

منادمة الأشرار وعشرة السّفلة ومعاطاة أهل السّخف . على أن الجوهر يعود إلى سنّخه^(١) إذا كان صالحاً حتى يتنبه من غفلته ، ويعالج نفسه من درن^(٢) تلك الأعراض بلطف الأدب ورقة المواعظ والرفق في الرياضة .

∴

وقال آخر^(٣) : ذلّوا أخلاقكم للمحاسن ، وقودوها^(٤) إلى المحامد ، وعلموها المكارم ، وعودوها^(٥) الحميل ، واصبروا على الإيثار على أنفسكم فيما تحمدون غيبه ، ولا تداقوا^(٦) الناس وزناً بوزن ، وتكرموا بالغنى عن الاستقصاء ، وعظموا أقداركم بالتغافل عن ذنوب^(٧) الأمور ، وأمسكوا رفق الضعيف بالمعونة ، ولا تكونوا بحاثين عن مغيبات الأحوال فيكثر عتبكم .

∴

وقال آخر : خرّجوا عقولكم بأدب كل زمان ، واجروا مع أهله على مناهجهم يقل من يناوئكم وتسلم أعراضكم ، وضعوا عنكم مؤونة الخلاف والمماحكة في المنازعة ، فربما أورثت السخائم^(٨) ، ونقضت مبرم المودة المحكمة^(٩) . اتسعوا لعشرة الغوام ، فانه أكبر ما تدبرون به أموركم ، وكل وصية فهمها المنصوح وقبلها من الواعظ ووفق للعمل بها فبعد احتمال المضض والصبر على فراق ما كان يألف حتى تنقاد له نفسه وتعتاد ما أمرت به .

(١) ط : أصله . (٢) ف : دون .

(٣) ف : بعضهم . (٤) ص : قودها .

(٥) ط : علموها .

(٦) داققته في الحساب مداقة : حاسبتة بالدقة ؛ ويقال : انه ليداقه في الحساب .

(٧) ف : ذرى (!) .

(٨) السخيمة : الحقد والضعينة والموجدة في النفس - وفي الحديث :

« اللهم اسلل سخيمة قلبي » ، وفي حديث آخر : « نعوذ بك من

السخيمة » ، ومنه حديث الأحنف : « تهادوا تذهب الإحن والسخائم » ،

أى الأحقاد (لسان العرب) .

(٩) المحكمة : ناقصة في ط .

فصل (١)

ربما كان الفقر (٢) نوعاً من آداب الله تعالى وخبرة في العواقب . والحظوظ لها أوقات فلا تعجل على ثمرة لم تكن تدرك ، فانك تنالها في أولها عذبة ؛ والمدير (٣) لك أعلم بالوقت الذي تصلح (٤) فيه لما تؤمل ، فتقبحه في أمورك ، ولا تجعل حوائجك طول عمرك في يومك (٥) الذي أنت فيه فيضيق عليك قلبك ويثقلك القنوط .

اجعل بينك وبين محبوبائك [١٤١] وقنيائك (٦) حجاباً من ترقب زوالها لئلا يفدحك فقد شيء منها إذا نقلته الحوادث ، فان من لم يتقدم بالتعزية قبل المصيبة جرح قلبه الرزء وتفاوت أمره إذا هجم عليه . وقد قسم الزمان النعم وجعل لها وقتاً وأجلاً ، ولم يعد الخلود بها ، وقد أخذها من قوم وتركها عند آخرين وكلُّ مُتَسَبِّرٍ (٧) عنده لا محالة ، وليس في شرطه حين أفادها ألا يعود على أخذها منهم ولا ذلك في أمل الآمل من العقلاء ، وإنما هي متعة (٨) وأيام معدودة . وما كان لآخره نهاية وأمامه محصٍ فعن قليل نفاد عدته وفناء (٩) آخر مدته . وقال آخر (١٠) : اصحب الملوك بالهيبة وإن طال أنسك بهم ، تم لك موداتهم ، فانهم إنما احتجوا عن العوام لتبقى هيبتهم عندهم ، فلا تدع تعهد ذلك من نفسك إن اتصلت بواحد منهم ، ولا تباسن (١١) من الزمان وإن (١٢) مظل أيامك ، وانظر مع ذلك ما تمننته (١٣) نفسك إذا وجدته عند غيرك كيف تناولته العواقب ، وإلى أي (١٤) شيء انتهت حاله .

-
- (١) ف : فصل آخر .
 (٢) ص : الفقر .
 (٣) الواء ناقصة في ف .
 (٤) تصلح : ناقصة في ف .
 (٥) ف : نومك .
 (٦) ص : قنيابك . - والقنية (بضم القاف وكسرهما بعدها نون ساكنة) : ما اكتسب ، والجمع قنى - وفي ف : فتنااتك .
 (٧) اسم فاعل من تبر = أهلك ودمر ، ومنه : « وهؤلاء متبر ما هم فيه » أي هالك مدمر .
 (٨) ص : متعة .
 (٩) عدته وفناء آخر : ناقص في ص \ ف : نفاد مدته وفناء آخر مدته .
 (١٠) آخر : ناقصة في ط ، ف .
 (١١) ف : ولا تباسن - وهو تحريف ظاهر .
 (١٢) ص : فان .
 (١٣) ص : ذلك تمننته .
 (١٤) ص : وإلى شيء . . . \ الواء ناقصة في ف .

فصل من كلام حكيم آخر

يا من مُحِضٌ^(١) بقليل من البلاء فَغَمَطَ كثير الرجاء ، وامتنحن بلذعة^(٢) من المكروه فنسى متابع النعماء ! إني مخبرك عن نظير لك كان مثلك في بلوى الامتحان ، وشريكك في تتابع الحداث ، تتخذ^(٣) سلفاً وتقتدى به^(٤) خلفاً ، فان للأسلاف معونة للأخلاف ، وفي السابقين عصمة لللاحقين . وقد رفع الله تعالى^(٥) لكل خلف أعلام سلف ، وأيدهم من بعدهم باخبارهم أن سلفاً كان لنا مُحِضٌ بضروب من البلاء ، وكان ممن يفتقر^(٦) الخمول ضناً بالعافية وقصر الهمة وتقادياً من خطر السرعة ودناءة المكاسب [٤١ ب] محاذرةً لسوء العاقبة ، حتى إذا اشتملت الصنعة على محاسنه ، وعنى الخمول على هممه ، شحذ ذلك من كهامة^(٧) نفسه وأحدّ من كلول نابه ، فسمع بأذن غفلته ، ونظريعين أمنيته ، وتكلم بلسان همته ، ثم اعتلجت الخواطر على قلبه ، وتزاحمت الأضداد على ضميره فاعتركن^(٨) على محصوله ، فاذا أوقد عز الحقد ناراً خباها ذل التجاوز وتعدّه الأضغان لذادة الظفر ، وتزهده فيها محاذرة الأيام . فاذا أشرعه الطمع شريعة ورِدِّ حَلَّاه^(٩) عنها ترقب الشفقة ، فتعاونت هذه الأضداد على قلبه وتناهت إلى تحكيم عقله ، كلٌّ يبدى بحجته ، فينتظر فصل قضيته ، فأشار العقل بالصبر والحلم ، وخبرّفه الشر والاثم ، وصار من القلب إلى قاض حيران ، إذا هم بالاغتفار عارضته الأحقاد ، وإذا استحسن الصفح أتيح له خوف الذل ، وإذا رجا عاقبة الصبر عاجلته بوادر السفه ، وإذا أشفق من خوف الآثام مثلت له رُخَصُص الإيهام . فلما طال اعتراك هذه الخصومة^(١٠) لديه وتنافرها إليه وإيراد حججها عليه :

- (١) ف : يا من يخص بقليل من البلاء فغمض كثير من الرجاء .
 (٢) ص : بدعة .
 (٣) ص : متخذة .
 (٤) ف : يقتدى .
 (٥) تعالى : زيادة في ص \ ف : الله عز وجل .
 (٦) ص : يقتفر .
 (٧) كهّم الرجل (من بابي علم وكرم) كهامة وكهوما : ضعف و - السيف : كل .
 (٨) أي تشاجرن .
 (٩) ط : خلاه . وحلاه (بالحاء المهملة) عن الماء : منعه .
 (١٠) ط : الخصوم .

كل يقدح بزنده ، وينتصر بما حضره من ذلك ^(١) ، فاستخلص العقل وزيراً ،
والعلم نصيحاً ، فخوّفاه عواقب الأثم ، وقربا له وقت الفناء ، وأرياه غب المعاد ،
وأحضره مكارع ^(٢) الأهوال ، وكشفا له حجب الغيوب ، وقللا عدته من الزاد ،
وحذراه إحباط المقبول ، ثم عرفاه ما في التعجل إلى الشهوة من استنفاد المدة ،
وما في قضاء الأوطار من الإزراء بالعدة ، ثم ذكرها ظل عاقبة ^(٣) كان فيه ،
ومعقل كفاية كان يؤويه ، بلا احتيال كان منه في إدامته ، ولا تعرض لمكروه
في كفايته ، ورهباه من خروجه [١٤٢] عن كنف الصنع إلى التغرير ، ومن
الغنى بربه إلى الفاقة إلى خلقه مع مقارعة الأحداث في حيلته ، ومراهنة المنايا
دون همته ، وتعرض الموت في استشهاده واستنفاد أكمله ، فاستوعر مسلك الخذلان ،
واستوحش من مفارقة الثقة ، وطامن ^(٤) من جأشه ، وسكن من نُفُرتِه ، وأطفأ
نار شهوته ، ووضع من حميته ، ورجع على نفسه بمخاصمته ، وصاف ^(٥) بالعلم
جنود شِرتِه ^(٦) ، واستظهر على الصبر بتقارب مدته . فتفرقت مكائد عدوه ،
وضلت خُدَعُ مُحَادِعه وانقضت ^(٧) جموحُ غوائله ، فخضع للمذلة هيبة لمقاوم ^(٨)
العزة ، وادخر الصبر شفقة من الفتنة ، فصار علماً لمن بعده ، وسلفاً لمن اقتدى
به ، وعصمة لمن سلك مسلكه واعتد عدته ، وحاسب على هذه العقائد نفسه .
نفعنا ^(٩) الله وإياكم بأخبار الأبرار ، ووفقنا وإياكم للاقتداء بالأولياء ^(١٠)
الأخيار .

-
- (١) من ذلك : الزيادة في ص .
(٢) في صلب ص : مصارع ، وبالهامش : مكارع . - والمكارع : الموارد .
(٣) ف : عافية .
(٤) مخفف طامن - وطامن الشيء : سنه ؛ والجأش : رواع القلب .
(٥) صاف (بتشديد الفاء) القومُ القومُ في القتال مصافة : وقفوا مصطفين .
(٦) الشرة : الحرص والنشاط ، وفي الحديث : « ان لهذا القرآن شرة ،
وان للناس عنه فترة » .
(٧) ف : انقضت .
(٨) ص : المقاوم . والمقاوم : مواضع الدخول و الوثوب .
(٩) ص : الله اياكم .
(١٠) بالأولياء : ناقص في ط / ف : للاقتداء بالأخيار ، بمنه وسعة لطفه .

< حكم الهند >

ومما يؤثر من حكم الرشيد : اثنان من الناس ينبغي أن يتباعد منهما : أحدهما الذى يقول : لا ثواب ولا عقاب ولا معاد ولا بر ولا إثم ؛ والآخر الذى لا يملك شهوته ولا يستطيع أن يصرف قلبه وبصره عن شهوة ما ليس له ، فتركب الأثم ، ويقوده الحرص إلى الخزى والندامة فى الدنيا مع المصير إلى الجحيم والعذاب الأليم فى الآخرة .

ثلاثة يلقنون الجواب سريعاً : الملك الذى يأمر وينهى ويعطى ويقسم من خزائنه ، والمرأة الحميلة التى تدلُّ على من يهواها من ذوى الثروة ، والرجل العالم الموفق للخير بتعليم ^(١) دين الله .

ثلاثة ينبغي لهم أن يحزنوا : الرجل الذى يملك فرساً حسن المنظر سبي* الخبير ؛ وصاحب القدر الذى يكثر مرقها ، فاذا [٤٢ب] أكل منها لم يجد لها طعماً ؛ والذى يتزوج المرأة الحسنة ذات الحسب ولا يستطيع ^(٢) أن يكون معها كما ينبغي فلا تزال تفحش عليه .

ثلاثة يضيعون ما أتاهم الله : الرجل الذى يلبس الثياب السرية ويجالس الصاغة والحدادين فيقرب من نيرانهم وكيرانهم ^(٣) ودخانهم ؛ والرجل التاجر ^(٤) يتزوج المرأة الحسنة الشابة ثم يغترب ^(٥) عنها فى أسفاره وتجارته ؛ والرجل الفهم الذكى يجالس ^(٦) أصحاب الريب وأهل المكر والفواحش ومحبي الخداع والآثام . ثلاثة ينبغي أن يعذبوا أشد العذاب : المحرم الذى يظلم من لا جرم له ، والمتقدم إلى مائدة لم يُدع إليها ، والذى يسأل أصدقاءه ^(٧) ما ليس فى وسعهم فاذا أخبروه أنه لا يمكنهم عاودهم المسألة ولم ينته .

ثلاثة ينبغي أن يسقَّهوا ويحكم عليهم بالحمق : المتطبيب الذى يداوى المرضى من الكتب والدفاتر ولا يعرف الطبائع والقوى ، وما الذى يضر وينفع ،

(١) ص : يتعلم .

(٢) ذات الحسب : ناقصة فى ط . \ ص فلا .

(٣) جمع كور - وكور الحداد : موقد مبنى من الطين توقد فيه النار وفيه الجمر .

(٤) ط : التاجر الذى ، وكذا فى ف .

(٥) ص : يعترض .

(٦) ص : يعترب يجالس . (٧) ف : اخوانه وأصدقائه .

فيجرب على الأبدان ويهلك النفوس ؛ والنجار الذى يأخذ القدوم^(١) فلا يزال ينحت الخشب حتى يملأ حانوته من الخطب ثم لا يبقى له موضع فيه فيخرج هو وامراته وولده إلى الشمس فى الهاجرة وأيام الصيف ، وإلى البرد والرياح والأمطار فى الشتاء ؛ والمفتى فى الدين وهو لا يعرف الفقه ولا يقتبس العلم من موضعه .

ثلاثة ينبغي لهم أن يتأنوا ويثبتوا ويُقدّموا بعد تئدة : الذى يرقى فى الجبل الشاهق ، والذى يهيم بالأمر الحسيم من الدنيا ، والذى يميز الحق من الباطل ليفتقد الصواب ويعمل به .

ثلاثة يتمنون ما لا يجدون ولا يقدرّون عليه أبداً : العاصى المصرّ على الخطايا ويتمنى الجنة ؛ والرجل [١٤٣] الحقود يتمنى أن يظفر بجميع من يعادى فلا يبقى منهم أحداً ؛ ومتمنى الخلود والبقاء فى دار الفناء^(٢) .

ثلاثة يجنون على أنفسهم ويؤلمون أبدانهم : الذى يأتى القتال بغير جُنة فيقذف نفسه بين الصفوف ويقول : لن يصيبني إلا ما قُضِيََ عليّ — فلا يخلو من ضربة أو طعنة أو رمية ، وربما قتل ؛ والرجل الموسر الذى لا ولده ولا حميم فيقتل على نفسه ، وربما قتل لماله ، وإن عاش عاش فى ضر وبؤس ؛ والشيخ الكبير الفانى ينكح المرأة الحميلة فلا تزال تسبه وتمتع بكل شاب أجمل من الآخر وربما سعت فى هلاكه^(٣) .

أربعة هم الذين يستخفون بأنفسهم وبحقوقها : الذى يهذى ويعرف بالفرفة^(٤) ويتكلم بما لا يسأل عنه ويقول بما لا يعلم ويبادر بالكلام على ما خطر بقلبه ؛ والذى يتسلط على الناس من غير معونة لهم ؛ والغلام الذى يغلظ القول لصاحبه ويرد عليه^(٥) الصواب ؛ والذى يدخل على القوم المتخيلين لمهم من غير استئذان عليهم^(٦) .

(١) آلة للنجر والنحت ، قال ابن السكيت : ولا يشدد ، وقال الزمخشري : التشديد لغة فيه .

(٢) ف : دار الدنيا . (٣) ف : اهلاكه .

(٤) الفرفة : التخليط والكثرة فى الكلام ؛ الطيش والحفة ؛ العجلة .

(٥) عليه : ناقصة فى ف . (٦) عليهم : ناقصة فى ط .

أربعة ينبغي أن يسخر منهم ويهزأ بهم : الذى يقول شهدت الحروب وقاتلت وقتكت بالأبطال وركبت الأهوال ونازلت الفرسان ، ولا يرى فى جسمه أثر (١) شيء من الجراحات ؛ والذى يخبر أنه من الزهاد والعباد وأنه ممن رفض الدنيا ويعمل للمعاد ، وهو سمين ظاهر الدم (٢) عظيم الكدنة ، فذاك أهل لأن يضحك منه ويتهم فى جميع الأمور : وذلك أن (٣) من علامات الزهاد أن يكونوا قليلي الطعام متغيري الألوان طائري القلوب وجلين خائفين منتظرين لأمر الله أن يحل بهم بياتاً أو صباحاً ، ومن كان كذلك لم يكن له لحم ولا شحم ولا نشاط ولا مرح ؛ والمرأة التى تزعم أنها [٤٣ ب] بكر عذراء ، وهى ثيبة غير طاهرة ولا ممتنعة على الرجال ، فتوهم أنها بكر وتعلم كيف هى ؛ والرجل الذى يتحلى بمعرفة (٤) ويعلم وهو خال منه ، فاذا سأل سائل عن مشكلة افتضح ودهش ، وضحك منه +.

ثلاثة يجوز عليهم أن يندموا : الذى يشير على السفية (٥) بالحلم ثم يماريه إذا لم يقبل ، فلا يزال معه فى مراء حتى يخرج إلى ما لا ينبغي (٦) ، ثم يندم على فعله ؛ والرجل الذى يهيج السفية بالأذى ليضحك منه ويناديه بلقب ثم يحترس أن تناله يده ولا يقدر أن يحترس من لسانه وقذفه ؛ والرجل الذى يفضى بسرره إلى من لا يخبره بالأمانة ويأتمنه (٧) فى الأمر العظيم ويثق به ثقته بنفسه .

ثلاثة هم الذين يجنون على أنفسهم (٨) المشقة والتعب الشديد : الذى يمشى إلى خلفه ناكصاً على عقبيه ، فربما تردى فى بئر أو كهوة ؛ والذى يقول : لا يملأ قلبى شيء من الأهوال ، ولست أتقى الأقوان ويغترقوماً بما يسمعون منه ،

(١) أثر : ناقصة فى ف .

(٢) ص : التذمم . - والكدنة (بضم الكاف وكسرهما) : كثرة الشحم واللحم ، وقيل : هى الشحم واللحم أنفسهما إذا كثرا .

(٣) أن : ناقصة فى ط / ف : وذلك أن ...

(٤) ص : بمعرفة أو علم ؛ وكذا فى ف .

(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص فى ف .

(٥) ف : السفه . (٦) لا : ناقصة فى ف .

(٧) ص : ولا يأتئنه .

(٨) فى ط : يجنون المشقة والتعب الشديد على أنفسهم .

فاذا التقت الزحوف (١) التفت يمينا وشمالا ، احتيالا للهرب فيكون أول هارب ؛
والرجل البليد البطي ، الفهم يتعاطى العلوم اللطيفة والمعاني الدقيقة ، فيكلف (٢)
طبعه ما لا يطيق ، فهو أبدأ في تعب ولا يظفر بطائل .

ثلاثة لا يلبث ودهم أن يتصرم : الصديق الذي لا يقوم بحق صديقه عند
النوائب ، ويطيل غيبته (٣) عنه ، ويتوانى عن زيارته ، ولا يكاد يصبر إليه إلا
على كره (٤) ، فاذا صار إليه مازاه في كل ما نطق به ؛ والمداخل لأصدقائه
في النعم (٥) والفرج ، حتى إذا نابتهم (٦) نائبة قطعهم ؛ والرجل يريدك لأمر
حتى إذا وصل إليه استغنى عنك فزال وده [١٤٤] بزواله .

ثلاثة يدعون المهارة وهم أغبياء : الذي لا يحسن (٧) اللحن ولا يعرف
الانفاقات والاختلاف فيتعاطى ضرب العود ؛ والمصور الذي يزعم أنه ماهر
وهو (٨) لا يحسن خلط الأصباغ ولا تأليف الأشكال ولا تأدية الحركات (٩) ؛
والذي يزعم أنه لا يحتاج إلى علم شيء من الأعمال وأنه عالم بجميعها وهو لا يعلم
مخارج الألفاظ ، ولا حدود المنطق ، وكيف ينبغي أن يتكلم ، وأين يضع منطقته .
ثلاثة يعملون بغير الحق : الذي يعطى بلسانه ، ولا يحقق بفعله ؛ والسريع
إلى الأكل ، البطي عن العمل ؛ والذي لا يستطيع أن يسكن غضبه ، ولا يملك
هواه ، وإذا هم بالأمر العظيم ركبه .

ثلاثة يعملون بالسنة فلا لوم عليهم : الذي يصنع الطعام وينظفه ويهيؤه
قبل حينه حتى يقدمه إلى سيده في حينه ؛ والذي لا يرضى سيرة الفساق ولكنه
يرضى بامرأة واحدة يملكها ولا يمد عينه إلى حرمة غيره ؛ والذي يعمل العمل
الجسيم بمشاورة العلماء .

(١) الزحف : الجيش يزحف إلى العدو ، والجمع زحوف . وهذه تسمية
بالمصدر لانه لكثرتة وثقل حركته كأنه يزحف زحفا .

(٢) ف : قلبه .

(٣) هنا اضطراب في أوراق ط ، اذ تبدأ الورقة ١٥٨ بعد ٥١ ب .

(٤) ص : كرة .

(٥) ف : الغم - وهو تحريف ظاهر .

(٦) ص : نابهم . (٧) ص : الذين لا يحسنون .

(٨) هو : ساقطة من ف . (٩) ص : ولا ما الحركات .

أربعة أشياء ينبغي لكل كريم أن ينذر فيها النذور حتى لا تزول عنهم :
الشهري^(١) الفاره الجواد الذى هو مُقعدة مولاه وراكبه ، والثور الحراث المحجب
إلى ما يستعمل فيه ، والمرأة العاقلة المستجيبة^(٢) لزوجها الموافقة له ، والعبد
الناصح المحتد فى الخدمة الصدوق فى اللهمجة الهائب لسيده .

أربعة لا ينبغي لهم أن يحزنوا : العاقل الذى يرميه الجاهل بما يكره ولا حقيقة
له ؛ والرجل الرغيب^(٣) البطن إذا كان غنياً كثير المال ؛ والرجل المقتصد
الذى لا عيال له ؛ والعالم الذى لا يحتاج إلى [٤٤] السعى فى الزيادة .

أربعة^(٤) لا يكاد أحد^(٥) أن يقدر عليها : المرأة التى قد ذاقت الأزواج
وتمتعت بهم وتطعمت الرجال : أن ترضى برجل واحد ؛ والرجل الذى عود لسانه
الكذب : أن يصدق ؛ والرجل التباه الصِّلِفُ البطر العادى لطوره : أن يتواضع
ويغير طباعه حتى يصير فاضلاً محبوباً .

أربعة أشياء ينبغي أن تعمل قبل حينها ويتقدم فيها الرجل : المكاييد لعدوه^(٦) ؛
فى الذب^(٧) عن الملك قبل حضور البأس ؛ — والخصومة فى الحق : ينبغي أن يتقدم
فى ابتغاء حاكم عادل فى القضاء ، عفيف لا يقضى بالهوى ولا يقبل الرشى^(٨)
ولا ينقض قضاءه ولا ينسى ما حكم به ولا يبدل له فيما يأتى به من الحق ،
ولا يميل مع كبير على صغير ولا مع غنى على فقير ؛ — وتدبير الدهشة : ينبغي
أن يتقدم فى ابتغاء لبيب عالم يشير عليه فى أمره وينفذ له أعماله ؛ — وذو المروءة
إذا دعا رجلاً شريفاً : ينبغي أن يتقدم فى تهيئة طعامه وما يصلح له لئلا يعجل
على أهله بالأذى عند حضوره .

(١) الشهرى (بكسر الشين) : ضرب من البرذون ، والجمع : شتهازى
والفاره : الحاذق النشيط الخفيف ، والقعدة : الحمار والمركب
(= أداة الركوب) . (٢) ط : المستحسنة .

(٣) الرغيب : الواسع الجوف . ورجل رغب الجوف : إذا كان أكولا .

(٤) لم يذكر هنا فى الواقع غير ثلاثة ، لا أربعة .

(٥) أحد : ناقصة فى ف ، ص . (٦) ف : عدوه .

(٧) فى الذب ٠٠٠ : أول ورقة ١٤٣ فى ط بعد ورقة ٥٨ ب .

(٨) الرشى (بكسر الزاء وضمها) : جمع رشوة (مثلثة) : ما يعطى لابطال
حق أو احقاق باطل .

أربعة لا يفكرون في بر ولا إثم : المريض الشديد الألم ، والخائف من
هو أقوى منه ، والمكار لعدوه ، والمظلوم الحقود الجرى على صاحبه .
أربعة ينبغي أن ترفض غاية الرفض : الذى يؤدى إلى الهم والندامة ، والذى
يقصر العمر ويقرب من الموت ، ومعصية الله تعالى فى مرضاة الخلقين ، ومساعدة
الأصدقاء على ما يفسد الحميم والعقل .
أربعة لا ينبغي لأحد أن يثق بهم : الحية الماردة وكل سبع ضار ،
والأئمة الفجار من الناس ، والمال المجتمع عند ١٤١٠ المسرف (١) ، والموت الذى
لا يدرك متى يهجم .

أربعة لا ينبغي أن يمازحوا ولا يضاحكوا : الرجل العظيم الشأن الجبار ،
والعالم الناسك ، والذى الطبع اللئيم ، والحزين الثاقل .
أربعة من الناس المال أحب إليهم من أنفسهم : الذى يفترض (٢) مع
الأمير الخارج إلى الحرب ، والتاجر الذى يركب البحر ، واللص الذى ينقب
البيوت فلا ينجو من صاحب البيت أو السلطان ، والمرتشى الجائر فيما يدخله
الله به نار جهنم .

أربعة يفسدون أعمالهم (٣) وحكمتهم : عامل الحسنات الذى ينشرها للناس
فيقول : فعلت وفعلت كأنه بمن (٤) بها ، وواضع المعروف عند السفلى المصطنع
من لا يستأهل الصنيعة ، والمكرم للعبد المتوفى اللفظ الذى لا يرحمه (٥) ، والامراة
التي تصنع الخير بولد السوء .

خمس مفرطون فى خمس أشياء فهم أبداً نادمون : المفرط فى العمل إذا
فاته منفعته ، والمنقطع عن أصدقائه إذا نابتهم النوائب ، والمستمكن منه عدوه
إذا عرف حقه ، والمفارق الزوجة الصالحة إذا ابتلى بالطالحة ، والجري على
الذنوب إذا حضره الموت .

(١) ص : المشرف .

(٢) افتراض الجند : أخذوا عطاياهم .

(٣) ف : مالههم . (٤) ط : يمتن .

(٥) ط : الذى لا رحمة به ، والأم التى . . . وكذا فى ف .

سبعة لا ينامون : الذى يهيم بدم يسفكه ، وذو المال الكثير الحريص^(١) الخائف عليه^(٢) ، والمديون الفقير المأخوذ بما لا يقدر عليه ، والمريض^(٣) المدنف الذى لا طيب له ، وصاحب الزوجة الفاسدة ، والجار السوء الحاسد لجاره ، والمفارق للإلف الذى كان أحب الخلق إليه .

سبعة لا رحمة لهم : الرجل الحقود ، وحامل الموتى بكراء^(٤) ، وقاطع الطريق ، ومانع [٤٥] العطشان الماء^(٥) ، والجلاذ الذى يجلد الناس فيموتون أو تنقطع جلودهم من غير ذنب منهم إليه ، وصاحب^(٦) المسلحة ، والطامع فيما ليس له .

عشرة لا ينبغي أن يعمل معهم ولا يلبسوا : المشاور من لا علم له ، والذى لا يتثبت فى الأمور ويتلون فى رأى ، والمعجب المنفرد برأيه ، والذى يؤثر ماله على نفسه ، والضعيف العقل ، وراكب السفر البعيد على خطر ، والعاتب على من يفشى سره ولا يتحفظ بعده — وهو أولى بأن يعيب^(٧) نفسه ويعتب عليها^(٨) إذ أفشى سره إلى من أفشاه عنه ، والمجادل المحاصم الممارى فيما لا يعنيه ، والغضببان على من لا يبالى بغضبه ، والمتسرع إلى القتال .

عشرة لا ينبغي أن يسكن إليهم حتى يجربوا ويمتحنوا^(٩) ثم يوصفوا : الشجاع^(١٠) المدعى للحرب واللقاء ، والظريف^(١١) المستعد للعشرة ، والحليم

(١) ص ، ف : الحرص • (٢) عليه : ناقصة فى ط •

(٣) الدنف (بفتح تين) : المرض اللازم المخامر ، وقيل : هو المرض ما كان ؛ ورجل دنف ودنف • (بفتح النون وكسر ها) : براه المرض حتى أشفى على الموت •

(٤) الكراء : الأجر • (٥) س : من الماء •

(٦) المسلحة : الثغر والمرقب — وفى الحديث : « كان أدنى مسالح فارس إلى العرب : العذيب » ؛ والمسلحة موضع المخافة ، والمرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم على غفلة ، فاذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له — وفى ف : السلحة •

(٧) ص : يعتب على نفسه • (٨) س : إذا •

(٩) ص : ويمنحونهم • (١٠) ص : للشجاع •

(١١) س : والظريف الذى يتعرض للعشرة

عند الغضب ، والتاجر عند المحاسبة ، والصديق عند الشدة ، والسخي عند السؤال ،
 والمستودع^(١) بالدرهم ، والمحارم ، والكريم عند الشكر ، والحازم عند حلول المصيبة .
 عشرة لا يزالون في سخط الناس : السريع الغضب الذى لا تؤدة له ولا
 عفو ، وصاحب المودة^(٢) الذى ليس بماهر فيستعمل المودة^(٣) في غير موضعها^(٤) ،
 والماهر الكامل الذى لا يريد الصلاح ويدبر^(٥) البشر ، والحديث اللسان
 الذى لا ينجو من لسانه أحد ، والمنحى المرائى الذى ليس الانحاء من شيمته ،
 والعاصى الشره والبخيل الجماع ، وذو العلم الضنين بعلمه ، والمتصنع المتشبه
 بالعاشرين يريد بذلك الثواب في الدنيا ، ومن يعمل [١٤٦] الأعمال وهو آمن
 من الغير ، والمتسلط بقوته على الضعفاء .

عشرة يعثون أنفسهم وغيرهم : ذو العلم القليل يتكلف من العلوم
 ما لا يقوم به فيعنى نفسه ويعنى من يتعلم منه ؛ والذى يروم الممتنعات من
 الأمور^(٦) ويطلب ما لا يلحق ؛ والمتعاقل الذى لا ينظر لنفسه ولا ينظر الفيلسوفين ؛
 والفخور العادى لطوره وليس بذى فضيلة ويريد من الناس أن يمدحوه ويخضعوا
 له بلا إفضال منه عليهم ؛ والمستغنى برأيه عن المشاورة ثم يطلب الرأى فلا يجده ؛
 وصاحب السلطان العفيف الذى يعنى نفسه في إصلاح^(٧) من لا يحمداه ولا
 يؤجر فيه ولا ينال منه خيراً ولا علماً ؛ والسفيه الطياش المغالب للناس^(٨) ولا
 ظهر له ولا سند ؛ والذى يطاول من هو أعظم منه شأنًا ؛ والذى يصحب الملوك
 بالغش لهم^(٩) والحيانة ؛ والقهرمان أو الحازن^(١٠) يَصْكُ عليه^(١١) لانسان بشيء

(١) ص : والمتورع بالدرهم المحارم \ ف : والمتورع بالدرهم والمحارم .

(٢) ص : التؤدة . (٣) ف : فيستعمل ذلك في غير موضعه .

(٤) ص : موضعه . والتصحيح عن س .

(٥) ص : ويدبر اليسر . (٦) ف : العلوم والأمور . (٧) ص : الصلاح .

(٨) ص : ولا يظهر له ظهر ولا سند . — وما أثبتناه عن س .

(٩) لهم : ناقصة في س . (١٠) ف : و .

(١١) كان الامراء يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتباً هي الصكوك ،

فقوله : يصك عليه لانسان : أى يكتب اليه صك لصرف عطاء انسان

والصك : الكتاب ، معرب ، وهو بالفارسية : چك ، وهو الذى يكتب

للعهدة .

فردده ويؤخر أمره من غير أن ينفعه ذلك ، وهو على حال لا بد أن يعطيه ما قد أمر به وهو غير محمود .

سته لا تخطئهم الكتابة : فقير قريب العهد بالغنى ، ومكثر يخاف على ماله ، وطالب مرتبة فوق قدره ، وحسود على رزق غيره ، وحقوق على من لا ينتصر منه ، وخليط أهل الأدب من غير أدب معه .

سته يُسلبون خصالاً من الخير بخصال من الشر تكون فيهم : يُسلب المساجنُ المحمداً ، والمخادعُ الإخوان ، والسبيُّ الأدبَ الشرف ، والحريص الثناء ، والشحيحُ النعمة ، والكسيلُ^(١) منافع العمل .

أربعة أشياء تعين على العمل : الصحة ، والغنى ، والعلم ، والتوفيق .
وقال آخر : أحق الناس أن يحذر : العدو الفاجر ، والصديق الغادر ، والسلطان الخائر .

وقال : لهب الشوق أخف^(٢) محملاً من مقاساة الملالة .

وقال : بالعافية توجد عذوبة [٤٦ب] كل مطعم ، فاطلب العافية قبل اللذة .
الشماتة اغترار^(٣) ، والتواني فاقة ، والحرص شقاء . الحريص إن وجد لم يسترح ، وإن استفاد لم ينفق : فيجتمع في الحريص التعب والشره والبخل .
ذم^(٤) العقلاء أشد من عقوبة السلطان ، فإن هذا خذلان ، وذلك^(٥) تعزيز .

شروط^(٦) صحبة السلطان

النصيحة ، وحفظ السر ، وتزيين أمره ، وإيثار هواه ، وتقدير الأمور على موافقته في الكره والرضا ، ومجانبة الغاش له ، وصلة من وصل^(٧) وقطع من قطع ، وأن لا يخفى^(٨) عنه سراً ، ولا ينتقل له عن طاعة ، ولا يرغب

(١) ف : والكل - وهو تحريف ظاهر .

(٢) ف : أحب . (٣) ف : اقرار - وهو تحريف .

(٤) ص : وذم . وما أثبتناه عن س ، ف .

(٥) ف ، ص : وهذا . وما أثبتناه عن س .

(٦) لم يوضع في ف على صورة عنوان .

(٧) ف : وصله .

(٨) ص : يخف عنه سرا/ ف : يطوى عنه سرا .

بنفسه (١) عن شيء يوافقه ، ولا يتسخط قليل عطيته ، ولا ينظر (٢) كرامته ، ولا يستعمل الدالة عليه ، ولا يكذبه إذا سأل ، ولا يستثقل ما حمله (٣) ، ولا يسأله إذا جفاه ، ولا يأمنه إذا أرضاه ، ولا يعذر من لام ، ولا يلوم من عذر . وأقل مماراته ، ولا تظهر غناك عنه .

سنة تشدد عشرتهم على معاشريهم : الملك اللفظ (٤) ، والقاضي المرتشى ، والخليط المخادع ، والخادم (٥) الحب ، والمرأة الورهاء ، والعون المحب للبطالة . وقال : لاتتودد على السلطان بالدالة وإن كان أخاك ، ولا بالحجة وإن كانت لك (٦) دونه ، ولا بالنصيحة وإن كانت له دونك : فان السلطان يعرض له ثلاث دون ثلاث : القدرة دون الكرم ، والحمية دون النصفة (٧) ، واللجاج دون الحظ (٨) .

لا يجب للعاقل أن يزرع العداوة اتكالا على قوته (٩) ، كما لا يجب لصاحب (١٠) الترياق (١١) أن يشرب السم اتكالا على أدويته (١٢) .

من جمع لك إلى المودة رأياً حازماً (١٣) فاجمع له إلى المحبة طاعة لازمة . شر ما شغلت به عقلك وضيعت [١٤٧] به عمرك إشارة على معجب بنفسه (١٤) .

(١) س : ولا ترغب بنفسك/ ف ، ص : بنفسه .

(٢) س : من كرامته .

(٣) س : حملك ٠٠ جفاك ٠٠٠ أرضاك ٠ وفي ص ، ف : حملة ٠٠٠ جفاه ٠٠ أرضاه ٠٠٠ أقل .

(٤) ف : الفض – وهذا يدل على أن الناسخ ينطق بالضاد ظاء ، أو من أملى عليه .

(٥) الحب (بفتح الحاء وتكسر) : الخداع ٠ والورهاء : الحمقاء .

(٦) س : له درجة بها ٠ (٧) النصفة : الانصاف .

(٨) ص ، س : الحط (بالطاء المهملة) .

(٩) قوته ٠٠٠ على : ناقصة في س .

(١٠) ف : على صاحب .

(١١) دواء فيه من ريق الحيات فلا يؤثر السم في صاحبه – فيما يزعمون قديما .

(١٢) ف : الأدوية ٠ (١٣) ف : جازما (بالجيم) .

(١٤) بنفسه : ساقطة في س و ف ، واردة في ص .

< حكم العرب >

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء بأخيه .
 وقال : اليد العليا خير من اليد السفلى (٢) .
 وقال : ابدأ بمن (٣) تعول .
 وقال : لا تجنى يمينك على شمالك .
 وقال : ما أملتق (٤) تاجر صدوق .
 وقال : بطون الخيل كنز ، وظهورها حرز .
 وقال : خير المال عين ساهرة لعين نائمة .
 وقال : النخل هي المطاعم في المحل ، الراسخات في الوحل .
 وقال : الخيل معقود في نواصيها (٥) الخير .
 وقال : الناس كابل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة .
 وقال : ما قل وكفى خير مما كثر وضر وألهى (٦) .
 وقال : لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنماً والصدقة مغرمًا .
 وقال : رأس العقل ، بعد الإيمان ، مداراة الناس (٧) .

- (١) ف : ومما يؤثر من حكم العرب .
 (٢) يعنى : المنفق خير من الآخذ ما لم تشتد حاجته - أخرجه ابن حنبل والطبراني عن ابن عمر .
 (٣) س : بما - والحديث معناه : ابدأ بمن تلزمك مؤنته وقدمه على غيره ، أخرجه الطبراني عن حكيم بن خزام .
 (٤) أى لا يصيبه الفقر .
 (٥) ف : بنواحيها - ورد في البخارى في كتاب المناقب (باب ٢٨) ، مسلم (كتاب الزكاة ، باب ٢٥) ؛ كتاب الامارة ، ٩٦ - ٩٩ ، أبو داود (كتاب الجهاد ، باب : ٤١) ، ابن ماجه (التجارات : ٢٩)
 (٦) ألهى : ناقصة فى ف - ورد فى « الجامع الصغير » (ج ٣ ص ٢٤١) : ما قل وكفى خير مما كثر وألهى - رواه أبو يعلى فى مسنده والضياء المقدسى عن أبى سعيد الخدرى بإسناد صحيح ، ومعناه أنه : ينبغى التقليل من الدنيا ما أمكن ، فان كثيرها يلهى عن الآخرة .
 (٧) تمام الحديث : « وأهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة ، وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة » والمدارة : ملاينة الناس وحسن صحبتهم وتحمل أذاهم - رواه ابن أبى الدنيا فى قضاء الحوائج عن سعيد بن المسيب ، رواه مرسلًا ؛ والحديث ضعيف (راجع شرح الجامع الصغير ج ٢ ص ٢٧٩) .

وقال : رحم الله امرأ قال خيراً فغنى أو سكت (١) فسلم .
 وقال : لا تجلسوا على ظهور الطرق ، فان أبيتم فغضوا الأبصار ، وردوا (٢)
 السلام ، واهدوا الضال ، وأعينوا الضعيف .
 وقال : إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً : يرضى لكم
 أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبله ولا تتفرقوا ، وأن تناصحوا
 من ولاه أموركم . ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال (٣) .
 وقال : لك من مالك ما أكلت فأفنت ، ولبست فأبليت (٤) ،
 وأعطيت فأمضيت .
 وقال (٥) : أعوذ بالله من دعاء لا يسمع ، وقلب لا يخشع ، وعلم لا ينفع .
 وقال (٦) : تهادوا تحابوا .
 وقال : لو تكاشفتم ما تدافتم .
 وقال : ما هلك امرؤ عرف قدره .
 وقال : لا يحسن الملق إلا في طلب العلم .
 وقال : علق سوطك [٤٧ب] حيث يراه أهلك (٧) .
 وقال : ارحموا عزيز قوم ذل وغنياً افتقر — ثم قال عليه الصلاة والسلام (٨) :
 وعالمًا بين جهال .

-
- (١) ص : وسكت — أورده ابن المبارك في الزهد عن خالد بن عمران ،
 مرسلًا — وهو حديث حسن .
 (٢) ص : رد .
 (٣) ورد برواية مخالفة في « الجامع الصغير » (٢٧٧/١) هكذا : « اللهم اني أعوذ
 أحمد بن حنبل في مسنده ومسلم عن أبي هريرة .
 (٤) ص : فأبليت .
 (٥) ورد في « الجامع الصغير » (٢٧٧/١) هكذا : « اللهم اني أعوذ
 بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ،
 ومن دعوة لا يستجاب لها » — رواه أحمد في مسنده ، ومسلم
 والنسائي عن زيد بن أرقم .
 (٦) رواه أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة باسناد جيد .
 (٧) في « الجامع الصغير » هكذا (٤٠٥/٢) : « علقوا الصوت حيث يراه
 أهل البيت فانه أدب لهم » — أورده عبد الرزاق في المجامع والطبراني
 عن ابن عباس ، وهو حديث حسن — أهلك : ناقصة في ف .
 (٨) ثم قال عليه السلام : ناقصة في ف .

- وقال : اخش الله في الناس ، ولا تخش الناس في الله تعالى !
 وقال (١) : الولد مجبنة مبخلة .
 وقال : التهنئة على أجل الثواب أولى من تعزية (٢) على عاجل المصيبة .
 وقال (٣) : أكثرُوا ذكر الموت هادم اللذات .
 وقال : طوبى لمن أنفق فضل ماله وأمسك فضل قوله .
 وقال : نهيتكم عن عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات .
 وقال (٤) : المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء ، وعودوا بدننا ما اعتاد .
 وقال (٥) : اغدُ عالماً أو متعلماً أو مجيباً أو سائلاً - ولا تكن الخامس فتهلك .
 وقال : يا عجبى للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور !
 وقال (٦) : ما نحل والد ولداً أفضل من أدب حسن .
 وقال : لو كان العسر في كوة لجاء يسران حتى يخرجاه .
 وكان يقول صلى الله عليه وسلم : تضايقي تنفرجى . وفي حديث آخر (٧) :
 اشتدنى أزمة تنفرجى .

- (١) في « الجامع الصغير » : « الولد ثمرة القلب وانه مجبنة مبخلة محزنة » أى يجبن أبوه عن الجهاد ويمتنع من الانفاق في الطاعة خوف فقره ويحزن أبوه لمرضه (٤٠٧/٣) - رواه أبو يعلى في مسنده عن أبي سعيد . (٢) ف : التعزية .
 (٣) في « الجامع الصغير » (٢٤٦/١) : « أكثرُوا ذكر هادم اللذات ، الموت » - أورده الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم والبيهقى - عن أبى هريرة ؛ والطبرانى في الأوسط وأبو نعيم في الحلية والبيهقى - عن أنس ، وفي الحلية عن عمر بن الخطاب .
 (٤) ورد منسوباً الى الحارث بن كلدة في ابن أبى أصيبعة (١١٢/١) وقيل هو من كلام عبد الملك بن أبجر (١١٢/١) .
 (٥) في « الجامع الصغير » (٢١٨/١) : « اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ، ولا تكن الخامسة فتهلك » (بكسر اللام) والمراد بها بقض العلم وأهله ، والمحِب : أى المحب لواحد من هؤلاء الثلاثة . - أخرجه البزار في مسنده والطبرانى في الأوسط عن أبى بكره (بفتح الكاف وتسكن) .
 (٦) في « الجامع الصغير » (٢٥٦/٣) : « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن » - أخرجه الترمذى والحاكم في المستدرک عن عمرو بن سعيد بن العاص - ص : من ولد وأدب حسن .
 (٧) ورد بهذه الصيغة الثانية في « الجامع الصغير » (١٨٨/١) - أورده القضاعى في الشهاب والديلمى في مسند الفردوس كلاهما عن على ابن أبى طالب ؛ وهو حديث ضعيف - ف : كان يقول عليه السلام .

وقال : ما من آدمي إلا وفي عمله نقص (١) من علمه ، ضل خلاله !
يسر بمال يزيد ، وعمر ينقص !
وقال في كلام جرى له : إن لطالب الحق على الغاصب سورة تلحقه
بالظالم .

وقال : من قال : قَبَّحَ اللهُ الدنيا ، قالت الدنيا له (٢) : قبح الله أعصانا لربه .
وقال في كلام جرى بحضرته : وأى داء أدوى من البخل (٣) !
وقال : بَشَّرَ مال البخيل بحادث أو وارث .
وقال (٤) : ما بعثتُ إلا لأتمم محاسن الأخلاق .

(١) ف : عن •

(٢) ف : له الدنيا •

(٣) عند هذا الموضع في الهامش : « حاشية : في قصة جد بن قيس
الازهماري > روى أن النبي صلى الله عليه وس > لم > لما قدم مدينة
يشرب مهاجرا واشه > تد > به الحال فاجتمع اليه وجوه أهل
المد > ينة > وهما قبيلتان من الأزد هما الأو > س > والخزرج ،
فقال لهم : من سيدكم ؟ فقالوا > وا > له : جد بن قيس ، على بخل
فيه • فقال : وه > ل > داء أدوى من البخل ؟! فأخذ الراية من
على بابه ونصبها على باب البراء بن عازب • فقال حسان بن ثابت
الانصاري في ذلك : شعر :
وقال رسول الله ، والقول لا حق

لمن كان > منا > من تعدون سييدا
فقلنا له : جد بن قيس على الذي
يعانيه من بخل وان كان أنكدا
فسوغها باب البراء بن عازب

... ..

– والبراء بن عازب الانصاري الحارثي نزيل الكوفة • توفي
سنة ٧٢ هـ • وقد وردت الرواية والأبيات على طريقة أخرى في
« الروض الأنف » للسيهيلي ج ١ ص ٢٨٢ (القاهرة سنة ١٩١٤ م)
فراجعها هنالك ، حيث ورد أن النبي قال : بل سيدكم عمرو
ابن الجموح ؛ وراجع أيضا « مجمع الزوائد » للهيتمي ج ٩ ص ٣١٤
ص ٣١٥ (نشرة القدسي بالقاهرة) ، حيث يرد الحديث عن كليهما
معا : بشر بن البراء بن عازب وعمرو بن الجموح •

(٤) في « الجامع الصغير » (٤٤/٢) هكذا : انما بعثت لأتمم صالح
الأخلاق – وفي رواية : مكارم الأخلاق – رواه ابن سعد ، والبخاري
في الأدب ، والحاكم في المستدرک ، والبيهقي ، عن أبي هريرة ،
حديث صحيح •

وقال : من كان له صبي فليستصب له .

وقال (١): صلة الرحم مناة للولد مثرة للمال .

وقال : الشديد من غلب نفسه .

وقال [١٤٨] : الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

وقال (٢): الحرب مُخدعة .

وقال : المؤمن مرآة أخيه (٣) .

وقال (٤): فضل العلم خير من فضل العبادة .

وقال : اليمين الفاجرة تدع الديار بلا قع .

وقال : إن من البيان لسحراً .

وقال (٥): الندم توبة .

وقال (٦): حبك الشيء يعمى ويصم .

وقال : لا يشكر الله من لا يشكر الناس .

(١) وردت أحاديث قريبة منه في « الجامع الصغير » (٣٥٢/٢) فراجعها لاختلاف الرواية .

(٢) أى الحرب الكاملة هى المخادعة ، لا المواجهة ، وحصول الظفر مع المخادعة بغير خطر ؛ وفيه التحريض على أخذ الحذر فى الحرب - راجع تخريجه فى « الجامع الصغير » (٢١٧/٢) .

(٣) ف : المؤمن .

(٤) فى « الجامع الصغير » (٢١/٣) هكذا : « فضل العلم أحب الى من فضل العبادة ، وخير دينكم الورع - أخرجه البزار ، والطبرانى فى الأوسط ، والحاكم فى المستدرک ، عن حذيفة بن اليمان عن سعد ابن أبى وقاص .

(٥) فى « الجامع الصغير » (٣٧١/٣) - أخرجه أحمد بن حنبل فى مسنده ، والبخارى فى التاريخ ، وابن ماجه ، والحاكم فى المستدرک عن ابن مسعود ، وأخرجه الحاكم فى المستدرک أيضا والبيهقى عن أنس ، وإسناده صحيح .

(٦) فى « الجامع الصغير » (٢٠٠\٢) هكذا : حب الثناء من الناس يعمى ويصم - أخرجه الديلمى فى مسنده الفردوس عن ابن عباس بإسناد ضعيف ، وأورده بنصه هنا « تمييز الطيب من الخبيث » لابن الربيع الشيبانى ص ٦٤ ورجحه .

وقال (١): لا يُسَمَّ بعد احتلام .

وقال : إياكم والذلة ! فان الذلة مع القلة (٢) .

وقال : رضى الناس غاية لا تدرك .

وقال : لقاء الأحبة مسلاة لهم .

وقال (٣): + من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه .

وقال (٤): العلم خزان ومفاتيحها السؤال +.

وقال : الصحة والفراغ مغبون فيهما الناس .

وقال لعبد الله بن عباس (٥) : يا ابن عم ! ألا أعلمك كلمات لعل

الله (٦) ينفعك بهن ؟ — قال ابن عباس : فقلت : نعم يا رسول الله ! — قال :

احفظ الله يحفظك . تعرّف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة . إذا سألت فاسأل

الله ؛ وإذا استعنت فاستعن بالله ؛ وإن استطعت أن تعمل لله بالصدق في اليقين

فافعل ؛ وإن لم تستطع ذلك فان في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً . واعلم أن

النصر مع الصبر ، وأن الفرج بعد الكرب ، وأن مع العسر يسراً .

وقال (٧): ثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات : فأما المنجيات فخشيته الله

(١) أى اذا بلغ اليتيم أو اليتيمة زمن البلوغ الذى فيه يحتلم غالب

الناس ، زال عنهما اسم اليتيم حقيقة وجرى عليهما حكم البالغين

سواء احتلما أو لم يحتلما — ورد فى « الجامع الصغير » (٤٣٢/٣) ،

وأخرجه داود عن على باسناد حسن .

(٢) ف : « وقال : إياكم والوشاظ ، فان ٠٠٠ » — والوشاظ السفلة ،

رواه الشعبى (راجع لسان العرب ٣٤٦/٩) .

(٣) ورد هذا القول فى « نهج البلاغة » ١٤٢/٢ . منسوباً الى

على بن أبى طالب ورواه مسلم عن أبى هريرة .

(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص فى ف .

(٤) فى « الجامع الصغير » (٤٣٣/٢) : ومفاتيحها ، وفى رواية :

ومفاتيحها ، أورده أبو نعيم فى الحلية عن على باسناد ضعيف .

(٥) ف : العباس رضى الله عنهما : يا عليم الا ٠٠

(٦) ف : الله تعالى .

(٧) هنا ورد فى ف : وقال من بطأ ٠٠ السؤال — وقد ورد قبل س ٦٥ — ٠٠

فى السر والعلانية ، والاقتصاد فى الفقر والغنى ، والحكم بالعدل فى الرضا والغضب .
 والمهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه (١) .
 وقال : أيها الناس ! لا تخالفوا على الله (٢) أمره ، فان فى الخلاف (٣)
 أن تسعوا فى عمران ما قضى [٤٨ب] الله فيه بالحرب (٤) .
 وقال (٥) : حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، وردوا
 نوائب الدهر بالاستغفار .
 سئل : أى الأعمال أفضل ؟ - فقال : أن تدخل على أخيك سروراً
 أو تكشف عنه غمماً أو تطعمه عن حاجة .
 وقال : من رأى أنه مسيء فهو محسن .
 وقال : سيئة تسوؤك خير من حسنة تعجيبك .
 وقال : إذا قال العبد : اللهم اغفر لى ! - قال له ربه سبحانه وتعالى (٦) :
 قد غفرت لك ولكنك لا تعلم .
 وقال (٧) : من أذنب ذنباً فأوجعه قلبه عليه غفر له ذلك الذنب ، وإن
 لم يستغفر منه .

- (١) ورد فى «الجامع الصغير» (٢/١٧٤) هكذا : « ثلاث منجيا : خشية الله تعالى فى السر والعلانية ، والعدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الفقر والغنى ؛ وثلاث مهلكات : هوى متبع ، وشح مطاع ، وإعجاب المرء بنفسه » - أخرجه أبو الشيخ فى التوبخ عن أنس ، وإسناده ضعيف ، كما أورد بعده صيغة أخرى ، أخرجه الطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر بن الخطاب بإسناد ضعيف .
- (٢) ف : الله عز وجل . (٣) ف : من . (٤) ص : بأبواب !
- (٥) فى «الجامع الصغير» (٢/٢٠٧) ورد هكذا : « حصنوا أموالكم بالزكاة ، وداووا مرضاكم بالصدقة ، وأعدوا للبلاء الدعاء - أخرجه الطبرانى وأبو نعيم فى الحلية والخطيب البغدادي عن ابن مسعود بإسناد ضعيف ؛ وفى رواية أخرى : حصنوا . . . بالصدقة واستعينوا على حمل البلاء بالدعاء والتضرع - أخرجه أبو داود فى مراسليه عن الحسن البصرى مرسل . (٦) وتعالى : ناقصة فى ف .
- (٧) ورد فى «الجامع الصغير» (٣/٢٤٥) بهذا المعنى حديثان هما :
 ١ - من أذنب ذنباً فعلم أن له رباً إن شاء أن يغفر له غفر له ، وإن شاء أن يعذبه عذبه ، كان حقاً على الله أن يغفر له - أخرجه الحاكم فى المستدرک ، وأبو نعيم فى الحلية عن أنس ؛ - ب - من أذنب ذنباً فعلم أن الله قد أطلع عليه غفر له ، وإن لم يستغفر ، - أخرجه الطبرانى فى الأصغر عن ابن مسعود بإسناد ضعيف .

وقال : ما مست عبداً نعمة فعلم أنها من الله تعالى إلا كتب له شكرها وإن لم يحمده .

وقال : يا ابن آدم ! لست ببالغ أملك ، ولا بدافع أجلك ، ولا بمرفوع عن رزقك ، فبماذا تشقى نفسك يا شقى ، يا شقى !

ما يؤثر^(١) عن أمير المؤمنين علي عليه السلام

قال : ما أخذ الله تعالى على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعَلِّمُوا .

وقال : وحشة الانفراد أبقي للعز من أنس التلاقى .

وقال : احذر من يطريك بما ليس فيك ، فيوشك أن يبهتك بما ليس فيك .

وقال : البخل والحبس والحرص من أصل^(٢) يجمعهن سوء الظن بالله تعالى .

وقال : نعمة الجاهل كروضة^(٣) على مزبلة .

وقال جابر بن عبد الله^(٤) : قال لى أمير المؤمنين على بن أبى طالب

عليه السلام : يا جابر ! قيام الدنيا بأربع تبقى ما بقيت : عالم يستعمل علمه ،

وجاهل^(٥) [١٤٩] لا يستنكف^(٦) أن يتعلم ، وغنى يجود بمعروفه ، وفقير لا يبيع

آخرته بدنياه . فاذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم ويأخذ من علمه ؛

وإذا^(٧) بخل الغنى بمعروفه باع الفقير آخرته بدنياه — فاذا فعلوا ذلك تعسوا

وانتكسوا ؛ فهناك الويل لهم ، ثم^(٨) العويل عليهم .

(١) ما يؤثر : لم يرد فى ف • (٢) ف : أصل واحد • (٣) ف : فى •

(٤) جابر بن عبد الله الأنصارى — وقد وردت هذه الفقرة فى « نهج

البلاغة » ج ٢ ص ٢٢٤ ، مع اختلاف فى الرواية وزيادة هنا ونقص

هناك — وجابر بن عبد الله بن رثاب بن النعمان بن سنان بن عبيد ،

من الستة نفر الذين أسلموا من الأنصار أول من أسلم منهم بمكة •

شهد بدرا واحدا والخندق والمشاهد كلها مع النبى ، وروى عن النبى ،

وتوفى وليس له عقب فى سنة ٧٧ هـ وقيل ٧٨ هـ — راجع عنه :

« طبقات » ابن سعد ج ٣ ق ٢ ص ١١٤ ؛ « النجوم الزاهرة » ج ١

ص ١٩٦ ، ص ١٩٨ •

(٥) ف : صلوات الله عليه وسلامه • (٦) ف : يأنف •

(٧) يتعلم و : ناقصة فى ص • (٨) ف : والعويل •

وقال في آخر خطبة (١) : أما بعد ! فان ذمتي رهينة ، وأنا بها زعيم . لا يهيج زرع قوم على التقوى . وإن الخير كله فيمن عرف قدر نفسه . وكفى بالمرء جهلاً أن (٢) لا يعرف قدر نفسه .

وقال : إن البخيل فقير غير مأجور .

وخطب عليه السلام فقال : احذروا الدنيا فانها عدوة أولياء الله وعدوة أعدائه : أما أوليائه فغتمهم ، وأما أعداؤه فغرتهم .

وقال : تجنبوا الأمانى فانها تذهب بهجة ماخولتم (٣) وتقصر مواهب الله عندكم (٤) وتعتبكم الحسرات على ما أوهمتكم أنفسكم (٥) .

وقال : إنما زهد الناس في طلب العلم ما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نعوذ بالله من علم لا ينفع (٦) . وقال : كل شيء يعز حين ينزر ، والعلم يعز حين يغزر (٧) .

وقال : اطلب الرزق من حيث كفلك به ، فان المتكفل لا يخيس (٨) به ؛ ولا تطلبه من طالب مثلك لا ضمان له عليه إن وعدك أخلفك ، وإن ضمن لك خاس بك .

وكتب (٩) عليه السلام إلى سلمان رحمه الله وهو بالمدائن والياً عليها : أما بعد ! فان الدنيا مثلها مثل الحية لئن مسستها ، يقتل سمها . فأقلل ما يعجبك فيها لقلة ما يصحبك منها ، ودع غمك (١٠) بهمومها لما أيقنت من فراقها ؛ وكن آنس [٤٩ب] ما تكون بها أحذر ما تكون منها : فان صاحبها كلما اطمأن فيها إلى سرور أشخصته منه إلى مكروه (١١) .

-
- (١) ف : خطبة خطبها . (٢) ف : أن يجهل قدر نفسه .
 (٣) ف : ولم . (٤) ف : الله عز وجل .
 (٥) ف : نفوسكم . (٦) راجع هذا الحديث قبل ص ١٠٤ س ٩ .
 (٧) ص : يقزر ، والتصحيح بهامشها - وينزر : يقل .
 (٨) خاس عهده وبعهده : نقضه وخانه ؛ خاس فلان بوعده ، يخيس : أخلف .
 (٩) ورد في « نهج البلاغة » (ج ٢ ص ١٢٨ . نشرة الحلبي ، القاهرة من دون تاريخ) مع اختلاف في ألفاظ الرواية .
 (١٠) في « نهج البلاغة » : وضع عنك همومها
 (١١) ص : مكروه السلم ! - وفي « نهج البلاغة » : أشخصته عنه إلى محذور .

ووصف جعفر بن يحيى البلاغة ثم قال : هو مثل كلام أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال : « أين من سعى واجتهد ، وأعد واحتشد ، وجمع ومدد ، وبني وشيد ، وفرش ومهد » ! — فاتبع كل لفظة لفظة تناسبها . ولو نقل بعض الألفاظ إلى بعض لكان كلامه مستوياً ، ولكن : أين سماء من أرض !

وقال : المسؤول حر حتى يعد .

وقال : الساعي ظالم لمن سعى به ، خائن لمن سعى إليه .

وقال : رب حياة سببها التعرض للموت ، ورب منية سببها طلب الحياة .

وقال : أجموا النفوس واتمسوا لها طرف الحكمة ، فانها تمل كما يمل الجسد .

وقال : الفقيه الواعظ هو الذى لا يُقنط الناس من رحمة الله تعالى (١) ، ولا يؤمنهم من مكر الله ، ولا يؤثسهم من رُوح الله ، ولا يرخّص لهم في معاصي الله .

وقال : حسن الظن أن لا ترجو إلا الله ولا تخاف إلا ذنبك .

وقال : ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه لأن الله تعالى يقول : « من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها » (٢) .

وسأله رجل عن الرجل يذنب (٣) ويستغفر ، ثم يذنب ويستغفر ، ثم يذنب ويستغفر ، فقال (٤) عليه السلام : يستغفر أبداً حتى يكون الشيطان الحسير (٥) .

وروى الحسن بن على عليهما السلام عن أبيه أنه قال : يقول الله عز وجل : يا ابن آدم ! إذا عملت بما افترضت عليك فأنت من أعبد الناس ، وإذا اجتنبت ما نهيتك عنه فأنت من أورع الناس ، وإذا اقتنعت بما رزقتك فأنت من أغنى الناس (٦) .

سئل أمير المؤمنين على غلبه السلام عن النعيم فقال : من أكل خبز الجُبر [٥٠] وشرب ماءً فراتاً وأوى إلى ظل ، فهو في نعيم .

(١) تعالى : ناقصة في ف .

(٢) سورة « فصلت » آية : ٤٦ ، وسورة « الجاثية » : ٤٤ .

(٣) ف : يذنب الذنب .

(٤) ص : وقال .

(٥) الحسير : الشديد الندامة على أمر .

(٦) وإذا اجتنبت ٠٠٠ الناس : ناقصة في ص .

وقال : « ألا (١) إن الخطايا خيل شمس (٢) حمل عليها أهلها ، ونزعت عنها لحمها ، فأقحمت بهم (٣) إلى النار فهم فيها كالخون . ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها . وأعطوا أزميتها ، ثم أنزلوا وفتحت لهم أبواب الجنة » وقيل : ادخلوها بسلام آمين (٤) .

وقال في خطبة له : أحسن الأمور عند الله أحسنها عند الناس ، لأن الله لا يأمر إلا بالحسن (٥) ، ولا ينهى إلا عن القبيح ؛ ولا تخافوا ظلم ربكم (٥) وخافوا ظلم أنفسكم .

وقال في خطبة أخرى : اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطي ، ولك الحمد على ما تبلى وتبلى — حمداً يكون أرضى الحمد لك ، وأحب الحمد إليك ، وأفضل الحمد عندك ، حمداً يبلغ ما أردت ، وحمداً لا يحجب عنك ولا يقصر دونك ، ويبلغ فضل رضاك . — ثم قال : أوصيكم بنخال لو ضربتم إليها آباط (٦) الإبل كنّ أهلاً لها : لا يرجون أحد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه ، ولا يستحيين إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : لا أعلم ! ، ولا يستحيين إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه .

وقال : من قوى (٧) فليقو على طاعة الله ، ومن ضعف فليضعف عن محارم الله — فكان (٨) ابن المقفع يقول : ليجتهد البلغاء أن يزيّدوا في هذا الحرفاً ! — من اقتصد في الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر . اشكر من أنعم عليك ، وأنعم على من شكرك . من أخافك حتى آمنك خير لك ممن آمنك حتى أخافك . لا تعدن شراً ما أدركت به خيراً . ما منعي رعاية الحق له من إقامته (٩) عليه .

...

-
- (١) ألا : ناقصة في ف — وشمس : جمع شمس وهو النفور من الدواب الذي لا يستقر لشغبه وحدته ، وقد توصف به الناقة ، قال أعرابي يصف ناقة : إنها لعسوس شمسوس ضروس تهوس .
- (٢) ف : فأقحمت بهم النار . (٣) سورة « الحجر » آية : ٤٦ .
- (٤) ف : بالحسن . (٥) ف : ولكن .
- (٦) جمع انبط (بكسر الهمزة وسكون الباء) : باطن المنكب .
- (٧) ص : قري . (٨) ف : وكان .
- (٩) ف : إقامة الحق عليه .

وروى^(١) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : للعبد بين يدي الله عز وجل خمسون موقفاً كل موقف ألف عام [٥٠ ب] . فقال بعض المفسرين : هذا الخبر موافق^(٢) لقول الله تعالى : « تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ »^(٣) .

أوحى^(٤) الله تعالى إلى بعض الأنبياء : إن عبدى يستخيرنى فى أمر ، فإذا خرت له لم يرخص به .

وقيل فى قوله عز وجل : « أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى »^(٥) — أذهب عنهم الشهوات .

وقيل فى قوله عز وجل : « ولكنكم فتنتم أنفسكم »^(٦) — قال : بالشهوات . وقال بعض العارفين : نعم يا رب ! قلت إني غفور — أفلا أتق الغفور وأعبده ؟ !

وفى الوحي القديم : مسكين عبدى ! يسره ما يضره ! وصي حكيم ابنه فقال : إذا أردت أن تؤاخي إنساناً فأغضبه قبل ذلك ثم عامله ؛ فان أنصفك — وإلا فاحذره .

وقال الحسن : ما كتمته من عدوك فلا تظهر عليه صديقك . وقال آخر : هاجر إلى الراغب فيك .

سئل بعضهم عن المروءة فقال : إفاضة المعروف : إما بلسانك ، وإما عمالك ، وإما بجاهلك .

وقال : حاجب الرجل عامله على عرضه . الجود حارس الأعراض . من رضى عن نفسه رأى فيه غيره ما لا يرى^(٧) . المنتمون إلى العلم كثير ، وإن حصلوا أفناهم التحصيل . أصاب مُتَأَنِّ^(٨) أو كاد ، وأخطأ مستعجل أو كاد .

(١) من دون واو فى ف . (٢) ف : لما قال .

(٣) سورة « المعارج » آية : ٤ .

(٤) أى اخترت ؛ وخاره على صاحبه خيراً وخيرة . وخيره : فضله ؛ خارله : آتاه بالخير .

(٥) سورة « الحجرات » آية : ٣ . (٦) سورة « الحديد » آية : ١٣ .

(٧) ف : من رضى عن نفسه كثرت الساخطون عليه . وهذا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام : المنتمون الى العلم . . .

(٨) فى صلب ص : متأمل ، وبهامشها : متأنى \ ف : متأمل .

قيل (١) لبعض العلماء : إن أبا ذرٍّ (٢) كان يقول : « الفقير أحب إلى من الغنى ، والسقم أحب إلى من الصحة ، والموت أحب إلى من الحياة » - فقال : رحم الله أبا ذرٍّ ! ولكنى أقول : من توكل على الله حق توكله في حسن الاختيار له لم يجب أن يكون في حال سوى حاله .

وقال : إذا أراد الله بعبد خيراً أنسه بالوحدة .

وقال الربيع بن خيثم (٣) : تعلموا العلم ، فإذا تعلمتم فاعتزلوا الناس (٤) !

وقال آخر : لو لم تكن في الوحدة من الراحة [٥١] إلا الخلاص من مداراة الناس والسلامة من شرهم ، لكان كثيراً طيباً .

وقال (٥) بعض الأمراء لرجل زاهد مجتهد : ما رأيت أزهده منك ولا أصبر !

قال : أما زهدى فرغبة كله ، وأما صبرى فجزع كله . فقال : فسر لى ما قلته !

قال : أما زهدى فللرغبة فيما هو أعظم مما أنت فيه ، وأما صبرى فللجزع من النار .

لسان (٦) العلم الصدق . الكذب أكثر ما أنت سامع . لا تحدث الكذوب

بالصدق فيشك فيك . اللغة الخلّاقة (٧) تدل على كذب أصحابها . اصبر على عمل

(١) ف : وقيل .

(٢) أبوذر الغفارى : صحابى كبير ، عرف بالزهد والبعد عن الدنيا ،

وانطوى على نفس كبيرة تشارك الفقراء وتحرص على معانى الانسانية

والعدالة الاجتماعية . - راجع عنه : « الكواكب الدرية » ج ١ ص ٤٧

(وفيها أنه توفى سنة ٣٢ هـ) ؛ « الحلية » ج ١ ص ١٥٦ - ص ١٧٠ ؛

و « المعارف » لابن قبيصة (القاهرة سنة ١٩٣٥) وفيه أنه توفى

بالربذة سنة ٣٢ هـ .

(٣) هو الربيع بن خيثم الشورى ، يكنى أبا يزيد ، من أكابر التابعين

المشهورين بالزهد ، كثير الاحسان كثير البكاء ، رآه ابن مسعود

فقال له : لو رآك رسول الله لأحبك وأوسع لك الى جنبه (« صفة

الصفوة » ج ٣ ص ٣٢ س ٢ - س ٣) . توفى فى أواخر أيام معاوية

(« الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٠٧ س ٥) ، « توفى بالكوفة فى

ولاية عبيد الله بن زياد عليها » (« صفة الصفوة » ج ٣ ص ٣٦ ،

السطرين الآخرين) . - راجع عنه : ابن الجوزى : « صفة الصفوة »

ج ٣ ص ٣١ - ص ٣٦ (وفيه يرد اسمه هكذا : ابن خثيم) ، المناوى :

« الكواكب » ج ١ ص ١٠٦ - ص ١٠٧ / وفى ف : خثيم .

(٤) الناس : ناقصة فى ف . (٥) أول الورقة ١٤٤ فى ط .

(٦) العلم . . . بالصدق : ناقص فى ف .

(٧) أى التى يكثر فيها الحلف والأيمان .

لا بد لك من ثوابه ، وعن عمل لا صبر لك^(١) عن عقابه . أَعْلُ القلوب قلب حاسد . أنقص الناس عيشاً الحسود . خير الأمور مغبة العفو .
 قيل لبعضهم^(٢) : لم تجمع المال وأنت حكيم^(٣) ؟ قال : لأصون به العرض ، وأؤدي منه الفرض ، وأستغنى به عن القرض .
 قيل لبعض الصالحين : فلان يشتمك — وكان^(٤) صديقاً له — فقال : هو في حل . فقيل له : ولم ؟ — قال : ما أحب أن يثقل الله ميزاني بأوزار إخواني .
 وقيل^(٥) : ليس على المذنب أكثر من التوبة ؛ فكيف يكون على من لا ذنب له أكثر من الاعتذار ؟ !
 وقيل لاعرابي : كم ولدًا^(٦) لك ؟ — قال : لى عند الله خمسة ، وله عندي ثلاثة .

وقال رجل لابن السمّاك : عظمي ! فقال : أحذرك أن تُقدِّمَ على جنة عرضها السموات والأرض ، وليس لك فيها موضع قدم !
 وقال آخر : الويل لمن ضاقت عنه رحمة^(٧) الله التي وسعت كل شيء !
 وقال حكيم : لو رأيتم مسير الأجل لأعرضتم عن غرور الأمل .
 سب رجل حكيماً فأعرض عنه ، فقال له : لك أقول^(٨) . فقال :
 وعنك أعرِض .

كلم رجل [٥١ب] بعض السلاطين بغليظ الكلام فقال : لقد أقدمت على بكلامك . فقال : لأنني^(٩) كلمتك بعز اليأس لا بذل الطمع .
 وقال^(١٠) آخر : عجبت لمن ظلم لغيره كيف ينصف من نفسه ! وعجبت لمن أنصف من نفسه كيف يظلم لغيره !

-
- (١) ف : على .
 (٢) ف : لبعض الناس : لم تجتمع ...
 (٣) ص : حليم .
 (٤) وكان صديقاً له : وردت في ص
 (٥) ف : وقال .
 (٦) ص : ولد ، وكذا في ف .
 (٧) ص : برحمة .
 (٨) ص : لقول \ له : ناقصة في ط .
 (٩) ف : اني .
 (١٠) ط : وقال آخر : عجبت لمن أنصف ...

وقال الحسن البصرى : الدنيا جيفة والناس كلابها .
 وقال : من لم يقف مواقف التهمة لم يكن له أجر الغيبة .
 وقال الحسن بن على عليهما السلام (١) : الحمد لله الذى لو كلف (٢)
 الجزع على المصيبة لصرنا إلى معصيته ، وآجرنا على الصبر الذى لا بد من
 الرجوع إليه .
 وقال (٣) جعفر بن محمد لأصحابه : عليكم بالصبر ! فان به يأخذ الحازم
 وإليه يعود الجازع (٤) .
 وقيل للحكيم : هل تعرف (٥) أجلّ من الذهب ؟ - قال : نعم !
 المستغنى عنه .
 نغزية : إن الماضى قبلك أنت المأجور فيه ، وإن الباقى بعدك هو
 المأجور فيك .
 وقال التيمي (٦) : إن الله تعالى أنعم على المخلوق بقدر قدرته ، وكلفهم
 من الشكر بقدر طاقتهم .
 وقال آخر : أفضل الناس من تواضع عن رفعة ، وتزهد عن ثروة ،
 وأنصف عن قوة .
 وقال رجل لعمر بن عبد العزيز : نحن بخير ما أبقاك الله (٧) .
 فقال : أنت بخير ما اتقيت الله تعالى .

-
- (١) ف : وقال رحمه الله .
 (٢) ص : اكلفنا .
 (٣) لعله : أبو محمد جعفر بن محمد بن نصير البغدادى الخواص ، الخلدى ،
 الزاهد ، شيخ الصوفية - توفى سنة ٣٤٨ هـ - راجع « شذرات
 الذهب » ج ٢ ص ٣٧٨ .
 (٤) وقال الحسن . . . الجازع : ناقص فى ط .
 (٥) ف : أتعرف . . .
 (٦) وجدنا بهذا الاسم : سليمان بن طرخان التيمي : كان من العباد
 المجتهدين ، وكان هو وابنه يدوران بالليل فى المساجد فيصليان
 مرة فى هذا ، ومرة فى هذا حتى يصبحا . وقد مكث فى قبة لبود
 قرابة ثلاثين سنة وتوفى بالبصرة سنة ١٤٣ هـ . - راجع عنه :
 « صفة الصفوة » ج ٣ ص ٢١٨ - ص ٢٢١ .
 (٧) أول ورقة ١٥٢ فى ط .

تزوج بعض الصالحين امرأة^(١) صالحة فقال لها : إني سيء الخلق .
 فقالت له : أسوأ خلقاً منك من يلجئك^(٢) إلى سوء الخلق .
 قال بعض العقلاء : أعقل الناس أعذرهم عند الناس .
 وقال آخر : من لم يتحرز من علمه بعقله هلك من قبل علمه .
 قيل للأعمش^(٣) : يا أبا محمد ! إنك لتحب^(٤) الدرهم - فقال :
 [٥٢] إنما أحب الاستغناء عن مثلك .

< من إشارات الصوفية >

من عجيب إشارات الصوفية أن بعضهم سمع قوماً يقرأون القرآن فقال :
 ويحكم ! « لا تفترؤا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب »^(٥) .
 وسأل بعضهم صديقاً له غنياً المواساة^(٦) فقال : لك رب فاطلب منه .
 فقال الصوفي : إني لأستحي من ربي أن أطلب منه سواه .
 وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : إذا أحرزت^(٧) النفس
 قوتها اطمأنت - فقال : قوتها معرفة الله عز وجل . - وسئل^(٨) عن الزاهدين
 من هم ؟ فقال : كلكم زاهدون في الله عز وجل^(٩) .

-
- (١) ف : بامرأة .
 (٢) ص : يلجبك / ط : سوء .
 (٣) الأعمش لقب الامام : أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي .
 روى عن ابن أبي أوفى وأبي وائل . وكان محدث الكوفة وعالمها ،
 واسع الباع في الفرائض وحفظ الحديث « توفي في ربيع الأول
 سنة ١٤٨ هـ - راجع عنه « شذرات الذهب » ج ١ ص ٢٢٠
 ص ٢٢١ ؛ « المعارف » لابن قتيبة ص ٢١٤ (وفيه أنه ولد يوم
 مقتل الحسين بن علي ، في عاشوراء سنة احدى وستين) .
 (٤) ف : تحب الدرهم .
 (٥) سورة « طه » آية ٦١ - ويسحتكم (بضم الياء وتقرأ بفتحها وفتح
 الحاء) : يستأصلكم .
 (٦) ص : من صديق له غنى عن المواساة - والتصحيح عن ف .
 (٧) ص : أحرزت .
 (٨) وسئل عن الزاهدين . . . عز وجل : ناقصة في ص .
 (٩) ف : الله تعالى .

وسُئِلَ عن الأنس فقال : وحشتك من نفسك .

وقال آخر : لو أن الدنيا مملوءة حيات وعقارب وسباعاً^(١) وأفاعي ما خفتها ؛ ولو بقى فيها من البشر^(٢) واحد لحفته لأن البشر شر منها .

وقال آخر : إلهي ! إن قصدتك أتعبتني ، وإن هبت منك طلبتني ؛ ليس معك راحة ، ولا في سواك أنس ، فالمستغاث بك منك ! — وهذا يشبه قول الآخر : يا عجبا كل العجب ! أشكو إليه منه ، وأهرب منه إليه ، وأستعين به عليه ، وأتوب منه إليه ، وأطيعه به ، فكله هو .

وقال آخر : من عرف مقدار ما يطلب هان عليه ما يبذل .

وسئل بعضهم عن قول الله عز وجل : « وأما السائل فلا تنهر »^(٣) — قال : هو سائل العلم . وفي القرآن مثله : « عبس وتولى . . . »^(٤) وما يليه .

وسئل عن قول النبي عليه^(٥) السلام : « إذا رأيتم أهل البلاء فاسألوا ربكم العافية ! » — فقال : هم أهل الغفلة عن ذكر الله تعالى^(٦) .

وقال في قوله تعالى جده : « ولقد هممت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه »^(٧) فقال : أوجده المهمة [٥٢ب] ليزوق طعم العصمة .

نظر بعض الملوك إلى ملكه فأعجبه فقال : إنه للملك لولاً أن بعده لهلك ، وإنه لسرور لولاً أنه غرور ، وإنه ليوم لو كان يوثق له بغداد .

وقال بعضهم : أعظم حجاب العارفين الحنة . فقيل^(٨) : ولم ؟ فقال^(٩) : لأن الاشتغال بها وبذكرها عن الحق نفسه هو^(١٠) المصيبة الكبرى . قيل له : ولم تكره الحنة ؟ قال : لأنها خرجت من تحت ذلكن .

(١) وأفاعي : ناقصة في ص ، ف .

(٢) ط : واحد من البشر .

(٣) سورة « الضحى » آية : ١٠ — قول الله : في ط : قوله .

(٤) سورة « عبس » آية : ١ . (٥) ف : صلى الله عليه وآله وسلم .

(٦) تعالى : ناقصة في ط/ف : الله عز وجل .

(٧) سورة « يوسف » آية : ٢٤ . (٨) ف : قيل .

(٩) ص : قال . — الاشتغال : نهاية الورقة ٥٢ ف في ط .

(١٠) هي : في ص .

روى أن بعض الأنبياء أتاه مَلَكٌ ، فقال : قد جئتُك بالعقل والدين والعلم
 فاختَرِ أيها^(١) شئت ! — فاختار العقل . فقال الملك : الدين والعلم ارتفقا^(٢)
 فقالا : أمرنا ألا نفارق العقل . وقد أجمع العلماء على أن من لم يكن عقله أكمل
 ما فيه كان هلاكه بأكمل ما فيه . يحكى أن أبا ربيعة النحوى قال : حدثت
 بهذا الحديث الأصمعى^(٣) فقال : هذا حسن ؛ وعندى آخر يشبهه :
 كانت العرب تقول : من كانت فيه خصلة هي أكمل من عقله فبالحرى أن
 تكون سبب منيته . فحدثت بهذين الحديثين أبا عبيدة^(٤) فقال : هما حسنان ؛
 وعندى أحسن منهما : كانت العرب تقول : من لم يكن عقله أغلب خصال
 الخير عليه كان حتفه فى أغلب خصال الخير عليه . فحدثت بهذه الأحاديث
 أبا دلف^(٥) فقال : هذه حسان ، وعندى آخر يشبهها : كان العلماء يقولون :
 كل شيء إذا كثر رخص ، إلا العقل : فانه إذا كثر غلا .
 فأما حديث الخليل بن أحمد لما اجتمع مع ابن المقفع وما قال أحدهما للآخر^(٦)
 فهو مشهور^(٧) .

- (١) ف : أيهما . (٢) ف : ارتفعا .
 (٣) أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى الباهلى ، تلميذ أبى عمرو بن
 العلاء وخلف الأحمر ، ولد سنة ١٢٣ وعاش نيفا وتسعين سنة —
 راجع ابن الأنبارى ١٥٠ ، ابن خلكان ٣٥٢ ؛ بروكلمن ١٠٤/١ .
 (٤) أبو عبيدة هو معمر بن المثنى ، مولى لتيم قريش ، وكان عالما بأخبار
 العرب وأيامهم ، وكان مع ذلك يبغض العرب ، شعوبيا متعصبا ،
 ألف فى مثالب العرب كتابا ؛ وكان يرى رأى الخوارج ، توفى
 سنة ٢١٠ أو ٢١١ — راجع عنه : « المعارف » لابن قبيبة ص ٢٣٦
 (طبع مصر سنة ١٩٣٥) ؛ ابن خلكان ، ترجمة رقم ٧٠٢ ، شذرات
 الذهب ٢٤/٢ ؛ بروكلمن ١٠٢/١ ؛ ابن الأنبارى ص ١٣٧ الخ .
 (٥) أبو دلف : لعله أبو دلف القاسم بن عيسى ، العجلي ، أحد قواد المأمون
 ثم المعتصم ، وكان جوادا شجاعا ، أخذ عنه الأدباء والفضلاء ،
 توفى سنة ٢٢٥ أو سنة ٢٢٦ ببغداد — راجع ابن خلكان ، ترجمة
 رقم ٥١١ . (٦) ف : فى الآخر .
 (٧) أورده ابن خلكان (ج ٢ ص ١٧) هكذا : « اجتمع الخليل وعبد الله
 بن المقفع ليلة يتحدثان الى الغداة . فلما تفرقا قيل لل خليل : كيف
 رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلا علمه أكثر من عقله . وقيل
 لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : رأيت رجلا عقله أكثر
 من علمه » .

وأوحى الله تعالى إلى [١٥٣] بعض الأنبياء : لا تسكر ، فان السكر يذهب عنك أحب خلقى إلى وهو العقل .

وأوحى إلى بعض الأنبياء : إذا قصدنى عبدى فقد وصل إلى .

وقال بعض العلماء : لأن يطلب الرجل الدنيا بأقبح ما تطلب به الدنيا أحسن من أن يطلبها بأحسن ما تطلب به الآخرة .

رأى محمد بن واسع^(١) رجلاً يضحك فقال له : لو رأيت فى الخنة رجلاً يبكى ، ألسنت كنت تتعجب منه ؟ — قال : بلى ! — قال : فالذى يضحك فى الدنيا ولا يدرى إلى أين مصيره أعجب منه .

غاية البطل الراى أن يقتل سهمه رجلاً واحداً ، لكن كيد العاقل يقتل برمية واحدة الجيش بأسره .

وقال بعض الأمراء لوزيره : مُرَّ جُباة الأموال بالرفق وترك الخرق ، فان العَلَقَة تنال من الدم بغير أذى ولا سماع صوت ما لاتناله البعوضة بحرق لسانها^(٢) وهول صوتها .

ألفاظ لبعض الملوك الأدباء

الحرص ينقص قدر المرء ولا يزيد فى حظه . الحسد والكذب والنفاق أُنَافِئُ الذل . الجزع أتعب من الصبر . عود الحياة كل يوم يعتصر . من أرخى عنان أمله عثر بأجله . المقتصد أطول أكلاً وأدوم فضلاً . شر السلاطين من خافه البرى . إصلاح المال خير من طلبه . الأمل سلطان الشيطان على قلوب الغافلين .

...

مكتوب فى التوراة : « أطعنى فيما أمرتك — فما أعرفنى بما يصلحك ! »

(١) أبو عبد الله محمد بن واسع : زاهد كثير الخشوع ، مستمر البكاء حتى كان وجهه يرى كأنه وجه ثكلى ، وروى عن جمع من التابعين . مات بعد الحسن البصرى بعشر سنين ، أى كأنه توفى سنة ١٢٠ هـ . راجع عنه « حلية الأولياء » ج ٢ ص ٣٤٥ — ص ٣٥٧ ؛ « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٦١ — ص ١٦٢ .

(٢) ف : لسعتها .

يقال^(١) إن أول حرف كتب في الزبور^(٢) : « طوبى لرجل لم يسلك طريق الخطائين ، ولم يعمل أعمال المذنبين » . — وأول حرف كتب في الألواح من التوراة : « ويل للظلمة » .

ومما يؤثر في الوحي القديم : يقول الله تعالى^(٣) : يا ابن آدم ! لو أن لك الدنيا كلها [٥٣هـ] لم يكن لك منها إلا القوت . فإذا أنا أعطيتك القوت منها وجعلت حسابها على غيرك فأنا إليك محسن .
وقال بعضهم : أعيأ^(٤) ما يكون الكريم إذا سأل حاجة لنفسه ، وأعيأ ما يكون الحكيم إذا خاطب سفيهاً !

وكانوا^(٥) يقولون : الصبر صبران : صبر عما^(٦) تهوى ، وصبر على ما تكره . ثم اختلفوا : فقال بعضهم^(٧) : الصبر عما تهوى أفضلهما ، وقال آخرون : الصبر على ما تكره أفضلهما .
أتى رجل مطيع بن إياس^(٨) فقال : جئتكم خاطباً مودتكم ! — فقال له^(٩) مطيع : فاجعل المهر أن لا تقبل في قول الناس .

وقال عبد الله بن صالح^(١٠) : دخل على طاووس وأنا مريض فقلت له : يا أبا عبد الرحمن ! ادع الله لي ! فقال : ادع لنفسك فإنه يجيب المضطر إذا دعاه . وقال الأحنف : الشكر في ثلاثة^(١١) منازل : محبة في القلب ، وثناء باللسان ، ومكافأة بالفعل .

-
- (١) ان : ناقصة في ف .
(٢) راجع « مزامير داوود » في الكتاب المقدس : أصحاح ١ ، آية : ١ .
(٣) ف : تبارك وتعالى . (٤) ف : أغنى .
(٥) ص : كان . (٦) ص : على عما !
(٧) بعضهم : ناقصة في ص .
(٨) شاعر يعد أول المجديدين في عصره ، كان أبوه من فلسطين وممن أرسلهم عبد الملك لقتال ابن الزبير وابن الأشعث ، ولد مطيع ونشأ في الكوفة ، وبرز في عهد الوليد بن يزيد ؛ ثم حظا برضا المنصور ، وتوفي في رجب سنة ١٧٠ هـ \ يناير سنة ٧٨٧ - راجع عنه « الاغانى » ج ١٢ ص ٨١ - ص ١١١ (ط ١) أو ٧٥ - ١٠٥ (ط ٢)
(٩) له : ناقصة في ف . (١٠) ص : أبى صالح .
(١١) ص : ثلاث .

وقال محمد بن الحنفية في قوله عز وجل (١) : « فاصبر صبراً جميلاً » (٢) - قال : صبراً لا يشوبه الشكوى إلى الناس . فقال : ومن شروط الصبر أن تعرف كيف تصبر ، ولمن تصبر ، وما تريد بصبرك ، وإلا كنت كالبهيمة تصبر أو تضطرب من غير معرفة بحقوق الصبر ولا وضعه في موضعه .

جُعِلَ لرجل جُعِلَ على أن يسفه الأحنف ، فأتاه ، فقال له (٣) : يا أبا بحر ! لا حياك الله - فضحك ، وقال : هل لك في طعام (٤) أو شراب ؟ فانك تحذو بجمل ثقال - وجعل لآخر شيء على أن (٥) يستخفه ؛ فأتاه فأوسعته شئاً ، فتبسم وقال : ما أعلمهم أين وضعوا خطرهم . - وعابه رجل بالدمامة وقال : لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه - فقال : لقد عبتني بمالم وأمر فيه .

كان أكرم بن صيني يقول : من إكرام الرجل نفسه ألا يتكلم بكل ما قد أحاط به علماً . والعرب تقول : رب [١٥٤] كلمة تقول : دعني ! وكان في محراب غمدان مكتوباً (٦) بالسند : في صدره : سلط السكوت على لسانك إن كانت العافية من شأنك ، وفي الجانب الأيمن منه : السلطان نار فانحرف عن مكافحتها ؛ وفي الجانب الأيسر منه : ولَّ الشكل (٧) أمَّ غيرك . وقيل لعيسى عليه السلام : دلنا على صالح عمل نستحق به الثواب ! فقال : لا تنطقوا أبداً ! فقالوا : وكيف نستطيع ذلك ؟ فقال : فلا تنطقوا (٨) إلا بخير .

وقال حكيم : إنما حمد الناس السكوت لأنه وعاء الأخبار (٩) ، وتأولوا قولهم : لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب : إن الكلام لو كان في طاعة الله من فضة لكان السكوت والامساك عن معاصيه من ذهب .

(١) سورة « المعارج » آية : ٥٥ .

(٢) ص : فاصبر الصبر الجميل - والتصحيح بالهامش .

(٣) له يا : ناقصة في ف .

(٤) ف : و . (٥) ف : أنه .

(٦) ص : مكتوب / ف : غمدان - راجع عن غمدان وقصر غمدان :

« معجم البلدان » لياقوت ج ٦ ص ٣٠١ - ص ٣٠٣ .

(٧) ص : الكلل أمر . (٨) ف : لا . (٩) ف : الاختيار .

وحكى الخليل بن أحمد^(١) عن بعض الملوك ممن طال عمره في ملكه ،
وقد جرى بين يديه^(٢) ذكر الندم — على أى شئ أندم ؟ — قال : على اجتهادى
في رضا من لا شكر له .

وكان المأمون يقول : إنما يراد الملك لنفاذ الأمر ، وإنما يراد نفاذ الأمر
لتحاز به الدنيا ، وإنما تحاز الدنيا لتعطى المستحقين ؛ وإلا ، فما قدر حظك
منها ؟ !

وقال بعض الصحابة : ما كذبت^(٣) منذ أسلمت ، إلا أن الرجل
يدعوني إلى طعامه فأقول : ما أشتهي .

وقيل لرقبة^(٤) بن مصقلة : إنك لتكثر^(٥) الشك في الحديث . فقال :
تلك محاماة على اليقين .

وقيل لبعضهم : ما أحسن بالإنسان أن يصبر عما يشهى ! فقال : أحسن
منه ألا يشهى إلا ما ينبغي . وقد قيل : إن من العصمة أن لا تجد .

وقال عبد الله بن مسعود^(٦) : اجعلوا بينكم وبين الحرام حاجزاً من
الحلال .

(١) أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد ، الفراهيدي ، النحوى اللغوى
الشهير ، وأول من استخرج العروض ، وكان زاهداً وكان شاعراً
مقلاً . توفي بالبصرة سنة ١٧٠ وعمره ٧٤ سنة — راجع :
« الفهرست » لابن النديم (ص ٦٣ — ص ٦٤ ، طبع مصر) ، ابن
خلكان (رقم ٢٠٦) ، ياقوت ١٨١/٤ بروكلمن الملحق ج ١ ص ١٥٩ الخ .

(٢) بين يديه : ناقصة في ص .

(٣) ص : مذ — وما أثبتناه عن ف .

(٤) رقبة من مصقلة بن عبد الله العبدى ، الكوفى ، أبو عبد الله . روى عن
أنس فيما قيل ، ويزيد ابن أبى مريم وأبى اسحق . محدث ثقة ؛
وكان مفوهاً ، وقال الدارقطنى : ثقة إلا أنه كانت فيه دعاة — راجع
عنه : « تهذيب التهذيب » ج ٣ ص ٢٨٧ ؛ توفي سنة ١٢٩ على
ما رواه ابن الأثير .

(٥) ف : الكثير .

(٦) ف : رضى الله عنه .

وقال حميد الطويل^(١) لسليمان^(٢) بن علي ، وهو والى البصرة ، يعظه :
لئن^(٣) كنت [٥٤هـ] إذا عصيت ربك ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر
عظيم ، ولئن ظننت أنه لا يراك لقد كفرت .

قرأت في بعض الكتب المنزلة أنه : ليس بنافعك ما تعلم إذا لم تعمل بما
علمت — مثل ذلك مثل رجل حزم حزمة حطب فأراد حملها فلم يطق فوضعها
وجمع إليها .

وقال المسيح عليه السلام : أبغض العلماء إلى الله عز وجل الذي يحب
الذكر وأن يوسع له في مجالس العظماء ويدعى إلى الطعام . وحقاً أقول : لقد
تعجلوا أجورهم في الدنيا .

وقيل : أشد الناس عند الموت ندماً العلماء المفرطون^(٤) .

وقالوا^(٥) : تعلم قول : « لا أدرى ! » — فانك إن قلت : « لا أدرى »
علموك حتى تدري ؛ وإن قلت : « إني أدرى » سألوكم حتى لا تدري . وما أحد
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أسألوني ! » إلا على بن أبي
طالب عليه السلام .

(١) حميد الطويل : أحد الثقات التابعين البصريين ، وكنيته أبو عبده ؛
وكان شديد المجاهدة مكث أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ،
ويصلي الفجر بوضوء العشاء . توفي في سنة ١٤٣ هـ . — راجع عنه
« شذرات الذهب » ج ١ ص ٢١١ .

(٢) سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، القرشي ،
الهاشمي ، أبو أيوب ، المدني وقيل : البصري — عم أبي العباس
السفاح وأبي جعفر المنصور . ولى الموسم في خلافة السفاح ، وولى
البصرة وغيرها للمنصور ، توفي في البصرة سنة ١٤٢ هـ — راجع
الطبري حوادث عام ١٤٢ هـ ، « وطبقات » ابن سعد ، الطبقة الرابعة
من أهل المدينة ، و « تهذيب الكمال » ورقة ٢٧٤ ب ، و « شذرات
الذهب » ج ١ ص ٢١٠ .

(٣) ف : ان .

(٤) ف : المضطرون .

(٥) ف : وقال .

قال سهل^(١) بن أسلم العدوى في قول الله^(٢) عز وجل : « وأما السائل فلا تنهر^(٣) » - إنه ليس سائل^(٤) طعام ولكنه سائل علم^(٥) .

وقال أبو الدرداء^(٦) يوماً : يا أهل دمشق ! أما تستحيون ؟ ! تجمعون ما لا تأكلون ، وتبنون ما لا تسكنون ، وتأملون ما لا تبلغون ! قد كانت الملوك قبلكم يجمعون فيوعون ، ويأملون فيطيلون ، ويبنون فيوثقون ، فأصبح جمعهم بورا ، وأملهم غرورا ، وبيوتهم قبورا . هذه عاد قد ملأت ، ما بين عدن إلى عمان ، أموالا وأولاداً ، فمن يشتري من تركة عاد بدرهمين ؟ !

وكان يقول : من لم يكن غنياً عن الدنيا فلا دنيا له .

وقيل لمحمد بن سيرين^(٧) : كيف أصبحت ؟ - فقال : كيف يصبح من يرحل في كل يوم إلى الآخرة مرحلة ؟

وقال وإلى البصرة للملك بن أنس^(٨) : ادع الله [٥٥] لي ! - قال : بالباب مظلوم يدعو عليك .

قال مجاهد في قوله تعالى : « وأولى الأمر منكم^(٩) » - قال : هم ذوو العقل .

-
- (١) سهل بن أسلم العدوى ، أبو سعيد ، البصري ، مشهور ثقة ، توفي سنة ١٨١ - راجع « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٢٤٦ .
- (٢) ف : الله تعالى . (٣) سورة « الضحى » آية : ١٠ .
- (٤) ف : بسائل . (٥) ص : وانما هو العلم .
- (٦) أبو الدرداء الخزرجي الزاهد الحكيم ، أسلم بعد بدر ؛ وولى قضاء دمشق لمعاوية في خلافة عثمان . توفي سنة ٣٢ هـ - راجع « شذرات الذهب » ج ١ ص ٣٩ ؛ « المعارف » لابن قتيبة ص ١١٦ (طبع القاهرة سنة ١٩٣٥) ؛ « صفة الصفوة » ج ١ ص ٢٥٧ - ص ٢٦٥ .
- (٧) أبو بكر محمد بن سيرين ، شيخ البصرة وامام المعبرين للرؤيا ؛ وكان أبوه عبداً لأنس بن مالك ، وكان هو كاتب أنس بن مالك بفارس . ولد سنة ٣٣ هـ ، وتوفي في سنة ١١٠ هـ - راجع عنه « شذرات الذهب » ج ١ ص ١٣٨ - ص ١٣٩ .
- (٨) ف : لأنس بن مالك .
- (٩) سورة « النساء » آية : ٦٢ - ومجاهد هو الامام أبو الحجاج مجاهد ابن جبر ، المفسر المشهور ، وقد قال : عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة . مات بمكة وهو ساجد سنة ١٠٣ هـ عن ثلاث وثمانين سنة .

وقال معاوية : ما غضبي على من أملك ! وما غضبي على من لا أملك !
أثنى رجل على محمد بن واسع فقال له محمد : يا هذا ! إن الذنوب لو
كان لها ريح لما^(١) استطعت أن تدنو مني .

وقال ابن السماك : إن أناساً غرهم السر وفتنهم الثناء ، فلا يغلبن عليك
جهل غيرك بنفسك .

وقال آخر : ما أحب أن يعرفني بطاعة الله غيره .

وقال أيوب السخيتاني^(٢) : ما صدق الله عبداً إلا سره ألا يشعر بمكانه .

وقال آخر : اعتزل الشر يعتزلك الشر ، فان الشر يسرع إلى الشر .

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! دلني
على عمل إذا عملته أحبنى الله^(٣) وأحبنى الناس ! فقال : ازهد في الدنيا يحبك
الله ، وازهد فيما^(٤) في أيدي الناس يحبك الناس . ليس بين الجنة والنار منزل
ينزله العباد ، فرحم الله امرأاً اختار لنفسه^(٥) أفضلهما !

ما اخترته من وصايا لقمان لابنه

اغلب غضبك بحلمك ، ونزقك بوقارك ، وهواك بتقواك ، وشكك
بيقينك ، وباطلك بحقك ، وشحك بمعروفك .

كن في الشدة وقوراً ، وفي المكارة صبوراً ، وفي الرخاء شكوراً ، وفي
الصلاة متخشعاً ، وإلى الصدقة متسرعاً .

لا تُهن من أطاع الله ، ولا تكرم من عصى الله ، ولا تدع ما ليس لك ،
ولا تجحد ما عليك .

(١) ف : ما .

(٢) هو فقيه أهل البصرة ، كان من صغار التابعين ، متضلعا في الفقه ،
ومن أشد الفقهاء أتباعاً للسنّة ، واسمه : أبو بكر أيوب بن أبي
تسمية كيسان السخيتاني البصري . توفي سنة ١٣١ هـ - راجع
عنه : « شذرات الذهب » ج ١ ص ١٨١ .

(٣) ف : الله تعالى فقال . (٤) ف : في الذي .

(٥) لنفسه : ناقصة في ف .

لا تعترض بالباطل^(١) ، ولا تستحي من الحق ، ولا تقل ما لا تعلم ، ولا تتكلف ما لا [٥٥ب] تطيق ، ولا تتعظم ، ولا تختل ، ولا تفخر ، ولا تضجر ، ولا تقطع الرحم ، ولا تبين^(٢) الحار ، ولا تشمت بالمصائب ، ولا تدع السر^(٣) ، ولا تغتب ، ولا تحسد ، ولا تنبز ، ولا تهمز . وإن أسيء إليك فاغفر ، وإن^(٤) أحسن إليك فاشكر ، وإن ابتليت فاصبر . احفظ العبر واحذر الغير^(٥) . انصح المؤمنين ، وعدّ مرضاهم ، واشهد جنائزهم ، وأعن فقراءهم . أقرض خلطاءك ، وأنظر غرماءك ، والزم بيتك ، واقنع بقوتك . تخلق بأخلاق الكرام ، واجتنب أخلاق اللثام .

اعلم يا بني أن المقام في الدنيا قليل ، والركون إليها غرور ، والغبطة فيها حلم . فكن سمحاً سهلاً ، قريباً أميناً ، وكلمة^(٦) جامعة : اتق الله في جميع أحوالك ، ولا تعصه في شيء من أمورك .

..

كان الحسن البصري يقول : ذكر النعمة شكر .

كان يزيد^(٧) الرقاشي يعظ إخوانه ويقول : إنه ليخيّل إليّ أن كلامي لو نجع في قلبي لنجع في قلوبكم . لكن كيف بالقاتل إذا كان مدخولاً ! خذوا الذهب من الحجر ، واللؤلؤ من البحر ، والكلمة الطيبة بمن قالها وإن لم يعمل بها .

(١) ص : الباطل . (٢) ف : تنكس .

(٣) ص : السر .

(٤) ص : فان \ وإن أحسن ... فاصبر : ناقصة في ف .

(٥) ف : وانصح .

(٦) ف : وكله اتق الله تعالى .

(٧) يزيد بن أبان الرقاشي : قال عنه المناوي في « الكواكب الدرية »

(ج ١ ص ١٨١ . القاهرة سنة ١٩٣٨) : « العالم الباكي ، الصائم

الظامي ... جوع نفسه ستين سنة حتى ذبل بدنه » . توفي

سنة ١٢٩ هـ (سنة ٧٤٦ م) . راجع عنه « الحلية » لأبي نعيم

ج ٣ ص ٥٠ - ص ٥٤ ، « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٨١ .

وقال خالد بن صفوان^(١) : رأيت رجلاً شتم عمرو بن عبيد فما بقي شيئاً ، فلما سكت قال له عمرو : آجرك الله على الصواب ، وغفر لك الخطأ . — قال خالد : فما حسدتُ أحداً حسدى له على حلمه وكلمته^(٢) .
وقال بشر بن^(٣) الحارث : من سأل الله^(٤) الدنيا فأنما يسأل طول الوقوف .

وقال سفيان : إذا أردت أن تعرف قدر الدنيا فانظر عند من هي .
وقال آخر : ما فاتك من الدنيا فهو^(٥) غنيمة .
وسئل الحسن عن قول الله عز وجل : « إن الذين يشترون [١٥٦] بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً »^(٦) — ما الثمن القليل ؟ قال : الدنيا بخذاً فبرها .
وقال : الدنيا تطلب الهارب منها ، وتهرب من الطالب لها . فإن أدركت الهارب منها جرحته ، وإن أدركها الطالب لها^(٧) قتلته .
ويحكى أن بعض أهل البطالة مر بالمسيح عليه السلام ، وقد توسد حجراً ، فقال : يا عيسى ! قد رضيت من الدنيا بحجر ! — فقذف به إليه وقال : هذا لك مع الدنيا ! لا حاجة لى فيه .
وقال آخر : اعمل للدنيا على قدر مكثك فيها ، وللآخرة كذلك + .
ويحكى عن الوحي القديم أن الله تعالى يقول : إذا أحب العالم الدنيا نزعتُ لذة مناجاتي من قلبه .

(١) خالد بن صفوان قصيدة سمتها الغرب « العروس » توجد مع شرحها ضمن مجموعة برقم ٦١ بالخزانة المتوكلية بصنعاء (فهرس المكتبة المتوكلية ، ٢٩٢) راجع بعد ص ١٨٤ تعليق ! .

(٢) ف : كلمته وحلمه .

(٣) أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال ، المروزي ، المعروف بالحنافي : صوفي مشهور ، أصله من مرو ، ولد سنة ١٥٠ هـ (٧٦٧ م) وتوفي في بغداد أو مرو سنة ٢٢٦ أو ٢٢٧ هـ (٨٤٠ - ٨٤١ م) . راجع عنه ابن خلكان ج ١ ص ٢٤٨ - ص ٢٥١ ، و « الحلية » لأبى نعيم ج ٨ ص ٣٣٦ - ص ٣٦٠ ، و « الكواكب الدرية » ج ١ ص ٢٠٨ - ص ٢١٢ .

(٤) ف : عز وجل . (٥) ص : فهي .

(٦) سورة « آل عمران » آية : ٧١ . (٧) لها : ناقصة فى ف .

(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص فى ص ، ووارد فى ف .

مر عبد الله بن المبارك^(١) برجل واقف بين مقبرة ومزبلة فقال : يارجل ! إن عندك كنزين من كنوز الدنيا ، بينهما معتبر : كنز الأموال ، وكنز الرجال . وتحدث إسحق بن ابراهيم الموصلي ، قال : قال لي حمزة^(٢) القارى : يا إسحق ! إن لي فيك رأياً : أترضى - مع فهمك وأدبك ورأيك - أن يكون عوضك من الآخرة فضل مطعم على مطعم ؟ وقال الحسن البصرى : رُبَّ هالكٍ بالثناء عليه ، ومغرور بالسَّتر عليه^(٣) ، ومستدرج بالامهال له !

وقال آخر : من ذا الذى بلغ جسيماً فلم ييطر ، واتبع الهوى فلم يعطب ، وجاور النساء فلم يفتن ، وطلب^(٤) إلى اللثام فلم يهن ، وواصل الأشرار فلم يندم ، وصحب السلطان فدامت سلامته ؟ ! وقال : أسوأ الرجال حالا من لا يثق بأحد ، ولا يثق به أحد ، لسوء فعله . وقال أمير المؤمنين^(٥) على عليه السلام : إن أخيب الناس سعيّاً وأخسرهم صفقة [٥٦ هـ] رجل أتعب بدنه فى آماله ، وشغل بها عن معاده ، فلم تساعده المقادير على إرادته ، وخرج من الدنيا بحسرتة ، وقدم على^(٦) آخرته بغير زاد .

(١) عبد الله بن المبارك : هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح ، المروزي : جمع بين العلم والزهد ، وتفقه على سفيان الثوري ومالك ابن أنس ، شديد الورع ، محب للخلوة . ولد فى مرو سنة ١١٨ هـ (٧٣٦ م) ، وتوفى فى هيت سنة احدى (وقيل اثنتين) وثمانين ومائة (٧٩٧ - ٧٩٨ م) . راجع عنه ابن خلكان ج ٢ ص ٢٣٧ ص ٢٣٩ ، المناوى : « الكواكب » الدرية » ج ١ ص ١٣١ - ص ١٣٣ ، أبو نعيم : « حلية الأولياء » ج ٨ ص ١٦٢ - ص ١٩١ .

(٢) حمزه : هو أبو عمارة حمزة بن حبيب بن عمارة بن اسماعيل ، الكوفى المعروف بالزيات : أحد القراء السبعة ، وعنه أخذ الكسائى ، وأخذ هو عن الاعمش ، توفى سنة ١٥٦ هـ (٧٧٢ م) . أما اسحق بن ابراهيم الموصلى فلا يمكن أن يكون المغنى المشهور لأن هذا ولد سنة ١٥٠ هـ ، ويمكن أن يكون أباه أبا اسحق ابراهيم بن ماهان الذى ولد بالكوفة سنة ١٢٥ هـ وتوفى ببغداد سنة ١٨٨ هـ ، وإذا صح ذلك كان يجب تصحيحه هكذا فى نصنا : أبو اسحق بن ابراهيم . . .

(٣) ص : بالسَّتر ومستدرج بالامهال عليه .

(٤) ف : وطالب . (٥) على : ناقصة فى ف .

(٦) ف : بغير زاد على آخرته .

قيل لبعض الصحابة : ما فعل أهلك وعشيرتك ؟ - فقال : أكلهم الدهر
الذى لا يشيع .

وقال (١) : قبح الله الدنيا ! فإنها إذا أقبلت على إنسان أعطته محاسن غيره ،
وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه .

وقال المسيح عليه السلام لقوم غلّوا فيه : إني أصبحت لا أملك نفع (٢)
ما أرجو ، ولا أستطيع دفع ما أحذر ، وأنا مرتن بعملى ، والخير كله بيد غيرى :
فأى فقير أفقر منى ، وأى عبد أحوج إلى مولاه منى !
أسمّح رجل الأحنف فأكثر ؛ فلما سكّت ، قال الأحنف : يا هذا !
ما ستر الله أكثر .

وقال الأحنف (٣) : العجلة فى خمسة أشياء محمودة : فى الكريمة إذا خطبها
كفو أن تزفها ، وفى الميت حتى تخرجه ، وفى عيادة المريض حتى تخرج من
عنده ، وفى الصلاة إذا دخلتها (٤) حتى تؤديها ، وفى الضيف إذا نزل (٥) حتى
تدنى إليه الطعام .

وقال آخر : الفاضل يجنب مجلسه ثلاثاً : الدعابة فإنها تحدث الإحنة ،
وذكر النساء فإنه سخر فى المروعة ، والإفاضة فى ذكر الطعام فإنه ينجر عن
نفسه (٦) بالدعابة .

(١) ورد هذا القول فى « نهج البلاغة » ج ٢ ص ١٤٠ (طبعة الحلبي ،
القاهرة) هكذا : « وقال ع : إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن
غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه » - أى أن هذا القول
ينسب الى على بن أبى طالب .

(٢) نفع : ساقطة من ف .

(٣) هو الأحنف بن قيس التميمي السعدي : من سادات التابعين ، يضرب
به المثل فى الحلم . أدرك عهد النبى ، وأسلم قومه بأشارته ، وكان
لا يحسد أحدا ولا يبغي على أحد ، وكان من أعظم الناس سلطانا فى
قيامه على نفسه . توفى سنة ٧٢ هـ . راجع عنه « شذرات الذهب »
ج ١ ص ٧٨ .

(٤) إذا دخلتها : ساقطة من ف .

(٥) ف : نزل بك .

(٦) رجل رغب الجوف : إذا كان أكولا ، والفعل : رغب يرغب (من باب
كرم) رغبة .

وقال الحسن : لله يوم الحكم فيه بالقسط ، وبالحزاء عن الأعمال ، والقصاص من الحسنات (١) .

قال (٢) رجل لوزير : لئن أصبحت الدنيا (٣) بك مشغولة ، لتمسين منك فارغة .

وقيل لأعرابي (٤) : يَمَّ ساد فلان قومَه ؟ - قال : بحسبٍ لا يطعن عليه ، ورأى لا يستغنى عنه .

أتى عمر بن الخطاب (٥) - رحمه الله - بنائحة قد بلبت (٦) فقال : أبعدها الله ! إنه لا حرمة لها ، ولا حق عندها ، ولا نفع معها . [١٥٧] الله تعالى أمر بالصبر وهي تنهى عنه ، ونهى عن الجزع وهي تأمر به . تريق دمها ، وتبكي شجوا غيرها ، وتحنز الحى ، وتؤذى الميت .

وقال الحسن : إن لم تطعك نفسك فيما تحملها عليه مما تكره ، فلا تطعها فيما تحملك عليه مما تهوى .

وقال : العادات (٧) قاهرات : فمن اعتاد شيئاً فى سره وخلواته فضحه فى علانيته عند الملأ .

وروى أن عيسى عليه السلام قال لرجل لا يستحق : « حفظك الله » ! فقيل له : أتقول هذا لمثل هذا ؟ فقال : لسان عود الخير فهو ينطق به لكل أحد .
وقيل للحُصَيْن (٨) : ما السرور ؟ - قال : عقل يقيمك ، وعلم يزينك ، وولد يسرك ، ومال يسعك ، وأمن يريحك (٩) ، وعافية تجمع لك المسرات .
فقيل له : ما اجتمعت لأحد . فقال : ولو اجتمعت ما دامت .

(١) ف : الحساب . (٢) ف : وقال .

(٣) بك : ناقصة فى ف . (٤) ص : بما .

(٥) ف : رضى الله عنه .

(٦) بلبل القوم بلبلة ولبالا : حركهم وهيجهم - وفى ف : تلتلت - والتلتلة : التحريك والاقلاق والزعزعة .

(٧) ص : العاديات ، والتصحيح بالهامش .

(٨) لعله الحصين بن عبد الرحمن السلمى الكوفى الحافظ ، المتوفى سنة ١٣٦ هـ عن ثلاث وتسعين سنة - راجع « شذرات الذهب » ج ١ ص ١٩٣ - ص ١٩٣ .

(٩) ف : يسرك وأمن يريحك ومال يسعك ، وعافية ...

وقال بكر بن عبد الله المزني^(١) : إن الله أمر بطاعته وأعان عليها ولم يجعل في تركها عذراً ، ونهى⁺ عن المعصية وأغنى عنها ولم يجعل في ركوبها عذراً⁺ .
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضل العلم خير من فضل العبادة .
وقال : مُخَيَّرَ سليمان بن داود بين الملك والمال والعلم ، فاختار العلم .
فأعطى العلم والمال والملك باختياره العلم .
وقال ابن عباس^(٢) : يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات على الذين آمنوا .

ويحكى في مناجاة موسى^(٣) أنه قال : رب ! مَنْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ ؟ -
فقال : العالم الذي يبتغى إلى علمه علماً .

سمع أمير المؤمنين على عليه السلام رجلاً يغتاب^(٤) رجلاً عند ابنه الحسن عليه السلام فقال : يا بني ! نزه نفسك^(٥) وسمعك عنه ! فانه نظر إلى [٥٧هـ] أخبث ما في وعائه فأفرغه في وعائك .

وقال سفيان^(٦) الثوري : إذا لم يكن^(٧) لله في العبد حاجة خلى بينه وبين الدنيا .

(١) ص : المرى - وهو تحريف ٠ - وبكر بن عبد الله المزني صوفى كثير الاحسان ٠ توفي سنة ١٠٨ راجع عنه «الكواكب الدرية» ج ١ ص ٩٠ - ص ٩١ ؛ «حلية الأولياء» ج ٢ ص ٢٢٤ - ٢٣٢ ؛ ابن الجوزي : «صفة الصفوة» ص ١٧١ - ص ١٧٣ (طبع حيدر آباد سنة ١٣٥٦ هـ) ٠
(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص في ف ٠

(٢) ف : رضى الله عنه ٠ (٣) ف : موسى عليه السلام ٠

(٤) يغتاب رجلاً : ناقصة في ف ٠ (٥) نفسك و : ناقصة في ف ٠

(٦) سفيان الثوري : أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب ابن رافع ، الثوري ، الكوفي ٠ من أئمة علم الحديث والزهد والاجتهاد ولد سنة ٩٥ و ٩٦ أو ٩٧ هـ (٧١٥ م) وتوفي بالبصرة سنة ١٦١ هـ (٨٧٧ م) ٠ راجع عنه ابن خلكان ج ٢ ص ١٢٧ - ص ١٢٨ ، المناوى : «الكواكب الدرية» ج ١ ص ١١٥ - ص ١١٧ ؛ أبو نعيم «الحلية» ج ٦ ص ٣٥٦ - ص ٣٩٣ و ج ٧ ص ٣ - ص ١٤٤ ؛ ابن الجوزي «صفة الصفوة» ج ٣ ص ٨٢ - ص ٨٧ ٠

(٧) ص : الله ٠

وقال (١) هشام بن عبد الملك لبعض نساك الشام : عظمى ! — فقرأ عليه :
« ويل للمطففين ؛ » إلى قوله : « يوم يقوم الناس لرب العالمين » (٢) — هذا
لمن طفف في المكيال والميزان ، فما ظنك بمن أخذه كله !
وصف بعض النساك رجلاً مسرفاً على نفسه فقال : ما أطول سكر كأس
شربها فلان ، ولما أخاف عليه من عاقبة تُخارها أشد من سُكره بها ، حيث لا ترجى
له أوبة ولا تقبل منه توبة ؛ وما ذلك منه ببعيد . ها هو !
وقال آخر : لا شيء أمتع جانباً من العلم : وذلك أنه لا يعطيك بعضه
حتى تعطيه كله . وأنت إذا أعطيته الكُل (٣) < كنت > من إعطائك البعض
على الخطر .

وقال سفيان (٤) : ما عالجت شيئاً أشد على من نفسى .
وقال إبراهيم (٥) بن أدهم — لما قيل له : لم لا تصحب الناس ؟ — فقال :
إن صحبت من هو دونى ، آذانى بجهله ؛ وإن صحبت من هو فوقى ، تكبر على ؛
وإن صحبت من هو مثلى ، حسدنى ؛ فاشتغلت بمن ليس فى صحبته ملال ، ولا
فى وصله انقطاع ، ولا فى الأئس به وحشة .
وقال أويس القرنى : ما سمعت كلمة للحكماء (٦) كانت أنفع لى من قوله :
صانع وجهاً واحداً يكفك (٧) الوجوه كلها — وأويس هذا من سادات الأبرار

-
- (١) الواو ناقصة فى ص .
(٢) سورة « المطففين » : آيات : ١ الى ٦ .
(٣) كذا فى النسخ ؛ والسياق يقتضى اضافة ما أضفناه .
(٤) أى سفيان الثورى .
(٥) هو ابراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر (أبو اسحق)
التميمى العجلي : زاهد مشهور ، مولده فى بلخ ، ووفاته فى غزوة
بحرية فى تاريخ يرجع بين ١٦٠ هـ (٧٧٦ م) و ١٦٦ هـ (٧٨٣ م) .
راجع عنه : Handwörterbuch des Islam S. 193-4 و « طبقات الصوفية »
للسلمى ، مخطوط المتحف البريطانى ورقة ١٣ ؛ « حلية الأولياء »
لأبى نعيم ج ٧ ص ٣٦٧ — ص ٣٩٥ (طبعة الخانجى) ؛ الهجویری
« كشف المحجوب » ترجمة نكلسون ص ١٠٣ وما يليها . الخ الخ .
(٦) ف : للحكماء كلمة .
(٧) ف ، ص : يكفيك . — وعن أويس راجع : المناوى : « الكواكب الدرية »
ج ١ ص ٧٩ (القاهرة سنة ١٩٣٨) ؛ أبو نعيم : « حلية الأولياء »
ج ٢ ص ١٦٢ ؛ الشمرانى : « الطبقات الكبرى » ج ١ ص ٢٤ .

الزهاد والعلماء الأجداد . وذكر ابن أبي ليلى الفقيه أنه وجد^(١) في قتل رجالة على بن أبي طالب عليه السلام يوم^(٢) صفين .

وقال ابن السائب^(٣) : [٥٨] زارني صالح المرّي فقلت : يا أبا بشر ! من أين أقبلت ؟ - فقال : من منزلي . وما زلت أخوض المواعظ إليك ، ومررت بدار فلان ودار فلان - حتى عددت كثيراً من الخرابات ثم قال : فكل دار تناديني : يا صالح ! خذ موعظتك مني ! نزلي فلان ثم ارتحل عني - حتى عدت^(٤) خلقاً ثم قالت : ارتحلوا بأسرهم ثم ارتحلنا في آثارهم .
وقال بعض الزهاد : الوحدة رأس العبادة .

وقال ذو النون^(٥) : من أنس بالوحدة كان الحق مؤنس .

(١) ص : له وجد في قتل رجاله \ لى من قوله : في ف : أنفع من قولهم .

(٢) ابن أبي ليلى : هو أبو عيسى عبد الرحمن بن أبي ليلى ، وقيل داود ، بن بلال بن أبيحة بن الجلاح الأنصاري ، من أكابر تابعي الكوفة ، وأبوه (أبو ليلى) شهد وقعة الجمل وكانت معه راية على بن أبي طالب . ولد سنة ١٧ هـ (٦٣٨ م) ، وقتل بدجيل ، وقيل غرق في نهر البصرة وقيل فقد بدير الجماجم سنة ٨٣ هـ (٧٠٢ م) ، وقيل سنة ٨١ أو ٨٢ هـ . راجع عنه ابن خلكان ج ٢ ص ٣٠٩ (القاهرة سنة ١٩٥٠) ، وأبو نعيم « الحلية » ج ٤ ص ٣٥٠ - ص ٣٥٨ .

(٣) ص : أبو السائب وهو - فيما نرجح - عطاء بن السائب بن مالك الثقفي ، الكوفي ، تابعي مشهور ، روى الحديث ، ولكن ساء حفظه بأخرة ، فلا يوثق بما رواه في أخريات عمره . قال أحمد بن حنبل : هو ثقة ، رجل صالح ، كان يختم كل ليلة ، من سمع منه قديماً كان صحيحاً - قاله في « العبر » . وقال في « المغني » : حسن الحديث . وقال غيره : ليس بالقوي . وقال ابن معين : لا يحتاج بحديثه . وتوفي سنة ١٣٦ هـ (= ٧٥٣ م) . - راجع عنه : « شذرات الذهب » لابن العماد ج ١ ص ١٩٤ - ص ١٩٥ .

(٤) ف : حتى عدد خلقاً كثيراً . ص : عدد . - صالح المرّي : هو صالح ابن بشر المرّي ، بصرى ، زاهد ، روى عنه الترمذی . توفي سنة ١٧٢ (سنة ٧٨٩ م) . راجع عنه : المناوي « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٢٤ - ص ١٢٥ ؛ أبو نعيم « حلية الأولياء » ج ٦ ص ١٦٥ - ص ١٧٦ ؛ « صفة الصفوة » ج ٣ ص ٢٦٥ .

(٥) ذو النون المصري : أبو الفيض (أو : الفيض) ثوبان بن إبراهيم ، الصوفي المشهور . توفي في سنة ٢٤٥ أو ٢٤٦ أو ٢٤٨ هـ بمصر . راجع عنه : ابن خلكان ج ١ ص ٢٨٠ - ص ٢٨٣ ؛ « حلية الأولياء » ج ٩ ص ٣٣١ - ٣٩٥ ، ج ١٠ ص ٣ - ٤ ؛ « الكواكب الدرية » ج ١ ص ٢٢٣ - ص ٢٣١ .

وقال آخر : من أنس بالوحدة فقد اعتقد الاخلاص .
شكا رجل إلى الحسن^(١) بن صالح حاجة وضرراً وبكى . فقال الحسن :
والله ما الدنيا كلها عوضاً من بكائك ! هب الجوع نوعاً من أنواع الموت الذى
يموت^(٢) به الإنسان قُتَّ .

قال الحجاج لأهل مكة : رِمَ^(٣) سودتم فلاناً ؟ — فقالوا : كان يواسى
عائلنا ، ويصدق قائلنا ، ويعود مرضانا ، ويصلى على موتانا ، ويدعونا بكُنَّانا .
وقال بعض العلماء : النعمة الصافية الهنيئة هى التى ليس عليها ثائر يغتالها ،
ولا ذو حسد يحتمل لها^(٤) ، ولا سلطان يتحكم فيها — يعنى العلم .

وقال : أمر لا تدرى متى يفجؤك^(٥) ! لم لا تستعد له قبل أن يغشاك ؟ !
وقال أعرابي : ما بال قوم حطروا ركبهم فى غير منازلهم يظنون أن يتخلفوا
عن السفر الذى أمامهم . هيهات ! أنى ذلك !
وقال أعرابي : لا تكلف راجيك^(٦) خدمة المطالبة .

وقال يونس بن حبيب النحوى : العرب لا تقول : « تزوجت بامرأة » ،
إنما تقول « تزوجت امرأة » فقال^(٧) الله عز وجل : « وزوجناهم بحور عين^(٨) »
المعنى : قرناهم ، فهناك ازدواج ما واقتران ، وليس كما [٥٨ب] تذهب إليه العامة .

(١) الحسن بن صالح : الكوفى الهمداني من العباد الزهاد . توفى
سنة ١٥٤ . راجع عنه : « الكواكب الدرية » للمناوى ج ١ ص ٩٩ ؛
أبو نعيم « الحلية » ج ٧ ص ٣٢٧ — ص ٣٣٥ ؛ ابن الجوزى : « صفة
الصفوة » ج ٣ ص ٨٧ — ص ٩١ .

(٢) هنا أول ورقة ٥٣ فى ط . الذى : فى ط : التى ٠٠٠ بها ، وكذا
فى ف .

(٣) ط ، ص : بما . فقالوا : فى ط : فقال .

(٤) ط : عليها . (٥) ف : يتحول .

(٦) ف : بأخيك — وهو تحريف . (٧) ط : فقول .

(٨) سورة « الدخان » آية ٥٤ . — ويونس بن حبيب هو أبو عبد الرحمن ،
وهو من أهل جبَّال ومولده سنة تسعين ، ومات سنة ١٨٢ هـ (٧٩٨ م)
وقيل ان مولده سنة ٨٠ هـ (٦٩٩ م) ، وله من الكتب : « معانى
القرآن » ، « اللغات » ، « الأمثال » ، « النوادر الصغير » . راجع عنه
ابن خلكان (٢٤٦/٦ القاهرة سنة ١٩٥٠) .

وقال آخر : دع ما يسبق^(١) إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره ؛
فما كل من أنكر نكراً تطيق أن توسعه^(٢) منك عذراً .

وقال آخر من الصالحين : إني لأستحي من الله أن يراني مشغولاً عنه
وهو مقبل عليّ .

وقال آخر : والله ما طابت الدنيا والآخرة إلا بالله^(٣) . وما أوحش
ساعة تغيب فيها عن ذكر الله^(٤) ! — وهذا قريب من قول آخر : إن من
مَرَّتْ له ساعة في غير ما خلق له لحدير أن يطول^(٥) عليها حزنه .

سمع بعض العارفين مُعَاذَةَ^(٦) العَدَوِيَّة — وهي نظيرة رابعة العدوية — وهي
تقول في صلاة الليل وكانت تحب عبادته : يا نفس ! النوم أمامك ! لو^(٧) قد
مُتَّ لَطالَتْ رَفَدَتَاكَ — فقال العارف : هذا كلام امرأة لا تعرف الحياة
ولا الموت ! فاعتظ بكلامها « وتذكر الحياة لتعرف الموت .

وكانت سعيدة بنت زيد — وهي أخت حماد بن زيد^(٨) — تقول : من
فَكَّرَ في نِعَمِ^(٩) الله ثم فكر في تقصيره في الشكر استحيا من السؤال .

(١) الى : ساقطة من ف .

(٢) منك : ناقصة في ط .

(٣) ف : بالله عز وجل .

(٤) ف : الله عز وجل .

(٥) ف : أن تطول حسرته عليها .

(٦) بالدال المهملة في ط . — وهي معاذة بنت عبد الله العدوية ، زوجة صلة

ابن أشيم ، زاهدة مشهورة ، روت عن علي وعائشة وهشام وعامر

الأنصاري . وكانت كثيرة السهاد والعبادة . ماتت في أوائل القرن

الثاني للهجرة . راجع عنها : عبد الرحمن بن الجوزي : «صفة الصفوة»

ج ٤ ص ١٣ — ١٥ ؛ «الكواكب الدرية» ج ١ ص ١٧٣ — ص ١٧٤ .

(٧) ف : ولو .

(٨) حماد بن زيد بن درهم الأزدي ، البصري ، الضرير ، أبو اسماعيل :

كان من أهل الورع والدين ومن أعلم الناس بالسنة . توفي سنة ١٧٩ —

راجع «شذرات الذهب» ج ١ ص ٢٩٢ .

(٩) ف : الله عز وجل .

وقال عاصم الجحدري : سمعت أم طلق^(١) تقول : يا ملكة نفسي ما تشتهي منذ جعل الله لي عليها سلطاناً . — وأم طلق هي^(٢) التي تقول : النفس ملك إن تبعها ، ومملوك إن أتبعها^(٣) ، تعني النفس الشهوية .
وقال بعضهم : من اشتاق خدم ، ومن خدم اتصل ، ومن اتصل وصل ، ومن وصل عرف .

وقال أحمد بن حنبل^(٤) يوماً لأصحابه : من أحب أن يعرف بُعده من طريق العارفين فليدخل إلى زيدة أخت بشر الحافي ؛ إني دخلت إليها فقالت : يا أحمد ! إنك لا تهتدي إلى الله عز سلطانه^(٥) وأنت تُطَرِّقُ إليه .
[٥٩] وقالت أم كلثوم العابدة^(٦) لمن قال لها : لو خرجت وتفرجت ! فقالت : إن رؤية القادر تشغلي عن رؤية القدرة .

وقال بعض العارفين : كل الناس أمروا بقول : « لا إله إلا الله » إلا النبي صلى الله عليه وسلم ، فانه أمر بالعلم ، وذلك قوله عز وجل : « فاعلم أنه لا إله إلا هو »^(٧) — لعلوا حاله وعظم محله .
وقال بعض الملوك لولده : لذة العفو يلحقها حميد العاقبة ؛ ولذة التشفي^(٨) يلحقها ألم الظم والندامة .

(١) ط : مطلق . — أم طلق : قال عنها المناوي (« الكواكب الدرية » ج ١ ص ٨٩) : « كانت من العابدات الحيرات الزاهدات . وكان وردها كل ليلة أربعمئة ركعة » ثم أورد لها كلامها الوارد هنا — راجع « الكواكب الدرية » ج ١ ص ٨٩ ؛ ابن الجوزي : « صفة الصفوة » ج ٤ ص ٢٤ ؛ « طبقات » ابن سعد ج ٨ ص ٣٥٧ ؛ « تهذيب التهذيب » ج ١٢ ص ٤٧٣ .

أما عاصم الجحدري فهو : عاصم بن العجاج الجحدري البصري ، أبو المحشر ، المقرئ ؛ وهو عاصم بن أبي الصباح . توفي سنة ١٢٩ هـ (راجع « لسان الميزان » ج ٣ ص ٢٢٠) وقيل ١٢٨ (راجع « غاية النهاية » لابن الجزري ص ٣٤٩) ، ابن سعد ج ٧ : ٢ : ٦ .

(٢) هي التي : ناقصة في ف .

(٣) ض : أتبعها . (٤) ف : رحمه الله .

(٥) ط : الله سبحانه . (٦) ف : العارفة .

(٧) سورة « محمد » آية : ٢١ .

(٨) يقال : تشفى من فلان : اذا أنكى في عدوه نكاية تسره .

وقال : الحقود لا ينال شرفاً ولا يفارق أسفاً .
 وقال : كل صانع يصنع إلى نفسه ، فلا تلتمس من غيرك شكر
 ما أتيت به إلى نفسك ، ووقيت به عرضك .
 وقال قيس بن عاصم ^(١) : السؤدد هو بذل الندى وكف الأذى ونصرة
 المولى وتعجيل القـرى .
 تحدث قوم في مجلس الأوزاعي ^(٢) ومعهم أعرابي من بني مُعلـم لا يتكلم
 فقالوا له : بحق ما سميت مُحرسَ العرب . فقال : إن الحظ للمرء في أذنه وحظ
 غيره في لسانه . فذكرنا ذلك للأوزاعي فقال : وأبيه لقد حدثكم فأحسن .
 وقال طبيب الحجاج تياذوق ^(٣) : ولدك ربحانتك سبع سنين ، وخادمك
 سبع سنين ، وعدوك بعد ذلك .
 وكان يقول : من سعادة المرء أن يتفق له ولد نجيب ، وطعام هنيء ،
 وامرأة موافقة ، وخادم بصير بخدمته .

تزوج اعرابي امرأة جميلة — وكان الأعرابي دميماً — فقالت له يوماً : إني
 أرجو أن أكون أنا وأنت من أهل ^(٤) الجنة ! قال : ومن أين حكمت لنا بها ؟ —

(١) قيس بن عاصم بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن مقاعس ،
 التميمي ، السعدي ، أبو علي ، ويقال : أبو قبيضة ، يقال أبو طلحة
 المنقري . وفد على النبي ، وكان عاقلاً حكيماً سمحاً . نزل البصرة ،
 وبنى بها داراً ، وبها مات سنة ٤٧ هـ — راجع « طبقات » ابن سعد ج ٧
 (ق ١) — ٢٣ — ص ٢٤ ؛ « تهذيب التهذيب » ج ٨ ص ٣٩٩ ؛
 « النجوم الزاهرة » ج ١ ص ١٣٢ س ١٢ .

(٢) هو الامام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي أحد كبار أئمة
 الاسلام فقها وعبادة وحرية في التسامح الديني ، توفي بقرب بيروت
 سنة ١٥٧ هـ — « شذرات الذهب » ٢٤١/١ .

(٣) في صحتها : اسمه (أي اسم طبيب الحجاج) . وفي ط : نياذوق . —
 و تياذوق طبيب كان في أول دولة بني أمية ، وصحب الحجاج
 ابن يوسف الثقفي ، « وخدمه بصناعة الطب ، وكان يعتمد عليه ويشق
 بمداواته » (ابن أبي أصيبعة : ج ١ ص ١٢١) وتوفي بواسط في
 نحو سنة تسعين للهجرة . وله من الكتب : كناش كبير ألفه لابنه ؛
 « كتاب ابدال الأدوية وكيفية دقها وايقاعها واذا ابتها » و « شيء من
 تفسير أسماء الأدوية » . — راجع عنه : ابن أبي أصيبعة ج ١
 ص ١٢١ — ص ١٢٣ — وفي ف : سادوق .

(٤) ف : أنا وأنت في الجنة .

فقلت : لأنك أعطيت مثلي فشكرت ، وأعطيت مثلك فصبرت ، والصابر والشاكر في الجنة (١) .

وقال بعضهم : من قبل معروفك فقد باعك مروءته [٥٩ هـ] .

وقال : من قلت مداراته جفاه الحمد ، وأعرضت عنه المحبة ، واستباححت محاسنه المذمة ، وأنتهك فضله العذل ، وأقام في صغار وندم .

وقال : كن مشاركاً لأهل زمانك في مجالس ، مفارقاً لهم فيما يكون الاشتغال به أكثر منفعة لك .

وقال : إن التواضع يرفع ، كما أن الكبر يضع ، وهو بعد (٢) في أمان من المعصية ، وحى من اللأئمة ، وحرز من المقت .

وقال في آخر كتاب كتبه إلى صديق له يعظه : لو نطق الكتاب لقال : أنا رهن لمن استرشد بدلالاتي ، وانقاد لإجابتي بالنجاة (٣) من الحيرة والندامة ، كفيل بالغبطة والسلامة (٤) .

وقال آخر : إن الله تعالى جعل رضاه عنك في حسن نظرك لنفسك ، وسخطه عليك في سوء نظرك لها . فانظر كيف يكون قيامك بشكره .

وقيل (٥) لبعض فلاسفة (٦) الاسلاميين : لم لا ترغب في المال ؟ — قال :

ولم أرغب في شيء ينجي بالاتفاق لا بالاستحقاق ، والحدو يأمر باتلافه ، والزهد يأمر بترك التعرض له ، والشرة يأمر بجمعه ، والبخل يأمر بحفظه .

وكان عمر بن الخطاب رحمه (٧) الله يقول : إلى الله أشكو بلادة الأمين

ويقظة الخائن .

(١) والصابر ٠٠٠ في الجنة : الزيادة في ص ، ولم ترد في ف و ط .

(٢) في : لم ترد في ص و ف ، ، ووردت في ط .

(٣) ط : ومن بالنجاة : أول ورقة ١٢٤ .

(٤) ف : والكرامة — بدل : « والسلامة » .

(٥) الواو ناقصة في ط ، ف .

(٦) ف : الفلاسفة .

(٧) ط : رضى الله عنه ، وكذا في ف .

وقال قيس بن عاصم : من خاف إساءتك اعتقد مساءتك ؛ ومن خاف صولاتك ناصب^(١) دولتك .

وقال آخر : من خلا بالعلم لم توحشه خلوة ، ومن أنس بالكتب لم تفتنه سلوة .

وقالوا : من فعل ما شاء لقي ما شاء .

وقيل : من أمّرت حياته حلّت وفاته .

وقال : ليس من شريطة العقل^(٢) أن يتعجل الانسان غمّ ما لم يصبه فيجعل ساعة السرور غمّاً ، وساعة الراحة تعباً^(٣) ، فيضاعف بذلك^(٤) على نفسه الغموم ، أعنى أنه يتعجل ما لم يقع ولعله ألا يقع ، فان وقع [٦٠] اتصل عمر^(٥) التوقع فصار زمان العمر^(٦) والغم بذلك متصلاً . فان^(٧) لم يقع أفسد على نفسه حال السرور من غير تحصيل درّه فيما اجتلبه^(٨) إلى نفسه . وإنما فضيلة الرأى في تقصير مدة الغم لا في تطويلها ، والذي يشغل نفسه بغم المتوقع هذه حاله ، لأنه يطوّل مدة الغم من غير أن تلزمه حاجة إلى ذلك أو يوجد له طائل أو جدوى . وسئل بعضهم : من الحكيم ؟ - فقال : من عرف معايب الدنيا . وذلك أن من عرف معاييبها لم يغتر بها ولم يركن إليها ، لأن مثله في رغبته عنها مثل من تعرض عليه سلعة مغشوشة ؛ فانه إذا عرفها بعيوبها منعه ذلك من الرغبة فيها ، وإنما تروج السلعة المغشوشة على من تخفى عليه عيوبها المطوية المستورة عنه .

وكان الأحنف^(٩) يقول : أنا للعاقل المدبر أرحم مني للأحمق المقبل . وقال : لك من دنياك ما أنفقت على أخراك .

(١) ناصبه الشر والحرب والعداوة ، مناصبة : أظهر له ؛ ويقال : نصب

فلان لفلان نصبا اذا قصد له وعاداه وتجرد له .

(٢) ف : أن لا . (٣) ف : نصبا .

(٤) ف : فيضاعف على نفسه بذلك الغموم .

(٥) ف : غم . (٦) العمر : ناقصة في ط و ف .

(٧) ط : وان ، وكذا ف . (٨) ف : على .

(٩) ف : الأحنف بن قيس .

لقى عمر بن الخطاب ناساً يشبهون صوفيتنا اليوم فقال : من أنتم ؟ - قالوا : نحن المتوكلون . فقال : بل أنتم المستأكلون . ألا أخبركم بالمتوكلين ؟ - من ألقى حبة في بطن الأرض وتوكل على ربه .

وقال عمرو بن العاص : ما استبطأني أحد قط . - قيل : وكيف ؟ - قال : لأني لا أعد حتى أُعِدَّ لإنجازاً ، ولا أمنع حتى أُعِدَّ عذراً مقبولاً .

خطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ! إني نظرت في معادكم فوجدت المصدق به أحق^(١) ، ووجدت المكذب به هالكاً - والسلام عليكم ورحمة الله^(٢) .

أوحى الله^(٣) إلى نبي : لو لم تطب نفسك أن تكون كال المضغة^(٤) في أفواه الآدميين لم أكتبك عندي [٦٠ ب] في الصالحين .

وقال بعضهم - وكان مر بياب دار وأهلها يكون ميتاً - فقال : عجباً لقوم سيكون مسافراً قد بلغ منزله !

وقيل لزاهد : من الزاهد في الدنيا ؟ - قال : الذي لا يطلب المفقود حتى يفقد الموجود .

وقال آخر : يا ابن آدم ! لا تأسف على مفقود لا يرد إليك الفوت ، ولا تفرح^(٥) بموجود لا يتركه عليك الموت .

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : بشر المذنبين وأنذر الصديقين - فكأنه عجب وقال : أبشّر المذنبين وأنذر الصديقين ! - فقال : نعم ! بشر المذنبين^(٦) لأنه لا يتعاضني ذنب أغفره ، وأنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم .

وقال بعضهم : جعل الله تعالى الرحمة عموماً والعذاب خصوصاً ، لأنه قال : عذابي أصيب به من أشاء ، ورحمتي وسعت كل شيء .

(١) ص : أحق . (٢) ف : ورحمة الله وبركاته .

(٣) ف : الله تعالى . (٤) كال مضغة : ساقطة من ف .

(٥) ف : ولا تفرح بمولود . (٦) ف : أي لا ...

وقال+ أبو سليمان الداراني^(١) : اجتماع الصوفية بالليل بدعة ، لأنهم يهربون من العمل+.

وقال آخر : العابد الأحق والعالم الفاجر فتنة كل مفتون .

وقال آخر : أربعة أشياء لا ينبغي أن يستقل قليلها : الذنب الصغير ، والدين اليسير ، والعدو الحقير ، والحرص القليل .

وقال آخر : الحزن لا يكنى من المهم وهو يفرح العدو ، والخزع لا يرد المصيبة وهو يرزء العقل ، والغيب لا ينفع في الدنيا وهو يؤثم في الدين .

ليس الجسم يحمل النفس ، بل النفس تحمل الجسم . اعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء ، ففرغه للمهم ، وأن مالك لا يغني الناس كلهم ، فاخصص به أهل الحق ، وأن كرامتك لا تطيق^(٢) العامة فتوخّ به أهل الفضل [٦١] وأن الليل والنهار لا يستوعبان حاجتك فبادر بأجداهما^(٣) عليك .

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : طهر ثيابك الباطنة ، فان الظاهرة لا تنفعك عندى . يا داود ! لو رأيت الحنة وما أعددت فيها لقل نظرك إلى الدنيا ؛ وأفضل من الحنة أن أرفع حجبي عنك وأقول : « أين المشتاقون » ؟ !

وقال بعضهم يعظ : يا قوم ! حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، فهو أيسر عليكم وأرفق بكم غداً . وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا^(٤) ، فهو أثقل لميزانكم .

(+...+) ما بين العلامتين ناقص فى ف .

(١) ط : الدورى . - وهو أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسى الداراني . زاهد مشهور ، توفي سنة ٢٥٠ هـ (٨٦٤ م) وقيل سنة ٢١٥ (٨٣٠ م) كما فى ابن خلكان (ج ٢ ص ٣١٣ ، نشره محبى الدين عبد الحميد ، القاهرة سنة ١٩٥٠) ، أو ٢٣٥ (٨٤٩) كما فى ياقوت . - راجع عنه : ابن خلكان ج ٢ ص ٣١٣ (من النشرة السابقة) والشعراني « الطبقات » ج ١ ص ٦٨ : المناوى : « الكواكب الدرية » ص ٢٥١ (القاهرة سنة ١٩٣٨) ؛ أبو نعيم : « الحلية » ج ٩ ص ٢٥٤ - ص ٢٨٠ ؛ أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى : « صفة الصفوة » ج ٤ ص ١٩٧ - ص ٢٠٨ - وهو منسوب الى داريا قرية من غوطة دمشق ، وينسب اليها أيضا بغير نون ، فيقال : الدارى (راجع : « اللباب فى تهذيب الانساب » لابن الأثير الجزرى ج ١ ص ٤٠٣ - طبعة القدس ، القاهرة سنة ١٣٥٧) .

(٢) ط : تطيق (بالباء الموحدة) .

(٣) ص : بأجداها . (٤) ص : توزن .

قلة معرفة الانسان بعبوبه أكبر ذنوبه .

خطب أبو بكر رحمه (١) الله فقال : اعلموا عباد الله أنكم تعدون (٢) في أجل قريب قد غيب عنكم علمه . فان استطعتم ألا ينقضى إلا وأنتم في عمل لله فافعلوا ، ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله تعالى (٣) ، فسابقوا في مهل ، فان أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم فاحذروا أن تكونوا أمثالهم .

وخطب أمير المؤمنين علي (٤) عليه السلام فقال (٥) : أما بعد ! فان الدنيا قد أدبرت وأذنت بوداع ، وإن الآخرة قد أقبلت (٦) وأشرفت باطلاع . ألا وإن المصمار اليوم ، وغداً السباق (٧) . ألا وإنكم في أيام أمل من ورائه أجل ؛ فن قصر في أيام عمله (٨) قبل حضور أجله فقد خسر عمله . ألا فاعملوا عباد الله (٩) في الرغبة كما تعملون في الرهبة . ألا وإنى لم أركالجنة نام طالبها ، ولا كالنار نام هاربها . ألا وإن من لم ينفعه الحق ضره الباطل (١٠) ، ومن لم يستقم به الهدى جار (١١) به الضلال . ألا وإنكم قد أترمت بالظن ودلتم على الزاد ، وإن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل .

خطب الحجاج فقال : من أعياه داؤه (١٢) فعندى دواؤه ، ومن استعجل أجاه فعلى أن أعجله . إن الجزم والحد قد استلبا منى [٦١ب] سوطى ، وجعلا سوطى سيفي ، فنجاده في عنتي ، وقائمه بيدي ، وذبابه قلادة لمن اغتربني (١٣) .

-
- (١) ف ، ط : رضى الله عنه . (٢) ط : تغدون (بالغين المعجمة) .
(٣) تعالى : ناقصة في ط ، ف . (٤) على : ناقصة في ف .
(٥) وردت هذه الخطبة في « نهج البلاغة » ج ١ ص ٧٠ وما يليها (طبعة الحلبي ، القاهرة من دون تاريخ) .
(٦) أقبلت : ناقصة في « نهج البلاغة » ج ١ (ص ٧١) .
(٧) فيما يتلو اقتطاف من الخطبة ، فراجعها بأكملها في « نهج البلاغة » ج ١ ص ٧٠ - ص ٧٣ . (٨) في « نهج البلاغة » : أمهله .
(٩) عباد الله : ناقصة في « نهج البلاغة » .
(١٠) في « نهج البلاغة » : من لا ينفعه الحق يضره الباطل .
(١١) في « النهج » يجر به الضلال الى الردى .
(١٢) ط : فعلى .
(١٣) سوطى سيفي . . . اغتربني : وردت هذه الكلمات في « عيون الأخبار » لابن قتيبة ج ٢ ص ٢٤٥ س ١٣ - س ١٤ . - ونجاد السيف : حمائله ، أو ما وقع على العاتق من حمائله ؛ وقائمه : مقبضه ؛ وذبابه : طرفه الذى يضرب به .

وقال غيره : مَنْ عَذَّب لِسَانَهُ كَثُرَ إِخْوَانُهُ . العقل صديق مقطوع ،
 والهووى عدوٌّ متبوع . رَحِمَنُ الْقَدَرِ تَسْبِقُ الْحَذَرَ . البلاء رَدِيفُ الرِّخَاءِ .
 ذو الشَّجْحِ لَا يَسْتَبْعِدُ الْمَسَافَةَ . لَا تَطْمَعُ فِي كُلِّ مَا تَسْمَعُ .
 وقال أمير المؤمنين على عليه السلام (١) : مَنْ بَالِغٌ فِي الْخَصُومَةِ ظَلَمَ ،
 وَمَنْ قَصَرَ فِيهَا ظَلَمَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَنْ يَخَاصِمُ .
 وقال آخر : التَّوَاضُّعُ مَعَ السَّخَافَةِ (٢) وَالْبِخْلُ أَحْمَدُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْكِبَرِ (٣)
 مَعَ السَّخَاءِ وَالْأَدَبِ ؛ فَأَعْظَمُ بِحَسَنَةِ عَقَّتْ عَلَى سَيِّئَتَيْنِ ، وَأَفْظَعُ بِسَيِّئَةِ
 عَقَّتْ عَلَى حَسَنَتَيْنِ (٤) .
 العجز عجزان : التقصير في طلب (٥) الأمر وقد أمكن ، والجحد
 في طلبه وقد فات .

وعقب أحمد بن أبي خالد (٦) على أحمد بن هشام في شيء ، فاعتذر
 أحمد بن هشام ، فقال أحمد بن أبي خالد : لَا أَقْبَلُ عَذْرَكَ حَتَّى أَسْأَلَ إِلَيْكَ .
 فقال : وَاللَّهِ لَئِنْ فَعَلْتُ لَا اسْتَعْدَيْتُ عَلَيْكَ إِلَّا ظُلْمًا ، وَلَا أَطْمَعِي فِيكَ
 إِلَّا بَغْيًا .

قيل لميمون (٧) بن مهران : إِنْ رَقِيَّةٌ ، امْرَأَةٌ هِشَامٌ ، أَعْتَقْتَ عِنْدَ مَوْتِهَا
 كُلَّ مَمْلُوكٍ وَمَمْلُوكَةٍ لَهَا . فقال : يَعْبُودُونَ اللَّهَ مَرَّتَيْنِ : يَبْخُلُونَ بِالشَّيْءِ وَهُوَ
 فِي أَيْدِيهِمْ ، حَتَّى إِذَا صَارَ لغيرهم أسرفوا فيه (٨) .

(١) على عليه السلام : ناقصة في ط ٠ - وهذا القول ورد في « نهج
 البلاغة » (ج ٢ ص ٢٠٨ س ٦ - ٧) برواية أخرى \ على :
 ناقصة في ف ٠

(٢) ص : الشجاعة ٠ (٣) ف : و ٠

(٤) ط : محت خستين ٠ (٥) ط : طلبه ٠

(٦) ط : خلد - وأحمد بن أبي خالد الأحول : كان وزير المأمون بعد
 الفضل بن سهل سنة ٢٠٣ هـ ، توفي في ذى القعدة سنة ٢١١ هـ -
 راجع كتاب « بغداد » لابن طيفور ، ج ٦ ص ٢١٥ - ص ٢٣٣
 (ليبتسخ سنة ١٩٠٨) ٠

(٧) ميمون بن مهران ، كاتب عمر بن عبد العزيز ٠ أسند الحديث عن
 ابن عباس وغيره ٠ توفي سنة ست أو سبع عشرة ومائة عن نحو
 ثمانين سنة ٠ راجع عنه : « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٧٢ -
 ص ١٧٣ ؛ « الحلية » ج ٤ ص ٨٢ - ص ٩٧ ٠

(٨) فيه : ناقصة في ط ٠

وقال^(١) ابن شبرمة : ليس الاغراق في علم واحد من شأن العلماء والحكماء ولا السراة والرؤساء ، بل الأخذ من كل فن . وإنما ينفرد بعلم واحد من يحب المرء والتكسب .

وقال وهب بن منبه^(٢) لرجل : لا تَسُبَّ إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر .

أخذ رجل على عالم خطأ فقال : يا هذا ! من لا يعلم شيئاً لا يخطئ في شيء . وقال ابن السماك للصوفيين : لئن كان لباسكم هذا وفقاً لسرائركم ، لقد أحبتكم [١٦٢] أن يطلع الناس عليها . وإن كان مخالفاً لقد هلكتم .

قيل لمِسْعَر^(٣) : أتعجب أن تهدي إليك عيوبك ؟ - قال : أما من محب ناصح فنعم ، وأما من مبغض شامت فلا .

وقال أحمد بن عيسى^(٤) : كفى بالسعاية عيباً أن أحسن الأشياء ، وهو الصدق ، يقبح فيها .

(١) الواو ناقصة في ط . - وابن شبرمة هو عبد الله بن شبرمة بن طفيل ابن حسان بن المنذر ، الضبي : وكنيته أبو شبرمة ، القاضي ، فقيه أهل الكوفة ، يعد في التابعين . كان قاضياً لأبي جعفر على سواد الكوفة وضياعها ، وكان عقيفا صارماً عاقلاً ، يشبه النساء ، ثقة في الحديث ؛ وكان شاعراً وكان جواداً . توفي سنة ١٤٤ هـ . راجع « تهذيب الكمال » للمزى ، ورقة ٣٤٧ ب (مخطوط برقم ٢٢٧ مصطلح طلعت بدار الكتب) ؛ « شذرات الذهب » ج ١ ص ٢١٥ - ص ٢١٦ (القاهرة ، طبعة القدسي) .

(٢) أبو عبد الله وهب بن منبه الصنعاني ، من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى الى اليمن ، عالم واسع الاطلاع على الكتب المقدسة والقصص الدينية . توفي بصنعاء سنة ١١٤ هـ - راجع « شذرات الذهب » ١٥٠/١ .

(٣) مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن صعصعة الهلال العامري ، أبو سلمة ، الكوفي . ثقة ثبت في الحديث . توفي في سنة ثلاث أو خمس وخمسين ومائة - راجع عنه « تهذيب الكمال » للمزى ورقة ١٦٥٩ ؛ « شذرات الذهب » ج ١ ص ٢٣٨ - ص ٢٣٩ (في وفيات سنة ١٥٥ هـ) .

(٤) وجدنا بهذا الاسم : أحمد بن عيسى بن حسان المصري ، أبو عبد الله بن أبي موسى العسكري ، المعروف بالتستري ، وكان يتجر الى تستر فعرف بذلك ودخل مصر . توفي سنة ٢٤٣ هـ - راجع « تهذيب الكمال » للمزى ورقة ١١٧ ؛ « والكوكب الدرية » ج ١ ص ١٦٨ - ص ١٦٩ .

وقال : من زعم أنه لا يحب المال فهو عندى كاذب حتى أعلم صدقه ، فإذا علمت صدقه فهو عندى أحمق .

وكان الأصمعي يقول : أَحْضَرُ الناس جواباً من لم يغضب من شيء (١) . قال بعض النُّسَّاك : أسكتنى كلمة سمعتها من ابن مسعود : من عشرين سنة سمعته يقول : من لم يكن كلامه موافقاً لفعله فانما يوبخ نفسه .

وقال (٢) جعفر الصادق عليه السلام : إياك وسقطة الاسترسال ، فانها لا تستقال (٣) .

وقال عليه السلام (٤) : العافية موجودة (٥) مجهولة ، والعاقبة معدومة معروفة . ما تثبت الدنيا إلا على بنى العم المتعاطفين بالبر ، المتعلقين بالأدب ، المجتمعين على التناصر ، الحاضرين بالاتفاق ، الغائبين بلا اغتيال . بمثل هؤلاء تطول أعمار الدول ، وتدعم الممالك . وما ذل قوم بعد العز حتى ضعفوا ، وما ضعفوا حتى تفرقوا ، وما تفرقوا حتى تباغضوا ، وما تباغضوا حتى تحاسدوا ، وما تحاسدوا حتى استأثر بعضهم على بعض .

اجتمعت (٦) الحكماء على أن أوضع الناس من عمل على البرهة ، واجتمعت (٧) على أن من عاتب ووبخ فقد استوفى حقه ، واجتمعت (٨) على أن خير الناس من نفع الناس ، وأذل الناس من تاه على [٦٢ ب] الناس ، وأعلم الناس أقلهم تعجباً من أحداث الدهر ، وأكثر الناس غماً من طلب رتبة فوق رتبته ، وأعقل الناس من أطاع العقلاء ، وأضعف الناس من لا يحمل الغنى ، وأقوى الناس من غلب الهوى وقدر على السكون .

قيل لبعضهم : ما أحسن الكلام ؟ — قال : ما لا يحتاج معه إلى الكلام . وقال آخر : لا يُقَوِّم عز الغضب بذل الاعتذار .

-
- (١) من شيء : ناقص فى ط ، ف . (٢) الواو ناقصة فى ص .
(٣) استقاله : أى طلب اليه أن يقيه ، أى ينسى سقطته ويمحوها ، والاقالة فى البيع : الفسخ .
(٤) أى جعفر الصادق أيضاً / ف : وقال أيضاً .
(٥) ف : ومجهولة . . . ومعروفة . (٦) ط : أجمعت ، وكذا فى ف .
(٧) ط : أجمعت ، وكذا فى ف . (٨) ط : أجمعت ، وكذا فى ف .

وقال : توصل إلى بقاء عزك بالوحدة .

ومما حفظ عن الحارث^(١) بن كلدة ، طبيب العرب : دافع بالدواء ما وجدت له مدفعاً ، ولا تشربه إلا من ضرورة ، فانه لا يصلح شيئاً إلا أفسد مثله .

وبلغ المنذر أن شيخاً في بعض الأحياء أتت عليه مائة وعشرون سنة في اعتدال من جسمه ونضارة في لونه ، وقوة في نفسه ، مع نشاط وشهوة . فبعث إليه وأحضره ثم سأله عن سيرته فقال : ما احتملت همّاً تبعد عليّ مدافعتي ، ولا طاولت قرينة أكرهها ، ولا اجتمع في جوفى طعامان ، وإذا أردت شرب شراب شربته رقيقاً طيباً لا أتمل منه^(٢) ، وإذا اجتمع في بدني خلطٌ استفرغته . وخلة واحدة وجدتها من أنفع الخلال في صحة البدن : ما استدعيت الباه بحركة إلا أن تهيج به الطبيعة ؛ فإذا كان ذلك ، أقللت الحركة بقية يومى وأخذت من الغذاء والنوم بحظّ .

وقيل في حفظ الصحة : لا ينبغي أن تأكل إلا عن^(٣) نقاء تام وجوع صادق من طعام^(٤) موافق ، وتكفّ عن الطعام وأنت تشبهه ، ولا تبادر إلى شرب الماء حتى تستوفي غداك [١٦٣] وتصبر بعده ساعة وترتاض قبله بحركة معتدلة ، ولا تأكلن في ظلمة ، ولا تنم تحت شجرة مجهولة ، ولا تطعم^(٥) ما لا تعرفه ولا من طعام محترق ولا حار جداً ولا دسم جداً . وليكن طعامك خُبْزَ البرّ واللحم الرخص^(٦) ، وشرابك ماء الكرّم الرقيق الصافي ، وجماعك للشابة ، وخدمك الولدان ، ورفقاؤك المساعدون من أهل الفضل .

(١) الحارث بن كلدة بن عمر بن علاج الثقفي : طبيب العرب في أواخر الجاهلية وأوائل الاسلام . أصله من ثقيف من أهل الطائف ، وأخذ الطب عن أهل فارس في جنديسابور وغيرها . راجع عنه : القفطي (ص ١٦١ - ١٦٢ . نشرة ليرت) ، ابن أبي أصيبعة (ج ١ ص ١٠٩ - ١١٢) ؛ Leclerc : ج ١ ص ٢٦ - ص ٢٨ . وتوفي سنة ١٣ هـ (٦٣٤ م) .

(٢) ط : معه . (٣) ط : علي .

(٤) من طعام : ساقطة في ف . (٥) ف : طعاما لا تعرفه .

(٦) أى اللبن الناعم . - في ف : « الدحص » ، ودحصت الذبيحة برجليها عند الذبح اذا محضت وارتكضت ، والداحص الذى يحرك رجليه ويديه وهو يذبح أو وهو يجود بنفسه .

كان بختيشوع^(١) يأمر بالحقن والقمر^(٢) متصل بالذنب فيحل القَوْلُنج من ساعته ، ويأمر بشرب الدواء والقمر على مناظرة الزهرة^(٣) فيصبح العليل من يومه . وقال الفضل^(٤) بن يحيى : صاحب الجماعة يدرك أرشه^(٥) في الخدشة والشجة . وصاحب الفرقة يذهب حقه في النفس والحرمة . واجتماع الضعيفين قوة تدفع عنهما ، واقتراق القويين مهانة تمكن منهما وغافل الجماعة لا تضره غفلته لكثرة من يحفظه ، ومتيقظ^(٦) الفرقة لا ينفعه تيقظه لكثرة من يطلبه . ولم يجتمع ضعفاء قوم إلا قوا ، ولم يفترب أقوياء قوم إلا ضعفوا . وقال الله^(٧) تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »^(٨) . قيل^(٩) لبعض العلماء : إن الناس قد أظهروا بغضك ، وأكثرت العامة من^(١٠) الطعن عليك - فقال : نحن كالشوك في أعينهم ، وكالقرح في أكبادهم ، ولا ذنب لنا إلا ما يرون من أثر نعمة الله علينا التي لا سبيل لهم إليها . فهم الحساد الذين لا شفاء لهم ، ولا خلاص منهم . لا ينتفع بالماء الساكن في قرار الأرض ما لم يسخ ، ولا بالذهب في معدنه ما لم يستخرج ، ولا بالعلم مادام مكتوباً ما لم يفض . من لم يلزم الجادة [٦٣ب] خيط ، ومن تناول الفرع قبل إحكام الأصل سقط .

- (١) بختيشوع بن جورجس . راجع عنه : ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٢٥ - ص ١٢٧ ؛ ابن القفطي ص ٧١ ؛ وكتابتنا : « التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية » ص ٥٦ . توفي سنة ١٨٥ هـ \ ٨٠١ م .
- (٢) والقمر ... الرواء : ناقص في ط .
- (٣) ط : فيصلح .
- (٤) هو أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي ، ولي الوزارة قبل أخيه جعفر ، وكان واسع الكرم ، غزير العلم ، ولد سنة ١٤٧ أو ١٤٨ هـ (٧٦٤ - ٧٦٥ م) ، وتوفي في السجن سنة ١٩٢ أو ١٩٣ هـ (٨٠٧ - ٨٠٨ م) . راجع عنه : ابن خلكان ج ٣ ص ١٩٧ - ص ٢٠٥ (٥) الأرض : الدية .
- (٦) ف : مستيقظ ... من يقصده .
- (٧) ط : الله عز وجل ، وكذا في ف .
- (٨) سورة « آل عمران » آية : ٩٨ .
- (٩) ف : وقيل لبعض الحكماء . (١٠) ف : في .

عقول البشر تحتاج إلى مادة من خارج ، أغنى الإلهام النبوى والتأييد الإلهى .
والطباع تحتاج إلى قمع + تدبيرى ، والشهوات تحتاج إلى + ردع حكمى . جهل الكتاب
أثبت من حفظ (١) اللسان ، فان القلم أبقى أثراً ؛ فان جعلت الكتاب (٢)
جليسك فاحذر معه آفة الخلوة .

أنفاس المرء خطاه إلى أجله ، وأمله خادع (٣) له عن عمله .

الوعد مرض المعروف .

تركة الميت عزه (٤) لورثته .

إذا ازدحم رأى خفى الصواب .

دعوا (٥) الرأى يُغيب .

قال معاوية للأحنف : صف لى الناس ! - فقال : رءوسهم رفعتهم الحظ ،
وأكتاف عظمهم التدبير ، وأعجاز شهرهم المال ، وأذنان ألحقهم الأدب . ثم
الناس بعدهم أشباه البهائم : إن جاعوا ساموا ، وإن شبعوا ناموا .

وقال لصعصعة (٦) بن صوحان (٧) : صف لى الناس ! - فقال : فارس

يذب عن البيضة ، وزارع يسعى فى العماره ، وعالم يشتغل (٨) بالديانة ،
ورجرجة بين ذلك تكدر الماء وتغلى السعر .

وقال أمير المؤمنين (٩) على عليه السلام : عالم ربانى ، ومتعلم على سبيل
النجاة ، وهمج رعا (١٠) .

(+ ... +) ما بين العلامتين ساقط من ف .

(١) ص : جهل . (٢) ص : جليسا .

(٣) له : ناقصة فى ف . (٤) ط : عزاء .

(٥) ف : دعوا الرأى تعب - وغب الأمر : صار الى آخره - والمعنى : ترو
فى الأمر حتى تصل الى غايته وتستنبط كل نتائجه .

(٦) صعصعة بن صوحان العبدى : أسلم على عهد النبى ، ولكنه لم يلقه
ولم يره . وكان سيدا من سادات قومه عبد القيس ، وكان فصيحاً
ديئنا فاضلا ، وكان من أصحاب على - راجع « المعارف » لابن قتيبة
ص ١٧٦ - ص ١٧٧ (القاهرة ١٩٣٥ م) .

(٧) ص : الصعصعة - وهو تحريف .

(٨) ف : يشغل .

(٩) على : ناقصة فى ط ، ف . (١٠) ف : رعا أتباع كل ناعق .

وقال مُطَرِّف^(١) بن عبد الله لإنسان يتكلم بما لا ينبغي : يا هذا ! إنما تملى على كاتبك كتاباً إلى ربك .

قيل لبعضهم : من أبعد الناس سفرأ ؟ - فقال : من كان سفره في طلب أخٍ صالح .

قيل : اعرف أخاك بأخيك قبلك .

وقيل : لو صوّر العقل لأظلمت عنده الشمس ، ولو صور الجهل لأضاءت عنده الظلمة .

كانت ليحيى بن خالد^(٢) صحيفة يدفعها إلى معلم أولاده ويأمره بتعليمهم ما فيها [١٦٤] واخترت منها :

« الحمد^(٣) مفتاح المواهب . الذم قُفْلُ المطالب . الصبر ثوب التسلي . الخزع بيت الهم . البر يستبعد الحر . من عزت لديه المعصية^(٤) هانت عليه الطاعة . من استعان بالدنيا أسلمته إلى التوائب . العجز المفرط ترك التأهب للمعاد . القلب العليل تسرع إليه الأباطيل » .

كان الحسن البصري^(٥) يقول : رحم الله أقواماً كانت الدنيا عندهم ودیعة فأدوها إلى من ائتمنهم عليها وراحوا خفافاً !
وقال : قد رأينا من أعطى الدنيا بعمل الآخرة ، وما رأينا من أعطى الآخرة بعمل الدنيا .

سأل إبراهيم بن أدهم راهباً : من أين تأكل ؟ - فقال : ليس لهذا جواب عندي^(٦) ؛ ولكن سأل ربى من أين يطعمنى .

(١) ص : مطران .

(٢) ط : خلد . - والمقصود به يحيى بن خالد البرمكى وزير هارون الرشيد ، توفي فى سجنه فى الثالث من محرم سنة ١٩٠ هـ (٨٠٥ م) عن سبعين أو أربع وسبعين سنة . راجع عنه ابن خلكان ج ٥ ص ٢٦٥ - ص ٢٧٣ .

(٣) الحمد . . . التسلي : ساقطة من ف .

(٤) ص : بالمعصية \ عليه : فى ط : لديه .

(٥) ص : البصرى رحمه الله يقول : أقواما . . .

(٦) عندي : ناقصة فى ص ، ف .

وقال آخر : مسكين ابن آدم ! لو خاف من النار كما يخاف من الفقر
لنجا منهما^(١) جميعاً ، ولو رغب في الجنة كما يرغب^(٢) في الغنى لوصل إليهما جميعاً ،
ولو خاف الله تعالى^(٣) في الباطن كما خاف خلقه في الظاهر لسعد في الدارين .
وقال شقيق البلخي^(٤) : اختار الفقراء ثلاثة أشياء ، واختار الأغنياء
ثلاثة : أما الفقراء فاختاروا اليقين وفراغ القلب وخفة الحساب . وأما الأغنياء
فاختاروا تعب النفس وشغل القلب وشدة الحساب .

قال يحيى بن مُعَاذ الرّازي^(٥) : إن العالم إذا لم يكن زاهداً فهو عقوبة
لأهل زمانه . شرار الأمراء أبعدهم من القراء ، وشرار القراء أقربهم من الأمراء .
قيل لابن المبارك : لو أن الله سبحانه وتعالى^(٦) أوحى إليك أنك ميت
العشية : ما كنت صانعاً اليوم ؟ - قال : أقوم [٦٤ب] أطلب فيه العلم .
قال قتادة : عجبت^(٧) للتاجر كيف يسلم وهو بالنهار يحلف ، وبالليل
يحسب !

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أوحى إلى^(٨) أن : أجمع المال
من التاجرين ، ولكن أوحى إلى^(٩) أن : سبّح بحمد ربك وكن من الساجدين .
وقال بعضهم : لا تنظروا إلى من قال ، ولكن انظروا إلى ما قال .
وقال بشر بن الحارث : الحكمة كالعروس تريد البيت خالياً .
وقال : كيف ينصحك من يغش نفسه ؟ !
وقال يحيى بن مُعَاذ : عجبت ممن^(٩) يبقى له مال ورب العزة يستقرضه !

(١) ص : لنجا منها ولو ٠٠٠ (٢) ط : رغب / ف : الى الجنة .

(٣) ف : الله عز وجل ٠٠٠ كما يخاف ٠٠٠

(٤) البلخي : ناقصة في ط ، ف - وهو شقيق بن ابراهيم البلخي ،

صوفي مشهور ، صاحب ابراهيم بن ادهم . توفي سنة ١٩٤ هـ في

غزوة كوملان . راجع عنه : « قوات الوفيات » ج ١ ص ١٨٧ -

ص ١٨٨ (القاهرة سنة ١٢٩٩) ؛ « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٢١ ؛

« صفة الصفوة » ج ٤ ص ١٣٣ ؛ « حلية الاولياء » ج ٨ ص ٥٨ -

ص ٧٣ . (٥) الرّازي : ناقصة في ط .

(٦) وتعالى : ناقصة في ط ، ف . (٧) ص : عجب .

(٨) ف : الى ربي . (٩) ص : معاذ : من يبقى ٠٠٠

وقال : من لم يكن مستعداً لموته فموته موت فجاءة وإن كان صاحب فراش سنة . فليكن عملك عمل المقبوض في كل ساعة .

وقال : ترك الدنيا شديد ، وترك الجنة أشد منه ؛ ومهر الجنة ترك الدنيا .

وقال آخر : طلب الخير شديد ، وترك الشر أشد ، لأنه ليس كل خير يلزمك عمله ، والشر كله يلزمك تركه .

قيل للعباس بن مرداس^(١) : لم تركت الشراب ؟

قال : أكره أن أصبح سيد قوم وأمسى سفيهم .

وقال التيمي : لا تطلبوا الحوائج إلى ثلاثة : إلى عبد يقول : الأمر لغيري ،

وإلى رجل حديث العهد^(٢) بالغنى ، وإلى صيرفي همته أن يسرق أو يسترجع في كل مائه دينار حبة .

وقال الخليل بن أحمد : العزلة تُوقِي الغرض ، وتُبَقِّي الخلالة ، وتستر

الفاقة ، وترفع مؤونة المكافآت^(٣) في الحقوق اللازمة .

قال^(٤) الحسن : يا ابن آدم ! إنما أنت أيام مجموعة ، فاذا مضى يوم

فقد مضى بعضك .

وقال : رحم الله امرأة لم يغيره كثرة الناس : فانه يموت وحده ، ويحاسب

وحده .

ومر عيسى عليه السلام [٦٥] يقوم يبكون ، فقال : ما لهم يبكون ؟—

فقالوا : هؤلاء قوم يبكون لذنوبهم . قال : فليتركوها تغفر لهم .

مر بعض النسالك براهب فقال : يا راهب ! لقد تعجلت وحشة الوحدة^(٥) .

فقال !الراهب : يا فتى ! لو ذقت حلاوة الوحدة^(٦) لاسترحت إليها من نفسك .

(١) العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس ، من مضر بن نزار ؛

يكنى أبا العباس ، وأمه الحنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد .

وكان فارساً شاعراً سيّداً في قومه ، مخضرباً أدرك الجاهلية والإسلام ،

وفد على النبي وأسلم ، ونقل عنه الحديث . — راجع عنه :

« الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني ج ١٣ ص ٦٤ — ص ٧٢ ، « المعارف »

لابن قتيبة ص ١٤٦ . (٢) ط : حديث عهد .

(٣) ف : المكافأة . (٤) ف : وقال .

(٥) ف : وحدة الواحدة . (٦) ف : الواحدة .

قال الشافعي : من كانت همته ما يدخل جوفه (١) كانت قيمته ما يخرج منه .
 قال الفُضَيْل : لا تطلبوا في هذا الزمان ثلاثة أشياء ، فانكم لا تجدون :
 لا تطلبوا عالماً مستعملاً لعلم فانكم تبقون بلا علم ، ولا تطلبوا طعاماً من غير شُبْهة
 فانكم تبقون بلا طعام ، ولا تطلبوا صديقاً (٢) بلا عيب فانكم تبقون بلا صديق .
 في الوحي القديم : يا ابن آدم ! إني خلقتك لتربح على ! ولم أخلقك
 لأربح عليك ، فاتخذني بدلاً من كل شيء ، فاني ناصر لك من كل (٣) شيء .
 وقال (٤) حاتم : إني لا أشهد بالصدق إلا لمن اعتزل الناس ، فلا تشهدوا
 بالصدق (٥) إلا لهم .

وقال : ليس من احتجب بالخلق كمن احتجب بالله عز وجل (٦) عنهم .
 وقال : الرجاء لله أقوى من خوفه ، لأنك تخافه لذنبك ، وترجوه لحدوده .
 وقال حكيم : الدليل على أن ما في يدك ليس هو لك علمك أنه كان
 قبلك لغيرك .

وقال : لا تنق بشكر من تعطيه حتى تمنعه .

وقال : همة فلان شكر ربه ، فهو يستحي من طلب الزيادة علماً بأن
 ليس وراء ذلك (٧) شيء .

من (٨) ازداد علماً فينبغي أن يحذر من تأكيد الحججة عليه ، فلينافس
 الصالحين ليلحق بهم ، وليحجبهم ليشاركهم [٦٥ب] بالحجة وإن قصر عن مثل
 عملهم (٩) .

(١) ف : بطنه ... منها . (٢) ف : بغير .

(٣) فاني ... شيء : ناقصة في ف .

(٤) ف : حاتم بن عبد الله .

(٥) بالصدق : ناقصة في ص ، ف - وفي ط : الا بالصدق .

(٦) عز وجل : ناقصة في ط ، ف .

(٧) علماً ... شيء : ناقصة في ط ، ف .

(٨) ف : من أراد علماً فليحذر من تأكيد ...

(٩) هنا آخر المزمرة المقحمة في ط من ٢٣ الى ٣١ ب .

الجاهل يذم الدنيا ولا يسخر بإخراج شيء منها : يمدح بالحد وهو بخيل ؛
 يتمنى التوبة بطول الأمل ولا يعجلها خوف حلول الأجل ؛ يرجو ثواب عمل
 لم يعمل به ؛ يفر من الناس ليخفي فيطلب ، ويطلب ليشتهر ؛ ويذم نفسه ليمدح ؛
 ينهى ^(١) عن مدحه وهو يحب ألا ينتهى ^(٢) من الثناء عليه .

أثنى رجل على عالم فقال : الحمد لله الذى سترنى منك .

وقال الحسن : وجد القوم الكلام أهون من العمل ، فكثروا صنفون
 وقل الموصوفون : أبى الله أن لا يقبل القول إلا بالعمل .

وصية قس بن ساعدة لابنه ^(٣)

اعلم يا بنى أن المعنى تكفيه البقلة ، وترويه ^(٤) المذقة . ومن عَبرك شيئاً
 ففيه مثله . ومن ظلمك وجد من يظلمه . ومتى عدلت على نفسك وعلى من
 دونك عدل عليك من فوقك . وإذا نهيت عن شيء فابدأ بنفسك . ولا تجمع
 ما لا تأكل ^(٥) ولا تأكل ما لا تحتاج إليه فيتوبك ^(٦) ؛ وإذا ادخرت فلا يكون كنزك
 إلا العمل الصالح . وكن كف العيلة ^(٧) ، مشترك الغنى تسد قومك . ولا تشاورن
 مشغولاً وإن كان حازماً لبيباً ، ولا خائفاً وإن كان فهماً عليماً . ولا تضع فى
 عنقك طوقاً لا يمكنك نزعهُ إلا بشق منك . وإذا خاصمت فاعدل ، وإذا قلت
 [فاقصد . ولا تستودع دمعك أحداً وإن قربت قرابته ، فانك إذا فعلت ذلك
 لم تزل ^(٨) رجلاً ، وإن ^(٩) كان المستودع بالخيار ^(١٠) فى الوفاء] [١٦٦] والغدر

(١) ف : وينهى . (٢) ف : عن .

(٣) لابنه : ناقصة فى ص .

(٤) المذيق : اللبن الممزوج بالماء ، والمذقة : الطائفة منه ، والمذقة أيضاً :

الشربة من اللبن ، وفى حديث كعب وسلمة : « ومذقة كطرة الحنيف »
 أى شربة من اللبن شبيهة بردى الكتان لتغير لونها وذهابه بالمزج .

(٥) تأكل ولا تأكل مالا : ناقصة فى ص .

(٦) ص : فيريبك ؛ فيوبئك .

(٧) العيلة : الفقر . (٨) ط : وكپلا .

(٩) ان : ناقصة فى ف . (١٠) ص : بالخيا .

وكننت له عبداً ما بقيت . فان جنى عليك كنت أولى بذلك ، وإن وفى كان الممدوح دونك .

وقال آخر : الدنيا^(١) دار تجارة ، فالويل لمن تزود منها الخسارة .

دعاء : اللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك فصن وجهى عن مسألة غيرك .

الأسد قد يهاب وإن كان مربوطاً ، والكلب قد يهان وإن كان مطوقاً مجلجلاً^(٢) . خير الثناء ما كان على ألسن الفضلاء والأخيار . لا يرد بأس العدو وسطوة^(٣) الملك بمثل الذل والخضوع . ليس صلاح العدو مما يوثق به . العدو إذا صالحته فاحذر منه كما تحترز من الحية إذا حملتها في كمالك .

وقال آخر : ما أعان على المروءات إلا النساء الصوالح .

وقال : ليس لذى ضفف^(٤) مثل أرض عشر ، وليس لتاجر مثل صامت .

وقال آخر : نوم أول الليل غنيمة آخره .

وقال^(٥) : طوبى لمن إذا كان ضعيفاً عن الخير كان ضعيفاً عن الشر . ثلاثة لاتنال بثلاثة : العلم بالكسل ، والحظوة عند النساء بالحسب ، والأجر عند الله بالرياء .

عيش فى الأمن مع الفقر أمثل من العيش فى غنى مع الخوف ، وطُلاب الدنيا يطلبون الغنى كيف كان .

وقال المسيح عايه السلام : ليحذر من يستبطن^{*} الله فى الرزق أن يغضب عليه فيفتح الدنيا عليه .

وقال : أقبح المكافأة مجازاة الإساءة .

(١) دار : ناقصة فى ف .

(٢) ص : مجلا - والمجلجل : المعلق عليه الجلجل وهو الجرس الصغير .

(٣) ف : لا يرد بأس الملك بسطوته بمثل ...

(٤) الضفف : شدة العيش : وكذلك العيال ، والغاشية . وفى ط :

ضعف . (٥) ف : وقال آخر .

قال عكرمة : كنا عند ابن عباس جلوساً فصاح طائر ، فقال رجل من القوم : خير ! خير ! - فقال ابن عباس : لا خير ولا شر ؛ طائر صاح . وقال : أقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل إذا سأله ، وأقرب [٦٦ب] ما يكون الى الناس إذا لم يسألهم .

قال الشعبي : كان عمر بن الخطاب (١) يشرط على عماله ألا يركبوا البراذين ، ولا يلبسوا السابري (٢) ، ولا يخلوا الدقيق .

في طب الرئد : ألا يجامع الرجل وهو مشدود الوسط ، ولا مربوط عضو ، ولا مهموم (٣) ولا مشغول الفكر بشيء من الأمور ، ولا سكران ولا غضبان . ويقول : لا تحقر شيئاً يكون منك مثله (٤) . قد يؤيد الله بالملك الغشوم والأهواء المختلفة أركان دولة حتى تم وتنقض مدتها .

قال الربيع (٥) : سمعت الشافعي يقول : من أغضب ولم يغضب فهو حمار ، ومن غضب فاسترضى ولم يرض فهو جبار .

قال ذو النون : إلهي ! كيف أحب نفسي وقد عصيتك (٦) ! وكيف لا أحبها وقد عرفتك ! - ترى ما الذي عني ذو النون بقوله هذا ، وأي نفسه خاطب (٧) ؟

(١) ط : رضى الله عنه \ على : ناقصة في ف .

(٢) السابري من الثياب : الرقاق ، قال ذو الرمة (ديوانه ص ٤٠٣ بيت ٥٦) :

فجاءت بنسج العنكبوت كأنه على عَصَوَيْها سابري مُشْبَرَق
أى على عرقوبى الدلو كأنه ثوب رقيق متخرق ؛ وعرقوبا الدلو : خشبتا الصليب .

(٣) ناقص في ص ، ط . (٤) ف ، ط : منه مثلك .

(٥) الربيع هنا هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي صاحب الشافعي وراوية كتبه ، توفي سنة ٢٧٠ هـ ، وقد ورد هذا القول في « طبقات الشافعية » للسبكي ج ١ ص ٢٦١ هكذا : « قال الربيع : سمعت الشافعي يقول : من استغضب فلم يغضب فهو حمار ، ومن استرضى فلم يرض فهو لثيم - وفي لفظ : شيطان - ، ومن ذكر فلم ينزجر فهو محروم ، ومن تعرض لما لا يعنيه فهو الملوم » .

(٦) ط : عصيتك . (٧) ط : خاطب أيهما .

وقال آخر : خسارة يوم وليلة من دعى الى طعام فلم يجب ، وخسارة سنة من زرع ولم يحصد ، وخسارة العمر كله من لم يقرأ ولم يكتب ، وخسارة أبد^(١) الأبدين من لم يعمل لآخرته .

يقال : ما عفى عن الذنب من قرّع به . ثلاث من علامات الرقاعة : مداومة عشرة النساء ، والدالة على السلطان ، والقصص على الكراسى .

قال العُنْزِيّ^(٢) : مررت مع جماعة^(٣) من الصوفية بصومعة فيها راهب كان جَبَّ^(٤) نفسه ، فقلنا نسأله : لم جب نفسه ؟ فقعدنا بحذاء الصومعة نتحدث ونسأله أن يشرف علينا . فلما أشرف قلنا له : لم جببت نفسك ؟ — قال : كنت أتوهم أن الشهوة فيه ، وإنما كانت الشهوة في النفس : نظرت نظرة منذ ثلاثين سنة [١٦٧] ، وهى على إلى اليوم .

قال الحسن البصرى يوماً لمطرف بن عبد الله^(٥) : عظ أصحابك ! — قال : أخاف أن أقول ما لا أفعل . قال الحسن : وأينا يقول^(٦) ما يفعل ! لودّ الشيطان أنه ظفر بهذه منكم فلم يأمر بمعروف ولم ينه عن منكر .

(١) ف : الأبد .

(٢) ف : العزى — : فى باقى النسخ : العنزى ، ولم ندر من هو ولعله : العنبرى وهو عامر بن عبد الله المعروف بابن عبد القيس العنبرى البصرى . قال عنه مالك بن دينار : هو راهب هذه الأمة . وكان شديداً فى الأمر بالمعروف ، مما أدى به الى الانتقال الى الشام اثرو شاية به الى عثمان ، فأمر بنفيه الى الشام ، فأنزله معاوية الخضر . وقد أدرك النبى ولم يره . مات فى خلافة معاوية ودفن ببيت المقدس .

راجع عنه : « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٢٨ — ص ١٢٩ : « صفة الصفة » ج ٣ ص ١٢٦ — ص ١٣٥ .

أما العنزى فلم نجد مما يناسب المقام هنا غير طلق بن حبيب العنزى ، روى عن ابن عباس وجابر بن عبد الله — راجع عنه : « صفة الصفة » ج ٣ ص ١٨١ .

(٣) ط : بجماعة .

(٤) ف : أحبّ . . . أحبّ نفسه . . . قلنا له : أحببت نفسك . . . \ والمقصود أنه جَبَّ خُصاه : أى استأصله ، والمجبوب : الخصى الذى قد استؤصل ذكره وخصاه ، وقد جَبَّ جَبّاً — وفى حديث زبناج أن النبى جب غلاما له (لسان العرب ، مادة : جب) .

(٥) فى ط ، ف : بن عبد الله بن الشَّخِير . — وسترد ترجمته من بعد .

(٦) ف : وأينا يفعل ما يقول ! ودّ الشيطان . . .

وقال حكيم^(١) لأصحابه : حقاً أقول : الصدقة بحرف واحد من الحكمة^(٢) أنفع من الصدقة بجميع ما في الدنيا .
وقال : من احتجت أن تستكتمه سرك فلا تُفْشِه إليه .
سرور الدنيا أن تقنع بما رزقت ، ونعمها الحرص .
من كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة .
يقال : ستساق إلى ما أنت لاقٍ .
يقال : ما اجتمع عشرة إلا كان فيهم مقاتل شجاع ، وقد يجتمع الألف^(٣) فلا يكون فيهم عاقل .
قال ابن المبارك : طلبنا الأدب حيث فاتنا المؤدبون ، فالحقوا البقية قبل أن تنفي .

في أمثال العامة ، وهم يرونه على ظاهره : أن ابليس جاء إلى موسى وهو يناجي ربه تعالى ، فقال له ملك : ما الذي ترجو منه ؟ ويحك ، وهو على هذه الحال ؟ - قال : ما رجوت من أبيه وهو في الجنة .

دعاء : اللهم لا تكثر لي من الدنيا فأطغى ، ولا تُقِلَّ لي منها فأُنسى .
اللهم اجعل لي في الخير حظاً وجداً ، ولا تجعل معيشتي ضنكاً وكداً . اللهم إنني قد علمت أنني لا أستطيع أن آخذ إلا ما أعطيتني^(٤) ، ولا أسبيغ إلا ما رزقتني . فارزقني التقوى لك والعلم بك ما أبقيتني ، والكرامة منك^(٥) إذا توفيتني ، وشكر نعمتك فيما بقي من عمري .
ينبغي للعاقل أن يفرح بما لم ينطق به من الخطأ مثل فرحه بما لم يسكت عنه من الصواب .

قال حماد عن يونس وحميد [٦٧ب] : قالوا : لو أدرك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن^(٦) لاحتاجوا إليه . - والحسن ولد لملوكاً ، وهو مولى أمية بنت النضر ، عمه أنس بن مالك . وكان اسم أبيه يسار^(٧) من سبي ميسان .

(١) ط : وقال : حقاً أقول ...

(٢) ص : الحلم . (٣) ط : ألف .

(٤) ط : وألا . (٥) منك : ناقصة في ط .

(٦) أي الحسن البصري / ف : لا يحتاجوا ...

(٧) ف : بشار - وهو تحريف - وميسان صقع بالعراق (راجع ابن خلكان ١/ ٣٥٤ - ٣٥٦) .

قيل لبعضهم : كيف أنت ؟ - قال : أحمد الله إلى الناس ، وأذم الناس إلى الله (١) .

قال أحمد بن أبي خالد (٢) لظاهر : لا تعدن نفسك شجاعاً حتى تراها جواداً ، فانك إن لم تقوَ على نفسك لم تقوَ على عدوك .

رأى معاوية ابنه يزيد يضرب غلاماً (٣) ، فقال : يا بني ! كيف لا يسع حلمك من تضربه فلا يمتنع عليك (٤) ؟ !

كان رجلان يختلفان إلى مجلس يونس بن حبيب ؛ فغاب أحدهما ، فسأل الآخر عنه فقال : مات . قال : وما كان سبب موته ؟ - فقال : كونه (٥) .

كان أكرم بن صيفي يقول لابنيه : يا بني ! تقاربوا في المودة ، ولا تتكلموا على القرابة . وقال : الصمت منام العقل ، والنطق يقظته .

وقال الحسن : شكر العالم على علمه بذله لمن يستحقه .

قال الحسن : يا ابن آدم ! شيبك يعظك ، ومرضك ينذرك . فاسمع ممن يعظك ، واحذر ممن ينذرك .

قال رجل للأحنف وأراد أن يغضبه : ما فيك عيب إلا الدمامة والقصر . فقال : لأن ذاك أمر لم أوامر (٦) فيه .

قيل لبعض من يطلب الأعمال : ما تصنع (٧) ؟ - قال : أخدم الرجااء إلى أن ينزل القضاء .

(١) ف : الله تعالى .

(٢) طاهر : هو طاهر بن الحسين الخزاعي ، الملقب ذا اليمينين وكان قائداً للمأمون ، شجاعاً ، وكان المأمون قد أخذه غلاماً رباه ؛ وهو الذي ساعده في الظفر بالخلافة فقتل الأمين واستولى على خراسان ، فلما تمكن منها عزم على الخروج على المأمون ، وقطع الخطبة للمأمون ، ولكنه سرعان ما توفي فجأة ، وذلك سنة ٢٠٧ هـ . - راجع « شذرات الذهب » ج ٢ ص ١٦ - ص ١٧ .

(٣) ط ، ف : غلاماً له . (٤) ط : منك .

(٥) الكون هنا بمعنى الكون في مقابل الفساد ، أى الوجود في مقابل العدم . (٦) أى لم استشر فيه .

(٧) ما تصنع : ناقصة في ف .

دخل مكفوف على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حضر من نسائه :
 قمن ! - فقلن : إنه أعمى . - فقال : أفعمى (١) أنتن ؟ !
 قالت ابنة عبد الله (٢) بن مطيع لزوجها كلمة : ما رأيت أأم من قومك !
 قال : ولم ؟ - قالت - إذا أعسرت تركوك ، وإذا أيسرت [١٦٨] جاؤوك . -
 قال : هذا من كرمهم : يأتوننا في حال القوة منا عليهم ، ويفارقوننا في حال
 الضعف منا عنهم .

قال ابن الأعرابي : قال جازئلي (٣) : ماتاه على أحد (٤) أكثر من مرة واحدة .
 قال بعض الصوفية : ما طابت الدنيا إلا بذكرك ، ولا طابت الآخرة
 إلا بعفوك ، ولا طابت الجنة (٥) إلا برويتك .

قرىء عند أبي يزيد البسطامي (٦) : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
 وأموالهم بأن لهم الجنة » (٧) - فقال : من باع نفسه كيف يكون له نفس !
 وقال يحيى بن معاذ : من شبع عوقب بثلاث عقوبات (٨) : يلقي الغطاء
 على قلبه ، والنعاس على عينه ، والكسل على بدنه .

قيل لبعض (٩) الحكماء : لم لا تأكل طيبات الطعام ؟ - قال : لأني
 أحب أن أعيش عيشاً عقلياً ، والناس يحبون أن يعيشوا عيشاً بهيمياً .
 وقال : غضب الله (١٠) أشد من النار ، ورضاه أكبر من الجنة .
 وكان أبو يزيد يحكى (١١) أنه لما حج لقيه بالبادية رجل أسود فقال له :

-
- (١) ف : فعمى .
 (٢) عبد الله بن مطيع بن الأسود العدوي ، ولي الكوفة لابن الزبير قبل
 غلبة المختار . توفي سنة ٧٣ هـ - راجع « شذرات الذهب » ج ١ .
 ص ٨٠ : « عيون الأخبار » ج ١ ص ١ س ١٥ .
 (٣) ط : قال لي جازئلي .
 (٤) ط : أحد قط .
 (٥) ط : الآخرة .
 (٦) ف : البسطامي رحمه الله .
 (٧) سورة « التوبة » آية : ١١٢ .
 (٨) ص : عوقبات . - ويحيى بن معاذ الرازي : صوفي كبير توفي
 بنيسابور سنة ٢٥٨ هـ - راجع عنه : « الكواكب الدرية » ج ١ .
 ص ٢٧٢ - ص ٢٧٣ : « صفة الصفوة » ج ٤ ص ٧١ - ص ٨٠ .
 (٩) ط : قيل لحكيم .
 (١٠) ف : الله عز وجل .
 (١١) ط : وكان يحكى : لما حج ٠٠٠ / ف : وكان أبو يزيد يحكى أنه ٠٠٠

يا أبا يزيد ! إلى أين ؟ - قلت : إلى مكة . - فقال : يا عجبا ! تركته ببسطام وجئت تطلبه بمكة ! فبهت ثم التفت ، فلم أره (١) .

وكان الشبلي إذا جلس في مجلسه يبدأ بقوله عز وجل : « وإليه يرجع الأمر كله ، فأعبده وتوكل عليه » (٢) ؛ وإذا قطع المجلس يقرأ : « وإن إلى ربك المنتهى » (٣) .

قال : سمعت معروفاً الكرخي يناجي نفسه ويقول : يا نفس ! كم تبكين ! أخلصي وتخلصي .

شكا أهل مكة إلى الفضيل القحط ، فقال : أمدبراً غير الله تريدون ؟ ! قال (٤) عبد الله بن مسعود : ما من نفس حية [٦٨ ب] إلا الموت خير لها إن كان برّاً ، فإن الله (٥) يقول : « وما عند الله خير للأبرار » (٦) ؛ وإن كان فاجراً فالله (٧) يقول : « ولا يحسبن الذين كفروا إنما نملي لهم خير لأنفسهم ، إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً » (٨) .

قال رجل لمحمد (٩) بن واسع : أوصني ! - قال : أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة . - قال الرجل : وكيف أكون ملكاً ؟ - قال : ازهد في الدنيا .

قال الحسن : العالم لا يعيبه شيء لأنه يصنم فيسلم ، ويخاطب فيفهم (١٠) .

(١) ف : يره . (٢) سورة « هود » آية : ١٢٣ .

(٣) سورة « النجم » آية : ٤٣ . (٤) ف : وقال .

(٥) ط : الله عز وجل / : الله تعالى .

(٦) سورة « آل عمران » آية : ١٩٧ .

(٧) ف : فالله تعالى .

(٨) سورة « آل عمران » آية : ١٧٢ .

(٩) محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس بن خارجة بن زياد بن شمس

الأزدى ، أبو بكر ، ويقال : أبو عبد الله البصري . توفي في سنة ١٢٣

وقيل ١٢٧ - راجع « تهذيب التهذيب » ج ٩ ص ٤٩٩ - ص ٥٠٠ :

« الكواكب الدرية » ج ١٦١ - ص ١٦٢ ؛ « حلية الأولياء » ج ٢

ص ٣٤٥ - ص ٣٤٧ .

(١٠) ويخاطب فيفهم : ساقطة من ف .

- وقال عالم لابنه : يا بني ! إني أخاف على المحسن وأرجو للمسيء ، فما ظنك^(١) بخوفى على المسيء إذا كنت أخاف على المحسن !
- قيل ليوسف^(٢) وكان كثير الصوم : لم تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟
— قال : أخاف أن أشبع فأنسى الجائع .
- وقال أعرابي لأمير المؤمنين^(٣) عليّ عليه السلام : أوصني ! — فقال له : توق ما يعيب .
- قال مطّرف^(٤) بن عبد الله : لو وُزِنَ رجاء المؤمن وخوفه ما رجع أحدهما على الآخر .
- لا خير في ظنّ قَرٍ يصاب بضرر أو غرر .
من رضى^(٥) عن نفسه رأى فيه غيره ما لا يرى .
- وقال^(٦) بعضهم : العاقل لا يحزن على شيء من الدنيا تولى عنه ، ولا يدع حظه من السرور بما أقبل منها .
- وقال^(٧) : من رأى الموت بعين أمله وجده بعيداً ، ومن رآه بعين عقله وجده قريباً .
- وقال آخر : ما أصنع بدنيا إن بقيتُ لها لم تبق لي ، وإن بقيت لي لم أبق لها .
-
- (١) ص : أظنك • ط : فما ظنك برجائي للمحسن اذا كنت أرجو للمسيء /
ف : وما ظنك بخوفى على المحسن اذا كنت أرجو للمسيء •
- (٢) ف : ليوسف عليه السلام • (٣) علي : ناقصة فى ف •
- (٤) مطّرف بن عبد الله بن الشخير : يكنى أبا عبد الله ، صوفى محدث توفى فى ولاية الحجاج العراق بعد الطاعون الجارف — وكان الطاعون سنة ٨٧ ، وهو أكبر من الحسن البصرى بعشرين سنة (ولكن ورد فى « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٦٨ س ٢١ أنه توفى سنة ١٩٥ وقيل غير ذلك) — راجع : « صفة الصفوة » ج ٣ ص ١٤٤ — ص ١٤٩ ؛ « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٦٧ — ص ١٦٨ ، « شذرات الذهب » ج ١ ص ١١٠ •
- (٥) عن : ناقصة فى ص •
- (٦) ص : لبعضهم • ط : قال (بغير واو العطف) •
- (٧) وقال ... قريبا : ناقصة فى ط •

أربعة أشياء تنقص الحزن : كلام العلماء ، ولقاء الأصدقاء ، وشرب الشراب ، [١٦٩] وممر الأيام .

قال الأحنف : ما عرضت الانصاف على أحد فقبله إلا هبته ، ولا أباه إلا طمعت فيه .

سأل مسلم بن الوليد الفضل بن سهل حاجة فقال : أسوِّفك اليوم بالوعد ، وأسرك غداً بالإنجاز ، لتذوق حلاوة الأمل ^(١) وأتزين بثوب الوفاء !

وقال داوود عليه السلام : لا تدعوا ربكم ^(٢) والخطايا بين أضلاعكم . ألقوها عنكم ثم ادعوه يستجب لكم .

وقال ^(٣) بعض العلماء : كفاك خيانة أن تكون أميناً للخونة . — وهذا كلام عالم زاهد في الدنيا ^(٤) .

من كلام الحسن البصري ^(٥)

لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس بعيب فيه ^(٦) ، ولا يأمر باصلاح عيوبهم حتى يصلح عيوب ^(٧) نفسه . فاذا فعل ذلك لم يصلح عيباً إلا وجد في نفسه عيباً آخر ينبغي أن يصلحه . فاذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره . وإنك ناظر إلى عمالك بوزن خيره وشره ، فلا تحقر شيئاً من الخير وإن صغر ، فانك إذا رأيت سريراً مكانه . رحم ^(٨) الله امرأً كسب طيباً ، وأنفق قصداً ، وقدم فضلاً . ألا+ إن هذا الموت قد أضر بالدنيا وفضحها . ولا والله ما وجد ذو لب فيها فرحاً . فاباكم وهذه السبل المتفرقة التي جماعها الضلالة وميعادها النار . رحم الله امرأً نظر فتفكر ، وتفكر فاعتبر ^(٩) ، واعتبر ذأبصر ،

(١) ص : ولترين شوف ... (٢) الواو ناقصة في ف .

(٣) ص : بعضهم من العلماء ...

(٤) وهذا ... الدنيا : ناقصة في ط .

(٥) ف : البصري رحمه الله .

(٦) ف : هو فيه . (٧) ط : عيب .

(٨) رحم ... فضلاً : ورد في ف بعد قوله : ما فارقوا / ف : رحم الله من كسب ...

(+) ما بين العلامتين ساقط من ف .

(٩) ف : واعتبر .

وأبصر فصبر : فقد أبصر قوم ثم لم يصبروا فتمكن الخزع من قلوبهم ، فلم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا إلى ما فارقوا . يا ابن آدم ! اذكر قول الله تعالى : « وكل إنسان ألزمناه [٦٩ب] طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً » (١) عدل ، والله ، عليك من جعلك حسيب نفسك . خذوا صفاء الدنيا وذروا كدرها ، فليس الصفو ما عاد كدرأ ، ولا الكدر ما عاد صفوآ . دعوا (٢) ما يريكم إلى ما لا يريكم . ظهر الحفاء (٣) ، وقل العلماء ، وعفت السنة ، وعلت البدعة . إن ابن آدم غفول عن حظه . يا ابن آدم ! اعلم أنه (٤) ليس بك غنى عن نصيبك من الدنيا ، وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر .

•••

قال رجل لبشر (٥) : إنك مهموم . — قال : لأنى (٦) مطلوب .
ومر بشر^٧ بباب الشام على أصحاب الفواكه ، فقال : مقطوعة ممنوعة ، أف لك ! (٧) .

وكان بشر (٨) يقول : ما يكره الموت إلا مريب ، وأنا أكرهه .
وقال إبراهيم بن أدهم : لا تجعل بينك وبين الله تعالى مُنعماً .
وقال (٩) شعيب بن حرب ، سمعت سنيان الثوري يقول : جهدت أن

-
- (١) سورة « الاسراء » آية : ١٥ • (٢) ط : ودعوا •
(٣) ص ، ف : الحفاء (بالخاء) • (٤) اعلم أنه : ناقصة في ف •
(٥) لعله أبو نصر بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال بن ماهان بن عبد الله ، المروزي ، المعروف بالحافى : صوفى كبير ، أصله من مرو من قرية من قراها تسمى ماترسام ، وسكن بغداد • ولد سنة ١٥٠ هـ : وتوفي سنة ٢٢٦ أو ٢٢٧ ، فى بغداد أو مرو — راجع عنه ابن خلكان ج ١ ص ٢٤٨ — ص ٢٥١ : « الكواكب الدرية » ج ١ ص ٢٠٨ — ص ٢١١ : « صفة الصفوة » ج ٢ ص ١٨٣ — ص ١٩٠ النخ •
(٦) ط : لآى مطلوب •
(٧) اشارة الى الآية : « لا مقطوعة ولا ممنوعة » (سورة « الواقعة » آية : ٣٢)
(٨) ط : وقال بشر : ما •••
(٩) ط : قال • — وشعيب بن حرب المدائنى ، أبو صالح ، البغدادي ، نزىل مكة ، محدث ثقة ، مات سنة ١٩٧ هـ — راجع « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٣٥٠ — ص ٣٥١ •

أكون في السنة ثلاثة أيام على ما عليه ابن المبارك فلم أقدر — وكان ابن المبارك يلزم الفضيل بن عياض . فقال الفضيل (١) يوماً : لو كانت عندي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في الإمام ، فانه إذا صلح الإمام صلحت البلاد وأمن العباد . فقال ابن المبارك فقبل رأسه وقال : أحسنت يا معلم الخير ! وقال أبو حازم (٢) المدني : أعظكم وما أرى موضعاً ، ولا أريد بذلك إلا نفسي .

قيل للملك زال ملكه : ما الذي أزال ملكك ؟ — قال : ثقتي بدولتي ، وإعجابي بشدتي ، واستبدادي بمعرفتي ، وتركي تعرف أخبار أهل مملكتي .

قال معمر : أنهاكم عن الطعام الذي يفسد الذهن وينقص العقل . — وكان لا يتعرض للباذنجان [١٧٠] والبصل والباقلاء والعدس والكزبرة . وكان يقول : الباذنجان يفسد في شهر ما لا يصلحه البلاذر في عام .

وقال إسماعيل بن غزوان (٣) : كل علم لا يكون في مغرس عقل ، وكل بيان لا يكون في نصاب علم ، وكل خلق لا يجري على عرف (٤) — فليس بذئ ثبات .

وقال : أشد الناس إلى الناس حاجة أكثرهم تقديراً للاستغناء عنهم .

وقال آخر : إذا (٥) أردت لباس المحبة فكن عالماً كجاهل .

وقيل : ليس الحكيم الكثير العلم ، ولكن الحكيم المنتفع بما يعلم .

وقالوا : لا تتمتع وارثك بكذك .

وقالوا : أعسر العيوب صلاحاً للعجب واللجاجة .

(١) ط : الفضيل بن عياض .

(٢) أبو حازم المدني : هو سلمة بن دينار ، الأعرج ، الأفرز ، التمار ، القاص ، مولى الأسود بن سفيان المخزومي ، وقيل : مولى بني شجع من بني ليث : محدث ثقة . توفي سنة ١٤٤ هـ وقيل ١٣٣ ، وقيل ١٣٥ ، وقيل ١٤٠ هـ . — راجع عنه : « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ١٤٤ : « حلية الأولياء » ج ٣ ص ٢٢٩ ص ٢٥٩ ذكره ابن قتيبة في « عيون الأخبار » ج ٢ : ١٢٨ ، ج ٤ : ١٠٨ ، والجاحظ في « الحيوان » ج ٢ : ٥٨ ، ج ٣ : ٢٤٨ ، ج ٤ : ٤٦٩ ، ج ٥ : ١٠٤ ، ١٠٧ ، ٣١٧ .

(٤) العرف : المعروف . وفي ط : عرق .

(٥) ط : ان .

فيا أوحى الله^(١) — عز وجل — إلى داوود : يا داوود ! خذ من الدنيا بقدر ما تطيق حمله ؛ واكتسب^(٢) من الذنوب ما تحتمل عقوبته ؛ وانظر إذا دعوتك أن تجيبني من حيث أقمتك ؛ ولا تخالف من لا تستغنى عنه .
وقال سفيان الثوري : إذا أردت السلامة فلا تحجج عن ميت ، ولا تدخل في وصية ، ولا تداخل السلطان .

لا خفض بغير كفاية .

قيل للحجاج لما أشرف على الموت : ما نراك تجزع من الموت . — فقال : إن كنت مُحْسِنًا ، فليست بساعة الجزع ؛ وإن كنت مُسِيئًا ، فليست بساعة الجزع .
وقال آخر : مُسْتَتِمُّ الصَّنِيعَةِ مَنْ صَابَرَهَا فَعَدَلَ زِيغَهَا ، وَأَقَامَ أَوْدَهَا ، صِيَانَةً لِمَعْرُوفِهِ ، وَنَصْرَةً لِرَأْيِهِ . فان أول المعروف مستخف^(٣) ، وآخره مستثقل . تكاد أوائله تكون للهوى دون الرأي ، وأواخره^(٤) للرأى دون الهوى . ولذلك قيل : ربُّ^(٥) الصَّنِيعَةِ أَشَدُّ مِنْ ابْتِدَائِهَا [٧٠ب] .

وقال بعض الحكماء : من ازداد في العلم رشدًا فلم يزد في الدنيا زهدًا ، ازداد من الله بعدًا .

وقال : الحلم حلمان : فأشرفهما حلمك عن دونك ؛ والصدق صدقان : فأعظمهما صدقك فيما يضررك ؛ والوفاء وفآن : فأسنأها وفاؤك لمن لا ترجوه ولا تخافه .

وقال : إن استصغارك نعمتك يكبرها عند ذوى العقل ، وسترك لها نشر عندهم . فأنشرها بسترها ، وكبرها باستصغارها .

قال الجاحظ : قلت لسهل بن هارون : قال حَبَّاب : أحق الناس بصحبة السلطان من صرفهم عن عيوبهم ، واحتمل ثقل نصائحهم في حظوظهم . فقال : لكني أقول غير ذلك . — قلت : ما هو ؟ — قال : أحق الناس بصحبة السلطان من ساعدتهم على أهوائهم ، وألهمهم عن ذكر عاقبتهم . — قال : فذكرت قولهم : إذا كان لك أخ فاستدم مودته بترك الخلاف عليه ما لم يكن عليك منقصة ولا غضاضة .

(١) ط : الله تبارك وتعالى الى داوود • (٢) ص : فاكتسب •

(٣) ص : وآخره • (٤) أى زيادتها وتنميتها •

قال بعضهم : العاقل خادِم الأحمق أبداً — قيل : وكيف (١) ذلك ؟ —
قال : إن كان فوقه لم يجد من مداراته بدا ، وإن كان دونه لم يجد من احتماله بدا .
وقالوا : احترس من ذكر العلم عند من لا علم له وعند من لا يرغب فيه ،
فإن ذلك بالحرى أن يتخذهُ سلماً إلى عداوتك .

قال الفضيل (٢) : لا يكون الرجل من الأبرار حتى يأمنهُ عدُوهُ . ثم قال :
هيات ! ذهب هو! لاء ! كيف يأمنك عدوك ، وصديقك يخافك ؟ !

سئل سفيان (٣) : من الناس ؟ — فقال : العلماء . — قيل : فمن الملوك ؟ —
قال : الزهاد . — قيل : فمن الأشراف ؟ — قال : المتقون . — [١٧١] قيل :
فمن الغوغاء ؟ — قال : القُصَّاص . — قيل : فمن السفلة (٤) ؟ — قال : الظلمة .
قال زيد بن علي بن الحسين (٥) عليهم السلام : إنك تقدم على ما قدمت ،
ولست تقدم على ما تركت . فأثر ما تلقاه غداً على ما لاتراه أبداً .

كان خالد (٦) بن عبد الله القسرى لا يحتجب كما يحتجب الأمراء ،

(١) ط : فكيف ، قال ٠٠٠

(٢) هو أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر ، التميمي ،
الطالقاني الأصل : صوفي مشهور ، كان في أول أمره شاطراً يقطع
الطريق ، ثم تاب وأصلح . ولد في أبيورد ، وقيل في سمرقند ،
ونشأ في أبيورد ، وقدم الكوفة ، وسمع الحديث بها ، ثم انتقل
إلى مكة وجاور بها إلى أن مات في المحرم سنة ١٨٧ هـ (٨٠٢ م) .
راجع عنه : ابن خلكان ج ٣ ص ٢١٥ — ص ٢١٧ — ثم « صفة
الصفوة » ج ٢ ص ١٣٤ — ص ١٣٩ : المناوى : « الكواكب الدرية »
ج ١ ص ١٤٨ — ص ١٥٠ .

(٣) أي سفيان الثوري . (٤) ط : السفلى .

(٥) ط : زيد بن علي عليهما السلام .

(٦) هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز بن عامر بن عبد الله ،
البحلي ، ثم القسرى . وكان أمير العراقيين من قبل هشام بن عبد الملك
الأموي ، وولى قبل ذلك مكة تسع وثمانين للهجرة ، وكانت
أمه نصرانية . ويعد من خطباء العرب المشهورين بالفصاحة والبلاغة ،
مشهوراً بالكرم . وكان متهماً في دينه ، يرمى بالزندقة (« الفهرست »
لابن النديم ص ٤٧٣ س ٢ ، من الطبعة المصرية بغير تاريخ) ،
وبنى لأمه كنيسة تتعبد فيها ، وفي هذا هجاء الفرزدق بأبيات
أوردها ابن خلكان (ج ٢ ص ٧) : قتل وصلب في أيام الوليد
بن يزيد سنة خمس أو ست وعشرين ومائة بالحيرة . راجع عنه
ابن خلكان ج ٢ ص ٦ — ص ١٠ (القاهرة سنة ١٩٥٠) .

ويقول : لا يحتجب الوالى إلا لثلاث خصال : إما رجل عيى يكره أن يطلع الناس على عيه ، وإما رجل مشتمل على سرة فهو يكره أن يرى الناس منه ذلك ، وإما رجل بخيل يكره أن يسأل .

..

كتب عمر بن الخطاب إلى ابنته : اتق الله فانه لا عمل لمن لا نية له ، ولا مال لمن لا رفق له ، ولا حرمة لمن لا دين له .

وقال (١) : النساء عورات فاستروهن بالبيوت ، وداووا ضعفهن بالسكوت ، وخوفهن (٢) بالضرب ، وباعدوهن من الرجال ، ولا تسكنوهن الغرف ، ولا تعلمن الكتابة ، وعودوهن العرى : فانهن إذا عرين لم يخرجن ولزمن بيوتهن ، وأكثروا عليهن من قول : « لا » ، فان « نعم » تغريهن بالمسألة .

وكتب إلى أبى موسى الأشعرى : مُرّ ذوى القربات (٣) أن يتزاورا ولا يتجاورا .

وقال : أبت الدنانير إلا أن تبرز أعناقها .

..

كان أبو حنيفة رحمه الله إذا ذاکر بالعلم يقول : أين السلاطين مما نحن فيه ! أما لو فطنوا لنا لقاتلونا عليه بالسيوف .

وقال غيره : الأيادى ثلاثة : يد بيضاء ، وهى الابتداء بالمعروف ؛ ويد خضراء ، وهى طلب المكافأة ؛ ويد سوداء ، وهى المن بالمعروف .

وقال محمد بن واسع لصديق له رآه حريصاً على الدنيا : يا أخى ! أنت طالب مطلوب (٤) : يطلبك من لا تفوته ، وتطلب ما قد كفيت ! فكأنك بما قد غاب عنك قد كشف لك ، وما أنت فيه قد نقلت عنه ، كأنك لم تر حريصاً محروماً ، ولا زاهداً [٧١ب] مرزوقاً .

وقال عمر بن الخطاب : كفى بك غياً أن يبدولك من أخيك ما يخفى عليك من نفسك ، أو تؤذى جليسك فيما لا يعينك ، أو تعيب شيئاً وتأتى مثله .

(١) أى عمر بن الخطاب . (٢) ط : أخيفوهن .

(٣) أى : ناقصة فى ط . (٤) ط : ومطلوب .

وقال : يا معشر القراء ! لا تلقوا كلمكم على إخوانكم ، ولا تدعوا آخرتكم
لديناكم ، ولا دنياكم لآخرتكم^(١) ، واستعينوا على هذه بهذه .
وقال غيره : أول العلم^(٢) الصمت والاستماع ، ثم الحفظ ، ثم المذاكرة ،
ثم التعليم ، ثم النشر .

من عاش متعلماً مات عالماً .

قال أبو عمرو بن العلاء : كل شيء طلبته في وقته فقد فات وقته .

وقال : الحاسد مغيط أبداً ، ويكفيك منه أنه يغم في وقت سرورك .

وقال : صاحب الصمت لا يجوز نفعه نفسه ، وصاحب النطق يتكلم
فينفع نفسه^(٣) وغيره .

وقال : نفع الدنيا ظاهر : إذ^(٤) كان يفوز في الآخرة من تزود من هذه .

قال المسيح عليه السلام : ما زهد في الدنيا من جزع من المصائب فيها .

سمع بعضهم واعية^(٥) في دور بعض الملوك فقال : يا ويح المفتونين بالدنيا

إلى متى يسمعون صيحة الآخرة في ديارهم وهم غافلون !

وقال : لم نر داراً أغر من الدنيا ، ولا طالباً أغشم من الموت ، ولا غافلاً

أعجب من الإنسان !

وقال : احذر القتل ، فان للقاتلين قاتلاً^(٦) لا يموت .

قال المسيح عليه السلام : حتى متى تصفون الطريق للمدبحين وأنتم

مقيمون في محلة المتحيرين : تصفون من البعوض شرايبكم ، وتبلعون الحمال

بأجملها ؛ إن الزرق إذا نغل^(٧) لم يصلح أن يكون وعاءاً للعسل ، وإن قلوبكم

قد نغلت فلا تصلح فيها الحكمة . كم مذكر بالله ناس له ! وكم نخوف بالله

جرى عليه ! وكم داع إلى الله هارب منه ! وكم تال للكتاب الله منسلخ من آياته !

(١) الواو ناقصة في ص . (٢) ص : ان العلم ...

(٣) الواو ساقطة في ص . (٤) ص : اذا .

(٥) الواعية : الصراخ والصوت ، لا الصارخة (كما في «القاموس المحيط»).

(٦) ط : قاتل .

(٧) ص : نعل . - ونغل الأديم (كفرج) فهو نَغِيل : فسد .

أمر بعض الملوك أن يستخرج له كلمات من الحكمة ليعمل بها ، فاستخرجت له أربعون ألف كلمة ، فاستكثرها ، فاختر منها أربعة آلاف كلمة ، ثم لم يزل [١٧٢] ينقص منها حتى رجعت إلى أربع كلمات (١) وهي : لا تتقن بامرأة ! لا تحملن معدتك فوق طاقتها ! احفظ لسانك ! خذ من كل شيء ما كفاك !

ومن حكم العرب في الجاهلية

ابنك يأكلك صغيراً ويرثك (٢) كبيراً ، وابنتك تأكل من وعائك وترث في أعدائك ، وابن عمك عدوك وعدو عدوك .
وكانوا يقولون : إن للدرهم قمصاً (٣) كقماص الفرس ، فليس يضبطه إلا القوى الحازم من الرجال .

•••

قال رجل لمطيع بن إياس : ما ندمت على صمت قط ولا ملته . فقال مطيع : أما أنت فلو خرس ما أجرك الله على الخرس (٤) فانه من شهوتك . وقال (٥) جعفر الصادق : إني لأملق (٦) فأناجر الله بالصدقة فأتسع . قيل للحسن بن صالح (٧) : لم لا تخضب ؟ - فقال : الخضب زينة ونحن في ماتم .

-
- (١) وهي : ناقصة في ص • (٢) ص : يترك •
(٣) القمص (مثلثة القاف) : الوثب • وقمص الفرس من بابي نصر وضرب قمصا وقمصا : استن ، وهو أن يرفع رجله وي طرحهما معا ويعجن برجليه • (٤) ف : لأنه •
(٥) جعفر : ناقصة في ط / ف : جعفر الصادق عليه السلام •
(٦) أي يصيبني الفقر / ف : الله تعالى •
(٧) الحسن بن صالح بن حي الهمداني فقيه الكوفة وعابدها : ثقة حافظ متقن ، روى عن أبيه وأبي اسحق وعمرو بن دينار وعاصم الأحول • وكان يتشيع • وكان ورعا متجردا للعبادة • قال ابن سعد : « كان ناسكا ، عابدا ، فقيها ، حجة ، صحيح الحديث ، كثيره ، وكان متشيعا » - راجع « تهذيب التهذيب » ج ٤ ص ٢٨٥ - ص ٢٨٩ : « طبقات » ابن سعد ج ٦ ص ٢٦١ (طبقة سخاو ، ليدن سنة ١٩٠٩) : « شذرات الذهب » ج ١ ص ٢٦٢ - ص ٢٦٣ • وتوفي سنة ١٦٧ هـ •

وقال أبو (١) حازم : الدنيا جيفة ، فان رضيت بها فاصبر على مقارنة الكلاب فيها .

وقال آخر : اتقوا الله عباد الله ! فانه ليس يتمنى المتقدمون قبلكم إلا المهل المبسوط لكم . يا قوم ! استغنموا نفس الأجل ، وإمكان العمل ، واقطعوا ذكر المعاذير والعلل ؛ فانكم في أجل محدود ، ونفس معدود ، وعمر غير ممدود (٢) . اعتل بعض الزهاد ، فكان الناس يعودونه ، فقال يوماً : اللهم كما أنسيتني الناس فأنسهم إياي .

وقال الفضيل : إن الله تعالى يقول : إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني .

ونظر الفضيل إلى رجل يشكو [٧٢ب] إلى صديق له ما هو فيه من الضر وشدة (٣) الضائقة فقال : يا هذا ! أتشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك ؟ قال الجنيد : دخلت على المغربي وهو قاعد يكتب فقلت : إلى متى هذه الكتبة ؟ متى العمل ؟ - فقال : يا أبا القاسم ! أو ليس هذا عملاً (٤) ؟ - فبقيت دهشاً لا أدري ما أقول .

وقال آخر : الموت شيء خَوْف به العالم ، فمن خاف منه فهو محبوب عن الحق .

قال مبارك (٥) بن فضالة : سمعت الحجاج يقول في خطبة : إن الله (٦)

(١) ص ، ط : حازم - ولعله : أبو حازم سلمة بن دينار التمار المدني القاص الزاهد الحكيم ، مولى الأسود بن سفيان المخزومي ، عالم المدينة وواعظها ، وكان أشقر فارسيًا وأمه رومية . توفي سنة ١٤٠ هـ (راجع « شذرات الذهب » ٢٠٨/١) أو ما بين ١٣٣ و ١٤٤ على خلاف في ذلك . وأورد له صاحب « التهذيب » عدة أقوال في هذا المعنى (ورقة ٢٦٤ ا بدار الكتب المصرية) . ناقصة في ف .

(٢) ط : الضر والاضافة ، وكذا في ف .

(٣) ط ، ص : عمل .

(٤) مبارك بن فضالة بن أبي أمية ، أبو فضالة ، البصري مولى زيد بن الخطاب . روى عن الحسن البصري وبكر بن عبد الله المزني وغيرهما . توفي سنة ١٦٥ أو ١٦٤ أو ١٦٦ . - راجع « تهذيب التهذيب » ج ١٠ ص ٣٠ ؛ « شذرات الذهب » ج ١ ص ٢٥٩ ؛ « تهذيب الكمال » ١٦٥٠ . (٥) ف : الله تعالى .

عز وجل أمرنا بطلب الآخرة ، وضمن لنا مؤونة الدنيا . فيآليته ضمن لنا الآخرة .
وأمرنا بطلب الدنيا ! — قال : فذكرت ذلك للحسن فقال : ضالة مؤمن عند
فاسق فخذها .

وقال ابن عباس (١) : لولا مخافة الوسواس لرحلت (٢) إلى بلاد لا أنيس (٣)
فيها وأقمت فيها إلى أن (٤) ألقى الله تعالى ، فما يفسد الناس إلا الناس .
وقال حذيفة : والله إني لأود (٥) أن أجد من يقوم بمالي ، ثم أغلق عليّ
فلا يراني أحد حتى ألحق بالله (٦) .

قيل لابن المبارك : إلى كم تكتب ؟ — فقال (٧) : لعل الكلمة التي
تنفعني لم أكتبها بعد .

وفي الأمثال (٨) القديمة : إذا رأيت الفيل على مُقلّة جبل فاطلب عظامه
في الحضيص .

قيل لعالم : هل يتمنى الجاهل أن يكون عالماً ؟ — قال : لا ، إلا أن (٩)
يكون عاقلاً — قيل : فهل يتمنى العالم أن يكون جاهلاً ؟ — قال : لا ، إلا
أن يعدّم عقله .

اتقوا درك الذنوب ، فان المذنب في كف الطالب .

أعزوا الحق يذلّ لكم الباطل .

أموالكم عواري (١٠) بينكم فتبادلوها .

خذوا أهبة الرحيل فانكم سقّر (١١) .

[١٧٣] اتقوا الظلم فان الحاكم عدل .

(١) ف : رضى الله عنهما .

(٢) ط : لدخلت . (٣) ف : لا ابليس .

(٤) الى أن : ناقصة في ص . — فيها : في ط : بها حتى ألقى الله

فما يفسد الناس سوى الناس . / ف : سوى الناس .

(٥) ط : أود . — وحذيفة هو حذيفة بن اليمان ، وستأتى ترجمته

بعد ص ١٧٥ تعليق ٩ .

(٦) ف : بالله عز وجل . (٧) ص : قال .

(٨) ف : الأمثال السائرة القديمة .

(٩) الا أن يكون . . . لا : ناقصة في ف .

(١٠) جمع عارية : شيء مستعار . — بينكم : ناقصة في ص ، ف .

(١١) أى مسافرون .

من أقاده الدهر أقاد منه (١) .
 خذوا عن أهل التجارب .
 الجور مهانة ، والجود مهابة .
 علانية العاقل سر ، وسر الجاهل علانية .
 لا تغضب فان القدرة من ورائك .
 اشغلوا نساءكم ، فان الدواهي في الفراغ .
 الخزع عند البلاء تمام الآفة .
 لا تتكلموا على القرابة ، فان القريب من قرب نفسه .
 نعم شغل الحرة الغزل . مقتل الرجل بين فكيه . المسئى تكفيه مساوئه (٢) .
 البطالة نذالة (٣) .

من كلام أكثم بن صيفي

عني عرفت فذرفت . لم يفت من لم يمت . مع كل حبرة (٤) عرة .
 لا تنفع حيلة مع غيلة . أخو الظلماء أعشى . هلكت الأشراف بمخالطة السفال .
 في الحرية تسترك (٥) العشيرة . ليس بيسر تقويم العسير . إذا أنصف مظلوم
 لم يبق ملوم . غلب عليك من دعا إليك (٦) . لم يجز سالك القصد . الحريص
 يطلب القليل ويضيع الجليل . التناجر عز والتواكل مذلة .

..

لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة (٧) ، قال : ليتني كنت غسالا
 أعيش بما أكسب يوماً بيوم ! — فبلغ أبا حازم (٨) قوله فقال : الحمد لله الذي
 جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ، ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه .

- (١) ف : عنه / في بعض النسخ : أفاده ٠٠٠ أفاد (بالفاء) .
- (٢) مقتل ٠٠٠ مساوئه : ناقصة في ص/ف : اساءته .
- (٣) البطالة نذالة : ناقصة في ط ، ف .
- (٤) ط : خبرة ، ف : حيرة .
- (٥) ف : تشترك .
- (٦) ف : عليك .
- (٧) توفي عبد الملك بن مروان الخليفة أبو الوليد في شوال سنة ٨٦ وله ستون سنة .
- (٨) لعله أبو حازم المدني الذي سبقت ترجمته ص ١٧٢ . تعليق رقم ١ : ولا يشترط أن يكون بلوغه قول هشام في حينه ، بل يجوز أن يبلغه ذلك بعد زمان يطول ويقصر .

وقيل له لما ثَقُلَ : كيف تجددك يا أمير المؤمنين ؟ - فقال : أجدني (١)
كما قال الله تعالى : « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم
وراء ظهوركم » (٢) .

قال أبو سليمان الداراني (٣) : إن الرجل لينقطع إلى بعض الملوك ، ملوك
الدنيا ، فيرى أثرهم عليه . فكيف [٧٣ ب] من (٤) ينقطع إلى الله تعالى ؟ ! (٥)
كتب أبو علي الروذباري إلى صديق له (٦) وكانت بينهما وحشة :
« ترك العتاب فرقة ، وطول العتاب وحشة . فان كنت ذممتني على الإساءة ،
فلم ترضى من نفسك بالمكافأة عليها ؟ ! » .

لما احتضر هشام بن عبد الملك نظر إلى أهله ليكون حوله فقال : جاء
هشام (٧) لكم بالدنيا ، وجدتم له بالبكاء ؛ وترك لكم ما جمع ، وترككم له
ما حمل ؛ ما أعظم مصيبة هشام إن لم يرحمه (٨) ربه !
ولما احتضر حذيفة (٩) قال : حبيب جاء على فاقة ؛ لا أفلح من ندم .
الحمد لله الذي سبق بي الفتن . أليس بعدى ما أعلم ؟ !

-
- (١) ص : أجدني وراء ظهوركم كما ٠٠٠ وفي ط : قال الله عز وجل ٠٠٠
(٢) سورة « الانعام » آية : ٩٤ .
(٣) ط : الداري - وهو صواب أيضا لأن النسبة الى داريا : داري
وداراني . (٤) ف : بمن .
(٥) ط : عز وجل . (٦) الواو ناقصة في ط ، ف .
(٧) ف ، ط : جاد عليكم هشام بالدنيا ٠٠٠
(٨) ان لم يرحمه ربه : وردت في ف ، وساقطة من ص ، ط .
(٩) حذيفة بن اليمان : يكنى أبا عبد الله ، واسم اليمان حسيل بن
جابر بن ربيعة بن عمرو : من أكابر الصحابة المشهورين بالزهد
ولاه عمرو بن الخطاب على المدائن ، وتوفى بعد قتل عثمان بأشهر .
وورد هذا القول في « صفة الصفوة » (ج ١ ص ٢٥١) هكذا :
« عن زياد مولى ابن عياش قال : حدثني من دخل على حذيفة في
مرضه الذي مات فيه فقال : لولا أن أرى أن هذا اليوم آخر يوم من
الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به . اللهم انك تعلم أنني كنت
أحب الفقر على الغنى ، وأحب الذلة على العز ، وأحب الموت على
الحياة ! حبيب جاء على فاقة ! لا أفلح من ندم . - ثم مات رحمه الله » .
- راجع عنه : « صفة الصفوة » ج ١ ص ٢٤٩ - ص ٢٥٢ ؛ « حلية
الاولياء » ج ١ ص ٢٧٠ - ص ٢٨٣ . وتوفى حذيفة في سنة ٣٦ هـ
(« شذرات الذهب » ج ١ ص ٤٤) .

ولما احتضر^(١) أبو الدرداء جعل يقول : من يعمل لمثل مضجعي هذا ،
ولمثل ساعتي هذه ! بلغ من خدع الناس أن جعلوا شكر الموتى تجارة عند الأحياء ،
والثناء على الغائب استمالة لقلب الشاهد .

وقال آخر : بئس الصديق الذي إن أعطيته أفقرك ، وإن منعته وجد عليك .
وقال^(٢) بعضهم : لا يعمل المخلوق شيئاً أشبه بعمل الخالق — عز وجل —
من التجاوز عن الذنوب . — وهذا شبيه بما قاله : لو جاز أن يظهر الخالق
عز وجل^(٣) لظهر في صورة الحلم .

وسئل جعفر الصادق عليه السلام عن معنى الانقطاع إلى الله عز وجل ،
فقال^(٤) : أن تعلم أن ما حكم^(٥) عليك من شيء فانه في ذلك محسن إليك ،
وهو بك أرأف ، وعليك أشفق .

قال ذو النون : كل مطيع مستأنس ، وكل عاص مستوحش ، وكل
خائف هارب ، وكل راجٍ طالب ، وكل محب ذليل^(٦) .

وقال : من ذكر الله [١٧٤] نسي كل شيء في جنبه ، ومن نسي في
جنبه^(٧) كل شيء حفظ الله عليه^(٨) كل شيء ، وصار له عوضاً من كل شيء .
وقال ابن^(٩) السماك : سبحان من خلقنا فجعلنا نُبْصِرَ بشحم ، ونسمع
بعظم ، ونتكلم بلحم !

-
- (١) راجع هذا الخبر في « صفة الصفوة » ج ١ ص ٦٤ ، مع خلاف في الرواية .
(٢) الواو ناقصة في ط . (٣) عز وجل : ناقصة في ف .
(٤) ص : قال . (٥) ص : أن حكم ...
(٦) ف : وكل من ذكر الله عز وجل نسي كل شيء ...
(٧) ط : ومن نسي كل شيء في جنبه حفظ ...
(٨) ف : الله سبحانه وتعالى كل شيء .
(٩) هو أبو العباس محمد بن صباح ، مولى بنى عجل : زاهد ، صاحب مواظ . كوفي قدم بغداد زمن هارون الرشيد فمكث بها مدة ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ هـ (٧٩٩ م) — راجع عنه : ابن خلكان ج ٣ ص ٤٢٨ — ص ٤٢٩ : المناوي : « الكواكب الدرية » ج ١ ص ١٦٢ — ص ١٦٣ : ابن الجوزي : « صفة الصفوة » ج ٣ ص ١٠٥ — ص ١٠٨ : أبو نعيم : « الحلية » ج ٨ ص ٢٠٣ — ٢١٧ — ف : ابن السماك رحمه الله .

وقال : من يهرب منك إن سألته ، فلا تسأله ، ولكن سل من أمرك أن تسأله .

وقال غيره : نحن نسأل أهل زماننا إلخافاً ، وهم يعطوننا كرهاً ، فلا هم ثابون ، ولا نحن يبارك لنا .

وصى رجل ابنه فقال^(١) : إياك ومشاورة النساء : فان رأيهن إلى أفن ، وعزمهن إلى وهن ؛ واكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن^(٢) ، فان حجابهن^(٣) خير من الارتياح ، وليس خروجهن بأشد من دخول من لا تثق به عليهن . فان استطعت ألا يعرفن غيرك ، فافعل . لا تملكن امرأة من الأمر ما جاوز نفسها ، فان ذلك أنعم لبالها ، وأدوم لحالها ؛ وإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة . فلا تعدّ بكرامتها نفسها ، ولا تجز لها الشفاعة عندك لغيرك^(٤) ، ولا تطل الخلوة معهن فانهن يملكنك . وإياك والغيرة في غير موضعها ، فان ذلك يدعو الصحيحة منهن^(٥) إلى السقم .

المودة لا تنقطع ما دامت العفة رباطها .

من فاته حسَبُ نفسه لم ينفعه حسب أبيه .

لا تثقنَّ بشكر من تعطيه^(٦) حتى تمنعه^(٧) ، فالصابر هو الشاكر ، والخازع هو الكافر .

إذا عظمت القدرة قلت الشهوة .

مع كل سرفٍ حق مضيع .

في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق .

لا تعدن معروفاً نلته ، وإن كان حظاً [٧٤ب] نفيساً ، بعد ابتذال قدرك وإراقة ماء وجهك . فان الذى فقدت من عز الصيانة أكثر من قدر العائدة ، وقيمة ما بذلت أعظم من الذى حُزّت من قضاء^(٨) وطرك .

(١) ف : فقال له . (٢) إياهن : ناقصة في ص ، ف .

(٣) ط : حجابه . (٤) ط : لغيرها .

(٥) منهن : ساقطة من ف . (٦) ف : تعطه .

(٧) وردت هذه العبارة قبل . (٨) ط : وطر نفسك .

إدراك الحاجة يكون بلبن المقال ولطف السؤال وحسن الأناة وقلة الاستكراه.
لا تعدن لكل فارطة^(١) عتاباً ؛ وليكن عتابك تأديباً لا تأنيباً ، فان أضر
الأدب ما كان تعبيراً ، وخيره ما كان تبصيراً . لولا التجارب لعميت المذاهب^(٢) .
خلف المواعيد أشد تهجيناً للمروءة من الرد .

أفضل على من شئت فانك فوقه ، واستغن عن شئت فانك مثله ، واحتج
إلى من شئت فإنك دونه^(٣) .

حسن البشر اكتساب محمودة ودفع ضغينة بغير مؤونة^(٤) .
خاصم رجل رجلاً^(٥) آخر فرفعه إلى شريح ، فباهله ، فرفع يده إلى السماء
يدعو ربه . فقال شريح : غض طرفك وكف يدك ، فانك لن تراه ولن تناله .
قيل لزهّد : لم تخضب وقد شبت وأنت بعد شاب ؟ — فقال : إن الثكلي
لا تحتاج إلى ماشطة . وقال : إن الثكلي إذا لبست الحداد فقد تسلت .
وقال عمر بن عبد العزيز لرجل قدم عليه من ناحية : كيف رأيت عمّالنا
فيكم ؟ — فقال : يا أمير المؤمنين ! إذا طابت العيون عذبت الأنهار .
قيل لإبراهيم بن أدهم في عام قحط : ألا نستسقي ؟ — فقال : أقيموا
عبوديتكم ، فانه أعلم بربوبيته .
قيل لبعضهم : لم تجمع المال ؟ — فقال : لمصائب الزمان وجور السلطان
ومنادمة الاخوان .

وقال : إن هؤلاء العوام مشغولون عن الفضائل بعيشة البهائم ، فهم
لا يجدون طعم العز ، ولا سرور الظفر ، ولا رَوْح اليأس ، ولا برد اليقين ،
ولا راحة الأمن .

وقالوا : من عامل الإخوان بالمكر كافأوه بالغدر .
وقالوا : ليس^(٦) من تكلم فأحسن [١٧٥] قدر أن يسكت فيحسن .

- (١) أى ما يفرط من ذنب ، أى ما يصدر من ذنب هين . . .
(٢) لولا . . . المذاهب : ناقصة في ص .
(٣) واحتج . . . دونه : ناقصة في ط .
(٤) ط : مرزية . (٥) رجلا : ناقصة في ط .
(٦) ط : ليس كل من قدر أن يتكلم فيحسن ، قدر أن يسكت فيحسن ،
وليس كل من قدر أن يسكت فيحسن قدر أن يتكلم فيحسن .

وقالوا : أسد حطوم خير من سلطان ظلوم ، و سلطان ظلوم خير من فتنة تدوم .

كتب أمير المؤمنين علي^(١) - عليه السلام - إلى عبد الله بن عباس^(٢) :
أما بعد ! فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فوت ما لم يكن
ليدركه ، فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن أسفك على ما فات منها ؛
وما نلت من الدنيا فلا تنعم به فرحاً^(٣) ، وليكن همك لما بعد الموت . والسلام !
قال رجل لآخر : لا أراك الله مكروهاً . فقال آخر كان يسمعه :
كأنك دعوت عليه بالموت . قال : ولم ؟ قال : لأن صاحب الدنيا لا بد أن
يرد عليه مكروهاها^(٤) .

وقال بعض البلغاء لصديق له : إنما أبغى منك بشر وامق لا بشر^(٥) منافق .
وقال آخر : نحن في زمانٍ المعروف فيه زلل ، والصواب فيه خطل ،
والإحسان مثل .

يروى أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : السلطان ظل الله
في أرضه ، يأوى إليه كل مظلوم من عباده ، فإن عدل كان له الأجر وعلى
الرعية الشكر ، وإن جار كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر .
وقال بعضهم : اهدوا للولاة ، فإنهم إن لم يقبلوا أحبوا .

وقال : خير القرناء عند المسكنة : المرأة الصالحة ، وعند الخوف : حسن
العقل ، وعند الموت : حسن الثناء .

وقال : ثلاث لا يحاسب العبد عليهن يوم القيامة : ما أنفق في مرضه ،
وفي إفطاره ، وفي قرى ضيفه .

(١) علما ٠٠٠ اللام : ناقصة في ط .
(٢) ورد في « نهج البلاغة » ج ٢ ص ٢٠ (طبعة الحلبي ، القاهرة بغير
تاريخ) ، ثم ورد برواية أخرى في نفس الكتاب ج ٢ ص ١٢٧ .
(٣) في « نهج البلاغة » : « وما بلغت من دنياك فلا تكثر فيه فرحاً ،
وما فاتك منها فلا تأس عليه جزعاً ، وليكن همك فيما بعد الموت »
(ج ٢ ص ٢٠ س ١٠ - س ١١) .
(٤) ص : مكروها .

(٥) ص : بشر . وكثير عن أسنانه في الضحك : أبدى .

قال الحكيم لابنه : أى بنى ! إذا أردت أن تؤاخذى رجلا فأغضبه قبل ذلك [٧٥ب] ، فان أنصفك عند غضبه ، وإلا فدعه .

إذا كان فى الرجل ثلاث فلا تشك فى صلاحه : إذا حمده جاره ، ورفيقه فى سفره ، ومعاشره على طعامه وشرابه .

وقال : لا تجاهد فى الطلب جهاد المغالب ، ولا تتكىل على القدر اتكال المستسلم .

أعن ما وليته فليس يكفيك من لم تكفه (١) .

قال ابن السماك : من جرعه الدنيا حلاوتها عميله (٢) إليها جرعه الأخرى مرارتها بتجافيا عنه .

وقال : إذا طالبتك نفسك برزق غدٍ فقل : هات (٣) كفيلا بأن أبقي إلى غد .

وكتب بعضهم وصية لولده : لا تقبل من السلطان عطية ، ولا من الإخوان هدية . كن أنس ما تكون إذا خلوت بربك ، وأوحش (٤) ما تكون إذا قعدت (٥) مع الناس . ما أصغر ما بذلت ، وما أحقر ما تركت ، وما أيسر ما فعلت فى جنب ما أملت ! اسجن نفسك فى بيتك وحدك ، لا محدث ولا جليس ، واصطنع بملحك ، واجعل قرصك كفايتك ، فاذا بك قد لحقت بالصالحين . أذل نفسك وقومها بالعدل ، وأهنأ تكريمها ، وأتعبها ترحها ، فان الرغبة متعبة لأهلها ، والزهادة راحة لأهلها ، والنفس أماراة بالسوء وعدو بين جنبيك لا يفتر . وقال (٦) المسيح عليه السلام : ليكون الناس منك فى راحة ونفسك منك فى تعب .

وقال : المال داؤه كثير . قيل : يا روح الله ! وإن أدى حقه ؟ ! قال : استصلاحه يشغلك عن ذكر الله .

وقال الحسن : لولا أن الله عز وجل [١٧٦] وعز طأطا من ابن آدم بثلاث ما أطاقه شيء ، وهى : المرض والفقر والموت — وهو مع ذلك وثَّاب .

(١) ص : تكفيه .
(٢) ص : هاتى .
(٣) ط : إذا خلوت بالناس ... ثم صحح فى الهامش كما فى ص وهو ما أثبتناه .
(٤) ص : فأوحش .
(٥) ص : اليه .
(٦) الواو ناقصة فى ط .

وصية لحكيم

اجعل بينك وبين كل محبوب ترقباً لزواله لئلا يفجأك فقده . كم يكون عدد ليس له مدد حتى يبيد وينفد ! من أضيع ممن لجأ إلى غير حرز واستظل بكنف التلف ! الرقاد عن هول المعاد مقطعة عن الزاد . لا تأنس بما لا بقاء له . ما كان إلى زوال فالزيادة فيه نقصان حتى يستغرقه الفناء . السبب إلى مغفرة الله عز وجل مباح فاطلبه وتمسك به ، تلحق^(١) منازل الأبرار . من علامة المخذولين العمل بالشك ، وترك اليقين . من حسن ظنه بالزمان فقد استهدف^(٢) لنيله وسهامه . الغلبة للعادة فاحذر عادة تلزمك شهوة قبيحة . إخطار الفاقة من خمول الهمة . الغدر من صغر القدر . حاصل المني الأسف . من أظهر لك عداوته فقد نبهك على مواقع نبه . عذب حسادك بالاحسان إليهم . لو كانت الدنيا لا تنال إلا باللب والدين ، ولا توجد إلا عند ذوى الأحساب وأولى المروءات لكان التقصير في طلبها وترك الحرص عليها مهانة للنفس وغضاضة للقدر ، لكنها لم تزل توجد عند أهل المنع والبخل والنقص ؛ ومن استوحش من اصطناع المكارم فما يوجد أكثرها إلا عند أهل هذه الخصال . من سعى بدليل من التدبير لم يقعد به عن الدرك إلا سابق قضاء لا يملك . لكل ناجم أقول . آخر هذه الدول فجائع ، وغير^(٣) الآمال متصلة والشكوك مصدقة واليقين مكذب . مجاورة الأحداث تنبه الأحداث . واهأ لأهل العقول كيف أقاموا بمدرج السيول ! استنفذ^(٤) أيامك من الغفلة قبل الرحيل . احس جفونك الوسن فانك مطلوب . لئن لم تركب المحجة [٧٦ب] لتأخذنك البيئات . راقب نعمة ربك قبل أن تذهب عنك العافية . امهد لنفسك ومخارج الأنفاس سهلة لم ينازعها قابض الأرواح . بالغفلة دامت متعة الانسان . قامت عليك حجة المعلم . لا تطل أنسك بكر الأيام وعود الساعات ، فان بعض هذه الأوقات مطية الموت إليك ووافد المنية عليك . إن في الحياة جزءاً من الممات ، وفي البقاء حصّة من الفناء ، وفي الشباب ديباً من الهرم ،

(٢) ص : استهدت .

(٤) ط : استنفذ .

(١) ص : اتلحق به .

(٣) ط : عبر .

وفي الزيادة كموناً من النقصان ، وفي الصحة أجناساً من الأسقام . جواهر الأخلاق
تفصحها المعاشرة . والرفق^(١) يَفْلُحُ حد المخالفة . البشر يطغى نار العداوة . أبين
الغبن كدك لغيرك . قليل الرزق مع سلامة النفس أمتع من كثيره مع الأوجاع .
ليس في طبيعة الزمان بلوغ الكمال . انتقاص الأبدان يزيد في قوة^(٢) الآمال .
فرائض الله على خلقه دون وسعهم ، و طاقة القوى فوق المفروض ، والله مهمل
يدرك به التفريط . نَعْمَ الأرض نفسك إن بذرت فيها الخيرات . عين الدهر تطرق
بالمكاره والخلق بين أجفانه . من عرف فضل الله عليه رفع التأنيب عن أهل النقص .
التمتع بحسن الظن في الغيبة أعظم موقعاً من معاينة الخفاء مع الروية . إنما يبقى
الشرف الأول لمن بنى عليه . أرجح الناس عقلاً وأكملهم فضلاً من صحب أيامه
بالموادعة ، وإخوانه بالمسألة^(٣) ، وقبل من الزمان عفوهُ .

عدوك بين جنبيك وجنده الهوى ، فان أطعته هلكت ، وإن عصيته
نجوت . الأجل [١٧٧] كسهم مرسل إليك وعمرك بقدر سفره نحوك ، فكلما
قاربت أجلاً فازدد عملاً . مثل^(٤) الدنيا كمثل النار للإنسان ، لأن منافعه كلها
منها ، وهي مع منفعتها وعظم قدرها مهلكة متلفة ، فينبغي للمضطر إليها أن
يأخذ منها بقدر المنفعة التي لا بد منها لمن يستضيء^(٥) بها أو يصلح لها طعامه أو
يصطلى بها . فاذا قضى حاجته منها كانت أعظم الأشياء ضرراً عليه ، فهو جاذبة^(٦)
يعمل في إطفائها . فقد علمت أن فقد النار عند الحاجة إليها ضرر عظيم ، وهي
لا تشتري بثمان ولا تباع مع كثرة ما فيها من المنافع ، فأنزله الدنيا منزلتها .

قليل للحسن : إن فلاناً بالنزع — فقال : هو بالنزع منذ يوم ولد .
سئل أنوشروان : من أطول الناس أعماراً ؟ — فقال : من كثر علمه
فتأدب به من بعده ، أو كثر مغروفه فشرف به أعقابهُ .

(١) الواو ناقصة في ط .

(٢) قرة : ناقصة في ص .

(٣) ص : بالمسألة .

(٤) مثل الدنيا . . . الدنيا منزلتها : ناقصة في ط .

(٥) ص : كمن يسبقني .

(٦) ص : جسد !

وقال مروان^(١) الحمار : إن الدهر لما حلا لنا خلا منا .
 وكان الأحنف يقول : إذا أردت إصلاح عيشك في الدنيا فاستصلح الحار .
 وكان يقول : أنقص الناس عقلا من آذى جاره .
 كان إبراهيم^(٢) النخعي يقول : يهلك الناس في شيتين : فضول الكلام
 وفضول الأقوال .

وقال رجل لأحمد بن أبي دؤاد^(٣) : الفلك أجده^(٤) من أن يترك أحداً
 على حال واحدة ، والدنيا أقل من أن تنى لصاحب .
 وقال يحيى بن خالد : إن جلد النمر ما ترك على النمر^(٥) ، فكيف يترك
 على صاحب السرج !

رأى [٧٧ب] حذيفة ابن اليمان صديقاً له يخاصم آخر ، فقال له : تحب
 أن تغلب شر الناس ؟ - قال : نعم ! - قال : فانك لا تغلبه حتى تصير شرأ منه .
 ومن قديم كلام العرب : إن الوجوه إذا كثرت تقابلها اعتصر بعضها ماء
 بعض .

(١) أى مروان بن محمد ، آخر الخلفاء الأمويين ، وكان يلقب بـ « الحمار »
 وهو مروان بن محمد الجعدي ، قتل بعد فراره الى مصر فى قرية
 بوسير سنة ١٣٢ هـ وله تسع وخمسون سنة ، وقيل سبع
 وستون ، واملأته ٥ سنوات وتسعة أشهر وأيام - راجع
 « شذرات الذهب » ج ١ ص ١٨٤

(٢) هو أبو عمران إبراهيم بن يزيد النخعي ، أخذ عن مسروق والأسود
 وعلقمة ، عده ابن قتيبة فى « المعارف » من الشيعة ، توفى سنة ٩٥
 وهو ابن ست وأربعين سنة - راجع « شذرات الذهب » ج ١
 ص ١١١ .

(٣) أحمد بن دؤاد : قاضى القضاة ، أبو عبد الله الايادى : كان
 فصيحا مفوها شاعرا جوادا ؛ وهو الذى تولى قضية ابن حنبل وأفتى
 بقتله ؛ وكان معتزليا ، مقبولا عند المأمون والمعتصم . توفى سنة ٢٤٠ هـ
 وله ثمانون سنة - راجع « شذرات الذهب » ج ٢ ص ٩٣ .

(٤) ط : أحد (بالحاء المهملة) .

(٥) ط : وقال يحيى بن خالد : جلد النمر لم يترك على النمر - ويحيى
 ابن خالد هو يحيى بن خالد بن برمك ، المتوفى فى سجنه
 سنة ١٩٠ هـ - راجع « شذرات الذهب » ج ١ ص ٣٢٧ .

كان خالد بن صفوان^(١) يقول : من اشتغل بتفقد اللحن وطلب السجع نسي الحجة .

وقال الحسن^(٢) : من مثلك يا ابن آدم ! خلى بينك وبين الماء^(٣) والحراب كلما شئت إلى ربك ليس بينك وبينه حجاب ولا ترجمان .

من لم يحكم على نفسه ، حكم الله عليه .

وقال مسلم بن يسار^(٤) : العجب ممن رجا فلم يعمل ، ومن خاف فلم يكف .

وقال عبد الله : الحذر الحذر ! فو الله لقد سترحتى كأنه غفر .

وقال : إن الأحق يرجو الآخرة بغير عمل ، ويدع التوبة لطول الأمل .

الإنسان يبالغ في الرغبة حين يسأل^(٥) ، ويقصر في الرغبة حين يعمل .

وقال الحسن : الدنيا مطية المؤمن عليها يحمل^(٦) ويرتحل إلى ربه ، فأصلحوا مطاياكم تبلغكم إلى ربكم .

وقال : يا ابن آدم ! أترضى من ربك بقليل فإن تقدم عليه غداً ليس

لك في جنته نصيب !؟ ثم تلا : « إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا . . . »^(٧) الآية .

(١) خالد بن صفوان : هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهم ، واسمه سنان ، ابن سمى بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن تميم ؛ وسمى سنان الأهم لأن قيس بن عاصم المنقرى ضربه بقوسه فهتم فمه . وقد عمر الى أن « حادث أبا العباس . وكان لسنا بيننا خطيباً بخيلاً مطلقاً » (« المعارف » لابن قتيبة ، ص ٢٠٦ ، نشرة فستندفلد ، جيتنجن سنة ١٨٥٠) - راجع عنه : « المعارف » لابن قتيبة ص ٢٠٦ . - وفي « عيون الأخبار » (ج ١ ص ٢١٧) ما يدل على أنه حضر خلافة أبي العباس السفاح التي كانت بين ١٣٢ هـ و ١٣٦ هـ - وقد ورد ذكره مرارا في « عيون الأخبار » راجع فهرست الجزء الرابع منه .

(٢) ص : الحسن بن مالك : يا ابن . . .

(٣) ص : المحراب .

(٤) مسلم بن يسار البصري : كان من عباد البصرة وفقهاها ، وكان ثقة في الحديث ، روى عن أبي عمرو وغيره . وتوفي في سنة مائة هجرية . - راجع « شذرات الذهب » ج ١ ص ١١٩ .

(٥) في ط في الموضوعين : حتى .

(٦) ص : عليها حين تحمل ويرتحل . . .

(٧) سورة « يونس » : آية : ٧ .

وقال : ما زينوها ولا زخرفوها حتى رضوا بها .

أوصى^(١) عبد العزيز بن مروان ابنه عمر^(٢) فقال : اتق الله وأحسن نيتك في عملك كله ، فانه لا دين لمن لانية له ، وأحسن تدبير مالك ، فانه لا مال لمن لا تدبير له . وارفق بمن تعامله ، فانه لا عيش لمن لارفق له . وتجاوز في شهواتك ، فانه لا عقل لمن لا يغلب هواه . دار عدوك [١٧٨] لأمرين : إما لصداقة تؤمنك وإما لفرصة تمكنك — وفي المثل القديم : قبل يد عدوك إذا لم يمكنك قطعها . وقال^(٣) أمير المؤمنين علي عليه السلام : ليس الايمان بالتخلي ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقته الأعمال .

عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر . نظفوا أفواهكم فانها طرق إلى ذكر الله تعالى^(٤) .

وقال آخر : استغنم تمتس الأمل وإمكان العمل ، واقطع ذكر المعاذير والعلل .

أخي ! من باع دنياه وزخرفها بصدقة كان عندي غير مغبون .
كن كالمداوى جرحه بصبره على الدواء وخفاة طول الداء .
السعيد من نظر إلى الدنيا اعتباراً ، لا اغتراراً ؛ وعمل البر بداراً ، لا انتظاراً .
لا تدخر عمل اليوم إلى الغد .
الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما .

قال^(٥) الشاعر :

اعمل لنفسك ما استطع فانها نارٌ وجنة
التعبد يثقل على النفس ، لثقله في الميزان ، والكسل يخف على أهله
كخفته في الميزان .

رداء : يا من ألزمني عبادة استغنى عنها لا تحرمني مغفرة^(٦) أفقر إليها .

(١) ص : وصى .

(٢) عمر : ناقصة في ط . - عبد العزيز بن مروان : ولى مصر عشرين سنة ، وكان ولى العهد بعد عبد الملك بن مروان ، عقد لهما أبوهما . فلما مات عقد عبد الملك من بعده لولده . وتوفي سنة ٨٥ هـ .

(٣) الواو ناقصة في ص . - علي : ناقصة في ط .

(٤) تعالى : ناقصة في ط .

(٥) ط : شعر .

(٦) ط : مغفرة لا أستغنى عنها .

أنصاف أبيات^(١)

حياة الفتى سيرته إلى الموت قاصد
ولا عُنتى إلا وهى فى فِترٍ^(٢) خائق

المصيبة واحدة ، فان جزعت فهما اثنتان .

شهادة الأعمال أزكى من شهادة الرجال .

ليس كل أنس مودة ، ولا كل انقباض وحشة .

إخفاء العلم هلكة ، وإخفاء العمل نجاة .

بترك ما لا يعينك يتم لك ما يعينك .

الهوى كمين لا يؤمن فتحفظ منه بربقاء تنصّبها عليه من عقلك ، لا يغفلون^(٣)
عنه لحظة واحدة .

قوة الغضب الحقد . مادة الحاجة الحرص . ثمرة الحقد الكفر .

قال الجاحظ : اعلم أن المرء بقدر ما ينسب إليه يعرف [٧٨ب] ،
وبالمستفيض من فعّاله يوصف ؛ وإن كان بين ذلك كثير من أفعاله بخلافه
ألفاه الناس ، وحكموا بالغالب من أمره . فاجهد أن يكون الغالب عليك كل
ما يحمده جمهور الناس ، فان ذلك يُعَقِّى على خلل فى حالك^(٤) ، إن كان .
فبادر ألسنة الناس واشغلها بمحاسنك ، فانهم سراع إلى كل شىء يجدونه ،
واستظهر على من دونك بالفضل ، وعلى نظرائك بالانصاف ، وعلى من فوقك
بالإجلال — تأخذ بوثائق الأمور وأزمة التدبير . واعلم أن كثرة العتاب سبب القطيعة ،
واطراحه كله دليل على قلة الاكتراث لأمر الصديق . فكن بين أمرين : عاتبه
على ما يشتركان فى نفعه وضرره ، وذلك فى الهيئات ، وتجاو^(٥) عن غفلاته
تسلم لك ناحيته . وبحسب ذلك فكن فى زيارته ، فان الإقامة فى زيارته يذهب
بالبهاء ويورث الملل^(٦) ؛ والهجران يعقب الخفاء ويحل عقدة الإخاء ، وهو
مدرجة القطيعة .

(١) ناقصة فى ط .

(٢) ص : فير ! - والفتر (بكسر فسكون) : ما بين طرف الإبهام وطرف
المشيّة . (٣) ص : يغفلن .

(٤) فى حالك : ناقصة فى ط . (٥) ص : تخاف . (٦) ط : اللالة .

قيل للملك زال ملكه عنه : بم زال ملكك؟ - قال : بمنع أضغن ، وبذل أبطر .
 - ذم^(١) الرعية لواعيها لا يكون إلا لإحدى ثلاث خصال : كريم قصر به
 عن قدره فاحتمل ذلك ضغناً ، ولئيم بلغ به ما لا يستحقه^(٢) فأورثه ذلك بطراً ،
 ورجل منع حظه من الانصاف فأحدث له ذلك كمداً .

في ذم الهدية

كان بعض الملوك يكره الهدية شديداً . فسئل عن كراهته ما لم يكن يكرهه
 غيره من الملوك . فقال : إن الهدية لا تخلو أن تكون من مبتدئ* يقلد بها يداً ،
 أو من رجل قلده نعمة فأخذ عليها ثواباً . وإنما تحسن [١٧٩] الهدايا بين^(٣)
 الأكفاء ليتحابوا ؛ فأما الملوك فلا حاجة بهم إلى ذلك .

...

كان بعض قدماء الملوك إذا أراد محاربة ملك وجه من يبحث عن أخباره
 وأخبار رعيته قبل أن يظهر محاربته ؛ ويأمر بالبحث عن ثلاث خصال من أمره
 وهو : أن يبحث عما يرد عليه من أمر^(٤) رعيته هل هي على حقائقها أو تختدعه
 أصحاب الأخبار عنها وتكذبه^(٥) فيها . ويبحث عن الغنى في أى صنف من
 حاشيته هو : في أهل الشرف ، أم في الأندال . ويبحث عن المشاورة وهل
 يستعملها في أموره ، أم يَمْضِي الأمور على هواه . فان قالوا : إن الأمور والأخبار
 ترد عليه على حقائقها ، وإن الغنى في أصل الشرف والتكرم ، وإنه يستعمل
 المشاورة - كفَّ عن محاربته وعن الطمع في مملكته .

ثلاثة أخلاق لا توجد إلا في لبيب : التقدم في الحزم ، فإن بذه^(٦)
 فالاجتهاد في الاحتيال ، فان قصر فحسن الغزاء .

ما أنعم عيش ذي فاقة عرف من نفسه نزاهة الطُعْمَة ! وما أسوأ عيش
 ذي جِدَة عرف من نفسه فحش الطعمة والرغبة^(٧) !

-
- | | |
|---------------------------|-----------------|
| (١) ص : وزم . | (٢) ط : يستحق . |
| (٣) ص : من . | (٤) ط : أخبار . |
| (٥) ص : وتكربه فيها . | (٦) ط : بذه . |
| (٧) ص : الطعمة فالرعيّة . | |

سئل عن الخزم فقال : ألا تأمن وأنت تجدد للحذر موضعاً .

وقال : اصمت ما لم تضطرك إلى القول حاجة ، وتكلم إذا كان الصمت راجعاً عليك بالحجة .

وقال : الصديق أمانة ، والكذب خيانة ، والانصاف راحة ، والشح مسبة ، والسخاء فخر ، والتواني إضاعة ، والصحة بضاعة ، والجهل حيرة ، والحلم عز ، والحكمة كنز ، والوفاء نيل ، والعجب هلاك ، والصبر نجدة ، والعقل قرة العين في جميع هذه وغيرها .

[٧٩ ص] يحكى (١) عن بعض الأنبياء أنه قال لقومه : ليعلم كل إنسان أن كل يوم يمر به وليلة يحفظ فيهما عمله من حسن أو قبيح ، ثم يمضي عنه يومه وليلته فلا يعودان إليه واكتسابه غير منسى . فمن قدر أن يحط له الحسنات فليفعل ، فإنه يبهج بذلك وبمعانيته وذكره ولو بعد حين ؛ وإن لم تفعلوا (٢) ذلك غُيِبَتْ عَنْكُمْ حظ أيامكم التي هي نصيبكم من الدنيا ، فإن الأيام صحائف فخلدوا فيها الجميل من سعيكم ، فقد تبين لكم حفظها لما استودعت من المحامد في قديم الدهر ، لا يدرس ذلك مع ذهاب القرون ، فلا ينسى في غابر الأزمنة . وما يؤثر من الذنوب والعيوب ثابت على عامله ، لا يمحوه عنه شيء ، ولا يذهبه آخر من أول ، وإنما يبقى الشرف القديم لمن وصله بالحديث .

من سأل فوق قدره استحق الحرمان والمنع .

سوء حمل الغنى أن يكون الفرح مرحاً ، وسوء حمل الفاقة أن يكون الطلب شرهاً ، وعار الفقر أهون من عار الغنى .

الحاجة مع المحبة خير من الغنى مع البغضة .

الدنيا دُورٌ ، فما كان لك منها أتاك على ضعفك ، وما كان عليك لم تدفعه بقوتك .

إذا جعل الكلام مثلاً مضروباً كان أبين في المعنى ، وأتق للسمع ، وأوضح عند التأمل ، وأوسع لشعوب الحديث .

(٢) ص : يفعل .

(١) ص : فحكى .

القسم الذى قسم للناس وبه يمتعون : منه حارس ، ومنه محروس : فالخارس العقل ، والمحروس المال . والعقل هو الذى يحرز الحظ ، ويؤنس الغربة ، وينقى النفاقة ، ويعرف النكرة ، ويثمر المكسب ، ويطيب الثمرة ، ويوجه السوق عند السلطان ، ويستنزل السلطان لمحبة السوق ، ويكسب الصديق ، ويكفى العدو .
مقارفة (١) المأثم ، وإن كان محتقراً ، مصيبة عظيمة .

لقاء الإخوان ، وإن كان يسيراً ، غم كبير .

الناس - إلا من عصم الله - [١٨٠] مدخولون (٢) فى أمورهم : فقائلهم باغ ، وسامعهم عياب ، وسائلهم متعنت (٣) ، ومجيبهم متكلف ، وواعظهم غير محقق قوله بفعله ، وموعوظهم غير سليم من الاستخفاف بما يوعظ به ، والأمين غير متورع ولا متحفظ من إيمان الخائن ، والصدوق غير محترس من إيمان (٤) الكذاب ، وذو الدين غير متورع عن تقريظ الفاجر ، والفاجر غير مترقب (٥) للدوائر : يتقارضون (٦) الثناء ، ويتراقبون الدول ، ويتعاتبون بالمهجر . مولعون فى الرخاء بالتحاسد ، وفى الشدة بالتخاذل . كم انتزعت الدنيا ممن استمكن منها فأعصفت له ، فأصبحت الأعمال أعمال غيرهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وأخذ الدنيا من لم يحمدهم ، وخرجوا إلى من لا يعذرهم ، وأصبحنا خلفاً بعدهم نتوقع الذى نزل بهم . فنحن إذا استدبرنا أمورهم أحقّاء أن ننظر ما نغبطهم به فنتبعه ، وما نخاف عليه فنتجنبه .

إذا كنت لا تعمل من الخير إلا ما اشتهيت ، ولا تترك من الشر إلا ما كرهت ، فقد أطلعت الشيطان على عورتك (٧) وأمكنته من رُمتك ، وأوشك به أن يقتحم عليك فيما تحب من الخير فيكرهه إليك ، وفيما تكره من الشر فيحبّه إليك . ولكن ينبغى لك حب ما تحب من الخير ، والتحامل على ما تستثقل منه ، وينبغى لك كراهة ما يكره (٨) من الشر ، والتجنب لما تحب منه .

- | | |
|------------------------------------|---------------------|
| (١) ص : مفارقة . | (٢) ص : يدخلون . |
| (٣) ط : متعنت . | (٤) ط : حديث . |
| (٥) ط : متوق . | (٦) ط : فيتقارضون . |
| (٧) ص : عورته . | |
| (٨) ط : كراهة ما يكون لك من الشر . | |

قد بلغ فضل (١) الله على الناس من السعة وبلغت نعمته عليهم من السبوح ما لو أن أحسبهم حظاً وأقلهم نصيباً منه وأضعفهم علماً وأعجزهم عملاً [٨٠ب] وأعياهم لساناً بلغ من الشكر له والثناء عليه بما خلص إليه من فضله ، ووصل إليه من نعمته ما بلغ (٢) منه له أعظمهم حظاً وأوفرهم نصيباً وأفضلهم علماً وأبسطهم لساناً — لكان عما استوجب الله عليه مقصراً ، وعن بلوغ غاية الشكر بعيداً .

بلغ من فضل الدين والحكمة أن مُدِحاً على ألسنة الجاهل ، على جهالتهم بها وعمامهم عنها .

أحق الناس بالتدبير العلماء ، وأحقهم بالفضل أعودهم على الناس بفضله ، وأحقهم بالعمل أحسنهم تأديباً ، وأقربهم إلى الله (٣) تعالى أنفذهم في الحق ، وأكملهم (٤) له عملاً ، وأحكمهم أبعدهم من الشك في الله ، وأصوبهم رجاء أوثقهم بالله ، وأشدهم انتفاعاً بعمله أبعدهم من الأذى ، وأرضاهم عند الناس أفشاهم معروفاً ، وأقواهم أحسنهم معونة ، وأشجعهم أشدهم سلطاناً على نفسه ، وأفلحهم أغلبهم للشهوة والحرص ، وآخذهم بالرأى أتركهم للهوى ، وأطولهم راحة أحسنهم للأمر احتمالاً ، وأقلهم دهشاً أرحبهم ذرعاً ، وأوسعهم غنى أفنعهم بما أوتى ، وأخفضهم عيشاً أبعدهم من الإفراط ، وأمنهم في الناس أكلتهم ناباً ومخلباً ، وأوسعهم شهادة عليهم أنطقهم عنهم ، وأعدلهم فيهم أدومهم مسألة لهم ، وأخصهم بالنعم أشكرهم لما أوتى منها .

سبب الإيمان بالغيب أن لكل ظاهر من الدنيا — صغيراً كان أو كبيراً — غيباً يصرفه . فمن كان معتبراً بالخليل فليُنظر إلى السماء فسيعلم أن لها رباً يجري أفلاكها ويدبر أمرها . ومن اعتبر [١٨١] بالصغير فليُنظر إلى حبة خردل فسيعلم أن لها رباً ينبتها ويزكيها ويقدر لها قوتها من الأرض والماء ، ويوقت لها زمان نباتها وتهشيمها . وأمر النبوة والآثار والأحلام وما يحدث في أنفس الناس مما لا يعلمون ومن حيث لا يعلمون ، ثم ما يظهر منهم بالقول والفعل ، ثم إجماع العلماء

(١) ص : من فضل .

(٢) ص : ما بلغ منزلة وأعظمهم . . .

(٣) ط : من الله أنفذهم . . . (٤) ط : وأحكمهم .

والجهال والمهتدين والضالين على ذكر الله وتعظيمه ومعرفةهم أنهم لم يحدثوا أنفسهم - فكل^(١) يهتدى إلى الله ويدل على الغيب الذى كان ويحب منه هذه الأمور مع ما يزيد من ذلك عند المؤمنين وثيقة عند العلماء بأن الله حق وما سواه باطل . للسلطان العادل حق ، لا يصلح لخاصة ولا عامة أمره إلا بأدائه . فالعادل حقيق بأن يخلص لهم النية والنصيحة ، ويبذل لهم الطاعة والمحبة ، ويكرم سرهم ، ويزين سيرتهم ، ويذب بلسانه ويده عنهم ، ويتوخى مرضاتهم . وليكن من همته المواتاة لهم ، والإيثار لأهوائهم ورأيهم على هواه ورأيه ، ويقدر الأمور على موافقتهم وإن كان ذلك له^(٢) مخالفاً ، وأن يكون منه الحد فى مخالفة من جانبهم وجهل حقهم ، ولا يواصل من الناس من تباعد عن^(٣) مواصلتهم ، ولا يحمله أحد بعداوته على الاضطغان^(٤) عليهم ، ولا مواتاة أحد على الاستخفاف بشئ من أمورهم وحقوقهم ، ولا يكتهم شيئاً من نصيحتهم ، ولا يثاقل عن شئ من طاعتهم ، ولا يبطر إذا أكرموه ، ولا يجترى عليهم إذا قربوه ، ولا يطغى إذا سلطوه ، ولا [٨١ ب] يلحف إذا سألهم ، ولا يلزمهم مؤونة تنقل عليهم ، ولا يستثقل ما حملوه ، ولا يغتر بهم إذا رضوا عنه ، ولا يتغير لهم إذا سخطوا عليه ، وأن يحمدهم ويشكرهم على ما أصاب من خيرهم .

مما يدل^(٥) على العالم وفضله معرفته بما يدرك من الأمور وإمساكه عما لا يدرك ، وتزيينه نفسه بالمكارم ، وظهور علمه بالناس من غير أن يظهر منه فخر أو عجب ، ومعرفته بزمانه الذى هو فيه ، وبصره بالناس ، وإرشاده كل مسترشد ، وحسن مخاطبته للخلطاء ، وتسويته بين لسانه وقلبه ، وتحرية للعدل^(٦) فى كل أمر ، ورُحْب ذرعه فيما ينوبه ، وحسن تبصيره من أراد أن يبصر شيئاً من عالم الآخرة الذى به يعرف ذلك . السعيد يرغبه الله فى الآخرة حتى يقول : لا شئ غيرها ؛ فاذا هضم الدنيا^(٧) وزهد فيها لآخرتها لم يحرمه الله تعالى بذلك نصيبه من الدنيا ، ولم ينقصه سروره فيها ؛ والشقى يرغبه الشيطان فى الدنيا حتى يقول : ليس غيرها ، فيجعل الله له التثقص فى الدنيا التى آثرها مع الآخرة الذى يلقي بعدها .

(١) أنفسهم : ناقصة فى ص .

(٢) له : ناقصة فى ص .

(٣) ط : من .

(٤) ط : الاضغان .

(٥) ص : ما .

(٦) ط : العدل .

(٧) ط : دنياه .

خصال يسرُّ بها الجاهل ، كلها وبال عليه : منها أن يُمدَّح من العلم والفضل بما ليس فيه ؛ ومنها أن يرى بالأخيار والأفاضل من الاستهانة والجفوة^(١) ما يشبه بهم ؛ ومنها أن يجادل عالماً منصفاً وديعاً في القول ، فيشتد صوت الجاهل ، ثم ينصره نظراؤه من الجاهل حوله^(٢) بعلو الصوت والجلبة وكثرة الضحك ؛ ومنها أن تفرط منه الكلمة [١٨٢] المعجبة للقوم فيذكرونها ؛ ومنها أن يكون مجلسه في المحفل وعند السلطان فوق مجالس أهل الفضل .

من الدليل على سخافة المتكلم أن يكون ما يرى من ضحكه ليس بحسب ما عنده من القول ، أو يكلم صاحبه فيجاذبه الكلام ليكون هو المتكلم ، أو يتمنى أن يكون صاحبه قد فرغ فأنصت له ؛ فإذا أنصت لم يحسن أن يتكلم . لا يؤمنك شر الجاهل قرابة ولا جوار ولا إلف ، فان أخوف ما يكون حريق النار أقرب ما يكون منها . وكذلك الجاهل ، إن جاورك أنصبك ، وإن ناسبك جنى عليك ، وإن أفلك حمل عليك ما لا تطيق ، وإن عاشرك آذاك وأخافك ، مع أنه عند الجوع سبع ضار ، وعند الشبع ملك فظ ، وعند الموافقة في الدين قائد إلى النار . فأنت بالهرب منه أحق منك بالهرب من سم الأساور والحريق المضطرم والدَّين الفادح والداء العياء .

قال بعض الصالحين : لا يكون المرء زاهداً حتى يزهد في عمره ، وإلا فهو مترهد .

قال الله عز وجل^(٣) من قائل : « فتمنوا الموت إن كنتم صادقين »^(٤) . وقال عيسى عليه السلام : أتريدون الدنيا للبر؟ — فترك الدنيا أبر لكم . الموت فرع الأغنياء وشهوة الفقراء .

لا يكون الحكيم حكيماً^(٥) حتى يعلم أن الحياة تسترقه ، والموت يعتقه . لا تستغنوا عن الناس فيستغنوا عنكم ، وصانعوا الناس وآخوهم على قدر ما فيهم من الخير ؛ ولا تطلبوا الكمال فانه عزيز ، ولكن لا بسوهم بقدر ما فيهم^(٦) . [٨٢ب] من الخير والفضل ، ولولم يكن إلا لكف^(٧) شرهم ، فأخوهم لذلك .

(١) والجفوة : ناقصة في ط .

(٢) ص : حلوه . (٣) ط : وقال الله جل من قائل .

(٤) سورة « البقرة » : آية ٨٨ . (٥) ص : حليماً .

(٦) ص : فيه . (٧) ص : الا الكف من شرهم .

كلام لبعض المتصوفة

أليس من أصيب بالحق أكثر ممن أصاب منه ، ومن مَوَّه عنه أكثر من حقق به ؟ — على أن الإشارة إلى غيره إلحاد فيه ، والعبارة عن معناه اجترأ عليه . هذا لأن الخلق إن أضرخوا^(١) في الطلب تاهوا ، وإن أبحروا غرقوا ، وإن أجبَلوا كلوا ، وإن أسهلوا ضلُّوا .

حسب العارف فقر هو غناه ، وحسب الجاهل غنى هو فقره .
لعل قائل يقول : ما أروح اليأس عن لا يوجد ! — فيقال له : ما أمتع النيل من لا يفقد !

لو زعم زاعم أنه أشار لكان مقصراً ، ولو قال^(٢) إنه أصاب لكان كاذباً . وقال أبو على الروذباري^(٣) — وقد سئل عن التوحيد — : هو استقامة القلب على رفض التعطيل ، وإنكار التشبيه بأثبات التنزيه ، فإياك والغوص في التنزيه فغايتة التشبيه . والتوحيد كله في كلمة واحدة : كل ما خيله الوهم وصوره الفهم وحدده القول واستقر عليه الرأي — فالحق بخلافه ، ومباين له ، غير داخل تحته ولا مستعير نعته .

وقال الجنيد — وقد سئل عن الشفقة — : هي أن تعطى من نفسك ما يطلبون ، ولا تحملهم ما لا يطيقون ، ولا تخاطبهم بما لا يعلمون .
سئل الشبلي عن الزاهدين فقال : كلكم زاهدون في الله عز وجل .

-
- (١) أضرخوا : برز في الصحراء . (٢) انه : ناقصة في ص .
(٣) اسمه أحمد بن محمد بن القاسم ، كما ذكر السلمى وصححه ، وقال الخطيب البغدادي ان اسمه محمد بن أحمد وصحح ذلك . أصله من بغداد ، لكنه أقام بمصر . وكان عارفا بالحديث وأستاذة فيه ابراهيم الحربي ، وأستاذة في الفقه : أبو العباس بن سريج ، وفي النحو : ثعلب ، وفي التصوف : الجنيد . وتوفي بمصر سنة ٣٢٢ وقيل سنة ٣٢٣ هـ (سنة ٩٣٣ م — سنة ٩٣٤ م) — راجع عنه : « صفة الصفة » ج ٢ ص ٢٥٦ — ص ٢٥٧ ؛ « الطبقات الكبرى » للشعراني ج ١ ص ٩١ (القاهرة ، مطبعة صبيح ، من دون تاريخ) ؛ « الرسالة القشيرية » ص ٢٦ . (مطبعة التقدم العلمية ، القاهرة سنة ١٣٤٦ هـ) ؛ « شذرات الذهب » ٢/٢٩٦ .

وسئل عن الأنس فقال : وحشتك من نفسك .

سمع معروف الكرخي امرأة تدعو لابنها وهو يخرج إلى الغزو وتقول :
[١٨٣] حفظك الله ! - فقال : إن حفظه الله لم يخرج إلى الغزو والقتال .

قال ابن عطاء (١) : يُزَيِّن الله - عز وجل (٢) - قوماً بأنوار عصمته
وهم عنده في حقائق لعنته ، ويزين (٣) قوماً بأنوار نعمته وهم عنده في حقائق
نعمته (٣) ، ويزين قوماً (٤) بأنوار ولايته وهم عنده في استدراج مهلته . وأعظم
المصائب مصيبة الاستدراج ، لأن كل مصيبة فإن صاحبها يراها ، والمستدرج
محجوب عن مصيبته .

وقال أبو يزيد (٥) : إني لما نظرت إلى الدنيا اخترت عليها الآخرة ، ولما
نظرت إلى الآخرة اخترت عليها الرب تعالى ، ولما نظرت إليه اخترت الفرار ؛
ثم نظرت إلى (٦) الفرار ، فإذا هو ينتهي بي إليه ؛ فَعُدْتُ مستحيّاً ، وبقيت
مستخدياً .

قدم عارف ليصلي بقوم ، فلم يقف متمكناً حتى عاد إلى الصف ،
ف قيل له : مالك ؟ - قال : أردت أن أقول لكم : « استووا ! » - ف قيل لي :
« لم لا تستوى أنت ؟ » - فتأخرت (٧) .

(١) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي : من كبار
مشايخ الصوفية ومن أقران الجنيد توفي سنة ٣٠٩ هـ (=
سنة ٩٢١ م) وهي السنة التي توفي فيها الحلاج مصلوباً - راجع
عنه : « الرسالة القشيرية » ص ٢٣ - ص ٢٤ : « شذرات
الذهب » ٢ / ٢٥٧ - ٢٥٨ .

(٢) عز وجل : ناقصة في ط .

(٣) ويزين أقواماً بأنوار نعمته ... نعمته : ناقصة في ط .

(٤) ط : أقواماً .

(٥) أبو يزيد البسطامي - راجع عنه كتابنا : « شطحات الصوفية » ،
القاهرة سنة ١٩٤٩ .

(٦) ثم نظرت ... الفرار : ناقصة في ص .

(٧) تحريف ونقص في ط هكذا : « ف قيل لي : أنت ! لم لا تستوى ؟
- وصلاته على نبي الرحمة محمد وآله وسلامته » .

حكم للعرب وأمثال لها سائرة

النعيم^(١) نوار ، فاربطها عن النفار بكرم الحوار . تركّ الفريضة وطلب
الفضيلة ! القلوب تخطر بالهوى ، والعقل يزجر وينهى . لا تطلب مجازاة أخيك
ولو حثا التراب بفيك . من أمن الزمان خانته ، ومن تعظم عليه أهانه . من
اقتصد في الغنى والفقر فقد استعد لنوائب الدهر . الرأي غرر^(٢) غير مضمون .
السخي شجاع القلب ، والبخيل شجاع الوجه . تروح إلى بقاء عزك بالمؤانسة ،
ولا تشوف إلى ما^(٣) تخلق عنده بالمؤانسة . آخر الصبر أول الفرج . من
التوق ترك الإفراط في التوق . عاود [٨٣] القلب عند نبوات القلوب ، واشحذه
بالمذاكرة ، ولا تياس من إصابة الحكمة . إذا امتحنت ببعض الاستغلاق ،
فان من أدمن كرقع الباب وصل . البر ثلاثة : المنطق ، والنظر ، والصمت —
فن كان منطقته في غير ذكر فقد لغا ، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ،
ومن كان صمته في غير فكر فقد لها .

وقال^(٤) حكيم من العرب لابنه : يا بني ! إني مؤد إليك حق الله في التأديب
فأد إلى حق الله في حسن الاستماع . كف الأذى ، واقض الندى ، واستعن
على الكلام بطول الفكر^(٥) في المواطن التي تدعوك نفسك إلى القول فيها ،
فان للقول ساعات يضر فيها الخطأ ولا ينفع فيها الصواب . احذر مشورة الجاهل
وإن كان ناصحاً ، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشاً ، فيوشك أن تورطك
المشورة المحرفة فيسبق إليك مكر العاقل وغرة الجاهل . لا بد للجواد من كبوة ،
وللسيف من نبوة ، وللحليم من هفوة . من لم يصبر على كلمة سمع كلمات . عليك
باصلاح المال فانه ينوّه^(٦) بالكريم ، ويستغنى به عن اللثيم .
كل شرف دونه لوئم فاللوئم أولى به ، وكل لوئم دونه شرف فالشرف
أولى به .

(١) ص : نفار • — والنوار : النفور ، فالبقرة النوار : التي تنفر من
الفحل ؛ والمرأة النوار : النفور من الريبة •

(٢) ص : عزز !

(٤) الواو في ص

(٣) ط : من •

(٦) ص : نبوة !

(٥) ط : الفكرة •

يجب على كل ذى مقالة أن يبتدىء بالحمد قبل استفتاحها ، كما بدىء
بالنعمة قبل استحقاقها .

الانتقام عدل ، والتجاوز فضل .

كظم الغيظ صبر ، والتشقى طرف من الخزع .

ليس رأى بالارتجال ، ولا الحزم بالاقنصاب .

كخير رأى خير من فطيره .

التمس [١٨٤] العافية ممن هو دونك تعطيها ممن فوقك .

ليكن إيقاعك بعد وعيدك ، ووعيدك بعد وعدك .

شدة الاستكانة تزيد فى الفاقة .

العقل لا يمكنه من التجاهل عند وضوح الحجة ما يمكن اللسان من الجحد

عند ظهور الدليل .

فلان يكيد رأى ، ويعترض على الحزم ، ويتقحم على الغرور ، ويجبن

عن الفرص .

الحاجة تفقق الحيلة ، والغنى يكسب البلادة (١) .

احتفظ من النعمة احتفاظك من المعصية ، وهى أخوفهما عليك لما تورث

من البطر والأشر والانهاداع ، فلا يجوز فيها إلا شدة التحفظ .

ليت شعرى متى أشقى غيظى : أحين أقدر فيقال : لو غفرت ؟ أو حين

أقدم فيقال : لو صبرت ؟

خير المزح لا ينال ، وشره لا يقال .

من طلب الحق بما له أو عليه أدركه .

زيادة الشكر على النعمة ملق أو كذب ، والتقصير عنها عي أو كفر .

لا تجعل لما أبرمته من كيد عقد عليه قلبك مخرجا من لسانك ، فتحتال

فيه بنقض أو احتراس .

العاجز يسمى الاستسلام توكلا ، وقصر الهمة قناعة .

من ضعف عن عدوه فليقو على نفسه بالأخلاق الرضية .

الأسد^(١) يشب بجميع قوته على الأرنب كما يشب على الثور .
الطاووس^(٢) مع حسنه وزينة ظاهره وحلاوة صورته ، يأكل الحيات
ويغتذى بالسموم .

القرد ، وإن سمن ، لم يذهب قبحه .
النسر على عظمة وجودة سلاحه لا يأكل إلا الميتة .
طالما ذبح السمين وترك [٨٤ب] الهزيل^(٣) !
بادر العمل ، وكذب الأمل ، ولاحظ الأجل !
الشغل للنفس ليس الشغل للبدن^(٤) .
الأسد لا يأكل إلا من فريسته .

أنصاف أبيات^(٥)

وهل يفرس الليثُ الطلا وهو رايض^(٦) !
والصقر ليس بصائد في وكره
كلب^(٧) عسَّ خير من أسد اندس . لا تخف ممن تحذر ، ولكن احذر
ممن تأمن . هل ضمن لك الزمان أن ينصف فلا يحيف ، أو يؤمن فلا يخيف ،
أو يبرم فلا ينقض ، أو يعافى فلا يُمرض ، أو يصفو فلا يكدر ، أو يني فلا
يغدر ؟ ! من لم يسكن إلى الغنى لم يستكن للفاقة . تأنَّ من تجفو فقلَّ من يصفو .
التلطف في الحيلة خير من الوسيلة . من ثقل على صديقه خفَّ على عدوه .

- (١) ص : فى الحزم الأسد
(٢) ص : فى الرياء الطاووس
(٣) ط : المهزول . ص : (٤) ص : للأبدان - وهو شطر بيت .
(٤) ناقص فى ط .
(٦) فرس الأسد فريسته (من باب ضرب) فرسا : دق عنقها . والطلا :
ولد الطيبي ساعة يولد ، - الصغير من كل شيء . والجمع أطلاء وطلاء
وطليان .
(٧) عس (من باب نصر) عسا وعسسا : طاف بالليل يحرس الناس
ويكشف أهل الريبة ، وفى « مجمع الأمثال » للميداني (ج ٢
ص ٩٠ . القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ) ورد هكذا : « كلب عس خير من
كلب ربض . ويروى : خير من أسد ربض ، ويروى : خير من أسد
ندس ، أى خفى ؛ وعس معناه طلب » .

من رضى عن نفسه كبر الساخطون عليه . مع كل شرف حق مضيع . الاعتبار
 يجلو عن البصر ظلمة الاغترار . ما أحسن الدنيا ، لولا أنها ميراث ! من سل
 سيف البغي قتل . الغنى ترك المني . من استغنى بعقل نفسه اختل ، ومن أعجب
 برأيه ضل ، ومن صارع الحق ذل ، ومن أكثر المزح مل ، ومن ترك الكبر
 جل . نعم التجارة الشكر ! لا عذر مع إصرار ، ولا ظفر مع بغي ، ولا صحة
 مع نهم ، ولا صداقة مع خب^(١) ، ولا راحة مع حرص ، ولا عز مع كبر ،
 ولا رئاسة مع حقد .

ما لك إلا ما قبلت عفوهُ
 لن تصلح الناس وأنت فاسد
 إن كنتَ أخطأت فما أخطأ القدر^(٢) !
 ما لك [١٨٥] إلا ما عليك مثله
 تعمى القلوب والعيون ناظره
 باعدنى منه حرصى عليه
 فى كل شىء يرتجى مخافه
 ما عيش من آفته بقاؤه^(٣) !
 رب ساع لقاعد^(٤)
 وجه المحرش أقبح
 اعور عينك والحجر
 صدرك أوسع لسرك
 رب أخ لك لم تلده أملك^(٥)
 رب أب لك لم يلدك

-
- (١) الخب (بفتح الخاء المعجمة) الخداع . وخب الرجل (من باب علم) خبا وخبا (بفتح الخاء وكسرهما) : كان خداعا خبيثا غشاشا .
 (٢) شطر بيت شعر لأبى العتاهية (راجع ديوانه ص ٣٤٦) وتماهه :
 هى المقادير فلمنى أو فذر ان كنت أخطأت فما أخطأ القدر
 (٣) لأبى العتاهية أيضا فى أرجوزته (ديوانه ، طبع شيخو سنة ١٨٨٦ ص ٣٤٨ س ٤) .
 (٤) فى « الميداني » ١ / ٢٦٣ .
 (٥) ورد فى « أمثال الميداني » (طبع بولاق ١ / ٢٥٦) منسوباً الى لقمان .

من لك بأخيك كله ! أنا لك^(١) عُدله وأخى خُدله . أنا تثق^(٢) وأنت
مَثِق ، فكيف نتفق ؟ !

زاحم يعود^(٣) أو دع
كل مُجبر^(٤) في الخلاء يسر^(٥)
أن ترد الماء بماء أكيس^(٥)
يركب الحرام من لا حلال له

إن البغاث بأرضنا يستنسر^(٦)

يا عاقد اذكر حلال^(٧) ! لا ترفع عصاك عن أهلك^(٨) . الشجاع موقى

- (١) فى « مجمع الأمثال » للميدانى (٢٥/١) : « أنا عذلة وأخى خذلة ،
وكلانا ليس بابن أمه • - يضرب لمن يخذلك وتعذله » •
- (٢) فى « أمثال الميدانى » (٣٩/١) هكذا : « أنت تثق ، وأنا مثق ، فمتى
نتفق ؟! » - والتثق : السريع الى الشر ، والمثق : السريع الى البكاء •
- (٣) العود (بفتح العين) : المسن من الابل ، وجمعه عودة وعيدة (كقيلة
فيهما) • وقد شرحه الميدانى فى « مجمع الأمثال » (ج ١ ص ٣٣٣)
هكذا : « أى لا تستعن الا بأهل السن والتجربة فى الأمور » •
- (٤) فى « مجمع الأمثال » للميدانى (ج ٢ ص ٨١ • القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ) :
« ويروى : كل مجر بخلاء مجيد • وأصله أن رجلا كان له فرس يقال
له الأبيلق ، وكان يجريه فردا ليس معه أحد ، وجعل كلما مر به طائر
أجراه تحته أو رأى اعصارا أجراه تحته • فأعجبه ما رأى من سرعته »
ولكن لما أجراه فى الحلبة سبقه غيره ، فقال صاحبه هذا القول •
ويقال أيضا : كل مجر بخلاء سابق » •
- (٥) فى الميدانى ٣٥/١ : أى ورودك الماء مع ماء كياسة وحزم •
- (٦) البغاث ضرب من الطير دون الرخمة ؛ واستنسر : صار كالنسر فى
القوة عند الصيد - : يضرب للضعيف يصير قويا ، وللعزيز يعز بعد
الذل - راجع « أمثال الميدانى ١٢/١ - طبع سنة ١٣٥٢ هـ) •
- (٧) ويروى (أمثال الميدانى ٣٧٥/٢ - طبع سنة ١٣٥٢ هـ) : يا حامل -
بمعنى : يا راحل - اذكر مكانا للحلول والاقامة ! يضرب مثلا للنظر
فى العواقب •
- (٨) فى « أمثال » الميدانى (١٨١/٢) أنه للنبي ، ولم يرد به ضرب الأهل
بالعصا ، « انما هو الأدب • أراد : لا ترفع أدبك عنهم ، وقيل : أراد :
لا تغب ولا تبعد عنهم - من قولهم : انشقت عصاهم اذا تباعدوا
وتفرقوا » •

والجبان^(١) ملقى . إنما أخشى سبيل^(٢) تلعتى . احتفظ من كالك . ثمرة العجب^(٣) البغضة ؛ ثمرة اللجاجة الحيرة ؛ ثمرة التواني الذلة ؛ ثمرة العجلة الندامة .

أنصاف أبيات فى الأمثال^(٤)

بقدر ما تعلو يكون المهوى
إنك^(٥) إن ترض بما قلّ كثر
أدنى الأعاجيب إلى نفسى
الرفق أدنى سبب للرزق
يملك قلبى كل شىء أملكه
يا رب خير جاء من مكروه
أنصح غيرى وأغشّ نفسى
أخدع شىء لك ما فيه طمع
يا حبذا الوحدة من أنيس !

إذا خشيت آفة الجليس
لو أنصف الناس استراح القاضى
كم غامز للناس فيه المغتمز
[٨٥ب] تعز عما لم تنل بالصبر
الشك ليل واليقين صبح
أنت بخير ما صنعت خيرا
لم أخل من مؤسفة مرجوة

- (١) فى « أمثال » الميدانى ٣٧٨/١ - وذلك أنه قلما يرغب فى مبارزة الشجاع خوفا على ما يصيب النفس ؛ بينما الجبان معرض للاعتداء عليه - وهذا كما يقال : احرص على الموت توهب لك الحياة •
- (٢) فى « أمثال » الميدانى ٣٥/١ : التلعة سبيل الماء من السند الى بطن الوادى ، ومعنى المثل : انى أخاف شر أقاربى وبني عمى - يضرب فى شكوى الأقرباء •

(٣) ورد فى أمثال الميدانى (١٦٢/١) هكذا : « ثمرة العجب المقت » •

(٤) العنوان فى ص • (٥) ص : ان تك •

كم أنفسي صغرهن الكبير

ما لك لا تترك ما تعيب ؟ !

حرمت نفسي الخير ، ليس سائلي

عن نفسه ييخل كل باخل

الفقر خير من غنى يطغيك

آكل لحمي ولا أدعه لآكل

يا بعضي دع بعضا (١)

قبل البكاء كان وجهك عابسا

منك أنفك وإن كان أجدها

لا تغز إلا بغلام قد غزرا

ليس عبد بأخ لك . قبل النفاس كنت مصفره . رب حام أنفه وهو

جاده . ليس لعين مارأت ، ولا لكف ما أخذت . أعيتني بأشُر (٢) ، فكيف

بدؤدُر ؟ ! - إنك لا تسعى برجل من أبي . إن كنت به تشد أزرك فأرخه .

إن يدم إطلُك (٣) فقد نقب خفي . من سره بنوه ساعته نفسه . رأى الشيخ خير

من مشهد الغلام . هان على الأملس ما لاقى (٤) الدبر . ليس لها راع ولكن حابيه .

دمت لحبتك قبل النوم مضطجعا . برد غداة غر عبداً من ظمأ . كطالب القرن

(١) فى « أمثال » الميدانى (٣٧٥/٢ - طبع القاهرة سنة ١٣٥٢) أن

ابن الكلبي قال ان أول من قاله زرارۃ بن عرس التميمي - « يضرب فى

تعاطف ذوى الأرحام ؛ وأراد بقوله : يا بعضي : أنهم أجزاء ابنته ،

وابنته جزء منه ، وأراد بقوله : بعضا : نفسه ، أى دعوا بعضا مما

أشرف على الهلاك - يعنى أنه معرض لمثل حالهم » .

(٢) الأشر (مضمتين وبضم ففتح) : حدة فى أطراف الأسنان ؛ وأشر

المنجل : أسنانه . والدردر : مغارز أسنان الصبى . وهذا المثل

معناه : لم تقبل النصيح شابا فكيف وقد بدت درادرك كبيرا ! -

يضرب لمن كرهته سليما ، فكيف وقد صار معيبا !

(٣) الاطل : الخاصة ، والجمع : أطلال .

(٤) الدبر (ككتف) المعقور - يضرب هذا المثل فى اهتمام الرجل

بشأن صاحبه أو فى استخفاف السليم بشدة المصاب ؛ والاملس

خلاف الأجرى ، وقيل : السليم الظهر من الابل .

صُلِّمَتْ أذنه . إن رمت المحاجة فاقبل المناجزة . كل الحذاء يحتذى الحافى
الوقع (١) . كل أداة الخبز عندى غيره (٢) . فى كل شجر نار ، واستمجد المرخ
والعفار (٣) . الدرهم (٤) يرغم كل عاتب .

إذا عن (٥) ماء لم يحز لى التيمم
فقد عرفت ریح اللبث [١٨٦] البهائم
بجبهة العير يفدى حافر الفرس (٦)
وأغیظ من عاداك من لا تشاكل
لا تنقش الشوكة بالشوكة ، فان ضلعها معها

من یرد البحر یصادف ریا
والفضل (٧) ما شهدت به الأعداء
الدر یقطعه جفاء الحالب
الرأى یهلك بین العجز والضجر
من أخطأ وجوه المطالب خذلته (٨) . هذا أمر لا یبقى له قدرى . هذا
أمر لا تبرک علیه یبلى . إن سرك الأهون فابدأ بالأرشد . عقل المرء مخبوء تحت لسانه .
الصدق ینبى عنك ، لا الوعيد
إن الوعيد سلاح العاجز الحقیق
المرء یصلحه الخلیس الصالح

-
- (١) وقع (من باب علم) یوقع وقعا : حفى و - اشتكى لحم قدمه من غلظ
الأرض والحجارة ، فهو وقع .
(٢) « أمثال » المیدانى ٩٦/٢ : یضرب مثلا عند اعواز الشئ .
(٣) استمجد : استفضل ؛ والمرخ : شجر سریع الوری ؛ والعفار : شجر
یتخذ منه الزناد ؛ وكلاهما یسرع فى الوری لهذا یضرب هذا المثل فى
تفضیل بعض الشئ على بعض .
(٤) ط : الدهر . (٥) ط : اذا عن بحر . . .
(٦) نصف بیت للمتنبى ، وتماهه :
یفدى بنیک عبید الله حاسدهم . بجبهة العیر یفدى حافر الفرس
والعیر (بفتح العین) : الحمار ، ومعناه : بأشرف ما فى الحقیق یرفدى
أحققر ما فى الخطیر . راجع دیوان المتنبى بشرح العکبرى ج ٢ ص ١٨٨
س ٣ ، نشرة السقا والابیاری وشلبى ، القاهرة سنة ١٩٣٦ .
(٧) الواو ناقصة فى ط . (٨) ص : خذله .

رب زارع لغيره^(١) حاصد لنفسه . أصلح علم المرء ما حاضره به . من ير يوماً يُرَبّه ، والدهر لا يغتر به^(٢) . خير المال ما أطعمك ولم تطعمه . إذا نصر الهوى بطل الرأي . اللسان يتقاضى صاحبه ما عوده . أشد الجهاد جهاد الهوى^(٣) . المصطفى بالنار أعلم بحرّها . الكتب أصداف^(٤) الحكم .
أوردها سعدٌ وسعدٌ مُشتمِلٌ ما هكذا تورّد يا سعدُ الإبل !
الصقر يجفّو عن طراد الدُخَل^(٥)
لقد حُكّت^(٦) الكلام لغير واع
عى الصمت خير من عى الكلام .

مضرة^(٧) الصدق أفضت بي إلى الكذب
الصدق أحياناً معجزة . على كاذبٍ من قوله ضوءٌ صادق^(٨) . الفَرَى للسياق
والتقدير^(٩) للقلم . أشكره ولم ينلني مطره . ليس من العدل سرعة العدل .
بعض العتاب على الاخلاص منهم
من جعل النمام عيناً هلك . عثيّة [٨٦ب] تقرّم^(٨) جلدأً أملس . العين
أثمّ من اللسان . من حفر لأخيه مغواة وقع فيها . الموت خير من حياة على رغم .
لا أطعم الخسف إن السم مشروب
تلدغ العقرب وتصبى^(٩) . إذا كنت في قوم فاحلب في إنائهم . رب إصرار
خير من اعتذار . ما أصيب من أثيب .

-
- (١) ص : لغير . (٢) شعر .
(٣) شطر بيت . (٤) ص : اصدّق !
(٥) يجفّو : يترفع . والدخل : طائر صغير - ومعناه أن العظيم يترفع عن الصغائر .
(٦) ص : حكمة . (٧) ط : نصرة .
(٨) عثيّة : تصغير عثة ، الحشرة المعروفة . وقرمه : قشره ، أكله - والمقصود أكله ، والفعل من باب ضرب . - وفي « أمثال » الميداني أنه « يضرب للرجل يجتهد أن يؤثر في الشيء فلا يقدر عليه ... »
ويضرب عند احتقار الرجل واحتقار كلامه » (٤٨٩/١) .
(٩) صأى (من باب ضرب وقطع) يصىء ويصأى صأياً (مثلثة الصاد) : صاح - ويضرب هذا المثل لمن يظلم ويشكو .

كريم غبي الطرف (١) عن عراقي
ويبقى بعد حلم القوم حلمي
أنظر به غداً .

جحود الذنب ذنبان
الغنى رب غفور
والليث لا يحسن العبي (٢) إذا وثبا
حفظ الذنوب إذا قدم من ذنوب
من مال معك إلى الخيف ، فلا تبخل عليه بالسيف
المال أصلحه ، فليس لمقتتر (٣) في الناس حرمه
الناس خلانك (٤) ما لم تفتقر

الحر عبد إذا طمع والعبد حر إذا قنع . اشتد شره فكثر سفهه . وحمى (٥)
ولا حبل ! أرسل طرفه فاقتنص حتفه (٦) . تمتع لعلك أن تنفقا (٧) . من ليس
الحرص لم تسدد مفاقره (٨) . لا يلعب بك الأمل الكذوب . شمر ذبلاً ، وادرع
ليلاً . يأكل فارهاً (٩) ويعمل كارهاً .

يحدو وليس له (١٠) بعير
الغيث في غمدى وأنتجع
الاغتراب يفيد الجدة ، ويعيد الجدة .
حملت من اللحاح سمحاً على منخل
رب كبير هاجه صغير

-
- (١) ط : اللحظ . (٢) العتبي : الرضى .
(٣) المقتتر : من أقتتر الرجل : قل ماله وافتقر .
(٤) ص : إذا .
(٥) الوحى : من جبلت واشتدت شهوتها للأكل .
(٦) ص : طرفه . (٧) شطر بيت .
(٨) يقال : سد الله مفاقره : أى أغناه وسد وجوه فقره - لا واحد لها ،
وقيل هى جمع فقر على غير قياس ، كحسن ومحاسن .
(٩) الفاره : الشديد الأكل . (١٠) ط : معه .

دع داغية اللبن .

وقد يسيل رذاذُ الدمة الوادى

النبع ينبت قضباناً فيكتهل

كم مطر بدوؤه^(١) مُطْطِير . أودى به الوادى وليس بمغم . من أوقد حرباً كان لها حطباً . موقد النار بها يصطلى . من أجح ضرارها صار طعامها . وبالضد قيل :

وليس يصلى [١٨٧] بنار الحرب جانها^(٢)

إن كنت ربحاً فقد لاقيت إعصاراً^(٣)

يدوفون^(٤) لى سماً وأسقمهم الحيا !

العين لا تملك طيَّ الحـبـر

أمت داءه تحت جنبه .

وإنى للباس الرجال على البُغض

من كثر غمره لم يطب عمره .

أنى بما أنا باك منه محسود^(٥)

ربّ غمّ يدبّ تحت السرور

من طلبه القدر لم ينجه الخذر .

إن الأسود حلیمها غضبان

أضيق ما كان الخناق ينقطع

(١) ص : بدره .

(٢) تمامه : - الشئ يبدؤه فى الأصل أصغره

وليس يصلى بناء الحرب جانها

يبدؤه : أى يبدأ منه ، وفى رواية أخرى : وليس يصلى بجل (أو : بكل) الحرب جانها - أورده أبو تمام فى الحماسة ولم ينسبه الى أحد (راجع شرح الحماسة للمرزوقى ١/٤٠٧ - ٤٠٨ ، القاهرة سنة ١٩٥١) .

(٣) يضرب مثلاً للمدل بنفسه اذا صلى بمن هو أدهى منه وأشد (« أمثال » الميدانى ج ١ ص ٣٥ ، القاهرة بولاق سنة ١٣٨٤ هـ) .

(٤) داف الدواء وغيره (من باب نصر) يدوفه دوا : خلطه ، - الدواء والزعفران ونحوه فى الماء : أذا به وضربه فيه ليخثر .

(٥) البيت للمتنبى فى قصيدته المشهورة التى مطلعها .
عيد ! بأية حال عدت يا عيد؟ بما مضى؟ أم لأمر فيك تجديد؟

راجع فى ديوانه ج ٢ ص ٤١ بشرح العكبرى . القاهرة سنة ١٣٥٥ هـ / سنة ١٩٣٦ م . وتمامه :

ماذا لقيت من الدنيا ! وأعجبها أنى بما أنا باك منه محسود
يقول : انى أشكو عجائب الدنيا ، وأعجب ما فيها أنى محسود بما أشكوه وأبكيه .

ومن (١) سَامَحَ الأيام طابت حياته

ومن (٢) ناقش الإخوان قل صديقه

من حرم التواضع منع أكرم الطبائع . كثرة النصيحة تهجم بك على سوء الظنة . ذوو الأعداء يقرعون كل باب . ستساق إلى ما أنت لاق . رب (٣) حيلة أنفع من غيلة . رَوَّ تحزم ، فاذا استوضحت فاعزم .

وإن (٤) فساد الرأي أن تترددا .

انتهاز فرصة قبل أن تعود غصة

أحكم ما تخشاه والأمر ممكن

أقسم أمريك ، وشاور نفسك ، و(٥) ميل رأيك ، واختر أمثل رأيك ، واطع أرشد نفسك .

و(٥) لاتجعل الشورى عليك غضاضة(٦)

من بدأ بالاستشارة وثنى بالاستخارة فحقيق ألا يفيل (٧) رأيه . نعم المؤازرة المشاورة ، وبئس الاستعداد الاستبداد ! ليستعن مشغول بفارغ . اجعل مع حزمك نصيباً من التوكل ، ومع توكلك نصيباً من التحرز (٨) حتى تقبل أدب الله — تعالى جده (٩) — في الحذر ، وتطيع أمره في التوكل . دولة الجاهل عبرة العاقل . نظر العاقل بعقله وخاطره ، ونظر الجاهل بعينه وناظره [٨٧ب] . دولة الجاهل كالغريب يحن إلى وطنه بالانتقال ، ودولة العاقل كالنسيب يحن إلى المقام

(١) الواو ناقصة في ط . (٢) الواو ناقصة في ط .

(٣) ط : ذو حيلة أنفع من عيله .

(٤) الواو ناقصة في ط — وتمايم البيت :

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فان فساد الرأي أن تترددا

(٥) الواو ناقصة في ط .

(٦) شطر بيت وتمايمه :

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة * فان الخوافي رافدات القوادم وقد أورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » ج ١ ص ٣٢ ضمن قصيدة من ستة أبيات ولم ينسبه الى أحد ، وورد فيه « تحسب » مكان « تجعل » ؛ ونسبه ابن خلكان ج ١ ص ٢٤٦ (القاهرة ١٩٥١) الى بشار بن برد .

(٧) فال رأيه (من باب ضرب) يفيل فيالة وفيلولة وفيولة : أخطأ وضعف . وفيله (بتشديد الياء) : قبحه وخطأه .

(٨) ص : التخير . (٩) جده : ناقصة في ط .

بالاتصال . خير الأموال ما أنفق منه ، وخير الأعمال ما وفق فيه . من ذكر
المنية أنسى الأمنية . البخيل حارس نعمته ، وخازن ورثته . لكل امرئ من دنياه
ما ينفقه على عمارة أخراه . من اكتفى بالكفاف اكتسب بالعفاف . لا تخلعنك
الدنيا بخدائعها ، ولا تفتنك بودائعها ! رب حجة تأتي على مهجة ! رب فرصة
تؤدي إلى غصة ! كم من دم سفكه فم ! كم إنسان أهلكه لسان ! رب حرف
أدى إلى حتف ! من أطال عداوته أزال سلطانه . من غلبه الحمق مغالبة الحق .
زوال الدول باصطناع السفل . من اغتر بحاله قصر في احتياله . من ترك ما يعنيه
دفع إلى ما يُعَنِّيهِ . تجرع في عدوك الغصة إلى أن تجد الفرصة ، فإذا وجدتها
فانتهازها قبل أن يفوتك الدرك أو يعينه الفلك ، فان الدنيا دول تبنيها الأقدار ،
ويهدمها الليل والنهار . من زرع الإخن حصد الحن . رب عطب تحت طلب .
ما أهون المصيبة بالأرباح إذا عادت بسلامة الأرواح ! الدين مأسور حتى يفكه
العقل ، والعقل نائم حتى يوقظه الدين . الدنيا أمد ، والآخرة أبد . عرّض للكريم
وصرح للثيم . إذا سليت عاقلا فلا تشك همّاً . لدته بالنصح (١) فجعه .

العجز أن تجعل الموتور منتصباً

< و > لا خير فيمن لم تعظه التجارب

يبين على جنبيّ وسمّ التجارب

الخرقاء بجدها والصناع بجدها [١٨٨]

إذا لم تجد بالمال جاد به الدهر

لاتطاب المفقود أو تفقد الموجود

كل مصادي نعمة متضائل (٢)

وهل (٣) تجد النفس الشحيحة ماتعطى !

الموت مستعجل يأتي على مهل

ارفض الناس فكلّ مشغله

(١) لدته فجعه : ناقص في ص .

(٢) كل متضائل : ناقص في ص .

(٣) الواو ناقصة في ط .

دع الناس وأنت من الناس . مطالع البلاء خفية الأشخاص . الحق أرفع
من السماء وأوسع من الأرض ، وغنى النفس أغزر من البحر ، والدين أثقل
من الجبال .

أعظم ما أنعم الله — علا وتقدس^(١) — على خلقه بعد ابتدائهم بالخلق
نعمتان : الرسول الهادي الذي لا يصاب الدين إلا من قبله ، والثاني : الوالي
العاقل الذي لا تصلح الدنيا إلا عليه . فأما ابتداء الخلق وما وصله بالنعمة التي
لا بقاء له إلا بها فانه وصل الأبصار بالضياء ، والأنفاس بالجو ، والأجساد
بالقوت ، والعامّة بالولادة ، والعقول بالحكمة . وإذا فقدت الأبصار الضياء
والأنفاس الجو والأجساد القوت والعامّة الولادة^(٢) — هلك هلاك الدنيا ،
وإن فقد العقل الحكمة هلك هلاك الأبد .

البشر وُضِئَة ، والشكر مكسبة ، والوفاء تجارة .
من بالغ في الخصومة ظلم ، ومن قصّر فيها ظلم .
لا يطمعن ذو الكبر في الثناء الجميل ، ولا الخب في كثرة الصديق ،
ولا سيء الأدب في الشرف ، ولا الحريص في قلة الذنوب .
الأحمق من يأكل ما يجد ، ثم يسأل ما لا يجد .
<و> جراح الزمان بالصبر تؤسى^(٣) .
إذا غلبك عدوك على صديقك فخل له عنه .

تم فصل كلام العرب ، والله الحمد^(٤)

(١) ط : عز وجل .

(٢) والعقول . . . الولادة : ناقصة في ص . (٣) شطر بيت شعر .

(٤) تم . . . الحمد : ناقص في ط . — وفي س : والله أعلم .

ومن حكم الروم

< سقراط >

قال سقراط فيما حفظ من وصاياه وأثبت من ألفاظه (١) :
 سواءً (٢) [١٨٨ب] لمن أعطى الحكمة فجزع لفقد الذهب والفضة ، ولن
 أعطى السلامة فجزع لفقد التعب والألم ! فان ثمار الحكمة السلامة والدعة ، وثمار
 الذهب والفضة الألم والنصب .
 وقال (٣) : الملك الأعظم هو أن يغلب الإنسان شهواته .
 وقال : الطبيعة أمة للعقل ، والعقل عبد للمبدع الأول .
 وسئل : أى شيء أنفع من جميع المقتنيات ؟ - فقال : الصديق المخلص (٤) .
 وعابه رجل من المترفين الأغنياء فقال : لو أردت أن أعيش كعيشك
 قدرت عليه ، ولو أردت أن تعيش كعيشي لم تقدر عليه .
 وعابه (٥) بعض الأغنياء بالفقر فقال : لو عرفت الفقر لشغلك التوجع
 لنفسك عن التوجع لسقراط .

وكان (٦) يتعلم الموسيقى على الكبر ، فقال له إنسان : أما تستحيي أن
 تتعلم على الكبر ؟ - فقال : حيائي من أن أكون جاهلا على الكبر أكثر (٧) .

-
- (١) ط ، س : فيما أثبت من ألفاظه وحفظ من وصاياه .
 (٢) في « الكلم الروحانية والحكم اليونانية » لأبى الفرج بن هندو
 المتوفى سنة ٤٢٠ هـ (نشرة مصطفى القباني ، القاهرة سنة ١٩٠٠)
 ورد هذا النص هكذا : « من أعطى الحكم فجزع لفقد الذهب والفضة
 كان كمن أعطى السلامة فجزع لفقد الوصب ، لأن ثمرة الحكمة
 السلامة والسعادة ، وثمره الذهب والفضة الألم والشقاوة »
 (ص ٨٠ س ٩ - س ١٢) .
 (٣) ورد في « الكلم الروحانية » ص ٨٣ س ١١ حيث يرد بدل : « يغلب »
 قوله : « عليك » . (٤) ص : المخلص منه .
 (٥) ورد برواية أخرى في « الكلم الروحانية » ص ٧٨ س ٢ - س ١
 من أسفل .
 (٦) ورد في « الكلم الروحانية » ص ٨٣ س ٣ من أسفل - ص ٨٤ س ١ .
 (٧) أكثر : ناقصة في ص .

وقال^(١) له رجل : حرمت نفسك يا سقراط نعيم الدنيا . قال : وما نعيم الدنيا ؟ — قال : أكل^(٢) اللحمان الطيبة وشرب الحمور اللذيذة ولبس الثياب الفاخرة ، وإتيان المناكح الحسنة . — قال سقراط : وهبت ذلك لمن رضى لنفسه أن يشبه الخنازير والقروء وأن يشبه السباع فى أن تكون بطنه مقبرة للحيوان ، وآثر عمارة بدنه الفاسد على عمارة الروح الباقى .

وقال^(٣) : إن اللذة خناق من عسل .

ونظر^(٤) إلى امرأة قد تزينت لتذهب إلى المدينة فنظر إليها^(٥) وقال : إني أظن أن ذهابك ليس للنظر إلى المدينة ، ولكن لتنظر [١٨٩] المدينة إليك ! وقال : القنية مخدومة ، ومن خدم غير ذاته فليس بحُرٍّ^(٦) . وكان يقول لتلاميذه : القنية ينبوع الأحزان^(٧) ، فلا تقتنوا !

ويقول^(٨) أيضاً : لا تحرصوا على اكتساب القنيات فيشتد فقركم ، واستهينوا بالموت كيلا تموتوا ، وأميتوا الشهوات تخلدوا ، والزموا العدل تلزمكم النجاة . وقال : من كانت ضلالاته بعد التصديق بالحق زاغ عنه وكذب به ، فهو بعيد من المغفرة يموت ميتة سوء ، ومن كانت ضلالاته قبل التصديق بالحق ومعرفته^(٩) ثم عرفه ودان به نالته المغفرة .

(١) راجع هذه الفقرة برواية أخرى فى « الكلم الروحانية » ص ٨٣ س ٣ — س ٩ .

(٢) ص : الحملان • واللحمان : جمع لحم ، ومثله : لحام ولحوم والحم •

(٣) ورد فى « الكلم الروحانية » ص ٨٧ س ٥ — س ٦ •

(٤) فى « الكلم الروحانية » لابن هندو ورد هكذا : « تزينت امرأة وبرزت للنظارة ، فقال سقراط لها : برزت لتنظر المدينة إليك ، لا لتنظري إليها » (ص ٨١ س ٩ — س ١١) •

(٥) ص : المدينة فقال • ط : فنظر إليها فقال ••• وما أثبتناه عن س •

(٦) ص : محر • — وورد هذا القول فى « الكلم الروحانية » لابن هندو ص ٨١ س ١٢ — س ١٣ •

(٧) القنية ينبوع الأحزان : وردت فى « الكلم الروحانية » ص ٨١ س ٣ من أسفل •

(٨) س : وقال أيضا • ط : وكان يقول أيضا •

(٩) س : قبل أن يعرف الحق ويدين به ثم عرفه — وكذلك فى ط •

وقال الحسن : الحق هو العدل ، لأنه علة كل حسن ، وكذلك الجور هو (١) القُبْحُ الحق لأنه علة كل قبح ، لأن القبح هو ما خرج عن الاعتدال . وكان (٢) جالساً عند رجل فعطش الرجل ، فقال لغلامه : اذهب إلى الخَمَّار فقل له أقرضنا جرة خمر وارفق بنا في ثمنه . — فقال سقراط : أحسن من هذا أن تسأل نفسك أن تقنع (٣) بالماء .

ورأى (٤) في كان ورث مالا من أبيه فبذره وحصل على أكل زعرور الحبل — فقال : يا فتى ! لو كنت اقتصررت على أن يكون مثل هذا طعامك ما كان هذا طعامك .

وسئل (٥) : ما بالك تعاشر الأحداث دائماً ؟ — فقال : أفعل ذلك كما تفعل الراضية ، فانهم يرومون رياضة الأفلاء (٦) من الخيل ، لا العتاق . وقال : لا تكن عنايتك بما تكسب وكيف (٧) تكسبه كعنايتك بحسن استعماله وكيف [٨٩ب] تنفقه (٨) .

وقال : داو (٩) الغضب بالصمت ، وداو (٩) الشهوة بالغضب : فان من غضب على نفسه من تناول المساوىء شغل عنها (١٠) . وقال : بالعدل ركب كل العالم ، فجزئياته (١١) لا تقوم بالجور (١٢) . وقال (١٣) : يا أسراء الموت ! حلوا أسركم بالحكمة ! وقال : لا تحافوا الموت فان مرارته في خوفه .

-
- (١) ص : الجور وهو . — ط : الجور هو القبح لأنه ...
(٢) ورد في « الكلم الروحانية » ص ٨٧ س ٨ — س ١١ ، مع اختلاف في الرواية .
(٣) ص : تقنع .
(٤) وردت برواية مختلفة في « الكلم الروحانية » ص ٨٧ س ٦ — س ٨ .
(٥) ورد في « الكلم الروحانية » ص ٨٤ س ١٢ — س ١٤ .
(٦) الفلّو (بكسر الفاء) : الجحش والمهر ، فطما أو بلغا السنة ، والجمع أفلاء .
(٧) الرء ناقصة في ص و ط و س .
(٨) وردت برواية أخرى في « الكلم الروحانية » لابن هندو ص ٨٧ س ١١ — س ١٢ .
(٩) س ، ط : داووا .
(١٠) راجع معنى هذا القول في « الكلم الروحانية » ص ٧٩ س ٣ من أسفل .
(١١) ص : فجر يئابه .
(١٢) وقال : بالعدل ... بالجور : ناقص في ط .
(١٣) ورد في « الكلم الروحانية » ص ٨١ س ٤ من أسفل .

< هرمس >

ما يحكى عن هرمس^(١)

قال : المرء حقيق أن يطلب الحكمة ويبتها^(٢) فى نفسه ، أولا : بأن لا يجزع^(٣) من المصائب التى تعم الأخيار ، ولا يأخذ^(٤) الكبر فيما يبلغه من الشرف ، ولا يعير أحدا بما هو فيه ، ولا يغيره الغنى والسلطان ، وأن يعدل بين نيته وقوله حتى لا يتفاوت ذلك^(٥) منه ألبته ، وتكون سنته ما لا عيب فيه ، ودينه ما لا يختلف فيه ، وحجته ما لا ينتقض .

وقال : أنفع الأمور للناس وأقرها لعيونهم^(٦) القناعة والرضا ، وأضرها وأشنعها عليهم^(٧) الشره والسخط . وذلك أن أفضل ما فى الدنيا^(٨) السرور الذى هو ثمرة كل خير يصيبهم ، وأشد ما يصيب الناس^(٩) الحزن الذى هو ثمرة كل شر^(١٠) يصل إليهم . وإنما يكون جل السرور بالقناعة والرضا ، ويكون جل الحزن^(١١) بالشره والسخط ، ولن تجتمع القناعة والسخط ، ولا السرور^(١٢) والحزن . وحكى فيما سطره^(١٣) أن أصل الضلال والهلكة لأهله أن لا يعتد ما فى العالم من الخير من عطية الله ومواهبه ، ولا يعد ما فيه من الشر من عمل الشيطان [١٩٠] ومكائده .

-
- (١) نقل هذا الفصل الشهرستاني فى « الملل والنحل » ج ٢ ص ١١٤ .
مع بعض اختلاف (بهامش « الفصل » لابن حزم ، القاهرة سنة ١٣٤٧) .
(٢) فى « الملل » : ويشتها .
(٣) فى « الملل » : لثلا يخرج . (٤) ص : يأخذ من الكبر . . .
(٥) ذلك منه ألبته : ساقطة فى « الملل » .
(٦) وأقرها لعيونهم : ساقطة فى « الملل » .
(٧) وأشنعها عليهم : ساقطة فى « الملل » .
(٨) فى « الملل » : وإنما يكون كل السرور . . .
(٩) ص : الناس من الحزن .
(١٠) ص : شيء . (١١) ص : الحسرات .
(١٢) وردت هذه الفقرة مقتضبة محرفة فى « الملل » فراجعها .
(١٣) ص : حكى ما سطره . - ط : ويحكى فيما سطره . وما أثبتناه عن س . - وفى « الملل » : ويحكى عنه فيما كتبه . . . ، وفيه بعض النقص .

وقال : من افترى على أخيه فرية لم يخلص من تبعها حتى يجزى (١) بها .
فكيف يخلص من بلغ من عظم الفرية على الله أن جعله سبباً للشرور ، وهو معدن الخير !

إن (٢) الجاهل الخاطيء الذى هلكت نفسه وقهره عدوه كلما استكثر من الذى به من هلاك نفسه وقهر (٣) عدوه له ازداد بذلك فرحاً ، وبجالة اغتباطاً ، وانفسه تركية ؛ وإن العالم الصالح الذى صحت نفسه وقهر عدوه ودفع شره ورد كيده لا يستكثر ما يلاقه (٤) بعد قهر عدوه ولا يزداد إلا تواضعاً ولعدوه إلا اتقاءً وحذراً .

وقال (٥) : كل ما ينطق به الإنسان فهو مجازى به فى الدنيا أو فى الآخرة صالحاً كان أو طالحاً ، خيراً كان أو شراً ، سرّاً كان أو علانية — فان الله لا يخفى عليه شيء .

الإخاء (٦) الدائم الذى (٧) لا يقطعه شيء اثنان : أحدهما فى محبة المرء نفسه فى أمر معاده وتهذيبه إياها فى العلم الصحيح والعمل الصالح ، والآخر مودته لأخيه فى دين الحق — فان ذلك مصاحبٌ أخاه فى الدنيا بجسده ، وفى الآخرة بروحه .

الغضب شيطان (٨) الفظاظ ، والحرص شيطان (٩) الفاقة ، وهما منشأ كل سيئة ، ومفسدا الحسد ، ومهلكا الروح (١٠) .

وقال : إنما تجرى الأمور بمشيئة الله — عز وجل — إذا كان الفيلسوف ملكاً ، أو كان الملك فيلسوفاً (١١) .

-
- (١) فى « الملل » : يجازى به • — وباقى الفقرة ورد منحرفاً فى « الملل » •
 - (٢) لم ترد هذه الفقرة كلها فى « الملل » •
 - (٣) كلما استكثر ••• عدوه : ناقصة فى ص •
 - (٤) ط ، س : ما يقاسيه •
 - (٥) لم ترد هذه الفقرة كلها فى « الملل » •
 - (٦) وردت هذه الفقرة بنفس الألفاظ فى « الملل والنحل » •
 - (٧) لا : ناقصة فى ط ، ووردت فى س وص وفى « الملل والنحل » •
 - (٨) فى « الملل والنحل » : سلطان — وهو تحريف ظاهر •
 - (٩) فى « الملل » : كل روح — وإلى ها هنا آخر ما ورد فى « الملل والنحل » •
 - (١٠) ط ، س : متفلسفا •

وقال : ثمرة الشهوة الهلاك ، وثمره الهوى الندامة ، وثمره الفخر المقت ، وثمره الحرص الفاقة .
 وقال : أنا أشبه النفس بضارب العود : فإنها في إشاراتها وتدبيرها كالعارف بنقر الأوتار وتقليب الأصابع عليها وقوته على ما يريد إظهاره من اللحون حتى يفهم عنه .

ما حفظ عن ديوجانس

[٩٠] كان (١) ديوجانس حكيماً فاضلاً ، ولكنه إذا جاع أكل الخبز أين وجدته ، ليلاً كان أو نهاراً ، عند ملك كان أو عند سوقة ، لا يحتشم أحداً . وكان يحبه كل أحد ، ويتودد إليه جميع الناس ، لأنه كان صاحب حق ، وكان يصدق عن نفسه ، ويقنع باليسير من القوت واللباس .
 وكان الاسكندر يقربه ويأنس بكلامه . وقال يوماً للاسكندر : أيها الملك ! قد أمنت الفقر ، فليكن غناك (٢) اقتناء الحمد وابتناء الحمد .
 ويحكى (٣) أن أهل أثينية بعثوا إلى الاسكندر في رسالة فقصها عليه ، فقال له : قد قضيت حوائجهم وهم يعادونني أبداً ، فما الذى يرضيهم عنى ؟ — قال : لا أحسب شيئاً يرضيهم عنك إلا موتك .
 وديوجانس هذا صاحب الشيخ (٤) اليونانى ومعلمه . والشيخ اليونانى هو صاحب الحكمة التى ظهرت منه فى كتبه المعروفة به ، وليس هذا موضع ذكرها . فمن أحب أن يطالعها فليقرأها من تلك الكتب فإنها موجودة .

(١) ما ورد هنا لم يرد فى « الكلم الروحانية » (ص ١٠٥ - ص ١١٣) ولا فى « الملل والنحل » للشهرستانى (ج ٣ ص ١٤٤ - ص ١٤٧ - بهامش « الفصل » ، القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ) .

(٢) ط : غناؤك .

(٣) ص : ويحكى عن أهل أثينية أنهم بعثوه الى ٠٠٠ - وما أثبتناه عن ط و س .

(٤) راجع عن الشيخ اليونانى : « الملل والنحل » للشهرستانى ج ٣ ص ١٤٧ (بهامش « الفصل » ، القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ) - ويقال انه أفلوطين ، ولكن هذا القول لا يزال بمعزل عن كل دليل ، خصوصاً اذا كان صاحب ديوجانس كما ورد هنا .

< بطليموس >

و(١) قال رجل لبطلميوس^(٢) : ما أحسن بالإنسان أن يصبر عما يشتهي ! — قال : أحسن منه ألا يشتهي إلا ما ينبغي^(٣) .

وقال(٤) : الحكيم هو الذى إذا صدق صبر ، لا الذى إذا قُذِفَ كَظَمَ .

وصية أفلاطون لتلميذه أرسطوطاليس^(٥)

اعرف ربك وحقه ، وأدم عنايتك بالعلم والتعليم . أكثر عنايتك بغذائك يوماً بيوم — أى^(٦) لا تدخره . لا تمتحن الأديب بكثرة العلم ، بل بأن يوجد الأديب مُعَرِّجاً من الشر . لا [١٩١] تسأل الله تعالى ما لا يدوم لك نفعه ، فان المواهب كلها منه ، فلذلك يجب أن تسأله النعمة الباقية معك أبداً . كن متيقظاً أبداً ، فان علل الشرور^(٧) كثيرة . ما لا ينبغي أن تفعله فلا تفعله . إن الله تعالى لا ينتقم من العبد بالسخط عليه ، بل لتقويمه . لا ينبغي أن تهوى حياة صالحة فقط^(٨) ، بل وموتاً صالحاً ، ولا تعتد^(٩) الموت والحياة صالحين إلا أن تكتسب^(١٠) بهما البر . لا تنم حتى تحاسب نفسك على ثلاث : هل أخطأت فى يومك ؟ وما اكتسبت فيه ؟ وما كان ينبغي أن تعمله من البر فقصرت فيه ؟ — تذكر ما كنت ، وأين مصيرك ، ولا تؤذ أحداً فان أمور عالمنا متغيرة زائلة . الشقى من لم يتذكر دائماً^(١١) عاقبته فيرجع عن زلاته . لا تجعل قنيتك من الخارجات عنك . لا تنتظر لتفعل الخير إلى مستحقه أن يسألك ، بل ابدأ به . ليس الحكيم التام من فرح بشيء من لذات العالم أو جزع من مصائبه واغتم به . آدم ذكر

-
- (١) الواو ناقصة فى ط .
 (٢) لم يرد شيء منه فى « الكلم الروحانية » (ص ١٢٤ — ص ١٢٥) .
 وانما ورد فى « الملل والنحل » للشهرستانى ج ٣ ص ٩٧ .
 (٣) ورد برواية أخرى فى « الملل » للشهرستانى ج ٣ ص ٩٧ .
 (٤) ورد بنصه فى « الملل والنحل » للشهرستانى ج ٣ ص ٩٧ — ص ٩٨ .
 (٥) ط : أرسططاليس . س : أرسطاطاليس .
 (٦) أى لا تدخره : ناقصة فى ط .
 (٧) كثيرة : ناقصة فى ص . (٨) فقط : ناقصة فى ط .
 (٩) ط : تعيد . (١٠) ط : تكتسب .
 (١١) فيرجع عن زلاته : ناقصة فى ص .

الموت والاعتبار بالميت . تعرف خسارة المرء بكثرة كلامه فيما لا ينفعه ، وفي إخباره بما لا يسأل عنه^(١) ولا يراد منه . من فكر في الشر لغيره فقد قبل الشر في نفسه . لا تسأل شريراً حاجة ، فانه بحسب شريته في نفسه ومذهبه ، وكذلك شريته في عطيته . فكر مراراً ثم تكلم ثم افعل ، فان الأشياء متغيرة . كن محباً للناس ، ولا تدع^(٢) الغضب فيتسلط عليك بالعادة . لا تؤخر إنالة المحتاج إلى غد ، فانك لا تدري ما يعترض دون غد . أعن المبلى إن لم يكن سوء عمله ابتلاه . لا تحكم قبل السماع من الخصمين . لا تكن حكماً بالقول [٩١ب] فقط ، بل وبالعمل ، فان الحكمة بالقول ها هنا تبقى ، والحكمة بالعمل في العالم الآخر تبقى . إن تعبت في البر فان التعب يزول والبر يبقى ، وإن التذذت بالاثم فان اللذة تزول ويبقى الاثم لازماً لك . اذكر اليوم الذي يهتف بك فلا تكون لك آلات الحس ، فهناك لا تسمع ولا تنطق ، ويبطل فكرك ؛ واذكر أنك ذاهب إلى المكان الذي لا تعرف فيه صديقاً ولا عدواً ، فلا تتنقص^(٣) ها هنا أحداً ؛ واعرف المكان الذي يستوى فيه المولى والعبد ، فلا تكن ها هنا محتالاً . أعدد زاداً في كل وقت ، فانك لا تدري متى الرحلة . اعلم أنه ليس في عطاء الله — تقدس اسمه^(٣) — شيء من الحكمة هو أخير . الحكيم هو الذي يظهر فكره وقوله وفعله متساوية متشابهة . كافى بالخير ، واصفح عن الشر . تذكر وتحفظ وافهم في كل وقت أمرك واعقله ، ولا تكل^(٤) عن شيء من أمور هذا العالم الحلية ، ولا تتوان في وقت ، ولا تضاد شيئاً من الخيرات ، ولا تقن واحدة من السيئات لأجل القنية الحسية . لا ينبغي أن تترك ما هو أفضل من أجل السرور الزائل وبترك السرور الدائم . أحسب الحكمة وأنصت للحكماء واطرح سلطان الدنيا عنك ، ولا تمنعن في وقت من الأوقات من الأدب الحسن . لا تفعلن شيئاً في غير وقته ، وإذا فعلته فافعله بفهم . لا ينبغي أن تختال عند الغنى ، ولا تستخذين عند المصائب . لتكون سيرتك مع الصديق سيرة لا تحتاج

(١) ولا يراد منه : ناقص في ص .

(٢) ط : تسرع .

(٣) اسمه : ناقص في ط .

معها إلى حكم ، ومع الأعداء سيرة تفلج^(١) بها في الحكم . لا تسفه على أحد ،
ولتكن سيرتك مع الناس كلهم بالتواضع ، ولا تستحقر أحداً [١٩٢] لتواضعه .
ما عذرت نفسك فيه فلا تلم أخاك عليه . لا تفرح بالبطالة ، ولا تتكل على البخت ،
ولا تندم على ما فعلت من خير . لا تمار . الزم العدل في كل أمرك ؛ وعليك
بالاستقامة ولزوم الخير .

وصية^(٢) أرسطوطاليس^(٣) لالاسكندر

لما اشتدت علة أبيه فيلفس^(٤) ، وتقرر الأمر لالاسكندر ابنه

قال :

ليس الأمر بالخير أسعد^(٥) من المطيع له ، وليس المعلم أقل انتفاعاً بالعلم
من المتعلم ، ولا الناصح أولى بالمديح من المنصوح^(٦) له ، متى قيل^(٧) .
وإن الله — تعالى ذكره — لم يرض لنفسه من الناس إلا بمثل ما رضى لهم به منه ،
فانه أمرهم بالرحم ورحمهم ، وأمرهم بالتصادق وصدقهم ، وأمرهم بالحدود وجاد
عليهم ، وأمرهم بالعفو وعفا عنهم ؛ فليس قابلاً منهم إلا مثل ما أعطاهم ،
ولا آذناً لهم في خلاف ما أتى عليهم . فأعط^(٨) من وليت أمره^(٩) من رأفتك
ورحمتك وعفوك ما ترغب في مثله^(١٠) ، موقناً بأنك إن أعطيت ذلك من نفسك
أعطيته موفراً . واعلم أنه لا شيء لك إلا ما نلت^(١١) من جميل الذكر ورضوان
الخالق ، وأنتك إن وثقت به وقاك شر من دونه ، وإن وثقت بغيره لم تدفع عن

(١) فليج (من بابى ضرب ونصر) فليجا وفلوجا : ظفر بما طلب وفاز به و —
على خصمه : استظهر عليه ، ومنه المثل : « من يأت الحكم وحده
يفليج » .

(٢) نشرها لويس شيخو في مجلة « المشرق » ثم ضمنها كتاب « مقالات
فلسفية قديمة » ص ٣٥ — ص ٤٠ .

(٣) ط ، س : ارسطاطاليس ، وكذا في ف .

(٤) ف : فيلفوس .

(٥) س : بأسعد منه من المطيع له ولا / ط ، ف أسعد به من المطيع

له ، ولا المعلم . . . (٦) ص : الفصوح .

(٧) ط : من قبل / ف : أولى به من المنصوح له بالمديح متى قيل .

(٨) ف : فأعط . (٩) ص : ومن .

(١٠) ص : مثله فيه / ف : موفياً . (١١) ط : نلت ، وكذا في ف .

نفسك ولم يدفع عنك دافع . واعلم أنك غير مستصلح رعيته وأنت فاسد ، ولا مرشدهم وأنت غاو ، ولا هاديهم وأنت ضال . وكيف (١) يقدر الأعمى على أن يهدي ، والفقير على أن يغنى ، والدليل على أن يعز ! واعلم أنه ما استصلح المستصلح غيره إلا بصلاح نفسه ، ولا أفسد المفسد سواه إلا بفساد نفسه . فإن رغبت [٩٢ب] في إصلاح من وليت فابدأ باصلاح نفسك ، وإن أردت رفع العيوب عن غيرك فطهر نفسك منها . ولا يزينك رأيك إذا أحسنت القول دون الفعل ، فقد أبلغت إلى السامعين منك دون أن يصدق قولك ففعلك (٢) ، وتحقق سريرتك علانيتك . واعلم (٣) أنك مطبوع على أخلاق مختلفة : منها حسنات ، ومنها سيئات . فأعدى عدوك سيئات أخلاقك ، وأولى الأشياء بك حسنات أخلاقك . قابل بعض أخلاقك ببعض : (٤) قابل غضبك بحلمك ، وجهلك بعلمك (٥) ، ونسيانك وغفلتك بفكرتك ونظرتك (٦) . واعلم أنه ليس أحد أصلح للناس من أولى الأمر إذا صلحوا ، ولا أفسد (٧) لهم منهم إذا فسدوا ، وإن الوالى من الرعية مكان الروح من الجسد الذى لا حياة له إلا به (٨) ، وبموضع الرأس من سائر الأعضاء فانه لا بقاء لها إلا معه : فالوالى مع فضل منزلته من الحاجة إلى إصلاح الرعية مثل ما بالرعية من الحاجة إلى إصلاح (٩) الوالى ، وقوة بعضهم زيادة فى قوة بعض ، ووهن بعضهم سريع فى وهن بعض . وبُعد الوالى من القدرة على إصلاح نفسه مع استفساد رعيته كبعد الرأس من البقاء مع هلاك سائر البدن . غير أنه أجدر باصلاح الرعية الفاسدة وإفساد الرعية الصالحة من الرعية باصلاح الوالى الفاسد وإفساد الوالى الصالح ، لفضل قوته عليها ووهن قوتها عن قوته . وقد قال أوميرس (١٠) الشاعر : « إن الأئمة يصلحون المؤمنين بفضل قوتهم ، فأما الأئمة فلا يصلحها مؤتم » . وأحذر الحرس : فأما ما هو

-
- (١) ف : فكيف . (٢) ف : وفعلك .
(٣) ط : فاعلم . (٤) قابل : ناقصة فى ص و ف .
(٥) وجهلك بعلمك : ناقصة فى ط .
(٦) ط : ونظرك / ف : بذرك ونظرك .
(٧) لهم : ناقصة فى ص و ط ، ووردت فى ف .
(٨) ف : بها . (٩) اصلاح : ناقصة فى ط .
(١٠) Homerus = / ط : أميروس .

مصلحك ومصلح على يدك فالزهد . واعلم^(١) أن الزهد يتم [١٩٣] باليقين ، واليقين يحصل بالفكر . فاذا فكرت في الدنيا لم تجدها أهلاً لأن تكرمها بهوان الآخرة ، لأن الدنيا دار بلاء ومنزل قُلعة^(٢) . وقد قال أميرس^(٣) الشاعر : « كل ضد مخالف ضده ، ولا خير في شيء يزول . ويذهب » . اتهم أخلاقك السيئة ، فانها إذا اتصلت بها حاجاتها من الدنيا كانت كالحطب للنار ، وكالماء للسمك ؛ وإذا عزلتها عنها^(٤) وحلت بينها وبين ما تهوى انطفأت كانهفاء النار عند فقدان الحطب ، وهلكت^(٥) كهلاك السمك عند فقدان الماء .

إذا أردت الغنى فاطلبه بالقناعة ، فان من لم تكن له قناعة فليس المال مغنيه^(٦) وإن كثر ؛ وقد قال أميرس^(٧) الشاعر : « لا مال عند من ترك القناعة ، ولا خير في المرء لم إذا لم يكن قنوعاً^(٨) » . واعلم أن من علامة تنقل الدنيا وكدر عيشها أنه لا يصلح منها جانبٌ إلا بفساد آخر ، فلا سبيل بصاحبها إلى عز إلا بتذل ، ولا إلى استغناء إلا بافتقار . واعلم أن الدنيا ربما أصيبت بغير حزم في الرأي ولا فضل في الدين ؛ فان أصبت حاجتك منها وأنت مخطئ ، أدبرت^(٩) عنك وأنت مصيب ، فلا يستخفّنك ذلك إلى معاودتها ومجانبة الصواب . لا تضنّ على الناس بما ترغب فيه ، ولا تأت إليهم بما تكره أن يؤتى إليك . قاتل هواك ، وأقصر رغبتك ، واكفف شهوتك ، واحلل الحقد من قلبك ، وطهر من الحسد نفسك ؛ واقبض إليك أملك ، فان الأمل إذا بسطته أقسى قلبك وشغلك عن معادك ؛ وليكن^(١٠) مما تستعين به على إطفاء الغضب علمك بأن الزلل لا يخلو منه [٩٣ب] أحد ، وبه وقع صاحبك ، ولعل عدواً لك حمله على ذلك . فان أطعت هواك في أخيك الذي أتى على يديه الذنب إليك فقد أشمت

-
- (١) واعلم أن الزهد : ساقطة من ف .
(٢) القلعة (بضم القاف وسكون اللام) : من المال : ما لا يدوم ، وفي حديث علي بن أبي طالب : أحذركم الدنيا فانها منزل قلعة : أي تحول وارتحال .
(٣) ط : أميرس .
(٤) ف : عنك .
(٥) ص ، ف : فهلكت .
(٦) ف : معينه .
(٧) ط : أميرس . الشاعر : ناقصة في ط .
(٨) ط : قنعا .
(٩) ص : وأدبرت .
(١٠) ص : ما .

عدوك به وظاهرته على أخيك ومكنته من بغيته . فما أحقك ، يا اسكندر ، أن تعترض من طاعتك له هلكة ، ومعصيتك له سلامتك — وهو هواك ؛ ولعلك يا اسكندر ترى أن عقوبتك تنكيل به عن الذنب ، أو زيادة في الأدب . فان همت بذلك فاصدق نفسك ، وقتش عن ضميرك وسريرتك دون ظاهرك وعلايتك . وانظر : أجميل الذكر تريد ، أم شفاء الغيظ ؟ — فان كنت تريد الانتقام للغضب ، فان الغضب مر ، والمر لا يجتنى ثمره حلواً ؛ وإن كنت تريد بعقوبتك إياه إصلاحه لك ولنفسه وجميل الذكر وأن تنزع عن ذلك الذنب ، فانك بالغ بالحرمان والوعيد والحقاء بعض ما يغنيك عن شدة الصولة وعظيم العقوبة . ولا ينبغي أن تستعمل سيفك فيمن تكتفى منه بالحبس ، ولا تسرع بالحبس إلى من تكتفى منه بالحقاء والوعيد ، فانه بحسب أخلاق المذنبين وتفاوتها يجب أن تكون العقوبة وإن استوت الذنوب . واعلم أنك ^(١) متى نلت مظلمة أو فرطت منك عقوبة ، فان الذي أتيت إلى نفسك من ذلك أشد من الذي أتيت إلى المعاقب إذا لم تكن عاقبته بحق ، ولا الصلاح وحده قصدت بها . فتأن في أمرك ، واجهد ألا يبلى بسيفك وسوطك من كان بريئاً ؛ ولا يسلم منك من كان لا يصلح إلا عليهما ^(٢) . احذر الشهوات ! وليكن ما تستعين به على كفها عنك علمك بأنها مذهلة لعقلك ، مهجنة لرأيك ، شائنة ^(٣) [١٩٤] لعرضك ، شاغلة لك عن عظيم أمرك لأنها لعب ، وإذا حضر اللعب غاب الجدد ؛ ولا تقوم الدنيا ^(٤) والدين إلا بالحد ، فان نازعتك نفسك إلى الشهوات واللذات واللهو ، فانها قد نزعت بك إلى ^(٥) شر منزلة وأدناها وأخسها وأسقطها وأرادت منك خلاف السنة ، فغالبا أشد المغالبة ، وامتنع منها أشد الامتناع ، وليكن مرجعه ^(٦) منك إلى الحق ، فانك متى ترك الحق فلست تتركه إلا إلى باطل ، ومهما ترك الصواب فانما تتركه إلى الخطأ . فلا تدهن نفسك

(١) ط : أنه . (٢) ص : عليها .

(٣) ط : ساسه (كذا بدون نقط) .

(٤) ط : الدين والدنيا .

(٥) الشهوات . . . الى ناقصة في ص .

(٦) ص : مرجعها .

في الهوى اليسير فتقطع منك في الكثير . ولا يرحب ذرعك بمقارفة صغير من الخطأ ، فان لكل عمل ضراوة . ومتى تعود نفسك القليل تعدل به إلى الكثير . لا تبطل عمراً لك في غير حق ، ولا تضع لك مالا في غير واجب ، ولا تصرف لك قوة في غير غناء ، ولا تعدل رأياً لك في غير رشد . وعليك بالحفظ ^(١) لما أتيت من ذلك بالحد فيه ، وخاصة العمر الذي كل شيء مستفاد سواه . فان كان ^(٢) لا بد لك أن تشغل نفسك بلذة فلتكن في محادثة العلماء وكتب الفلسفة والحكمة ^(٣) فانه أيسر سرورك بالشهوات . ولست بالغاً مبلغاً إلا وإكبابك على ذلك ونظرك فيه بالغ منك ؛ غير أن ذلك يجمع لك < أجل > السرور وتمام السعادة ، وخلافه يجمع لك عاجل العز ووخامة العاقبة ؛ وإن أسعد الناس بهواه أدرتهم للرشد منه . وإياك والفخر لعلمك بالذي منه كنت ، ومعرفتك بالذي إليه تصير . ولا سبيل — إن كنت ذا نظر مع حملك في البطن وكونك مما كنت منه وتركبك من الأشياء التي شأن كل مركب منها الانحلال والانتقال [٩٤ب] من حال إلى حال والمثوى الذي تصير إليه ، حتى تكون بعد الوجود مفقوداً ، وبعد النمو منحلاً — إلى العتو والفخر إذا كانا عنك زائلين . وإياك والكذب ، فان الكذب لا يكون إلا من مهانة النفس وسخافة الرأي وجهالة بعواقب مضرة الكذب على صاحبه . واعلم أن أقل منزلة الكذاب وما يحل به أن يقول ^(٤) فلا يصدق ، ثم يصير في البعد من بغيته والانحياز عن قصده بمنزلة من أراد الشرق فتوجه إلى الغرب . وقد قال أميرس ^(٥) : « ليس شيء أدنى منزلة من الكذب ! ولا خير في المرء الكذاب » . واعلم أن سرعة اثتلاف قلوب الأبرار حين يلتقون كسرعة اختلاط ماء المطر بالبحار . وبعد ^(٦) الفجرة من الاثتلاف — وإن طالت معاشرتهم — كبعد البهائم من التعاطف وإن طال اعتلاقيها . واعلم أن بصلاح الأعوان والوزير يكون صلاح المال . فكأن بصلاح المال معتمداً على صلاح الأعوان والوزراء ، وكن ذا عناية بهم ، واكتف بقليل منهم عن كثير ممن لا صلاح عنده ، فان الجوهرة خفيفة المحمل ثقيلة الثمن ، والحجارة فادحة

- | | |
|-------------------------|----------------------------|
| (١) ص : أوتيت | (٢) ص : كاد |
| (٣) ط : الحكمة والفلسفة | (٤) ص : يقول ان فلانا يصدق |
| (٥) ط : أميرس | (٦) ناقص في ص |

بجاملها مع قلة غنائها ونزارة ثمنها . ثم اجتهد في ابتغاء صالح العمال ، فان العامل من الملك بمنزلة السلاح من المقاتل . فاذا قعد بالوالى عمال الصديق ، فقد نزل به ما ينزل بالمقاتل إذا بقى بلا سلاح . وليكن رأس ما تعمل به أن تعلم الناس أن معروفك لا يوصل إليه إلا بمعونتك على الحق ؛ وتوطن أهل الباطل ومن يفسد في الأرض أنفسهم منك على العقوبة الفادحة ، فان بذلك تقوّم ملكاً وتعد حكماً .

وبعد ! فاني لست آمن عليك [١٩٥] الزلل في الأمور بعد الاجتهاد ، وليس يثبت العذر إلا بعد الاجتهاد في درك الصواب . فاذا (١) اشتبكت بك الأمور وعميت عليك ، فليكن مفزعك فيها إلى العلماء ، فان أدنى غايات الفضل (٢) الذى يصلح عليه أمر الوالى أن يكون عنده من رأى ما يعلم به فضل العالم على الجاهل ، وفضل خطر المرزية إذا وردت عليه . وقد قال أفلاطون : « من ميز عقول العقلاء استبان له الأمور مثل ما يستبان من المصاييح في ظلمة الليل » . ولعل رأيك أن يوديك إلى أن بعض الناس يزدريك لاقتباسك منهم ؛ أو يستخف بأمرك عندهم . فان عرض هذا بقلبك فاطرحه أشد الاطراح ، فان الذى تسعد به من الأمور بالعلم وتفوز به من مخالفة أهل الجهل أفضل لك نفعاً وأعظم خطراً من أن يعادله شيء سواه ، مع أن الناس فيك رجлан : عالم يزيدك عنده طلب العلم فضلاً ، وجاهل لا يرغب في موافقته . واعلم أنه ليس من أحد يخلو من عيب وفضيلة ، فلا يمنعك عيب رجل من الاستعانة به فيما عنده < من > منفعة وفضيلة . ولا تحملنك فضيلة رجل على الاستعانة فيما لا معونة عنده عليه . واعلم أن وجود أعوان السوء أضر عليك من فقدان أعوان الصديق . واعلم أن العدل ميزان الله في أرضه : به يؤخذ للضعيف من القوى ، وللمحق من المبطل . فمن أزال ميزان الله - عز وجل (٣) - عما وضع (٤) له بين عباده جهل أعظم الجهالة ، وأعوور أشد الاعوار (٥) ، واغتر بالله أشد الاغترار . واستعن على أمورك بخطين : إحداهما

-
- (١) ط : واذا . (٢) ط : الفعل .
(٣) عز وجل : ناقصة فى ط . (٤) ط : عما وضعه بين . . .
(٥) الاعوار : الريبة ؛ ورجل معور : قبيح السريرة ؛ ومكان معور : مخوف ؛ والأعوور : الردىء من كل شيء .

[٩٥ب] تألف الأهواء ، والأخرى التثبت في الأمور . وإياك والتأخير لأمورك والتواني عنها أو فيما يحدث منها ؛ فإني إن فعلت ذلك كثرت عليك ثم لا تجد زماناً لمباشرتها أبداً ، وتفدحك إن وكلتها إلى غيرك وتضيع . وإنما الأمور كلها أمران : صغير لا ينبغي أن تباشره ، وكبير لا ينبغي أن تكله إلى غيرك . ومتى باشرت صغار الأمور شغلتك عن كبارها ؛ وإن وكلت كبارها إلى غيرك أضعت أكثر مما حفظت ، وأفسدت أكثر مما أصلحت .

وأسأل الله — الذي اختار العدل لنفسه وأمر بالقيام عليه واستعماله في خلقه — أن يلهمك إياه ، وأن يجعلك من أهله والقوام به في عباده وبلاده .

وصية^(*) فيثاغورس

المعروفة بالذهبية^(١)

وهي التي يقول جالينوس إنه يقرأها كل يوم غدوة^(٢) وعشية قال فيثاغورس :

أول ما أوصيك به — بعد تقوى الله^(٣) — تبجيل الذين لا يحل بهم^(٤) الموت : من الله وأوليائه وإكرامهم بما توجبه الشريعة ، وتوقى اليمين : ثم أوصيك بامثال ذلك في خدمة الباصرين في مذاهبهم .

وأوصيك أيضاً بتبجيل عُمّار الأرض بفعل ما توجبه الشريعة في إكرامهم . وأوصيك باكرام سلفك وأقربائك .

وأوصيك أن تتخذ من سائر الناس أفضلهم صديقاً ليكون صديقاً في الفضيلة ، وأن تُلين له جانبك في الفعال ما أداه ذلك إلى المنفعة ، ولا تستفسد صديقاً لطفوة تكون منه ما أمكنتك ، على أن الامكان قريب من الضرورة .

(*) راجعناها كذلك على المخطوط رقم ٣٤٥ حكمة بدار الكتب المصرية ، ويشمل على وصايا فيثاغورس ورسائل أخرى .

(١) قال ابن النديم في الفهرست (طبع مصر ص ٣٤٣ س ١ - س ٢) : « وله (أى فيثاغورس) رسائل تعرف بـ « الذهبيات » . وإنما سميت بهذا الاسم لأن جالينوس كان يكتبها بالذهب اعظاماً لها وإجلالاً ؛ وقال ابن أبي أصيبعة (٤٣/١) ما قاله ابن النديم .

(٢) ف : وغدوة .

(٣) ف ، ط : الله عز وجل . س : الله جل وعز .

(٤) ص : لا يبعدهم .

فهذا أول ما ينبغي أن تعمله . — ثم ينبغي أن تتعود ضبط نفسك^(١) عن هذه [١٩٦] الأشياء التي أنا ذاكرها^(٢) : أولها أمر بطنك وفرجك ، والغضب والنوم . واحذر أن ترتكب قبيحاً في وقت^(٣) من الأوقات : لا على خلوة ولا مع غيرك ، وليكن استحيائك من نفسك أكثر من استحيائك من كل أحد . ثم ينبغي لك أن تلزم نفسك الإنصاف في كلامك وفعالك . ولا تحملن^(٤) نفسك على ارتكاب أمر من الأمور بلا تمييز ، بل اعلم أن الموت حالٌ لجميع الناس لا محالة .

وأما المال فليكن قصدك فيه اكتسابه في حال وإتلافه في حال . وما قد ينال الناس^(٥) من الأسباب المؤدية بالأسباب السائية فاصبر على ما ينوبك منها من غير أن تتذمر^(٦) ، بل تروم مداراتها بقدر طاقتك . وينبغي لك أن تعلم أن ما ينوب الأخيار من الناس من هذه الأشياء^(٧) ليس بالكثير^(٨) .

وإذا سمعت من كلام الناس الكثير^(٩) : جیده ورديته ، فلا تمتعض منه ، ولا تحملن نفسك^(١٠) على الامتناع من استماعه وإن سمعت كذباً فهوّن على نفسك الصبر عليه .

وما أنا قائله فأجبر أمرك عليه في كل ما تستعمله : لا يحملنك أحد بكلام ولا بفعل على أن تفعل ما ليس بجميل ، ولا أن تتفوه به . وروّ قبل الفعل كما لا تعاب في فعلك .

واحذر أن تقول أو تفعل ما يستجهل منك ، بل إنما ينبغي أن تقتصر فيما تفعله على ما لم يعد بالضرر عليك . ولا تفعلن فعلاً وأنت جاهل به ، بل تعرف

-
- (١) ف : على • (٢) ف : ذاكرها لك •
(٣) في وقت : ناقصة في ف • (٤) الواو : ناقصة في ف •
(٥) ف : وما قد ينال من الأشياء المؤدية بالأسباب ...
(٦) كذا في ط و س • وفي ص : غير تندم • وفي ف : من غير أن تندم •
(٧) ف : من الناس في هذه الأمور ليس بالكثير • فإذا سمعت ...
(٨) وص : بالكبير • وما أثبتناه عن س •
(٩) الكثير : ناقصة في ف •
(١٠) ص : على ارتكاب أمر من الأمور بلا تمييز ، بل اعلم أن الموت الامتناع من استماعه • — وواضح أن هنا زيادة لا محل لها ، فأثرنا قراءتي س و ط / ف : ولا تحملنك نفسك على الامتناع من استماعه ...

في كل حال وفي كل واحد من الأفعال ما يجب أن تفعله ، فانك حينئذ تسر بمعاشك .

ولا ينبغي أن تهمل أمر صحة بدنك ، لكن تعنى [٩٦ ب] بأمر (١) الطعام والشراب والقصد فيهما وبأصناف الرياضة. وإنما أعنى بالقصد : ما لا يضر (٢). وعود نفسك أن يكون تدبيرك + تدبيراً نقياً غير + مضطرب . واحذر أن تفعل ما يجلب عليك الحسد .

ولا تكن متلافاً بمنزلة من لا خيرة له بما في يديه ؛ ولا تكن أيضاً شحيحاً فتخرج عن الحرية ، بل الأفضل في الأمور كلها هو القصد فيها .

وليكن ما تفعله (٣) ما لا يعود بالضرر عليك : فاستعمل الفكر قبل العمل . ولا تساعد عينك على النوم قبل أن تتصفح كل واحد من الأفعال التي فعلتها في نهارك أجمع ، فتقف قبل نومك في المواضع التي تجاوزت فيها ما ينبغي إن كنت فعلت ذلك ، وعلى ما فعلته (٤) ، وعلى ما كان يجب أن تفعله فلم تفعله . وأبدأ في ذلك من أول ما فعلته واجتر في تفقدك كذلك إلى آخر ما فعلته . فتي كنت قد أتيت (٥) مكروهاً فليذعنك ، ومتى كنت قد أتيت رضيعاً فليبهجنك . فعلى هذا فلا يكن حرصك وفيها (٦) دووبك ، وإليها فاصرف همتك فانها توطىء لك ما يريقك إلى الفضيلة الإلهية .

إي والذي وهب لأنفسنا النبوع ذا الأربع من الطبيعة التي لا تفتقر ! متى التمت فعلاً من الأفعال فابدأ بالابتهال إلى ربك بالنجح فيه ؛ فانك إذا لزمته ذلك ولم تخالف هذه الوصايا ، وقفت على كُنه ما يجري عليه الأمر في تدبير (٧) الله عز اسمه وأوليائه ، وفينا معشر الناس : مامنه زائل في الواحد بعد

(١) ط : تعنى بالطعام ، وكذا في ف .

(٢) ط : ما لم يضر ، وكذا في ف .

(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص في ف .

(٣) ط : وليكن ما لا تفعله ما لا يعود ... وهو تحريف ، والتصحيح عن س و ص .

(٤) ط : فعلته مما كان يجب ألا تفعله - وكذا في س / ف : ينبغي أن تفعله فلم تفعله .

(٥) ف : فعلت . (٦) ص : منها .

(٧) ف : تدبير الله عز وجل أوليائه / ص : تدبير الله عز اسمه أوليائه .

الواحد ، وما منه ثابت ؛ و علمت ما قدر من مجرى الطبيعة في كل شيء على مثال واحد كيما لا ترجو ما لا يرجى ؛ وعلمت أن الناس بشقاء جدهم الذي اختاروه لأنفسهم بارادتهم في حد من يرث لهم [١٩٧] إذ كانوا^(١) مشرفين على الحيرات وهم لا يقفون عليها ولا يتفقدون أنفسهم فيما بلوا^(٢) به ، فإن الشاذ من الناس يتهياً له استنقاذ نفسه من الشرور ، وإن ما بلوا به من ذلك هو الذي يقدح في قلوبهم وأذهانهم ، فهم يتقلبون في الشر بمنزلة ماء تدحرج^(٣) في الأوقات المختلفة إلى آفات مختلفة وإلى أحوال مختلفة ، فيقعون في شرور لا إحصاء لها ، وذلك أن الأمر اللازم للغريزة^(٤) نجبته ينكأ وهو لا يشعر . وقد ينبغي ألا يساعد ، بل يهرب منه باظهار الاستخذاء له .

أيها الأب الواهب للحياة ! حتأ^(٥) أقول إنك بقادر على أن تدفع عنهم بلايا كثيرة إن أظهرت لهم السكينة التي جعلتها فيهم^(٦) . لكنك أنت ، أيها الإنسان ، ينبغي أن تشجع ، إذ^(٧) كان في الإنسان جنس^(٨) إلهي ، والطبيعة الإلهية تقوده إلى الوقوف على كل واحد من الأشياء التي إن^(٩) نلت منها حظاً من الحظوظ ولزمت ما أشير به عليك وشفيت نفسك من هذه الأوصاب والأضغاث نجوت سالماً ، لكن اشبع^(١٠) من الأطعمة التي ذكرناها ، واجعل امتحانك لها تركية^(١١) النفس وتخليه أسرها من جسدها ، وخبر الناس بما تقف عليه في واحد من ذلك ، واجعل القيم المشرف^(١٢) على ذلك التمييز الصحيح ، فانك عند ذلك إذا فارقت هذا البدن حتى تصير مخلي ، تكون عند ذلك سائحاً غير عائد إلى الأنوسة ولا قابل للموت .

تمت وصايا الحكمم فيثاغورس^(١٣)

التي ذكر جالينوس أنه يقرأوها في طرفي كل نهار

- (١) ص ، ف : اذا • (٢) ف : فيها بلوبه - وهو تحريف ظاهر •
 (٣) ف : بمنزلة ماء قد خرج في الأزقات المختلفة الى آفات مختلفة ، فيقعون ... • (٤) ف : للطبيعة •
 (٥) ط : وحقا • (٦) فيهم : ناقصة في ط •
 (٧) ف : اذا • (٨) ط : حس - وما أثبتناه في ص و س •
 (٩) ان : ناقصة في ف • (١٠) ف : من هذه الأطعمة •
 (١١) ط : تركية •
 (١٢) ص : واجعل ذلك القيم المشرف على التمييز ... / ف • واجعل القسم المشرف على ذلك التمييز ...
 (١٣) ف : فيثاغورس والحمد لله حق حمده •

ذكر^(١) قابس الأفلاطوني^(٢)

أمر لوح وجدته موضوعاً [٩٧ب] في هيكل
كان منسوباً إلى زحل فيه لغز يدل على الهدى^(٣)

(١) في نشرة اليشمن وسوميز العنوان التالي : « لغز قابس صاحب أفلاطن ، وهو أشبه شيء بأمر العالم ، وما فيه ، وما يجب أن يعمل فيه العاقل حتى يسعد السعادة التامة ، وينجو من الشرور التي فيه » . ويرى باسيه أنه من المحتمل أن يكون هذا العنوان من وضع الناشرين اليشمن أو سوميز . وهو رأى فاسد ، لأن هذا العنوان موجود في نسخة ط ورقة ١٠٠ ب ، وس ورقة ١٤١ ، وف ورقة ١٣٨ ب .

(٢) بعدها في نشرة اليشمن : « ذكر قابس الأفلاطوني المنسوب الى

(٣) سقراط أمر لوح ٠٠٠ » وكذا في ط وفي س ، ف .
هذا المدخل لا يوجد في النص اليوناني . وقد رمزنا الى نشرة باسيه بالرمز ب .

١- (١) كيننا نحن نمشي في هيكل زحل ونتأمل ما فيه من أصناف الهدى ،
إذ بصرنا في مقدم (٢) الهيكل بلوح موضوع ، فيه رسم صورة ملغوزة لغزاً خفياً
لم تصل (٣) أفهامنا إلى المذهب فيها : ما هو ، لأننا لم نحسبها تدل على أنها صورة
مدينة ، ولا صورة (٤) هيكل ، ولا صورة عسكر (٥) . وهذه صفتها :

كان رُسم في اللوح حظيرة ، في داخلها حظيرتان أخريان إحداهما أكبر
من الأخرى ، ورأينا الحظيرة الكبرى لها باب كان عليه (٦) جمع كثير من الرجال ،
ومن داخل تلك الحظيرة جمع كثير من النساء . وعلى هذا (٧) الباب رجل شيخ
واقف كأنه يومي إلى جمع الرجال بشيء لا يدري (٨) ما هو .

٢ - فكثنا حيناً من الدهر متحيرين ، يسأل بعضنا بعضاً عما يخطر بباله
وما يسنح له من ذلك المثال . فلما (٩) سمع ذلك بعض ذوى الفهم ممن كانت
له عناية بالمسترشدين أقبل علينا فقال :

لا يغلظن (١٠) عليكم ، معشر الغرباء ، ما تداخلكم (١١) من الحيرة
في أمر هذه الصورة ؛ فان كثيراً من أهل هذا (١٢) البلد لا يعرفون ما يدل عليه

-
- (١) وضعنا هذه الأرقام كما في نشرات النص اليوناني .
(٢) ف : بصرنا بلوح موضوع في مقدم الهيكل ، وفيه رسم صورة ...
(٣) ب : فصل بأفهامنا . وكذا في ط و س ، ف .
(٤) ف : أو صورة .
(٥) يقترح باسيه أن تقرأ : « معسكر » لأنها في نظره أقرب إلى الأصل
اليوناني στρατόπεδον ولكن لا داعي في نظرنا لهذا الاقتراح
أولا لأن الكلمة اليونانية من معانيها أيضا العسكر ، أي الجند
المعسكرون أو الجيش في المعسكر ، كما ورد في هيرودوت ١ : ٧٦ ؛
٥ : ١١٣ ؛ ٩ : ٥١ وما إلى هذا ؛ وفي سوفوكليس : فيلوكتيت ١٠
وغيرها . وثانيا كلمة عسكر في العربية تدل على : مجتمع الجيش
(« لسان العرب » ج ٦ ص ٢٤٣ السطر الأخير ، بولاق القاهرة
سنة ١٣٠٠ هـ) ، كما تدل على الجيش .
(٦) س : عليها جميعا كثيرا / ف : عليه جميعا كثيرا .
(٧) ف : هذه . (٨) ف : لا ندري .
(٩) ب : ولما .
(١٠) بالطاء المعجمة ، كما يتفق مع اليوناني : δεινὸν παύσχετε .
(١١) ب : دخلكم . (١٢) ف : هذه .

هذا اللغز ، وذلك أن هذا الهدى ليس أهل هذا البلد قريوه ، بل رجل طرقنا منذ زمن (١) طويل من أرض غربة من بلاد لا قاذامونيا (٢) كان مبرزاً (٣) في الحكمة ، فأهدى هذه الصورة قرباناً لرجل .

قال (٤) قابس : فقلت له : هل رأيت هذا الرجل الذى ذكرته ؟

قال ايرقليس (٥) : أى لعمرى لقد رأيته ولزمته وشاهدت منه رجلاً عظيم الشأن ، وسمعته يذكر أشياء جليلة ، وكثر عجبى منه لحدائث سنه . فنه سمعت ما يدل عليه (٦) هذا اللغز .

٣ - [١٩٨] قال قابس : فقلت له : سألتك بالله ، معطى الحياة (٧) ، إن لم يكن لك شغل يقطعك فاقصص علينا ما سمعت منه فى تفسير هذا اللغز ، فان أنفسنا شديدة التطلع إليه .

قال ايرقليس (٨) : ما أنحل بذلك ، أيها الغرباء ! غير أنه ينبغي أولاً (٩) أن تسمعوا منى ما فى تفسير هذا اللغز من ركوب الخطر .
قال قابس : كأنك تقول ماذا ؟

قال ايرقليس : إذا سمعتم ما أقوله ، فان أنتم فهمتموه ووعيتموه كنتم عقلاء سعداء ، وإلا صرتم جهلة أشقياء لا علم لكم بتصرف المعاش . فان تفسير

(١) ف : زمان

(٢) Λακεδαίμων = Lacédémone = احدى بلاد البلوبونيز - وفى ط بالدال المهملة .

(٣) فى ب : ميسورا - والتصحيح عن ط .

(٤) س : وقال قابس : قلت له ...

(٥) لا يوجد هذا الاسم فى النص اليونانى ؛ وقد خلط المترجم العربى ، كما لاحظ باسيه إحق ، بين لفظ Ὁ Ἡρακλεις ، أى : بحق هرقل ! وهو قسم وتعجب ، وبين اسم شخص ، فظن أنه اسم شخص ؛ اذ سورد فى النص هذا القسم بعد فى أول بند ٤ .

(٦) ف : على .

(٧) فى النص اليونانى : Πρὸς Διὸς أى بحق زيوس . وكما لاحظ باسيه ، لابد أن يكون المترجم العربى قد التمس اشتقاق كلمة Ζεὺς

فى الجذر αἰω (يحيا) ، ومن هنا ترجمه : معطى الحياة .

(٨) فى ط يرد دائماً بالباء الموحدة هكذا : ابرقليس .

(٩) أولاً : ناقصة فى ف .

هذا اللغز يجرى مجرى لغز سفينيكس (١) التي كانت تلقيه على الناس ، فن فطن له نجا (٢) ، ومن لم يفطن له قتلته . فعلى هذا النحو يجرى الأمر في هذا التفسير . وذلك أن سفينيكس (٣) كانت تلقى على الناس لغزاً غير مفهوم وهو هذا :
 ما الخير وما الشر ؟ وما الذى (٤) هو لا خير ولا شر ؟
 وتقول (٥) : هذا من لم يعرفه أتلفه (٦) جهله به عن قرب ولا استراح (٧) من التلف ، إلا أن تلغه يكون شيئاً بعد شيء في مدة عمره كما يصيب الذين يتلفون بالعذاب . ومن عرف ذلك تلف جهله ونجا هو فصار سعيداً مغبوطاً عمره كله (٨) .

وأتم الآن : ففهموا قولى ، ولا يفتكم الانصات له .

٤ — قال قابس : فقلت له (٩) : يا ايرقليس ! لقد ألقيت في أنفسنا (١٠) توقفاً شديداً إلى سماع ما تقول ، إن كان الأمر (١١) على ما وصفت .
 قال ايرقليس : فاعلموا أن الأمر فيه على ما وصفت (١٢) .

(١) sphinx = ῥαπίγξ (مؤنثة فى اليونانية) وفى ب ،

ف : سفيتنكس .

(٢) ط : تخلص . (٣) ف : سفيتنكس .

(٤) ب : وما الذى لاخير هو ولا شر . وما أثبتناه فى ط أيضا .

(٥) ب : ثم تقول ... (٦) ف : قتله .

(٧) لا : ناقصة فى ص و ط و س ،

(٨) أورد ذكر هذا اللغز : أبولودور : المكتبة ، الكتاب الثالث ، بند ٥ :

ديودور الصقلي : المكتبة التاريخية ، الكتاب الرابع : زينوبيوس

Zénobios : الأمثال ، راجع جيسفورد ، Gaisford : Paraemiographi graeci ،

Oxford, 1863, p. 270 ؛ وشارح رواية « الفينيقيات » ليوريديس

(البيت رقم ١٧٦٠) ؛ وتترزس Tzetzs : Scholies de Lycophron, p.3

وأوزون 39, Idylles, XI, Ausone ؛ ونحن نجد صدى لا سطورة

الاسفينيكس فى « درة الغواص » للحريرى (نشرة ثوريكه Thorbecke

ليبتسج سنة ١٨٧١ ص ٩١ - ص ٩٢) . راجع فى هذا ترجمة

باسيه ، تعليق ص ٢٥ - ص ٢٧ .

(٩) فقلت له : ناقصة فى ف .

(١٠) ب : قلوبنا ... توقانا . ط : أنفسنا توقانا .

(١١) ب : الأمر فيه .

(١٢) قال ... وصفت : ناقص فى ط / ف : وصفناه .

قال قابس : فخذ الآن في شأنك ولا تبخل علينا ، واقصص علينا (١)
 القصة على وجهها إذ كان ذلك مرادنا وبغيتنا [٩٨ب] .
 قال : فأخذ بيده قضيباً وأشار به إلى الصورة وقال لنا (٢) : أترون
 هذه الحظيرة ؟

فقائنا (٣) له : هو ذا نراها .

قال إيرقليس : هذه الحظيرة تدل على مقام الناس في الدنيا مدة أعمارهم .
 وهذه الأمم الذين ترونهم وقوفاً على بابها هم الناس الذي يصيرون إلى هذه الدنيا
 فيعيشون فيها متصرفين عمرهم كله . وهذا الشيخ الذي ترونه واقفاً ويده قرطاس
 ويده الأخرى قلم (٤) كأنه يكتب هو الملك (٥) الذي يعلم من يرد هذا العالم (٦)
 ما يجب أن يعمل به في تصرفه فيه ، ويريه الطريق الذي إن سلكه سلم فيه .
 هـ — قال قابس : فقلت له (٧) : فأى طريق يأمره (٨) أن يسلك ؟ وكيف
 يعمل ؟

قال إيرقليس : هو ذا (٩) ترى عند الباب كرسياً منصوباً (١٠) بحيث
 يدخل الناس ، وعليه امرأة جالسة متزينة بأصناف الزينة ، عليها (١١) قبول .
 قال قابس (١٢) : نعم ! هو ذا نرى . ولكن من هذه ؟
 قال إيرقليس : هذه يقال لها الغفلة (١٣) ، وهي التي تغرى (١٤) الناس
 كثيراً ، فهي تشرب الناس الذين يدخلون الدنيا من غفلتها (١٥) وقوتها وتسقيهم منها .

-
- (١) علينا : ناقصة في ف . (٢) ف : وقال أما ترون .
 (٣) س : فقلت له ، وكذا في ف . (٤) ب : قلم وهو كأنه .
 (٥) الملك = Δαίμων — وفي س : كأنه الملك .
 (٦) ب : على ما يجب . (٧) فقلت له : ناقصة في ب .
 (٨) ف : يأمر بأن تسلك . (٩) هو ذا : ناقصة في ب .
 (١٠) في هامش ف تصحيح هو : مرصعا .
 (١١) ف : وعليها . (١٢) قابس : ناقصة في ب .
 (١٣) في النص اليوناني : Ἀπάτη ومعناها : الخداع ، الغش ، الخيانة ؛
 ويظهر أن المترجم خلط بينها وبين الكلمة ἀπαθεια أي الغفلة وعدم
 الاكتراث .
 (١٤) في ليشمن : تعتري ؛ ويرى باسيه تصحيحها هكذا : تغر لأنها أقرب
 إلى اليوناني πλανῶσα . وفي ط : تعتري ، وكذلك في س ، ف .
 (١٥) ف : وقوتها هذه .

قال قابس : فقلت له : وما هذا الشراب ؟

قال ايرقليس : هذا شراب الغفلة والسهو وغروب العلم ؛ > فقال قابس :
ثم ماذا ؟ فأجاب < : (١) فاذا شربوا منه دخلوا > الحياة < (١).

قال قابس (٢) : أفكل يتشرب الغفلة ، أم ليس كلهم (٣) ؟

٦ - ومن شرب منه أيضاً هل يشرب بعضهم أقل ، وبعضهم أكثر ؟

قال : أو ليس ترى من داخل الباب نساءً صورهن (٤) مختلفة متفننة ؟

قال [١٩٩] قابس : أحسبني قد رأيتهن .

قال ايرقليس : هؤلاء النساء (٥) هن المفاخرات (٦) واللذات والشهوات .

فاذا دخل الناس إلى داخل وثبن وتعلقن بواحد واحد منهم (٧) وسقن بعضاً
إلى (٨) ما يسلم به ، وبعضاً إلى ما يعطب به للغفلة .

قال قابس : فقلت : يا هذا ! ما أصعب ما تصف به أمر هذا الشراب !

قال ايرقليس : إلا أنهم كلهم (٩) يوهمن من تعلقن به إنما يقدره

إلى الفضيلة وطيب العيش وسعته ونفعه ؛ والناس ، لما عراهم من السهو وغروب

الفهم لشربهم كأس الغفلة ، لا يقدر أن يميزوا الطريق الصواب الذي يجب

أن يسلكوه في معاشهم وتصرفهم في الدنيا ، لكنهم يمرون على وجوههم كما

ترى إلى حيث مر من تقدمهم فدخل وهو غرغافل (١٠) .

(١) هاتان الزيادتان ترجمناهما عن النص اليوناني .

(٢) ب : قابس : فقلت له : أفكل . . وكذا ط .

(٣) في اليوناني زيادة وخلط هما : « فأجاب (ايرقليس) : كلهم يشرب

منه ، بعضهم أكثر ، وبعضهم أقل . . قال : أو ليس . . . » / ف :

كلهم يشرب .

(٤) ص : صورتهن ، وكذا في ب . وما أثبتناه عن ط / ف : صورهن

مختلفات (٥) ص : هم .

(٦) المفاخرات : في اليونان δόξαι ولها معنيان : مفاخرات ، وآراء .

والمترجم العربي أثر الأول ، مع أن الثاني هو الأصح هنا . / ف :

المفاخرات . (٧) ط : وثبن فتعلقن بواحد واحد .

(٨) س : إلى أن يسلم به : وبعضاً إلى أن يعطب .

(٩) كلهم : ناقصة في ف .

(١٠) ب : غار . وكذا في ط و س و ف .

٧ - قال قابس^(١) : هو ذا أرى ! ولكن ، ما معنى تلك المرأة التي توهم أنها عمية معتوهة وهي واقفة على حجر مدور ؟

قال ايرقليس : هذه هي البخت . وليست فقط^(٢) عمياء ، بل صماء أيضاً .

قال قابس^(٣) : هذه ، أى شئ تعمل ؟

قال ايرقليس : هذه تطوف في كل مكان ، فتأخذ من هذا وتعطي هذا ، ثم لا تلبث أن تعطف على من أعطته فتأخذ^(٤) ما حبته به وتعطيه آخر ، إلا أنها تفعل ما تفعله من ذلك^(٥) عن غير سبب ما يوجبه ، ومن غير أن يوثق منها بما تأتيه . فهي تفرح هذا بما تمنحه ، وتغم هذا بما تسلبه ؛ ولذلك صارت هي تبين عن نفسها مذهبا الذي تجرى^(٦) عليه^(٧) [٩٩ب] .

قال قابس : قلت^(٨) : أهي الواقفة على الحجر المدور ؟

قال ايرقليس : نعم !

قال قابس : فقلت له^(٩) : ليت شعري على ماذا^(١٠) يدل من أمرها ؟

قال ايرقليس : يدل^(١١) ذلك على أن ما تسمح به غير موثوق ببقائه ، ولا معمول^(١٢) على ثباته . وذلك أن المرء إذا اعتمد على أنه قد حصل منها شيئاً يعمل عليه^(١٣) خاست به أوثق ما يكون بها وأوقعته في حسرة شديدة .

(١) ب : قابس : فقلت له : هو . . .

(٢) ب : وليست هي عمياء فقط ، بل . . . وفي اليوناني : عمية مجنونة :

τυφλή καὶ μαινομένη

(٣) س : قال قابس قال هذه . . . / ف : هذه ايش تعمل ؟

(٤) ب : فتأخذ منه ، وكذا في ف .

(٥) ص و ب : من . (٦) ب : التي . (٧) س : عليها .

(٨) ب : فقلت له . وهنا خلط في الترجمة العربية ، صوابه هو :

« فقال قابس : وكيف هذا ؟ - فأجاب (ايرقليس) : لأنها واقفة على

حجر مدور . » وفي ط : فقلت أهي . . .

(٩) له : ناقصة في ف . (١٠) ب : على ما تدل .

(١١) ف : تدل في ذلك غير ما يوثق ببقائه .

(١٢) ص : معزل / ب : معمول / ط : معمول .

(١٣) خاس عهده وبعهدده : نقضه وخانه .

٨ - قال قابس : فقلت : هذا الجمع الكثير الذى حولها ، ما يلتمسون منها ؟
وبأى شىء يُعرَفون ؟

قال ايرقليس : يعرفون بالهمج الذين^(١) لاروية لهم ، والذى يلتمسونه
هو الفوائد والصلوات والهبات .

قال قابس : فقلت^(٢) : فما بالنّا لا نرى صورهم واحدة ، بل نرى
بعضهم كأنهم مسرورون ضاحكون ، وبعضهم كأنهم مكروبون باسطو
أيديهم^(٣) ؟

قال ايرقليس : أما الذين ترونهم كأنهم فرحون مسرورون^(٤) فهم
الذين قد حبّتهم^(٥) بشىء ، وهؤلاء يسمون^(٦) أيضاً سعداء البخت .
والذين يبكون هم الذين قد سلبتهم^(٧) ما كانت أعطتهم ، ويسمى^(٨) هؤلاء
أشقياء البخت .

قال قابس : فما هذا^(٩) الذى تمنح هؤلاء فيسرون ، والذى^(١٠)
تسلبه هؤلاء فيبكون عليه^(١١) ؟

قال ايرقليس : هؤلاء يظنون أن الذى تعطيهم هو الخيرات ، وهم
جمهور الناس^(١٢) .

قال قابس : وما ذلك ؟

قال ايرقليس : اليسار والجاه والعافية والولد والسلطان وسائر ما يجرى هذا
المجرى وما أشبهه .

(١) ص : الذى .

(٢) فقلت : ناقصة فى ب/ف : ما بالنّا .

(٣) اليشمن : مكروب باسط يديه . ط : وبعضهم كأنه مكروب
باسط يديه .

(٤) ط : مسرورون فرحون . (٥) ط : حبّتهم .

(٦) أيضاً : ناقصة فى ب و ط و ف .

(٧) ص : سلبت .

(٨) ب : وهؤلاء يسمون . (٩) ب : فما هو .

(١٠) ف : وما الذى تسلب هؤلاء . . .

(١١) عليه : ناقصة فى ص و ط و ف .

(١٢) اليشمن : وهم جمهور الناس [يظنون] أنه الخيرات .

[١١٠٠] قال قابس : فقلت (١) : أو ليس هذه خيرات ؟
قال ايرقليس : هذا شيء ينبغي أن يؤخر الكلام فيه في هذا الوقت .
ولنعد بكلامنا (٢) إلى ما كنا فيه من تفسير اللغز .

قال قابس : صواب !
٩ - قال ايرقليس : أفأترون - إذا تجاوزتم هذه (٣) - أن فوقها حظيرة
أخرى ، خارجها نساء وقوف متزينات كأنهن زوان ؟
قال قابس : بلى !

قال (٤) : هؤلاء هن الشره والشبق والملق والخداع والبذخ (٥) وما يجري
هذا المجرى .

قال قابس : فما وقوفهن (٦) هناك ؟
قال ايرقليس : ينتظرن (٧) ما يكون من البخت . فإذا أعطى إنساناً شيئاً
وتخلص من أعطاه بما أعطاه ، تضرعن له وخدعنه ثم لطفن له في المقام قبلهن ،
وأومنه أن العيشة عندهن عيشة لذيدة رضية يقلُّ الهمُّ فيها والشقاء . فمن أطاعهن
دخل في اللذات وأقام عندهن (٨) فهو إلى مدة من الزمان ما دام (٩) يغرونه ،
يظهر له أن تلك (١٠) السيرة (١١) رضية . ثم بأخرة (١٢) إذا تأمل أمره فشرع بما لم يكن
يشعر به فيما مضى ولا عرفه تغيرت الصورة عنده بعد أن أتلف ما كان استفاده
من البخت (١٣) ، فيضطره الأمر إلى خدمتهن ويصبر على كل بلاء ويجهد
نفسه ويشقيها بكل قبيح يحملنه عليه وعلى ما يضره .

-
- (١) ب : فقلت له : أفليس ... / ف : فقلت : وليس ...
(٢) ف ، ط ، ص : ولنعد إلى كلامنا في تفسير اللغز .
(٣) ب : أفما ترى إذا تجاوزت هذا (الباب - اقتراح اليشمن) أن فوق
هذه الحظيرة حظيرة أخرى خارجها ...
(٤) ب : قال ايرقليس . (٥) والبذخ ناقصة في ط .
(٦) ف : فوقهن .
(٧) س ، ص ، ب : ينتظرون - وما أثبتناه عن ط .
(٨) ط ، ص : فهن ، وكذا في س (٩) ف : ما داموا .
(١٠) ب ، ص : له . (١١) ص : الرضية .
(١٢) ص : تأخرة - بأخرة : بتأخير ونسيئة .
(١٣) ط : البحث .

قال قابس : كأنك تقول ماذا ؟

قال ايرقليس : مثل النهب والسرقة^(١) وسلب الحرم واليمين الكاذبة والسعاية والنميمة وما أشبه ذلك [١٠٠ ب] وجرى مجراه .

قال قابس : فكيف يكون حال هؤلاء إذا افتقروا ؟

قال ايرقليس^(٢) : يسلمهم^(٣) للعذاب .

١٠ - قال قابس : فأرني التي تعذبهم أيما هي^(٤) ؟

قال ايرقليس : أما ترى بويماً صغيراً في موضع ضيق^(٥) مظلم ؟

قال قابس : فقلت : هو ذا أراه .

قال ايرقليس : وترى هناك نساءً قباحاً أو ساخاً عليهن كدّاد^(٦) ؟

قال قابس : فقلت : هو ذا أرى^(٧) .

قال ايرقليس : فتلك المرأة منهن وهي^(٨) التي في يدها السوط ، تدل

على العقوبة وعلى سوط العذاب . والتي قد دلت رأسها بين ركبتيها^(٩) تدل

على الغم والحسرة . والتي هي دائبة تنتف شعرها تدل على الألم والحسرة وشدة الوجع .

فقال^(١٠) قابس : فالمرأتان الواقفتان بالقرب من هؤلاء المتنتان^(١١)

المتسلبتان الفقيرتان ، على ماذا^(١٢) تدلان ؟

(١) السرقة : ناقصة في ب - وضبطها بالتحريك ، أو بفتح السين المهملة وكسر الراء .

(٢) ط : قابس - وهو تحريف ظاهر .

(٣) ف : يسلمنهن الى العذاب .

(٤) في النص اليوناني ποία δέ ἐστιν αὕτη أي : وما هذه ؟

(٥) ط : خنيق .

(٦) أي خرق بالية ، كما في اليونانية ῥακη ، ولم نجد هذا اللفظ في

« لسان العرب » (٣٨٢/٤) بهذا المعنى ، وإنما وجدنا : والكدادة :

ما يلتزق بأسفل القدر بعد الغرف منها ، وثقل السمن .

(٧) ف : أراهن .

(٨) وهي : ناقصة في ص ، ط ، ف .

(٩) ب ، ص : ركبتيها . (١٠) ف ، ط : قال .

(١١) ب : هؤلاء اللتان هما مهيئتان قبيحتان متسلبتان فقيرتان . ط :

المهيئتان / ف : المنتان القبيحتان المتسلبتان .

(١٢) ذا : ناقصة في ف .

قال ايرقليس : إحداهما^(١) تدل على الحزن والويل والعويل ، والأخرى المؤاخية لها تدل على الحزن الطويل . فان العقوبة والعذاب^(٢) يؤديانهم الى ذلك ، فيكون عيشهم كله في ضنك وعذاب . ثم يقعون إلى البيت الآخر^(٣) الذى يعرف بشقاء البخت ، فيكونون سائر عمرهم في الشقاء ، إلا أن يلحق الإنسان الندم فيتنبه على أمره ويفيق من جهله ، ويتلافى ما فرط منه .

١١ — قال قابس : قلت^(٤) له : فاذا كان ذلك ، فأى شئ يكون حاله؟

قال ايرقليس : يشرف هو^(٥) حينئذ على أمر نفسه ويلتمس لها الشفاء الجميل ويشتاق إلى الأدب الصحيح ، فينتق بذلك نفسه ويلتمس لها النجاة ، ويخلصها مما اعتورها وغلب [١٠١] عليها ؛ ويصير بذلك حراً سعيداً مغبوطاً لا خوف عليه فيما يأتى من عمره إلا أن^(٦) يعود في الغفلة فيقع في الأسر .

١٢ — قال قابس : يا صاح^(٧) ! ما أعظم هذا الخطر الذى ابتلى به الناس ! لكنك ذكرت في كلامك الأدب الصحيح . فاذا^(٨) كان ها هنا أدب زور ، فعرفنا ما هو ؟

قال ايرقليس : أما ترى تلك الحظيرة الأخرى؟ — قال قابس : إنى لأراها حقاً . قال ايرقليس : أو ترى المرأة الواقفة عليها سيماء الجلالة والهيئة الجميلة ؟ قال قابس : هو ذا أرى ، وهى كذلك .

(١) الحزن : ناقصة فى ب و ص ، و ف .

(٢) ب : فان العقوبة تؤديهم الى ذلك/ ف ، ط : يؤديانهم .

(٣) ط : الأخرى .

(٤) ب : فقلت . وكذا فى ط ، ف .

(٥) هو : ناقصة فى ف .

(٦) اليشمن : الى أن ، ب : الا أن ، ص : أن . وتصحيح باسيه يتفق مع

اليونانى ei δὲ μή وفى ط : من عمره أن يعود — وكذا فى ف .

(٧) ترجمة للقسم الذى ورد من قبل فى أول بند ٤ وهو Ὁ Ἡράκλειος

(٨) ب : فان ، وكذا فى ف — ها هنا = ἵλα

(٩) فى ف ، زيادة هنا هى : « قال ايرقليس : ماترى تلك الحظيرة الأخرى؟ —

قال قابس : انى لأراها حقاً » وبعدها : « قال ايرقليس : أولاً ترى ... »

وفى اليونانى توجد الزيادة هكذا οὐχ ὁρᾷς τὸν ἕτερον περιβολὸν

ἐκεῖνον ولهذا يجب اضافتها . وهذا النقص فى ط أيضاً/ ف : أما

ترى .

قال ايرقليس : هذه عند الجمهور يقال لها الأدب ، وليست (١) أدباً حقاً ، بل أدباً زوراً . فالناس إذا أرادوا (٢) الأدب (٣) حقاً غلطوا فوقعوا أولاً في هذا .

قال قابس : أتدرى ما تقول ؟ أوليس لهم طريق آخر (٤) يؤديهم إلى الأدب الصحيح ؟

قال ايرقليس : لا ، ما لهم طريق غيره (٥) .

١٣ - قال قابس : هؤلاء الرجال الذين هم (٦) داخل الحظيرة وقد نكسوا رؤسهم ، على ماذا يدلون ؟

قال ايرقليس : هؤلاء هم المحبون لهذا الأدب ؛ قد غلطوا فظنوا أنهم مخالفون للأدب الصحيح . قال قابس : فماذا يعرف هؤلاء ؟

قال ايرقليس : هؤلاء بعضهم يعرفون بالشعراء ، وبعضهم بالحدليين ، وبعضهم يسمون الخطباء ، وبعضهم يسمون الملحنين ، وبعضهم يسمون أصحاب تأليف الغناء ، وبعض يسمي المشائين (٨) ، وبعض يسمي الملهين واللعاين ضروب (٩) اللعب وسائر من أشبه هؤلاء .

(١) ب: وهي ليست ٠٠٠ - والغريب أن باسيه يزعم أن هذه الزيادة : « وهي » مأخوذة عن مخطوط باريس ، مع أنها لا توجد فيه ! وقد وقع له هذا الأمر مرارا !!

(٢) ص : رأوا - وكذلك في المطبوع وفي ف و ط و س . وقد اقترح باسيه « أرادوا » وفقا لليوناني βούλωνται ، وهو الأصوب .

(٣) ب : الأدب الحق . (٤) آخر : ناقصة في ف .

(٥) ب : طريق آخر يؤديهم اليه .

(٦) هم : ناقصة في ص / الذين هم : ناقصة في ف .

(٧) من قوله : « قال ايرقليس ، ٠٠٠ » الى قوله : « يعرف هؤلاء » ناقص في ص و ط و ف .

(٨) وبعض يسمي المشائين : ناقص في ط / ف : وبعضهم يسمون المشائين وبعضهم يسمون الملهين ٠٠٠

(٩) واللعاين ضروب اللعب : ناقص في ليشمن و ب . وكلمة الملهين ترجمة غير دقيقة للكلمة ἡδονικοὶ أى أصحاب مذهب اللذة ، أى الأبيقوريين . وينقص في الترجمة قوله في اليوناني : « والرياضيين والمهندسين والمنجمين » .

١٤ - قال قابس : فالنساء المتشاكلات التى كأنهن يعاين التى قلت إن الشره^(١) تقدمهن وسائر من معها من النساء ، على ماذا يدلن ؟ هل يأتين هذا الموضع ؟ قال ايرقليس : إى والله ! إلى ها هنا مصيرهن^(٢) . إلا أن ذلك إنما يقع فى الفرط^(٣) ، لا كما يكون فى الخطيرة الأخرى .

قال قابس : فأى شىء مذهب هؤلاء ؟

قال ايرقليس : قد حصل هؤلاء أيضاً ذلك الشراب [١٠١ب] الذى تناولوه من الغفلة .

قال قابس : فقد حصل هؤلاء إذن على الجهل ؟

قال ايرقليس : نعم والله معطى الحياة ! إنهم لكذلك ولا ينفكون من ذلك ولا من سائر الشرور دون أن يصيروا إلى الأدب الصحيح ويتشربوا تلك^(٤) القوة المثقية من ذلك . فاذا تنقوا^(٥) وتحسروا عنهم الجهل^(٦) وما هم فيه من الغى والطغيان وسائر ما عراهم من الشر حينئذ تخلصوا سالمين^(٧) . فان المتشاغل بهذا الأدب المزور الشرور كلها مصورة^(٨) لهم بالعلوم التى تجرى مجرى الغلط .

١٥ - قال قابس : فأى طريق تؤديه إلى الأدب الصحيح ؟

قال^(٩) له ايرقليس : هو ذا أصف لك . أما ترى فوق موضعاً ليس فيه أحد ، بل كأنه برث قفر ؟

قال قابس : فقلت له : هو ذا أراه .

(١) ص : السرة • والمترجم العربى نسى ما بعده وهو : « ومن هن هؤلاء ؟ - (فقال الشيخ) : انهن فعلا » .

(٢) ص مصيرهم .

(٣) فى الفرط : أى الحين • والفرط : الحين ، يقال انما آتبه الفرط وفى الفرط ؛ ويقال : الفرط : أن تأتبه فى الأيام ، ولا تكون أقل من ثلاثة ولا أكثر من خمس عشرة ليلة ؛ ولقيته فى الفرط بعد الفرط : أى الحين بعد الحين •

(٤) تلك : وردت مكررة فى ف •

(٥) ف : فاذا تنقوا انحسروا عنهم الجهل ...

(٦) ب : عنهم ما هم فيه من الغى والطغيان وسائر ما قد عراهم ...

(٧) ص : سائلون ف : فان المتشاغلين بهذا ...

(٨) ب : مصورة له بالعلوم ... / لهم : ناقصة فى ص •

(٩) له : ناقصة فى ب ، و ط •

قال ايرقليس : وترى باباً ضيقاً وطريقاً^(١) يؤدي إليه بالحادة ، ومن يسلكه نفر يسير ، وكأنه نشز^(٢) خشن وعر ؟
قال قابس : هو ذا أراه لعمرى^(٣) !
قال : وترى وراءه تلا شاهقاً ، والمرقى إليه ضيق حاد^(٤) ، وجرف وراءه^(٥) عميق عن جانبيه ؟
قال قابس : نعم^(٦) لعمرى !
قال ايرقليس : فهذا^(٧) هو الطريق المؤدى الى الأدب الصحيح^(٨) .
وقد يصعب سلوكه . وكذلك^(٩) ترى فوق ذلك التل صخرة عظيمة مرتفعة ، تبين كأنها مستديرة مسندة^(١٠) إلى شيء^(١١) .
قال قابس : فقلت له : هو ذا أراها .
١٦ - قال ايرقليس : وترى امرأتين واقفتين على الصخرة كأنهما أختان متواجهتان باسطتان^(١٢) أيديهما ؟
قال قابس : إني لأراهما ، فعلى ماذا يدلان ؟
قال ايرقليس : [١١٠٢] يدلان على الصبر والاحتمال .
قال قابس : فعلى ماذا يدل بسط أيديهما^(١٣) ؟
قال ايرقليس : تومنان بذلك إلى تقوية قلوب من يقصدهما ، وكأنهما تشيران إليه بأن يصبر ولا يدخله رعب ، فانه عما قليل يصل إلى الطريق ، وهو جدد^(١٤) سهل .

-
- (١) فى اليونانى : وأمام الباب طريقاً يؤدي إليه بسبيل غير مأهولة .
(٢) النشز (بالتحريك وبتسكين الشين المعجمة بعد نون مفتوحة) : المتن المرتفع من الأرض ؛ والجمع : أنشاز ونشوز .
(٣) ف : هو ذا أرى . قال . . . (٤) ص : جاد .
(٥) ط ، ب : واه . ص : جرن . (٦) ب : هو ذا أراه لعمرى .
(٧) ف : هذا . (٨) ف : مستندة .
(٩) فى النص اليونانى هذه الجملة قيلت على لسان قابس .
(١٠) ب : وكذلك هو ذا ترى . . . ط : ولذلك هو ذا ترى . . .
(١١) فى اليونانى : ἀπύρρημον أى : رأسياً à pic
(١٢) ب : باسطتا .
(١٣) فى اليونانى زيادة وهى : بلهفة/ ف : بسط اليد .
(١٤) الجدد (بفتحيتين) : ما استوى من الأرض ، كما هو المعنى هنا .

قال قابس : فاذا وصلوا إلى تلك الصخرة ، فكيف (١) يصعدون إليها ؟
فاني لست أرى طريقاً للصعود .

قال ايرقليس : يسبقن فيزلن (٢) ويتعلقن بمن ثوى (٣) في الموضع
ويصعدنه ، وبعد ذلك يمنحنه قوة ويشجعنه على الوصول إلى الأدب الصحيح ،
ويرشدنه على الطريق السهل الجدد (٤) الذي يؤدي إليه كما ترى .
قال قابس : لعمرى إنه لسهل مسلوك .

١٧ — قال ايرقليس : وهو (٥) ذا ترى أمام ذلك المرج موضعاً يشبه
أن يكون حسناً شبه الميناء (٦) ، وحظيرة أخرى لها باب آخر (٧) .
قال قابس : هو ذا أرى ؛ فعلى ماذا يدل ؟

قال ايرقليس : ذلك الموضع يقال (٨) له مسكن السعداء ، وفيه مسكن
كل سعيد ، وهو محلهم ، والسعادة فيه مستقرها .
قال قابس : إن ذلك — أى : (٩) هو كذا — فما أحسن الموضع الذي
وضعتة !

١٨ — قال ايرقليس : أو (١٠) ما ترى عند المدخل امرأة جميلة معتدلة

-
- (١) ط : كيف .
(٢) في اليوناني $\piροσκαταβαίνου$ ١٥ : أى ويأمرنه بالتوقف .
(٣) في المطبوع : « بمن يوافي الموضع » ، ويرى ياسيه أن نص ص هو
الأصح لأنه يتفق مع اليوناني أكثر : $εἰτα κελεύουσιν αὐτοὺς διαπαύσασθαι$.
(٤) في اليوناني زيادة هي : « الخالي من كل الشرور » . وفي ط :
ويرشدنه إلى الطريق .
(٥) الواو ناقصة في ب .
(٦) أخطأ المترجم العربي في فهم الكلمة $λειμωνοειδής$ فرأى فيها
الجنر $λιμήν$ = ميناء بدلا من $λειμών$ = مرج .
(٧) هنا نقص عن اليوناني وهو : « (باب آخر) ويضئوه نور عظيم » .
— قابس : أجل : — الشيخ : ألا تلاحظ في وسط المرج حظيرة أخرى
لها باب آخر ؟ « .
(٨) ب : الذي يقال له مسكن السعداء ، وفيه محل السعداء كلهم ،
والسعادة . . .
(٩) أى هو كذا : ناقصة في ط .
(١٠) ص : و . ط : قابس .

القامة (١) واقفة على حجر مربع مزينة بلباس ليس بالكبير (٢) ، ومعها امرأتان أخريان كأنهما بنتاها (٣) يشبهانها .

قال قابس : إني لأرى ما قلت لعمري !

قال ايرقليس : [١٠٢ب] أما الوسطى منهن فانها تعرف بالأدب ، وأما الأخرى فتعرف بالقبول والتصديق بالحق . وأما (٤) الواقفة على الحجر المربع فهي التي تعطي من قبلها ما يوثق به ويعتمد عليه ولا يشذ عنها (٥) ما تفيدته إياه ولا يتغير طول عمره وتكسبه الشجاعة والعفاف والفهم (٦) .

١٩ — قال (٧) قابس : فقلت له : ما أعظم هذا الحباء (٨) ! لكن

لم وقفت هذا الموقف ؟

قال ايرقليس : لتقبل من يصل إليها وتسقيه من الدواء الذي فيه قوة منقية ، حتى إذا نقي رفعته حينئذ فأوصلته إلى محل الفضيلة .

قال قابس : أبني لي ما قلت ، فاني لم أفهمه (٩) .

قال ايرقليس : إن صرفت عنك محبة الصلف (١٠) والتكبر فهمت ! ألا تعلم أن المريض إذا قصد الطبيب ، فبعد وصوله عالجته (١١) ؛ فإذا نقي نقاء جيداً (١٢) من علته وخرج من مرضه الذي كان به حينئذ يفارقه الطبيب ويخليه

(١) في اليوناني : $\eta \lambdaυχίη$ ومن معانيها القامة ، ولكن معناها هنا : العمر .

(٢) ص : ليس بالكثير .

(٣) ب : بنتاها . ط ، ص : بناتها .

(٤) خلط المترجم العربي هنا بين أسئلة وأجوبة الشيخ وقابس .

(٥) ب : عنه ، وكذا في ط و ف .

(٦) بحسب اليوناني تصويب الموضع هكذا : « قابس : ولماذا تقف على

حجر مربع ؟ — هذا دليل على أن الطريق المؤدى إليها ثابت أمين

للواصلين وأن هذه المنح مؤكدة لمن يقتنونها . — قابس : وما هذه

المنح ؟ — الجرأة والشجاعة . — وما هما ؟ — هما معرفة أنه لا شيء

في هذه الحياة بقادر على إيلامهم » .

(٧) ط : فقال . (٨) ط : الحياء .

(٩) ف : لم أفهم . (١٠) ب : التكبر والصلف .

(١١) ف : يعالجه .

(١٢) ف : جيداً وأمن عليه وخرج من داء مرضه

صحيحاً سليماً^(١) ؛ وإن لم يطمع الطبيب فيما يأمره به توفى في علاجه فأداه ذلك إلى التلف؟^(٢)

قال قابس : فقلت له : أما هذا فاني أعلمه^(٣) .

قال ايرقليس : فالذى ينبى منه هو الجهل والسهو^(٤) الذى اعتراه من الغفلة ومحبة الكبر والتكبر بالباطل^(٥) والشهوات واللذات الموبقة والسرف وحب المال وسائر ما كان فيه بالأمس فى الحظيرة الأولى .

٢٠ - قال قابس : نعم ! فاذا نبى ، إلى أين ينفذه ؟

قال ايرقليس : يدخله إلى داخل حتى يوصله إلى المعرفة نفسها^(٦) وإلى الفهم وسائر الفضائل .

قال قابس : وما هذه ؟

قال ايرقليس : أما ترى داخل الباب جماعة من النساء فى غاية الحمل وحسن النظام [١٠٣] وهياتهن وبزتن^(٧) ساذجة لا تشبه بزة ذوات التنعم وكأنهنّ باشّات مستبشرات لا يشهن شيئاً مما فى غيرهن من الزينة الدغيلة ؟

قال قابس : أحسبى ، ولكن^(٨) ما صنيع هؤلاء ؟

قال ايرقليس : أما التى تقدمهن فأنها تدعى معرفة العقل ؛ وأما الباقيات المؤاخيات لهذه فواحدة يقال لها النجدة^(٩) ، وواحدة يقال لها العدل ، وواحدة

(١) بها من ف : صوابه : سادماً . ط : فان لم يطع ...

(٢) هذا الجواب غير منطبق على النص اليونانى لسوء فهم المترجم ، وصوابه : « اذا أصاب المرء علة شديدة تفقد الطبيب ، وخلصه من مبادئ العلة بالمنقيات أولاً ، ثم يدخله الطبيب فى حال النقاهة والشفاء ؛ فان لم يطع أوامره ، طرده الطبيب وأداه ذلك الى العطب » .
(٣) هنا نقص ، وأصله : « قال ايرقليس : كذلك اذا بلغ المرء العلم ، فانه يعنى به ويقيه دواءه القوى حتى ينقى أولاً وي طرح كل الرذائل التى أتى بها - فقال قابس : وما هى ؟ » .

(٤) ط : والشهوة .

(٥) ب : ومحبة التكبر بالباطل . ط : والتكشر بالباطل .

(٦) ص : بنفسها .

(٧) ص : زيهن .

(٨) هنا اضطراب فى تجليد ط ، فها هنا تبدأ ورقة ١١٧ بعد نهاية

١٠٧ ب .

(٩) النجدة ... هذا الموضع مرتب على شكل آخر فى ب .

يقال لها الكرم^(١) ، وواحدة يقال لها الطهارة وحسن الخلق ، وواحدة يقال لها التواضع ، وواحدة يقال لها السخاء ، وواحدة يقال لها الهدى^(٢) .

قال قابس : ما أعظم رجاءنا بك أيها الفاضل !

قال ايرقليس : إن أنتم عرفتم جميع ما سمعتموه منى واجتهدتم في تحصيله !

قال قابس : فقلت له^(٣) : إني أرجو^(٤) أن نحصل ذلك أجمع .

قال ايرقليس : إذاً يكون لكم بذلك السلامة والنجاة^(٥) .

٢١ - ثم قال : وأولئك إذا أخذنه أدينه إلى أمهن^(٦) .

قال قابس : فقلت^(٧) : ومن أمهن ؟

قال ايرقليس : أمهن^(٨) السعادة .

فقلت له : وما هذه ؟

فقال^(٩) : أما ترون إلى ذلك الطريق الذى يوصل إلى ذلك النشز ؟

قال قابس : فقلت له^(١٠) : هو ذا أراه .

قال ايرقليس : هناك قلة مدينة^(١١) تلك الحظرة . وقال^(١٢) : أو

ما ترى أمام الباب امرأة بهيئة جميلة جالسة على كرسى^(١٣) مرتفع متوجة بتاج

يلمع فاخر^(١٤) ، عليها بهاء وبهجة وأبهة ؟

(١) ص : المكرم .

(٢) فى النص اليونانى زيادة وهى : والفتنة .

(٣) له : ناقصة فى ف . (٤) ف : لأرجو .

(٥) ب : النجاة والسلامة .

(٦) خلط المترجم العربى بين سؤال قابس ورد ايرقليس ، ففى اليونانى :

(٧) « قال قابس فاذا أخذوه فالى أين يقتادونه ؟ - الى أمهن » .

فقلت : ساقطة فى ف .

(٨) أمهن : ناقصة فى ط . (٩) ب : قال .

(١٠) له : ناقصة فى ص . - وجواب قابس هذا لا يوجد فى النص

اليونانى .

(١١) قلة مدينة = ἀκροπολις = الأكروبول . - والمترجم ترجمها

حرفياً .

(١٢) هنا ناقص جواب قابس وهو : « نعم أراه » . وفى ط : قال

(بغير واو العطف) .

(١٣) فى النص اليونانى : مرتفع مزين تزيينا بسيطا وبلا صناعة .

(١٤) ط : عليه بهاء وأبهة / ف : عليه بهاء أبهة .

قال قابس : فقلت له : بلى ، إني لأراها ، فمن هي ؟

قال ايرقليس : هذه [١٠٣ب] هي السعادة .

٢٢ - قال قابس : فاذا وصل الواصل إلى هذه المنزل ، فأى شيء

تعمل به ؟

قال ايرقليس : إن السعادة تتوجه بقوةها وبتاج^(١) سائر الفضائل كلها ،

كما يتوج من غلب في الجهاد بتاج الظفر .

قال قابس : وفي^(٢) أى جهاد غلب ؟

قال ايرقليس : في أعظم جهاد ، وذلك مقاومته وغلبته تلك الحيوانات

العظيمة السبعية التي كانت من قبل تقهره وتعذبه وتستعبده حتى صار الآن يستلها ويستخدمها كما كانت هي تفعل^(٣) به فيما تقدم .

٢٣ - قال قابس : إني لأحب أن أعرف هذه الحيوانات الخبيثة^(٤)

التي تصف ، أى حيوان هي ؟

قال ايرقليس^(٥) : أولها الجهل والغفلة والسهو . أفلا تعلم أن هذه سباع

ضارية^(٦) ؟

قال قابس : فقلت : إى لعمري إنها لشر وعرة^(٧) .

قال ايرقليس : ثم من بعد هذه الحزن والعشق^(٨) وحب المال والسرف

وسائر أصناف الشر كلها ؛ - فيستولى^(٩) عليها ولا تقهره^(١٠) كما كانت

من قبل^(١٠)

(١) سائر : فى ط ، وناقصة فى بقية النسخ .

(٢) الواو ناقصة فى ف .

(٣) ف : كانت تفعل به هي فيما تقدم .

(٤) ف : الخفية .

(٥) ايرقليس : ناقصة فى ط .

(٦) ب : خسارة .

(٧) العر (بفتح العين) : العيب والشر .

(٨) فى اليونانى زيادة : والشكوى .

(٩) ط ، ص : ويستولى ، وكذا فى ف .

(١٠) ف : كما كانت قبل تقهره .

قال قابس : ما أحسن هذا الصنيع ! وما أجل هذا الظفر (١) ! لكني أسألك مع ذلك أن تخبرني : ما قوة التاج الذى ذكرت أن السعادة تتوج به فيصير (٢) متوجاً سعيداً مغبوطاً حسن الحد ، قد حاز الفضائل كلها واشتمل عليها ؟

٢٤ - < قال قابس > (٣) : وإذا توج ، ماذا يصنع ؟ وإلى أين يكون مصيره ؟

قال ايرقليس : إن هذه الفضائل التى اجتمعت (٤) له يقدره الى أن يصير إلى ذلك الموضع الذى جاء (٥) منه إلى ها هنا ، ويرينه حال من يتصرف هناك ، وما هو فيه من الشقاء [١١٠٤] ونكد الحياة وضنك المعيشة فى هذا العالم . وما يبتلون به من الأعداء الذين يحاربونهم ويغزونهم فينقادون لهم . فبعض ينقاد (٦) للشره والبذخ ، وبعض لجمع المال ، وبعض ينقاد لأقرب باطل ، وبعض لمحبة (٧) التكثر (٨) بالباطل ، وبعض ينقاد لغير ذلك من آلام النفس (٩) الكثيرة الفنون ، فلا يمكنهم بهذا السبب أن (١٠) يفكوا أنفسهم من الارتباط بهذه الأمور حتى يتخلصوا ويسلموا منها فيصيروا إلى السعادة ، بل يمكنون (١١) عمرهم كله فى التياث وتخليط ما عاشوا ، وإنما يلحقهم ذلك لأنهم لا يهتدون (١٢) إلى الطريق الذى يؤديهم إلى السعادة كما ينبغى (١٣) .

- (١) هذه الجملة منقولة عن موضعها ويجب أن توضع فى أول بند ٢٤ ، كما يدل النص اليونانى .
- (٢) ب : فيصير من توج سعيداً . . . وهذا وما بعده جواب ايرقليس ، كما فى اليونانى / ف : فيصير من توج به سعيداً .
- (٣) وضعنا الزيادة بحسب ما فى اليونانى .
- (٤) له ناقصة فى ط .
- (٥) ط : منه جاء الى ما هاهنا ، وكذا فى ف .
- (٦) ط ، ب : ينقاد للبذخ والشره . - وبعض . . . المال : ناقصة فى ط .
- (٧) ص : المحبة . ب : اقرب باطل . . . التكثر . - وبعض لمحبة . . . بالباطل : ناقصة فى ط . (٨) ف : التكبر .
- (٩) ص : الأمر النفس الكثيرة . . . (١٠) أن : ناقصة فى ص .
- (١١) ب ، ص : يمكنوا . ب : الالتياث وتخليط . - يلحقهم : فى ط : يلحقوا .
- (١٢) الى : ناقصة فى ب ، ط .
- (١٣) يضيف اليونانى : ولقد نسوا ما يأمر به الملك .

٢٥ - قال قابس : نعم ! فن أى جهة قلت إن هذا السعيد الذى أحدث أمره تقوده الفضائل إلى الموضع القديم الذى جاء منه كأنه لم يعرف الموضع جيداً ؟ قال ايرقليس : ما بشئ^(١) ما قلت لكم إنه لم يكن يعرف شيئاً مما هناك معرفة صحيحة ! وإنما كان يظنها ظناً ! فكان يظن بما ليس بخير أنه خير ، وما ليس بشر أنه شر ؛ ولذلك كانت حاله حالا رديئة^(٢) كحال من لا يبرح ما هناك . فلما حصلت له المعرفة واليقين والعقل واستضاء بذلك فهمه زال عماه^(٣) فصار إذا رأى ما ها هنا تبين له شقاؤهم .

٢٦ - قال قابس : فقلت له : فإذا يصنع إذا شاهد هذه الأمور كلها ؟ قال ايرقليس : يتصرف كيف شاء ، ويذهب حيث شاء . وذلك أن الثقة والأمن يطيفان به + وهو محروس من جميع جوانبه ، بمنزلة الحلزون^(٤) الذى يطيف به + المصدف الذى يجنه . وحيثما أحب [١٠٤ ب] أن يعيش فان عيشه يكون أحمل عيش ، وكل من عاشره يقبله ويتمسك به ويرتاح له كما يرتاح المريض إلى الطبيب .

قال قابس : فأولئك النساء اللواتى وصفتهن^(٥) لا يخاف أيضاً أن يناله منهن ما يكره^(٦) ؟

قال ايرقليس : ما عسى أن يخاف منهن وقد غلبهن جميعاً فصار بحيث لا يغلب عليه أصلاً فيؤذيه لا الغم ولا الظن ولا خوف الفقر ولا حب^(٧) الثروة

(١) ب : ليس ما قلت لكم انه ... ط : ما يتبين ما قلت ... / ف : ما يتبين ما اقلت .

(٢) ط : رديئة . (٣) ص : عمى .

(+) ... ما بين العلامتين ناقص فى ف .

(٤) أخطأ المترجم العربى فى فهم الاسم τό Κωρύκιον وهو اسم علم، ففهم أنه κώρυκος محار ، حقيبة من الجلد ، كرة اللعب الخ ؛ والصواب هو : « كما فى كهف كوريكوس » . وكوريكوس اسم لعدة مواضع ، منها موضع فى قليقية لكهف فيه ألقى زيوس تيفون بعد هزيمته ؛ ومنه جبل قرب تيبوس Téos ؛ والموضع المقصود هنا مغارة فى جبل پرناسوس إليها أوى كل من ديوكاليون وبيرها Pyrrha بعد الطوفان حيث عبدا فيها حور كوريكوس وآلهة الجبل .

(٥) يضيف اليونانى : « كأنهن الوحوش » .

(٦) أول ١٢٤ ا بعد آخر ١١٥ ب فى ط .

(٧) ف : مكروه .

ولا شيء أصلاً من سائر الشرور ، لأنه قد صار سيداً مستعلياً عليها كلها ،
كما أن الحوائث (١) يمكنهم بأيديهم الأفاعى فلا تضرهم ، لما معهم مما يقاوم
تمامها ويضاد فعله .

٢٧ - قال قابس : فقلت له : ما أخلق ما تقول وأشبهه (٢) عندى !
ولكن أعلمنى من هؤلاء الذين تراهم كأنهم ينحدرون من ذلك التل ، وبعضهم
متوج ويتبين كأنهم مسرورون ، وبعضهم غير متوج وكأنهم مهمومون
مضطربون ، حتى إن رؤوسهم (٣) تلحق أرجلهم فتلقاهم (٤) وكأنهم مكتئبون (٥)
بسبب من الأسباب وقد اعتراهم منه غم .

قال ايرقليس : أما المتوجون فهم الذين (٦) قد وصلوا إلى الأدب ،
فهم بهذا السبب مسرورون فرحون مغبطون (٧) بما أفادوه من الانتفاع به (٨)
لا يلحقهم غم ولا قنوط ، وأمورهم جارية فى تدبيرهم على السداد . وأما غير
المتوجين فلا أنهم لم يعرفوا الأدب فرؤوسهم منكسة وحالهم سيئة ؛ وهم فى شقاء
لأنهم جبنوا فلم يرتقوا إلى الأدب وظلف (٩) النفس ، ولذلك صاروا تائمين
بلا عقل .

قال قابس : فهؤلاء النساء اللواتى معهم ، من هن ؟
قال ايرقليس : الغموم والهموم والآلام وضيق الصدر والظنون والجهل .
٢٨ - [١١٠٥] قال قابس : أتقول إن هذه الشرور (١٠) كلها تلحق
هؤلاء ؟

قال ايرقليس : إى والله أنها لتلحقهم (١١) ! فإذا وصلوا الى الخطيرة
الأولى التى بها البدخ والإباحة (١٢) أخذوا فى ذم الأدب وأهله وذكر مساوئهم

-
- (١) أى مروضو الأفاعى ἐχιοδείκται (٢) ف : وأشبهه .
(٣) ط : رؤوسهم . (٤) ط ، ص : فتلقاها .
(٥) ص ، ف : كئيبيون . (٦) قد : ناقصة فى ف .
(٧) ط : مغبطون . (٨) ص : ولا .
(٩) ظلف النفس : عزة النفس - من ظلف نفسه عن الشيء يظلفها
(من باب ضرب) : منعها من أن تفعله .
(١٠) كلها : ناقصة فى ص و ب و ف ، ووردت فى ط .
(١١) ط : لتلحقهن .
(١٢) يضيف اليونانى : « ولا يتهمون أنفسهم » .

لأنهم يزعمون أنهم أشقياء مذنبون ، فهم يقارفون مثل هذا العيش الرغد^(١) الذى نحن فيه ، ويعيشون عيش سوء ، طلباً للخيرات وهم لا ينالونها^(٢) .

قال قابس : وماذا^(٣) يعنون بالخيرات ؟

قال ايرقليس : مثل البذخ وإباحة النفس الشهوات : فان هاتين مقدمتان على الباقية ، وأكثر الناس يسميها خيرات^(٤) .

٢٩ — قال قابس : فالنساء الآخر اللواتي يأتين من هناك كأنهن مستبشرات ضاحكات ، من هن ؟ وبماذا يعرفن ؟

قال ايرقليس : هن الظنون المؤدية إلى الأدب ، وقد طأطأن رؤوسهن^(٥) استدعاء لمن يأتين وهن مستبشرات^(٦) ، لأن من أتين بهم قد حصلت لهم السعادة .

قال قابس : فقلت له : أفهلل النساء لا يدخلن حتى يصلن إلى الفضائل أنفسها ؟

قال ايرقليس : استغفر ربك^(٧) ، فانه لا يجوز أن يكون الظن والحسبان يصل إلى معرفة اليقين ، لكن هن بموضعهن : فكأما أتين يقوم عدن فطأطأن رؤوسهن ليختلبن غيرهم كالسفن^(٨) التى إذا فرغت من حملها عادت لتحمل غيره .

(١) ص : المرفد ، ف : الرغيد .

(٢) ف : لا ينالوها . (٣) ذا : ناقصة فى ف .

(٤) فى اليونانى : « لأنهم يرون أعظم اللذة أن يستمتعوا كما تفعل

البهاائم » / ف : تسميها خيرات وتظنها خيرات .

(٥) أخطأ المترجم العربى فى فهم اللفظ ἀνακάμπουσιν فانه فى

حالة الفعل اللازم بمعنى : « يعود » ، وقد أضاف المترجم

ما يفسر تأويله . وفى اليونانى : « فبعد أن يقتدى الى العلم من

دخلوا الأدب يعدن للبحث عن غيره » .

(٦) فى اليونانى : « يعلن » ، والمترجم خلط بين ἀναγγέλλουσιν

وبين εὐαγγελισαίν

(٧) أول ورقة ١٢٠ فى ط بعد آخر ١٢٤ ب .

(٨) ب : مثل السفن . — ط : غيرهن .

٣٠ - قال قابس : ما أحسن ما قلت في هذا ! وهو (١) هكذا ظني .
ولكن عرفنا ، مع ما وصفته ، ماذا يأمر ذلك الملك - الذي كنت ذكرته - من
يدخل هذا العالم ؟

قال ايرقليس (٢) : يأمرهم أن يفرخوا من روعهم ولا يتركوا ، كما
أمركم أنا : فاني أقتص لكم الأمر كله وأشرحه ولا أدع شيئاً منه .
قال قابس : فقلت له (٣) : لقد أحسنت .

ثم مد يده [١٠٥ ب] ايرقليس وأشار لنا إلى امرأة وقال : أما ترى تلك
المرأة التي تُظَنُّ أنها عمياء (٤) ، وهي التي كنت من قبل أيضاً قد أريتكم إياها
وقلت لكم إنها تسمى البخت ؟
قال قابس : لعمرى !

٣١ - قال ايرقليس : فالملك يأمر أن لا نثق بما تعطينا هذه ، ولا نعمل
على أن ما يؤخذ منها مما يوثق به ويعتمد عليه وعلى بقائه ، وذلك أنها لا تلبث
أن تعود فتزعه ممن أعطته وتعطيه لغيره فإن هذه سميتها وعادتها ، وكذلك يأمر
أن نطلب سبباً نكون به مستحقين لقبول الحباء .
قال قابس : كأنك تقول ماذا ؟

قال ايرقليس : إنه يقول : لا ينبغي أن نسرع إذا أعطانا البخت ، ولا أن
نعلم إذا عاد فسلبنا (٥) ، ولا نذمه ولا نحمده ، إذ (٦) كان ليس شيء مما يفعله
بقصد وتعمد ، بل كل ما يأتيه فانما يأتيه جزفاً (٧) من غير تمييز ولا تحصيل ،
كما قلت من قبل . ويأمر ذلك الملك ألا نعجب (٨) بما يفيدناه ، فنكون بمنزلة

(١) واو العطف ناقصة في ب ، ط ، ف .

(٢) ايرقليس : ناقصة في ط .

(٣) له : ناقصة في ب و ص .

(٤) يضيف اليوناني : « وتقف على حجر مدور » .

(٥) ط : يسلبنا . ف : سلبنا .

(٦) ف : اذا .

(٧) من : ناقصة في ص . جزفاً = جزافاً . وفي ط جزفاً () بالحاء

المهمله () ، وكذا في ف .

(٨) ب : نفحج !

من دعى إلى وليمة (١) فأتحف فيها بتحفة نفيسة مثل شمامة أو غيرها ، فلاحظنه أنها حباء له يسرُّ بها ، حتى إذا ارتجعت منه ورفعت تلك الآلات ، تسخط كأنه قد أخذ منه ما كان له من غير أن يفكر فيعلم أن ما دفع إليه من ذلك إنما جرى مجرى ما يؤخذ ويستردُّ ليتحف به غيره . ولذلك يأمر الملك ألا يعتمدوا على بقاء ما يفيدهم البخت ويذكرهم بأن هذا مذهبه ، أعنى ارتجاع ما يعطى (٢) بسرعة . وربما أعطى من الرأس أضعاف ما كان أعطى ، وربما أخذ ما أعطى ولم يعط بعده شيئاً آخر أبداً . ويأمر إذا أعطانا شيئاً أن نبادر (٣) إلى أخذه ؛ فإذا أخذناه اشتغلنا بانفاقه ووضع مواضعه .

٣٢ — > فقال قابس : وما هو ؟ — (فأجاب ايرقليس) : ما نأخذه من العلم ، حتى نظفر بالنجاة . — (فقال قابس) : وما هو ؟ — (فأجاب ايرقليس) : العلم الحقيقي بالأحداث ، لأننا نوقن أنه < إذا أعطانا الأدب شيئاً سارعنا إلى قبوله وأخذناه مسرورين بعائدته ، لأننا [١١٠٦] واثقون ببقائه لا يلحق عليه ندم . وعلى ذلك ينبغي أن نعول . — ويأمرهم إذا صاروا إلى أولئك النساء اللواتي ذكرناهن من قبل ، أعنى التمتع (٤) باللذات ، أن يبادروا إلى الانصراف عنهن وترك الثقة بواحدة منهن أصلاً . وإذا صاروا إلى الأدب الذى ليس بحق أقاموا عليه مدة من الزمان وتناولوا منه ما يحبون ، لأنه بمنزلة طريق شاذ ، ثم ينتقلون بسرعة إلى الأدب الحقيقي .

فهذا ما يأمر به ذلك الملك . ومن تجاوز ذلك ولم يقبله هلاك شر هلاك .
٣٣ — فهذا ، أيها الغريب ، تفسير الغزنا (٥) . فان كنتم تحبون أن تسمعوا ما فى شىء من ذلك فلسنا نبخل به ؛ وأنا أشرحه لكم .

- (١) أخطأ المترجم فى فهم كلمة *τραπεζίταις* (صرافون) ، اذ ربطها بالكلمة *τράπεζα* (= منضدة) ، ولهذا أفسد ترجمة ما يتلو ليوفق بينه وبين فهمه الفاسد . والمقصود فى اليونانى هو أن الشخص الذى يعتقد أن منح البخت هى له نهائياً مثله مثل الصرافين الأشرار الذين يحسبون أن الودائع التى تودع لديهم هى هدايا أصبحت ملكاً نهائياً لهم ، ويغضبون حينما يطالبون بردها .
(٢) ط ، ب : يعطيه . (٣) شيئاً : ناقصة فى ص وب .
(٤) يضيف اليونانى : الفجور . (٥) ط ، ب : وان .

قال قابس : ما أحسن ما قلت ! لكن ماذا (١) يأمر الملك أن نأخذ من الأدب الكاذب ؟

قال ايرقليس : الأمور التي نظن أنها خيرات .

قال قابس : وما تلك الأمور ؟

قال ايرقليس : النحو (٢) والمساحة والحساب والهندسة والموسيقى وسائر العلوم المتداولة التي سماها الأوائل (٣) : التعاليم ؛ فانها للصبيان في قوتها تجرى مجرى اللجم الكاظمة ، ولذلك (٤) يحتاجون إليها ضرورة . وأما تلك الأمور الباقية فليس فيها كبير نفع . فينبغي لمن أراد الوصول الى الأدب الصحيح أن يقتنى هذه العلوم قبل كل شيء ، وليس مما يحتاج إليها بأنفسها ضرورة ، لكنها نافعة في الوصول إلى ذلك الأدب بسرعة . فأما في لزوم الفضائل والعمل بها فليست مما يعيننا على ذلك (٥) ، فان الانسان إن ابتداء من التعاليم ثم قصد من بعدها نحو الفضائل فانه دون أن يحصل له ذلك الأدب الصحيح لا ينتفع به . وكثيراً (٦) ما نلخص هذا المعنى ونشرحه [١٠٦ب] فضل شرح فتكون فيه منفعة . ولا بأس أن تعرفوا (٧) أنتم أيضاً هذا المعنى ، فانكم إذا وقفتم عليه انتفعتم به ، فعساكم من دون هذه التعاليم كلها تبصرون رشدكم ولا يمنع من ذلك مانع .

(١) ط : لكن ما يأمر . . .

(٢) خلط المترجم بين γραμματα وبين γραμματική ، والأول معناه :

« الآداب » والثاني معناه « النحو » ، والنص يتضمن الأول . وما سرده من علوم بعد هذا لا يرد في النص اليوناني . ويلاحظ أن كلمة « العلوم » يترجمها المترجم عادة بكلمة « الأدب » .

(٣) في اليوناني : « العلوم التي قال عنها أفلاطون ان لها قوة اللجم الكاظمة . . . » .

(٤) هنا نقص فيه : « فقال قابس : هل ثم ضرورة في تلقيها ، اذا كان لابد من بلوغ العلم الصحيح ، أو لا ؟ » .

(٥) هنا نقص هو في اليوناني : « فقال قابس : ألا تقول انها ضرورية للناس ليصبحوا فضلاء ؟ - يمكن أن يصير المرء فضلاً من دونها ، لكنها لا تخلو من الفائدة . كذلك نحن نفهم ما يقال بواسطة الترجمان ، لكن لا يخلو من الفائدة أن نعرف نحن اللغة » . والمترجم العربي قد خلط في فهمه ونقص كثيراً . (٦) ب : وكثيراً مما يلخص . . .

(٧) خلط المترجم هنا بين ὑμᾶς , ἡμᾶς فوضع في صيغة المخاطب ما هو في اليوناني في صيغة المتكلم .

٣٤ - قال قابس : قبل كل شيء ليس ينتفع بشيء من التعاليم في أن يصبر أولئك الآخرون ذوى فضيلة^(١) .
 قال ايرقليس : هي تنفع إذا وجدوا ، أعني أنه يوجد كثيراً بهذه الصفة^(٢) .
 قال قابس : فكيف حال هؤلاء^(٣) ؟

٣٥ - قال ايرقليس : ليس يعلم من هذا القول إلا أنهم صاروا إلى الحظيرة الأخرى فتصرفوا فيها كأنهم يصيرون إلى الأدب الحقيقي . والأجود^(٤) - متى أرادوا أن يكونوا أكثر نظراً - أن يكونوا إذا جاءوا من الحظيرة الأولى دخلوا إلى هؤلاء فامتثلوا فضلهم^(٥) ، إلا أن يعترى هؤلاء أيضاً توان ويطيعون من لا أدب له ، بل معه مغالطة^(٦) . فأنهم إذا صاروا في هذا الحذل لم يتخلصوا أصلاً .
 فأنتم أيضاً ، أيها الغرباء ، الزموا هذه السبيل ، وروضوا أنفسكم بما وصفناه رياضة كثيرة حتى يصير فيكم كالسجينة لا تحول . فانه ليس يمكن من سماع ذلك مرة أو مرتين أو ثلاثاً ، أن يحصل لكم ، بل ينبغي أن تفحصوه مراراً

- (١) هنا تحريف ونقص وسوء فهم ، ففي اليوناني : « فاذا هؤلاء الذين حصلوا هذه المعارف لا فضل لهم على بقية الناس ليكونوا فضلاً ؟ - (فأجاب ايرقليس) : كيف يكون فضل ، ونحن نراهم يخطئون في تمييز الخيرات من الشرور شأنهم شأن الناس أجمعين ، وهم كذلك معرضون لكل أنواع الشرور ، ولا يجديهم نفعاً أن يعرفوا الآداب ويحصلوا العلوم كلها ، ثم يكونوا في الوقت نفسه سكارى فساقاً جشعين ظالمين خائنين غير عاقلين » .
 (٢) هذه الجملة في اليوناني قيلت على لسان قابس .
 (٣) مكان هذه العبارة في اليوناني : « وبم يفضلون غيرهم ليكونوا أفاضل بسبب هذه العلوم ؟ » .
 (٤) ما يتلو من كلام ايرقليس . (٥) ط ، ب : فضيلتهم .
 (٦) الجملة السابقة لا توجد في اليوناني . وهما هنا نقص يتضمن جواب قابس وبداية رد ايرقليس هكذا : « قابس : كيف ذلك ؟ - ذلك أن أولئك الذين في الحظيرة الأولى . . . (نقص) . . . وأولئك الذين في الحظيرة الثانية لا يعرفون شيئاً الا ادعاء العلم . وطالما كانوا على هذا الرأي ، فسيظلون بالضرورة عاجزين عن التوجه نحو العلم الحقيقي : أولا ترى أن الآراء تنفذ أيضاً من الحظيرة الأولى اليهم ، على نحو لا يجعلهم خيراً من أولئك ، اللهم الا اذا أصابهم الندم وأيقنوا أنهم لم يكتنوا العلم الحق ، بل العلم الزائف الذي أضلهم » .

كثيرة لأنفسكم ثم تتراضوا به ، وأن تعتقدوا أن ما سواه فضول ، وإلا لم تنتفعوا بما سمعتم في هذا الوقت .

٣٦ - قال قابس : نحن نفعل ما أمرت به . لكن اشرح لنا كيف صار ما يأخذه الناس من البخت ليس بخير ، وما يأخذونه من الملك فهو خير بالصحة^(١) مثل اليسار وحسن الأحداث وكثرة البنين والقدرة والسلطان والجمال والظفر وما أشبه ذلك ، عرّفنا من أي وجه هذه رديئة^(٢) ، فان هذا من الأمور التي لا نصدق بها أصلا ، بل هو رأى كأنه خارج [١١٠٧] عن الحق .
قال ايرقليس : فأجبنى^(٣) الآن عما عندك فيما أسألك عنه .
قال قابس : فقلت له : أنا أفعل ذلك .

قال ايرقليس : إن كان إنسان من الناس طول حياته في شقاء ومكروه^(٤) فحياته^(٥) عندك خير له .

قال قايس : لا ، بل أحسبها^(٦) شراً له . فانه^(٧) لا سبيل إلى أن يقال إنها خير له وهو في مكروه . والحياة ، فيما أحسب ، إنما تكون رديئة لمن كان في حياته في مكروه . فأما من كان في خير فحياته خير له . وكما أن من كان نافعا غير ضار فهو محمود موثر ، فكذلك^(٨) من كان في مكروه فان الحياة له في مثل هذه الحالة رديئة^(٩) .

(١) يرى باسيه أن النص اليوناني يقتضى هنا أن نصحج النص هكذا : « مثال

الصحة » . ففي اليوناني : « مثل الحياة والصحة واليسار . . . »

(٢) ط : رديئة . (٣) ب : لا .

(٤) ترجم المترجم حرفيا النص κακὸς τις ἔη فترجمه وكأن المقصود هو الحياة المادية ، لا المعنوية .

(٥) ب : عندكم . (٦) غير واضحة في ص .

(٧) ما يتلو ، ورد في اليوناني على لسان ايرقليس .

(٨) ص : وكذلك .

(٩) خلط المترجم هنا بين الاسئلة والاجابات وبدل في معنى هذا الموضع

وأصله : « - لماذا لا تكون الحياة خيرا اذا كانت الحياة رديئة ؟

- لأنه يبدو لي أنها شر لمن يحيون حياة رديئة ، وخير لمن يحيون

حياة طيبة . - اذن الحياة في رأيك يمكن أن تكون خيرا وشر معا ؟

- نعم ! »

٣٧ - ٣٨ : قال ايرقليس : أو ليس قد قلت إن الحياة ليست شراً ، لأنه إن كانت الحياة لمن كان في خير ورفاهة من العيش أيضاً رديئة ^(١) ، لم يكن هناك خير ولا شر . فكما أن المرض رديء للمرضى ، لا الصحة ، كذلك الحياة ^(٢) .
قال قابس : الأمر على ما قلت .

قال ايرقليس : فانظر الآن إذا كان الإنسان في حياته في مكروه : هل يجب أن يموت على حال جميلة منسوبة إلى النجدة ؟
قال قابس : أما أنا فهكذا أختار .

قال ايرقليس : فعلى حسب هذا القول إذاً ليس الموت بشراً ، بل الموت على حال قبيحة منسوب إلى الشر . وذلك أنك تقول : إن الموت على حال جميلة غير الموت على حال قبيحة .
قال قابس : الأمر كذلك .

قال ايرقليس : أو ليس ^(٣) يجري الأمر هذا المجرى من حال الحياة

(١) يرد هذا اللفظ دائماً في ط هكذا : ردئة .

(٢) الفصلان ٣٧ و ٣٨ مختلطان محرران في الترجمة العربية . وغرض ايرقليس (أو الشيخ كما في اليوناني) أن يبرهن على أن ما يظنه الناس خيراً أو شراً ليست كذلك في أنفسهم : وإنما طريقة استعمالنا لها . ولما لم تكن خيرات ، فيجب ألا نفكر في تحصيلها . يقول الشيخ : « ٣٧ - لا تقل هجراً : فلا يمكن الشيء الواحد أن يكون خيراً وشراً معاً ، والا لقلنا أن النافع والضار ، وما يجب أن نسعى إليه وما يجب أن نتجنبه هما شيء واحد . - فقال قابس : ليس هذا باطلاً . فالعيش في المكروه كيف لا يكون شراً لصاحبه ؟ فاذن إذا أصابني شر ، فالعيش شر ؟ - ولكن العيش والعيش في مكروه ليسا شيئاً واحداً . أولاً ترى ذلك ؟ - بكل تأكيد : ليسا شيئاً واحداً فيما يبدو لي . - إن العيش في مكروه شر ، ولكن العيش ليس شراً . ولو كان شراً ، لكان كذلك أيضاً بالنسبة إلى من يعيشون في خير ، لأنهم يعيشون ، واذن فهذا شر . - يلوح أنك على صواب/ ٣٨ - : وما دام الذين يعيشون في خير والذين يعيشون في مكروه يشتركون في العيش ، فإن العيش لا يمكن أن يكون لا خيراً ولا شراً . وكذلك الحال في المرضى ، ليس البتر أو الكلى هو الضار أو النافع ، وإنما طريقة البتر ، فالأمر مثله في الحياة : فليست الحياة شراً ، وإنما الحياة في مكروه هي الشر . »

(٣) ف : وليس .

فى الصلحة والمرض ؟ فان كئىراً ما يعرض أن يكون الإنسان صحيحاً وهو فى شدة إذا كان مزاج الهواء رديئاً ، ويكون مريضاً وهو (١) فى رخاء (٢) .
قال قابس : حقاً قلت .

٣٩ - قال ايرقليس : فلتبحث الآن عن اليسار . ولتنظر (٣) [١٠٧ب]
فيه على هذا الوجه : ألا ترى كئىراً ممن هو موسر إلا أنه فى شقاء من عيشه ومكرهه ؟

قال قابس : بالله يمينا إني لا أزال أرى كئىراً بهذه الصفة !
قال ايرقليس : فلم ينفع هؤلاء يسارهم فى أن تكون عيشتهم محمودة ؟
قال قابس : ما نراه نفعهم (٤) .
قال ايرقليس : أن يكونوا إذا ذوى فضل ليس بما يعتدونه من اليسار ، بل من الأدب .

قال قابس : ذلك واجب عن هذا القول .
قال ايرقليس : فليس اليسار إذا خيراً ما لم ينفع (٥) من كان له فى أن يصير أبداً فاضلاً وتكون عيشته محمودة .
قال قابس : إنا لرى ذلك .

قال ايرقليس : فبعض الناس ليس ينتفعون لا باليسار ولا بالصحة متى لم يكونوا يعلمون الصواب فى استعمال الصحة واليسار .
قال قابس : هو (٦) ذا تبين .

قال ايرقليس : فكيف يسمى الإنسان خيراً ما ليس بنافع لكل أحد ؟
قال قابس : ما ينبغى أن يسمى خيراً أصلاً .

(١) ف : رجاء .

(٢) فى اليونانى : « كثيراً ما يكون من غير المفيد أن يكون المرء فى صحة جيدة ، بل بالعكس ، حينما تقتضى الظروف ذلك » .

(٣) ط : وانظر ، وكذا فى ف .

(٤) يضيف اليونانى : « اذا كانوا أشراراً » .

(٥) ط : ينتفع .

(٦) ب : هذا يتبين . ط : هكذا يتبين ، وكذا فى ف .

قال ايرقليس : لكن إن استعمل الانسان الصحة واليسار على ما ينبغي ويجب ويستحق ، كان محموداً وكانت عيشته راضية ^(١) ؛ وإن استعملها على خلاف ذلك ، كانت عيشته رديئة .

قال : ما أصح قولك !

٤٠ — قال ايرقليس : وبالحملة أيضاً ^(٢) تفضيل هذه الأمور كلها على أنها خيرات أو رفضها على أنها شرور غير صواب ، لأنها قد تنفع الناس وقد تضرهم . وذلك أن الإنسان إذا اعتقد أنها فاضلة وأن الناس بها يصيرون سعداء صبروا في جنبها على فعل كل شيء ، فتجاوزوا إلى كل ما لا يحل ، وإلى ارتكاب الأمور القبيحة ، ويستصغر في جنبها ما يناله من المكروه ، ويستعظم ما يفيد منها ، فيتخطى بذلك إلى الجور والظلم . فإذا اعتقد أن ما يلحق من هذه الأمور [١١٠٨] عظيم ، وما يناله فيه من الخير يسير حقير — أحجم عن التسرع إلى الظلم . وإنما يلحق أولئك ما يلحقهم من ذلك لجهلهم وقلة معرفتهم ^(٣) بأن الشر لا ينتج خيراً ، والخير لا ينتج شراً ؛ فان المال قد يستفاد كثيراً من أفعال رديئة قبيحة مثل الكذب والختل ^(٤) والسرقة وسلب المساجد والسقايات وكثير ^(٥) من أمثال ذلك التي هي في أنفسها ^(٦) رديئة .

٤١ — فان كان الخير لا يكون من الشر أصلاً ، فليس ينبغي أن نقول في الثروة التي تكون من الشر إنها خير .

قال قابس : هذا لازم واجب من هذا القول .

قال ايرقليس : لكن العدل والفهم ليس يحصلان لنا من أمور رديئة ، ولا نصير أشراراً ظلمة من أمور محمودة . وليس من شأن ^(٧) تلك أن تكون

(١) ب : مرضية • ط : رضية • (٢) أيضا : ناقصة في ط و ف •
(٣) الى هنا كان ينتهي النص اليوناني القديم الذي كان معروفا الى حين اكتشاف جرونوفينوس Gronovius بقية النص التي أنكرها سومينز Saumaise زاعماً أنها من وضع المترجم العربي •

(٤) ط : والحيل •

(٥) ص : وكثيرا • وهنا أول ١١٩ بعد ٢٣ ب في ط •

(٦) هنا ينقص رد قابس وهو : « هو كما تقول » •

(٧) ص : ثبات •

عن هذه الأمور ولا عن تلك^(١) ، فإن اليسار وُبعد الصوت والظفر وسائر ما يجري هذا المجرى ليس مانع يمنع^(٢) من أن يكون لقوم أشرار ظلمة . فيجب من ذلك أن تكون هذه وأشباهها لا خيراً ولا شراً . فأما الفهم والعقل فهما خير فقط ، والجهل شر فقط .

قال قابس : قد أثبت ، فيما أحسب ، على هذا المعنى^(٣) ، واكتفى به ، وزال عنا الشك في أن هذه الأمور^(٤) قد تكون من أفعال رديئة .

٤٢ — قال ايرقليس : إن ذلك ليكون كثيراً . ولذلك قلنا إنها ليست خيراً ولا شراً ؛ وذلك أنها لو كانت إنما تحصل من الأفعال الرديئة وحدها لكانت شراً فقط ، لكنها تحدث من الصنفين جميعاً ، ولذلك قلنا إنها لا خير ولا شر ؛ كما أن النوم واليقظة لا خير ولا شر . وكذلك ظني المشي والجلوس وسائر ما يعرض من الأمور لكل واحد ممن هو عاقل وجاهل^(٥) . فأما ما يخص واحداً واحداً منهما فأحدهما [١٠٨ب] خير ، والآخر شر مثل الجور والعدل ، وهما أمران يعرضان لواحد واحد ، وذلك أن العدل لازم لذوى العتق والجور لاحق بالجهال ، لأنه لا يمكن ، كما قلنا قبل ، أن يعرض لواحد بعينه في حال واحدة بعينها ، أمران يجريان هذا المجرى ، مثل أن يكون الإنسان الواحد بعينه في حال واحدة نائماً يقظان ، وأن يكون عاقلاً جاهلاً معاً ، أو غير ذلك مما هو في قياسه .

قال قابس : أظنك^(٦) قد أصبت في كل ما قلته .

٤٣ — قال ايرقليس : فهذه كلها أنا أقول إنها تأتي من ذلك المبدأ الإلهي .

قال قابس : فقلت له : كأنتك تعنى ماذا ؟

(١) ب : وليس من شأن تلك أن تكون عن هذه ، ولا هذه أن تكون عن تلك ، فإن اليسار . . .

(٢) من : ناقصة في ص و ف .

(٣) الى ها هنا انتهى ما حفظ لنا ، حتى الآن ، من النص اليوناني . وما يتلو هذا حتى النهاية لا يوجد الا في الترجمة العربية .

(٤) قد : ناقصة في ب .

(٥) ب : فما . (٦) ط : لظنك .

قال ايرقليس : الحياة والموت والصحة والسقم والغنى والفقر وسائر ما قلت
إنه خير وشر ، يعرض لكثير (١) من الناس من غير شر .
قال قابس : ليس يظهر لنا إلا أن هذا (٢) واجب من القول ، وأن هذه
ليست خيراً ولا شراً ؛ على أنى غير واثق برأى فى ذلك .
قال ايرقليس : هذا لأنه (٣) لم تصر لك بَعْدُ ملكة (٤) تتصور بها هذا
المعنى . فافعلوا ما أشرت به (٥) عليكم قبيلُ من الارتياض فى هذه الأمور عمركم
كله ، ليتمكن ما قلناه فى أنفسكم وتصير لكم به سحجة ؛ وإن شككتكم فى شيء
منه عدتم إلىّ لأشرح لكم من أمره ما يزول به الشك عنكم (٦) .
تم تفسير ايرقليس السقراطى لقابس الأفلاطونى اللغز
الذى تضمنته الصورة الموجودة على باب الهيكل المنسوب
إلى زحل . - والحمد لله دائماً

-
- (١) ب : للكثير . - ص : ويعرض
(٢) ط : الواجب .
(٣) ص : من الارتياض هذا لأنه . . . - وهذه الزيادة مقحمة لا نظنها من
الأصل . (٤) ط : سحجة .
(٥) به : ناقصة فى ص . قبيل : ناقصة فى ص و ب . وفى ف : قبل .
(٦) عنكم : ناقصة فى ص و ط و ف .
(٧) ب : والله الحمد كثيرا : ط : والله الحمد كثيرا دائما كما هو أهله
ومستحقه ، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله الطيبين الطاهرين
وسلم تسليما / ف : والحمد لله وحده .

< تمة حكم الروم >

فتح^(١) الاسكندر مدينة فاجتمع إليه أهلها ، فسألهم عن أولاد الملوك بها ، فقالوا : بقی^(٢) منهم رجل يسكن المقابر . فدعا به ، فأثاه . فقال له : ما دعاك إلى لزوم هذه المقابر ؟ [١١٠٩] قال : أحببت أن أميز^(٣) عظام ملوكهم من عظام عبيدهم فوجدتها سواء .

فقال له الاسكندر : هل لك أن تتبغى^(٤) فأحيى شرفك وشرف آبائك إن كانت لك همة ؟

فقال : همتي عظيمة .

قال : وما هي ؟

قال : حياة لا موت معها ، وشباب لا هرم معه ، وغنى لا فقر فيه ، وسرور لا مكروه فيه .

قال : ليس عندى هذا .

قال : فدعنى ألتسه ممن هو عنده .

حكايات عن سقراط

توقَّ كل التوق ، ولا حارس من الأجل ؛ وتوكل كل التوكل ، ولا عذر فى التوانى ؛ واطلب كل الطلب ، ولا تنسخط ما جلب القدر .

لا راحة لمن تعجل الراحة بكسله ، ولا عز لمن طلب العز بتأوه^(٥) .

العاقل الخير لا عدو له ، إلا الجاهل الشرير ، فانه أولاً يعادى نفسه ثم يعادى الأشرار ثم يعادى الأخيار .

الفائز بالربح الحميل أسعد من المقتصر على رأس المال ، والغنيمة الحميدة أشرف من الرضا بالسلامة ، وحيث السرور الدائم فهناك نعيم الأبد ، ومن عرف نفسه فقد أمن الهلاك^(٦) .

(١) ف : قيل أن الاسكندر فتح مدينة فاجتمع ...

(٢) ف : وقد بقی .

(٣) ص : بين عظام .

(٤) ف : أن تتبغى .

(٥) ف : بباوه . (٦) ف : من الهلاك .

من صح فكره أتاها الالهام ، ومن^(١) دام اجتهاده أتاها التوفيق .
 قال أفلاطون^(٢) : 'بعد الجاهل أن يلتحم به الأدب كبعد النار أن تشتعل بالماء'^(٣) . فإذا رأيت المستمع غير قابل أثر الحكمة ، فلا تطمع في صلاحه .
 وقال آخر : ينظم العقل من أنواع الكلام ما ينظم المصور الحاذق من أنواع الصور الحسنة .

قال سقراط : من بصر عن جهل حتى يرى ما ليس بمحسوس وجب عليه أن يفرح من ذلك بما يفرح به من كان في ظلمة فوجد نوراً [١٠٩ ب] ،^(٤)
 أو في مرض فأصاب برءاً . فمن لم يتبين ذلك من نفسه ، فليعدها من المالكين .
 وقال : لا شيء أنفس من الحياة ، ولا غبن أعظم من إنفاذها في غير حياة الأبد .

وقال : الحزن مدهشة للعقل ، مقطعة للحيلة . فإذا ورد عليك محزن فاقمع الحزن بالحزم ، وفرغ العقل بالاحتياط^(٥) فيما تحمد عاقبته^(٦) .

آداب محكية عن الحكيم^(٧) أرسطوطاليس

كتبها في صحيفة وكان يعلمها^(٨) الملك الاسكندر

لكل إنسان حاجة ، وإلى كل حاجة سبيل^(٩) من أصابه أنجح^(١٠) ،
 ومن أخطأه خاب . وحاجة الانسان خير الدنيا والآخرة . والسبيل الى إدراكها العقل . والعقل نوعان : غريزي ، ومستفاد . فالغريزي^(١١) خلقه انفرد بها الخالق

-
- (١) الواو ناقصة في ط .
 - (٢) ص : أفلاطوني . ط : أفلاطن ، وكذا في ف .
 - (٣) ص : بالماء . (٤) ط : وفي .
 - (٥) ص : الاحتياط . / ف : للاحتياط .
 - (٦) فيما تحمد عاقبته : ناقص في ط و س ، و ف .
 - (٧) ف ، ط : عن أرسطاطاليس .
 - (٨) ف : يعلمها للاسكندر . (٩) ط : فمن .
 - (١٠) أنجح : أى أصاب النجاح ؛ يقال : أنجح الرجل (بضم اللام) : صار ذا نجح ، فهو منجح من قوم مناجح ومناجيج .
 - (١١) ص : والغريزي .

عز وجل . والمستفاد فائدة المتعلم . ولا سبيل إلى فائدة المتعلم إلا بصحة العقل الغريزي . ومن صح منه العقل الغريزي^(١) استفاد به العقل المتعلم . وإذا اجتمع العقل الغريزي إلى العقل المتعلم قواه تقوية الشمس نور البصر . ولا عائق للعقل إلا الهوى ، والهوى نوعان : أحدهما بغية الهوى الباطنة ، والأخرى بغية الهوى الظاهرة . فمنزلة ما ظهر من بغية^(٢) الهوى كمنزلة النار الموقدة من النار الكامنة . فاذا اتصل بالهوى بغيته أشعله إشعال الحطب ، وإن انقطع^(٣) سكن كامناً . وليس بساكن إلا ريثما يقدر عليها . فان قدر عليها أذكى ناره [١١٠] بقضاء لذته ، إلا أن يمنع ؛ ولن يمنع^(٤) إلا العقل الوافر الصحيح إذا قدر . وقد يبلغ صحة العقل أن يتعرف حقائق الأمور ، ولا يبلغ من قوته أن يمنع الهوى من شهوته . فاذا كان العقل بتلك المنزلة ألنى صاحبه بصيراً بالرشد غير قادر عليه ، وعارفاً بالغى غير ممتنع^(٥) عليه . وقد يكون من العقل ما يجمع مع المعرفة بالأمور الامتناع من الهوى . وعلة ذلك أمران : أحدهما قوة العقل ، والآخر ضعف^(٦) الهوى . فان غلب طبيعة العقل في القوة طبيعة الهوى ، لم يقدر الهوى على غلبة العقل إلا بما يتصل به من الشهوات ، ولا العقل على أن يغلب الهوى إلا بما يتصل به من فائدة العقل المتعلم . ولما كنا على حال لا تكمل فيها عقولنا كمالاً تستغنى به ولم تضعف أهواؤنا ضعفاً نزهدها معه في الشهوات ، لم يكن لنا إلا المواظبة على التعلم^(٧) لنزيد في العقل المعين على الهوى .

وقد ترجمت لك في هذا الكتاب فصولاً من فوائد العقل المؤيد للإنسان . والله الموفق ، ولا قوة إلا به .

(١) ومن ٠٠٠ الغريزي : ناقصة في ف

(٢) ط : من بغية الهوى من طبيعة الهوى

(٣) ط : انقطع عنه سكن ٠٠٠

(٤) ص : العاقل

(٥) ط : منه ٠ وكذا في س

(٦) ص : ضعف العقل

(٧) ص : المتعلم

ومن^(١) الآداب أيضاً :

إذا تم العقل التحم به الأدب كالتحام الطعام بالجسد الصحيح : فهو يغذوه ويربيه ، وإذا نقص العقل نبا عنه ما يسمع من الأدب كما نبا عن المصفور^(٢) ما أكل من الطعام . وإن أثر الجاهل أن يحفظ شيئاً من الأدب تحول ذلك الأدب فيه جهلاً كما يتحول ما خالط جوف المريض [١١٠ب] من طيب الطعام داءً . فإذا كان الأمر على هذا فأحمد العقلاء من كان عقله عن صحة طبيعة ، وكان رأيه عن سبب معرفة ، وعلمه من قبل حجة ، وزين منطقته من صدق مقال ، وحسن عمله من حسن نية ، وحسن أدبه من فضل رغبة ، وكثرة عطائه عن سماح نخبة^(٣) ، وأداء أمانته عن صدق عناف ، واجتهاد سعيه في قصد سبيل ؛ ثم وصل الطبيعة بحسن العادة ، وذكاء العقل بشدة الفحص ، ونفاذ الرأي بذكر المنافع ، وصدق المنطق بحسن الأدب ، وحسن الأدب بكثرة التعهد^(٤) ، وكثرة العطاء بصواب الموضع ، واجتهاد السعي بشدة الورع . فإذا غلب الهوى العقل صرف محاسن جماله الى المساوى فجعل الحلم حقداً ، والعلم رياءً ، والعقل مكرراً ، والأدب فخرأ ، والبيان هذراً ، والجود سرفاً ، والقصد بخلاً ، والعفو جنباً . فإذا بلغ من صاحبه ذلك ، تركه لا يرى الصحة إلا صحة الجسد ، ولا العلم إلا ما استطال به ، ولا الغنى إلا في مكسبة المال ، ولا الثقة إلا في اتخاذ الكنوز ، ولا الأمن إلا في قهر الناس . وكل ذلك مخالف للقصد ، مباعد من البغية ، مقرب من الهلكة . وإذا غلب العقل الهوى صرف المساوى إلى المحاسن ، فجعل البلادة حليماً ، والحدة ذكاءً ، والمكر عقلاً ، والهدر بلاغة ، والعي صمتاً ، والعقوبة أدباً ، والجرأة عزماً ، والخبث حذراً ، والاسراف جوداً . فالسعيد^(٥) من الناس العاقل : من العقل أوفر طباعه ، والعلم أفضل ذخائره ،

(١) ومن الآداب أيضاً : في ص ، وناقص في س و ط و ف .

(٢) صفر الرجل صفراً (بالبناء للمجهول) : اجتمع في بطنه الصفار ، فهو مصفور . والصفار حية في البطن تلتصق بالضلوع فتعضها عند الجوع ، وقيل حيوان آخر يعض الضلوع والشراسيف ، وقيل دود

في البطن . (٣) النخبة : الطبيعة .

(٤) ط و س : التعاهد . (٥) ط : والسعيد .

ومن لا يغبىه [١١١] إلا القناعة ، ولا يؤمنه إلا البراءة ، ولا يوجب الزيادة^(١) له إلا الشكر ، ولا يدفع عنه المكاره إلا الدعاء . ومن عدم العقل فلن يزيده السلطان عزاً ، ومن عدم القناعة فلن يزيده المال غنى ، ومن عدم الايمان فلن تزيده الرواية فقهاً .

ليس أحد من الناس إلا وله شبه : إما من ذاته ، وإما من غيره . فمنهم الغشوم كالأسد ، والحافظ كالذئب ، والخابل كالثعلب ، والأبله كالحمار ، والحسن المنظر دون الخبث كالدفلى^(٢) ، والمحمود الظاهر للمذموم الباطن كالنمر ، والردى الظاهر الجيد الباطن كاللوز ، ومنهم الجامع لكل ما يحمد كالأترجة^(٣) الجامعة مع حسن المنظر طيب الرائحة والطعم .

لا يعدُّ الملك الكذوب ملكاً ، ولا الناسك الخادع ناسكاً ، ولا الأخ الخاذل أخاً ، ولا مصطنع الكفور منعماً .

إذا كان العالم^(٤) غير مُعَلِّم قل غناء علمه ، كما يقل غناء الكثير المال البخیل .

لا ينبغي للعاقل أن يحزن لأمرين : إما أن يكون ما أتاه من المكروه له مدفع ، فيحتال له بقلب غير مشغول بحزن ؛ وإن لم يَرَ لما أتاه وجهاً ولا مدفعاً ، ألزم قلبه الحيلة للصبر .

ليس المحسن من توخى الحسن بالاحسان دون المسيء ، ولكن من عمهما جميعاً بالاحسان : ألا ترى الصدوق يصدق من كذبه ، والأمين يؤدى الأمانة إلى من خانه ، وأن العاقل يعول على من جار عليه ؟ — فكذلك^(٥) المحسن : يحسن إلى من أساء إليه ، ويعفو عن ظلمه ، ويجود على من بخل عليه .

(١) ط : له الزيادة .

(٢) الدفلى (بالذال المشددة بعدها فاء ساكنة ولام مفتوحة) : نبت مر زهره كالورد الأحمر ، وحمله كالخروب .

(٣) الأترجة : ثمر شجر من جنس الليمون ناعم الورق والحطب ، ويقال الأترج والترنج .

(٤) ص : غيره . (٥) ص : وكذلك .

من أولى إليه^(١) من المعروف ما يكل . منطقه عن ذكره وتعجز قوته [١١١ ب] عن المكافأة ، فلا يعجز عن مودة من أسدى إليه ذلك وصدق النية بالحلب له . لا يوجد العاقل يجزع من جفاء الولاة وتقريبهم الجهلة دونه ، لعلمه بأن الأقسام لم توضع على قدر الأخطار .
العاقل موفق للرشد في كل أمره ، فلا تلقاه إلا ناصحاً للولاة ، موقراً للرؤساء ، متحرزاً من الأعداء ، غير حاسد للأصحاب ، ولا مخادع^(٢) للأخيار ، ولا متحرش بالأشرار ، ولا مشاغب للمُدارس ، ولا مُلاح للسلطان ، ولا مُرجج^(٣) في الولاية .

وصية لأفلاطن^(٤) في تأديب الأحداث

نقلها اسحق بن حنين^(٥)

قال :

لست أخطب الطبقة العالية في الفلسفة والبلاغة ، ولا الطبقة الدون منها ؛ لكنني أتوخي الطبقة الوسطى بين الطبقتين فأقول ما أقوله :
إنه يجب أن أذكر نفسي وأحضها على الأدب ، دون أن أحوج غيري إلى تقويمي وتأديبي^(٦) ؛ فإن من^(٧) شرط العقل أن أقيم نفسي مقام الممتحن لها وعليها . فإذا فعلت ذلك كانت لي حصّة مع الذين قَوَّمهم الأدب . أتراني لا أعرف نفسي^(٨) وأني لست بالحكيم ولا المستقل بالتعليم لأني إلى هذه الغاية متعلم وطالب الحكمة ؟ ! فليت شعري من الكاتب البليغ الذي يأتي بعدى ، ومن الواضح للنواميس^(٩) المتحير الطبع ، المتخير^(١٠) للآباء ، المقسّم لمعانى كلامه والذي

(١) من : ناقصة في ط .

(٢) ط : ولا مخادعا . . . متحرشا . . . مشاغبا . . . ملاحا (!) . . . مرجحاً .

(٣) س ، ط : مرجح . . . (٤) ف : أفلاطن .

(٥) نقلها اسحق بن حنين : ناقص في ط ، وموجود في ص و س و ف .

(٦) ط : تأديبي وتقويمى ، وكذا في ف .

(٧) من : ناقصة في ف . . . (٨) ف : فاني كنت .

(٩) س : للناموس / ف : ومن المواضع .

(١٠) ف : المتخير الطبع المتحير للآباء .

يحسن أن يكون واسطة بين الأستاذين والمتعلمين وأن يقنع الفريقين معاً ، فيرضى الطبقة العالية ويؤدب الطبقة التي دونها من الأسافل ، من غير أن يتعسف أولئك ولا يبيكت هؤلاء ، ولا يكرم هؤلاء على الحاجس [١١٢] ولا يبعد هؤلاء بالتخويف والارهاب ، ولا يقوم أولئك باختلاط ، ولا يستعمل مع هؤلاء التساهل والاهمال ، لكنه يسوى بين الصنفين : أعنى الرياسة المؤدبة ، والروية (١) المؤدبة بحسب ما تعلمه منى حتى يعلمهم ما أمرته (٢) به .

يا أيها المقرون بهذا التأديب ! لتكونوا معلمين ومؤدبين ، افهموا على ما أوصيكم به وأرسنه لكم : لتكن سيرتكم مع تلامذتكم (٣) سيرة مستقيمة بلا زيادة ولا نقصان . وبالله — المنشئ لكل أدب وعلم — أستحلفكم وأقسم (٤) عليكم : لا تتجاوزوا الحدود ، واعرفوا (٥) عاداتكم ، واحفظوا درج مراتبكم ، وتشبهوا بالضياء النفساني . وكونوا لهؤلاء التلاميذ مرآة مضيئة ، وكونوا (٦) دليلاً لحريةهم ليتأدبوا بالحرية ، وأبعدوهم من كل لائمة قبيحة ، ومن كل (٧) شهوة تولد المولمات والموت . وامتنعوا من الشهوات المذمومة ، ومن أفعال الخطايا ، ولا تفضلوا بحسن مناظرتهم . وليكن بينكم وبين الآلام النفسانية مناسبة ، فان (٨) الحماية والأنفة من أجل ذلك . ولا تقربوا شيئاً يلحقكم منه عدل ، ولا تكونوا سبباً لعادة مذمومة يجترى عليكم بها تلاميذكم ، ولا تبسطوهم للأكل معكم ، ولا تتكلموا بشيء يكره بين أيديهم ، ولا يكونن لكم معهم سر ولا خلة (٩) . فاذا أدبتموهم فلا (١٠) تكلموهم بكلام يكون مستوراً عن جماعة من بحضرتكم . ولا تهزبرهم بالخدع ، ولا تتقربوا إليهم بالهبات والصلات ، ولا تضحكوا في وجوههم ، وعاملوهم بحسب استحقاقهم ، وعلموهم ألا ينحطوا عن مراتبهم من العلم فتخطوا أنتم عن مراتبكم في التعليم ، ولا تخفلوا (١١) بروى [١١٢ ب]

(١) ص : المروبة / ف المروية المؤدية .

(٢) ط : ما أمر به . (٣) ف : تلاميذكم .

(٤) ف : وأقيم عليكم . (٥) بغير واو في ف .

(٦) ف : فكونوا . (٧) كل : ناقصة في ف .

(٨) ف : لأن . (٩) ف : سلوة .

(١٠) ط : أذيتموهم . (١١) ف : ولا تجعلوا .

الليل وبالظل الزائل ، ولا باللذة التي (١) لا دوام لها فتنفسدوا خلاص أنفسكم
ورئاسة تعليمكم ، واستحيوا (٢) منهم وتصنوا وتوقروا وتحفظوا أنتم وتلاميذكم
أيضاً بالوصايا المرتفعة عن كل طعن وقدح . وعودوهم أن يخدموكم
ويخدموا كل واحد (٣) وما يشاكلكم من الاكرام ، فلا تمنعوهم إياه . ولا
تؤدبوهم بالأدب إلا في موضعه وعلى حقيقته ومن حيث لا يلاحظكم فيه شك
ولا ارتياب بأنكم ظلموهم وتعديتهم عليهم . وإن تباهاوا (٤) فغضوا منهم ، وإن
ترفعا فحطوهم (٥) ، ولا ترقوا للمتجاسرين منهم برقة الآباء ، ولا تحبوهم
كمحبة ذوى الأنساب منكم . بل أدبوهم كالغرباء منكم ، ومن أول ابتدائكم
بهم خذوا (٦) في رياضتهم . وإن أحد من أهلهم وأقاربهم منعوكم من تأديبهم
أيضاً (٧) وسألكم أن ترحوهم وترقوا لهم فأخرجوهم من عندكم . ولا يكن
تتويعكم لهم وضربكم إياهم على غضب واختلاط ، ولا تركوهم إهمالا (٨) لهم
وقلة عناية بهم ، ولا تسروا بلا ترتيب ، ولا تركوهم من غير حد يعرفونه
لأنفسهم . وإياكم أن تتأملوا أبدانهم وتخاطبوا صورهم . وكأما أحببتهموهم
وازددتم عناية فأقيموهم مقام الأعداء . ولا تنسوا التعليم الروحاني من قبل الكرامة
العالمية . وداووهم ، إذا احتاجوا إلى الأدوية ، بالأدوية (٩) المألوفة حتى تصفوا
أذهانهم ، ليكون لهم بما يفيدونه (١٠) من علومكم شرف واقتدار . وعودوهم
الاحتماء من الأطعمة المولدة للنسيان كالباقلاء ، واللوبيا ، والثوم ، والسهم القتال
الذى هو الكزبرة (١١) ، ومن سائر الأطعمة التى تشبه هذه . [١١٣] وعودوهم
ألا يأكلوا إلا فى أوقات معلومة محدودة (١٢) ، ومن أطعمة لطيفة . وحذروهم

- (١) لا : ناقصة فى ص . (٢) ص : منه .
(٣) ط : أحد ، وكذا فى ف .
(٤) ط : تتابهاوا . - وتتابه : تباهى وادعى الصلف / ف : فان تباهاوا .
(٥) ف : فحطوا منهم . (٦) ف : فخذوا فى رياضتكم .
(٧) أيضا : ناقصة فى ف . (٨) ف : اهمالا وقلة عنايةتكم بهم .
(٩) بالأدوية : ناقصة فى ف . (١٠) ص : يفيدونهم ، وكذا فى ف .
(١١) ف : الكسفرة - والكزبرة لغة فى الكسبرة ؛ وقال أبو حنيفة : الكزبرة
(بفتح الباء) عربية معروفة ؛ وقال الجوهري : الكزبرة (بضم الباء)
من الأباوير وأظنه معربا ؛ وهى نبات الجبلجلان .
(١٢) الواو ناقصة فى ط .

الشرة والسكر والخروج عن الاعتدال . وحُضُّوهم على الاستعداد لكل ما يصلح
ويشاكل حاله علمهم (١) . وأمنعوهم (٢) من النظر الشهوانى المردى المؤدى
إلى الفسق . ولا تطلقوا لهم المشى السريع السخيف . وأقيموا عليهم رئيساً منهم
يشرف عليهم ، وليكن متقدماً : غنياً كان أو فقيراً ، حميلاً كان أو قبيحاً .
ولا تنظروا إلى حسن الوجه مع قبح السيرة ، بل انظروا إلى حسن الفعل . وليكن
المدبر لهؤلاء الأحداث من يوثق به ، عالماً (٣) ذكياً مهيباً غير معروف بسوء اللقاء
وقبح المعاملة وفساد السيرة . ولا تصحبوا المعروفين بالأفعال القبيحة ، وتباعدا
منهم . فاذا أصبتم مثل هذا الرئيس الموصوف بالصفات الحسنة فلا ضير أن
تجعلوا فى يده أموالهم وأملاكهم ليدبرها لهم . وقابلوا كل من تؤدبونه (٤) بما يشاكله
من التأديب . ولا يكن تأديبكم (٥) لهم بغير تمييز وترتيب . حملوهم ما يقوون
عليه من التأديب ، ولا تमितوا قلوبهم بالالحاح عليهم وتجشيمهم (٦) ما لا يفون
به (٧) . وأقيموا عليهم منهم رؤساء ألوف ورؤساء مئين ورؤساء خمسين ورؤساء
عشرة ، وكل واحد منهم (٨) يأمر تلاميذه وينهاهم . ومتى زال رئيس منهم عما
تأدب به وأدبهم ولم يستعمل ما يجب عليه مما يوصيهم به ، فلينج ذلك الرئيس (٩)
عن مرتبته ، ويقام فيها غيره ، فليس من الحزم أن يوثق بخائن ولا كاذب ؛ ولا
يقبل منه اعتذار (١٠) من يقتل النفس عامداً . فان أخطأ حَدَثَ ممن يسمع
التأديب [١٣ب] أو زل ، غفرت زلته واحتمل دفعتين أو ثلاثة . فان عاد بعد
الثلاثة نحى عن جملة المتأدبين وهجر لئلا يفسد سائر من يروم التأديب .

أيها الاخوة المحبون للعلم ! اسمعوا واحفظوا وصاتى ، فإنى كأحدكم :

(١) ص : حاله .

(٢) ص : أمنعوهم . ط : أمتعوهم (بالتاء المثناة) .

(٣) ف : ذكياً عالماً .

(٤) ط : تؤدبونهم ، فى ف : تؤدبونهم .

(٥) لهم : ناقصة فى ص . (٦) ص : تجشيمهم .

(٧) ف : ما لا يقوون به . (٨) منهم : ناقصة فى ط .

(٩) ف : منهم عن . (١٠) ص : ومن .

كنت ، لما أحبيت العلم ، فاني كاتب لكم مقالة سهلة ، أبين لكم المدخل إلى العلم ^(١) بكل صناعة نطّيقة ^(٢) ينعم بها ويلبذها كل محب يتعلم . فأول ذلك أن تكونوا طاهرين لا عيب فيكم قبل أن تشرعوا في هذا العلم ، فانه لا يجب أن تقرب الأشياء الطاهرة إلى الأشياء الدنسة ، ولا الأشياء الدنسة إلى الأشياء الطاهرة . ولا تعلموا الذين ليسوا طاهرين ، بل الذين هم أطهار أبرار طهارة حسنة . ولا يقرب ذو العيب الدنس إلى المبرأ ^(٣) من العيب والدنس . وليعلم أنه لا يصاب مكيال من ماء عذب صاف نظيف ^(٤) يقاوم حُبَّ خَمَاءة ^(٥) منتنة ، ولا تقوى الأعين الرمدة على حرق شعاع الشمس — كذلك لا يكون أدب النفس في بدن قد استجن فيه الجهل والشره .

لا قبح أقبح بالعاقل من أن توسم نفسه عند الناس بالعقل ويأمرهم بذلك ^(٦) وهو خلو منه ، صفر من الأدب ، مرتكب للمآثم . إن الحكمة والتشبه ^(٧) بالله — عز وجل — هو المعلم للحكمة والمرشد إلى الأفعال الحميلة الفاضلة الموفق لها . إياكم والحسد ، فانه المفرق والمشتت ، وليتواضع بعضكم لبعض . تساوا في المحبة الكاملة . أسلموا أنفسكم لله والعقلاء الكاملين الذين يستحقون الرئاسة بأفعالهم واقتصارهم ^(٨) وقناعتهم ولا تتكلوا على المفتخرين بالآباء الذين ولدوهم ^(٩) ولم يؤدبواهم بأدب النفس ولزوم ما وجب عليهم ، وادعوا إرث الآباء عند التلاميذ من غير [١١٤] استحقاق له قبّلهم — أولئك حزب الظلمة وأعداء الحكمة ومصيدة الشياطين ، والهرب ^(١٠) منهم والتباعد عنهم أولى .

(١) ص : في .

(٢) ص : نظيفة التي — وكذا في ف ؛ والتصحيح عن ط/ف : يتنعم لها كل محب متعلم .

(٣) ص : البراء / ف : من المبرأ من الدنس .

(٤) ف : لطيف .

(٥) الحب (بضم الحاء المهملة) : الجرة الضخمة والخابية . والحمأة والحمأ : الطين الأسود المنتن .

(٦) ف : به .

(٧) ط : جل وعز هو المعلم . (٨) ف ، ص : اقتصادهم .

(٩) ط : أولدوهم . (١٠) ف : فالهرب .

وأيجعل كل واحد منكم صاحبه كنفسه وموضع سره . وليحفظ كل واحد منكم صاحبه حتى يكون بعضكم حافظاً لـسر^(١) بعض . كونوا سامعين مطيعين كاملين حريصين على طلب الحق والحكمة ، مجتهدين ، مناضلين عن الحق ، محبين للصدق ، مجادلين عن العلم ، عارفين بالأزمنة واختلافها ، مبغضين للممارين ، معتمدين لتكئين الصلاح والسكون والهدوء والسلامة ، متكلمين عن أهل الخير ، ناظرين بأعينهم وقلوبهم نظر المتواضعين لا المتكبرين ، آنفين أنفة الآلهة ، دارسين — دراسة دائمة — الموت الاختباري متفكرين في الروحانيات ، محبين للكلام الذى يؤديكم إلى الحياة^(٢) الدائمة ، محبين للفضائل ، متمسكين بكل المحاسن .

لا تتحملوا ثقل التكبر ، ولا تتعدوا أقداركم ، ولا تترفعوا بالصلف ، ولا تتعظموا بالافتخار ، ولا تأخذوا بأخلاق الجبابة ، وابعدوا^(٣) من أنكم لا تدرون^(٤) ، وكونوا علماء بما تعملون . لا تتجاسروا^(٥) على تعدى حدودكم ، ولا^(٦) تماروا فيما لا حقيقة له ، ولا^(٦) تجادلوا بالكذب ، ولا تتكلموا بالهذر^(٧) ، واحذروا الشهوات القبيحة ولا تَعَوِّدُوا أَنْفُسَكُمْ الميل إليها ؛ وازموا قراءة الكتب الأدبية ولا تملوا . وأحسنوا^(٨) الانصات^(٩) للحكماء ؛ وارهبوا آباءكم ، وأكرموا أمهاتكم ولا تحبوا [١١٤ب] النوم والكسل ، وميزوا بين الخير والشر ، واعرفوا الربح من الخسران ، وإذا لم تسألوا فلا تجيبوا ، وتنكبوا الخصومات ، واستعملوا الأغذية اللطيفة ، وتباعدوا عن الشره للأطعمة ، ولا تكثرُوا من شرب الخمر ، وليكن لغذائكم وقت معلوم ، وصيروا^(١٠) العسل أدماً لكم إن قدرتم عليه ، وأكثرُوا

(١) ص : سر .

(٢) راجع رسالة التوحيدى بعنوان : « فى التشويق الى الحياة الدائمة » ،

وقد نشرناها بالقاهرة سنة ١٩٥٢ .

(٣) ص : وابعدوا من ألا تدروا .

(٤) ف : وابعدوا من أنكم لا تدروا أنكم لا تدرون .

(٥) ف : ولا . (٦) ف : لا .

(٧) ط : بالغدر . (٨) الواو ناقصة فى ط .

(٩) ط : الانصاف . (١٠) ص : صيرا .

ذكر^(١) آلاء الله وإحسانه فرادى ومجتمعين ، ولا ترفعوا أصواتكم عند من هو أسنُّ منكم ، ولا ترادوهم الكلام ، ولا تطلقوا ألسنتكم بحضرتهم بكلام جاف ، ولا تؤثروا لذة المآكل على لذة العالوم ، ولا تحرصوا على شرب الخمر^(٢) الذى يجعلكم بمنزلة المجانين ، ولا تشتغلوا بذكر مساوى غيركم ، ولا تظنوا بأنفسكم أنكم حكماء ، بل إنما يجب أن يشهد لكم بالحكمة غيركم . وإذا صح كلامكم وظهرت حججكم فلا تعجبوا بأنفسكم ، ولا تفتخروا بما ظهر منكم من غلبة خصومكم ، وآثروا الوحدة والدعة والسكون ؛ ولا تطلبوا الرئاسة ، فإن أكرمكم إنسان فتواضعوا أنتم فى أنفسكم ، وإن سلطوكم^(٣) على أمر من الأمور فأحسنوا^(٤) فيه ؛ واكظموا الغيظ ولا تسرعوا^(٥) إلى الغضب ؛ وأكرموا أنفسكم فانكم ترجحون بذلك كرامة كبيرة^(٦) ، ولا تمضوا^(٧) شيئاً فى وقت الضجر ؛ وامتحنوا الأصدقاء قبل أن تصادقوهم ، ولا تصادقوهم قبل الامتحان ؛ ولا تقوموا فى الأسواق ، وإن^(٨) تهيأ لكم ألا تمشوا فيها فافعلوا ، فإن الأسواق مزابل المدن وليس يجد الإنسان على المزابل شيئاً نظيفاً ولا طيباً ولا طاهراً^(٩) . ولا تصغوا إلى أقاويل العامة ، وخاصة أهل الأسواق^(١٠) ، فانهم همج رعا ولا تحصيل لهم^(١١) [١١٥] ولا رأى عندهم ولا معونة^(١٢) حقيقية . ولا تطلعوا أحداً على أسراركم . وكلموا الرؤساء بتواضع ولطف ، وتطأطأوا لكل أحد . وأقللوا من^(١٣) التعرف إلى الناس ، فانكم قلما تتأذون إلا بمن يعرفكم ، وليس يكاد يؤذيكم من لا يعرفكم ؛ ولا تطمعوا^(١٤) فيما لا تنالونه . ولا يعظمن⁺ فى

(١) ص : ذكر الله وإحسانه - ف : ذكر الله عز وجل وإحسانه .

(٢) الذى . . . المجانين : ساقطة من ف .

(٣) ط : سلطكم مسلط ، وكذا فى ف .

(٤) ص : وأحسنوا .

(٥) الى : ناقصة فى ط . (٦) ط : كثيرة ، وكذا فى ف .

(٧) الواو ناقصة فى ط . (٨) ط : فان .

(٩) ولا : وردت فى ط ، وناقصة فى ص ، ف .

(١٠) ف : السوق . (١١) ف : عندهم .

(١٢) ف : معرفة . (١٣) من : ناقصة فى ط .

(١٤) ص : تطعموا . - ولا تنالوه : ناقصة فى ط .

(+ .. +) ما بين العلامتين ساقطة من ف .

غيرنكم^(١) ما يعظم في عين كثير من الناس من أعراض هذه الدنيا . وإذا أنكرتم على إنسان يهكم أمره شيئاً فعاتبوه عليه من وقته . ولا تكونوا ذوى وجهين ولسانين . ولا تكن مردتكم مستحيلة مختلفة كاختلاف^(٢) ضوء القمر . وكونوا كالشمس التي نورها فيها دائماً لا يزيد ولا ينقص . ولا تتبعوا شهوات الناس في الأحكام ، لكن كونوا حكماء بلا محاباة لأحد منهم . ولا تغتابوا من غاب عنكم . ولا تحلفوا يميناً على جهة إرضاء الناس . ولا تكونوا في سلطان إن كانوا لكم عاصين^(٣) ظالمين . واحذروا من الملاهي الشائنة لكم ، ومن اللعب المضلل لأذهانكم ، ولا تواصلوا الضحك ، ولا تمسوا إلى الخدع الآخذة بالعين الحديثة بالباطل التي تحدث في أنفسكم اضطراباً . ولا تجالسوا من يزين لكم الشهوات القبيحة^(٤) والذين يغالطونكم بالخيال ويدسون فيها الشهوات الرديئة والآراء الفاسدة التي تهون عليكم التعرض للأفاعي والحيات والسموم والعقاقير والأدوية القتالة ، ومن الذين يظهرون الأشياء العجيبة التي لا دوام لها . وتجنّبوا الشبهة وطلب السحر والرقى والكلام المضحك^(٥) . واحذر العدو الذي يريك الصداقة ، ومن أخ لا صدق لكلامه ولا صحة لضمانه ولا صواب في منطقته .

والذي ينبغي للأحداث أن يأخذوا طرفاً منه^(٦) [١١٥ ب] الأسباب التي يحتاج إليها في تدبير الحروب وترتيب الصفوف وتعلم^(٧) المثاقفة والرمي والمصارعة والطلب والحرب من غير استهانة به^(٨) ولا إهماك فيه . وأيتعدوا ركوب الخيل وجريها^(٩) والعمل بالسلاح . وينبغي أن ينظروا في الموسيقى ، فانه من التعاليم الأربعة^(١٠) ، حتى يقفوا على المناسبات وتأليف اللحن وأصناف ما ينسب

(١) ف : صدوركم .

(٢) ط : ضوء ، وكذا في ف / ص : صور .

(٣) ف : غاصبين واحذروا

(٤) ط : الرذلة . - والذين . . . - الرذلة : ناقصة في ط .

(٥) ف : احذروا العدو الذي يريك الصداقة .

(٦) ف : من .

(٧) المثاقفة : الملاعبة بالسلاح ، وهي محاولة اصابة الغرة في المسابقة ونحوها .

(٨) به : ناقصة في ف . (٩) ط : وجرها .

(١٠) التعاليم الأربعة = quadrivium ، وهي الحساب والهندسة والفلك والموسيقى .

إليها من العود والمعرفة^(١) وسائر آلات الموسيقى ، وأفضلها الأرغن التي عليها ثمانون وترأ مهياة على الطبائع الأربع .

واعلموا أنكم إذا اتصفتم^(٢) بهذه الحكمة وتمسكتم بها وأرشدتم إليها كنتم كالنور المشرق على الخلائق . فاجعلوا شكركم لله المدبر للكل الأزل القائم بالحق والقسط . ومن خالف هذه الوصايا ، فالواجب على المتقصد للاشراف على المتأديبين تقويمه وتأديبه ، فان لكل خطأ عقوبة : إما عاجلا ، وإما آجلا . فيجب أن تقدم عقوبة العاجل لئلا يفسد الناس ويقتل بعضهم بعضاً بالقهر والغلبة وضروب^(٣) الشر . فمن^(٤) لم يمتنع ولم ينته عما ينهى عنه اطرح ولم يقبل في جملة المتأديبين ولا يسقى ماء الحياة . فأما المتقصد للتدبير^(٥) في الأحداث فيجب عليه أن يكون كالمرآة المضيئة ، لأنه القائم بالرئاسة .

فمن قصر في هذه الوصايا فليكن مبعداً منحنى عن هذا التعليم الشريف^(٦) . تمت وصايا أفلاطن في تأديب الأحداث . والله الحمد^(٧) .

∴

قدم^(٨) رسول أرسطوطاليس^(٩) على الاسكندر ، فكث طويلا لا يتكلم . فقال له الاسكندر : إما أن تقول فأسمع ، وإما^(١٠) أن أقول فتنصت . فقال الرسول : أيها [١١٦] الملك ! التخير إليك ، لا إلى ؛ والطاعة على لا عليك . فقال الاسكندر : ما فعل الحكيم ؟

(١) ف : والمعرفة سائر آلات ...

(٢) ف : تصفيتم . (٣) ص : وضروب الشيء .

(٤) ف : ممن - وهو تحريف واضح .

(٥) ط ، ف : لتدبير الأحداث .

(٦) الشريف : وردت في ص ، ولم ترد في ط و س و ف .

(٧) س : والحمد لله وحده . ط : والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلامه / تمت ... الحمد : ساقطة في ف .

(٨) في ف عنوان : كلام رسول حكيم ورد في رسالة لارسطوطاليس الى الاسكندر .

(٩) ف : أرسطو . (١٠) ف : أو أقول فتنصت .

قال : أيها الملك ! جَدِّ في الجهاد ولقد كان (١) حذراً مستعداً .

قال : ما بلغ جِدِّه ؟

قال : عينه لا تسكن ولا تطرف ؛ ولسانه لا يفتر ؛ الدنيا عنده كالقيح (٢)

والدم .

قال : كيف عمل في الرعية بعدى ؟

قال : أنار القلوب المظلمة في الصدور الخربة ، وكنز فيها الحكمة ،

وأما فيها الجهالة .

قال : فما لباسه الظاهر ؟

قال : الزهد في الدنيا والامتناع من شهواتها .

قال : فما لباسه الباطن ؟

قال : الفكر الطويل والتعجب الدائم .

قال : ومن (٣) ذاك ؟

قال : من أهل الدنيا كيف اغتروا بها ، ومن أهل التجربة كيف وثقوا بها .

قال : فمن أيهما (٤) كان أشد تعجباً ؟

قال : من مصروعها كيف عاودها ، ومن مسلوبها كيف راجعها ، ومن

مات أبوه كيف رجا البقاء ، ومن غنيا كيف فرح بما ليس له ، ومن فقيرها

كيف حزن على فوت ما يشقى به الغنى .

قال : فمن أيهما كان أشد تعجباً ؟

قال : من جميعهما (٥) سواء ؛ وذلك أن هذا فرح بما ليس له ، وهذا

حزن على فوت ما يشقى به الغنى كيف لم ينله ، فأحب أن يثقل ظهره وهو خفيف

الظهر ، وأحب أن يكثر همّه وهو قليل الهم والغم ، وأراد أن يكون في تعب

ونصب وهو مستريح ؛ وإنما يكفيه من الدنيا ما يسد جوعته (٦) ويذهب ظمأه

ويستر جسمه .

(١) لقد : ناقصة في ص . (٢) ف : كالقيح .

(٣) ط : ومنم . (٤) ط : أيهم .

(٥) ط : جميعها . (٦) ط : جوعه .

قال : أهو في دوام الملك أظهر سروراً ، أم في زواله ؟

قال : بل في دوامه للملك .

قال : ولم ذاك ، وليست الدنيا من شأنه ؟

قال : لاقدرة على إظهار الحكمة في سلطانه [١١٦ب] والاستمكان من إفاضة العلم وإشاعته وتقريب الحكماء والعلماء وأخذ الرعية بالأدب العائد بالخير ، ودرك الأجر في تبصير أهل الجهالة وحمل الناس على حسن الهدى والسيرة الفاضلة والقوة على رفض الدنيا ونبد الشهوات وترك اللذات عند القدرة عليها والتمكن منها والامتناع عليها عند تكاثرها وتواترها ؛ فان الدنيا لم تغلبه على نفسه ولم تورطه في فحاشها ولم تمتد بحلاقتها وأنواع خدعها وزخارفها المموهة وأسباب غرورها التي يسرع إليها أهل الجهالة ، ويسعى إلى النشوب في تلفها أهل الغرة الذين لا يفكرون في عواقب الأمور ، ففرح بأن غلبها ولم تغلبه ، وقهرها ولم تقهره ، وضبطها ولم تضبطه ولم تضطهده إذا نصبت حباثلها ؛ ولكنها كلما لمعت له ازداد منها بعداً ، وكلما تزينت له ازداد منها استيحاشاً ، وكلما تقربت إليه ازداد منها نفوراً .

قال : كيف كانت هيئته للموت وخوفه من الوقوف على حسيب النفوس وديانها ؟

قال : كان إلى الموت مشتاقاً ، ولما بعده مرتجياً .

قال : ولم ذاك ؟

قال : لأنه افتدى نفسه بالدنيا ، وفك رهنه بالبر ، وباع نفسه بالآخرة ؛ فسعى الحكيم لآخرته ، واشترى^(١) النعيم الباقي بالنعيم المنقضي ، وصار الموت عنده نجاة من الحبس ، لا يسلبه الموت شيئاً مما تقدم من الخير وتزود من الحسنات .

قال : فما أغلب طباعه عليه ؟

قال : الرحمة لكل أحد ، والكف عن أذى كل أحد ، والاحسان إلى كل أحد ، وتوقير^(٢) أهل العلم والحكمة ، وبذل فوائد الخير للمستفيدين ، وشكرهم

على تعلم الحكمة [١١١٧] والاستفادة والسؤال والطلب ، وكان يقول : ضمنُ الرجال^(١) بالعلم والحكمة المُقَرَّبِينَ إلى السعادة من أشد القسوة وأعظم الأثم .
قال : فكيف تركت أهل البلاد ؟

قال : استل الجهل سيفه ، وأفلت من إساره ، وعز بعد ذله ، وفغر الحرص فاه متوقداً متضرماً مستولياً غالباً ، فتغلب مُخْشَاة^(٢) الناس ودهماؤهم على الحكماء والعلماء الصالحين فأذلّوهم وهجروهم ؛ وانقطعت^(٣) مواد العقول ، وضمرت النفوس ، ودخل الحزن علينا ، فنحن متبددون من أيدي الجهال ، منتشرون في عيش كدر .

فبكى عند ذلك الإسكندر ، وقال : صابرنا وجهدنا في طلب هذه الدنيا الغرارة ، وصابر العلماء وجهدوا في رفضها : أبرا أن يقبلوها ، وأبيننا أن نرفضها فرغبنا فيما زهدوا فيه ، وزهدوا فيما رغبنا فيه ، فأعقبهم فعلهم سروراً دائماً ، وأعقبنا فعلنا حزناً طويلاً ، فأصبحنا نرثي لأنفسنا ونغبطهم ، ونبكي لأنفسنا^(٤) ونفرح لهم . فالويل والثبور لمن سلبت منه الدنيا^(٥) وجميع ما جمع فيها ونَصِبَ في ادخاره منها ولم يدرك الآخرة .

..

قال سقراط : الرجال أربعة : جواد ، وبخيل ، ومُسرف ، ومقتصد . فالجواد من أعطى نصيب دنياه لنصيبه من آخرته ؛ والبخيل هو الذي لا يعطى واحداً منهما نصيبه^(٦) ؛ والمُسرف الذي يجمعهما لدنياه ؛ والمقتصد^(٧) هو الذي يعطى كل واحد منهما نصيبه .

وقال أيضاً^(٨) : إذا كان العقل صحيحاً والفهم قوياً ، كان يسير التجربة له كثيراً . وأما قوة الأبدان فأنما جعلت قسماً لمن لاحظ له من العقل ، بمنزلة البهائم .

(١) ط : الرجل .

(٢) الخشاعة من الناس : سفلتهم ودونهم .

(٣) ص : فانقطعت .

(٤) ونغبطهم ، ونبكي لأنفسنا : ناقصة في ط .

(٥) الدنيا : ناقصة في ص . (٦) ط : نصيبهما .

(٧) ط : والمقتصد الذي يجمعهما يعطى كل واحد ...

(٨) أيضاً : ناقصة في ط .

وقال أيضاً (١) : الجاهل إن نطق أخطأ ، وإن [١١٧ب] سكت أخطأ ،
وإن رأى عجز ؛ وإن سلك ضل جداً (٢) .
وقال أيضاً (٣) : الرخاء يبطر ، والبلاء يؤدب .

∴

قد أتينا على كثير من حكم الفرس والهند والعرب والروم . ولسنا نطمع
في استيعاب الجزئيات من الحكم . فلنقتصر (٤) على ما ذكرناه ، ليترد متسقاً
على أسماع الأحداث والمبتدئين المتصفحين لهذه الحكم (٥) الإلهية .

(١) أيضاً : ناقصة في ط • (٢) جدا : ناقصة في ط •
(٣) أيضاً : ناقصة في ط • (٤) ص : فلنقتصر •
(٥) لهذه الحكم الإلهية : ناقصة في ط و س •

< حكم الاسلاميين >

وهذه حكم للمحدثين من الفلاسفة والعلماء والملججين (١) في طلب (٢) العلم من الاسلاميين : برزوا في الحكمة ، وجمعوا حكمة المتقدمين إلى حكمة المتأخرين ، ووصوا بوصايا فاضلة على كثير مما تقدم . فأفردت (٣) لها هذا الباب لأختم به الكتاب ، إن شاء الله (٤) تعالى .
فن ذلك وصية (٥) :

يا طالب الحكمة ! طهر لها قلبك ، وفرغ لها لبك ، واجمع إلى النظر فيها همتك . فان الحكمة أعظم المواهب التي وهبها الله لعباده ، وأفضل الكرامة التي أكرم الله بها أوليائه ؛ وهي (٦) المال الذي من أحرزه استغنى به ، ومن عدمه لم يغنه شيء سواه ، والصاحب الذي من صحبه (٧) في عمره لم يستوحش معه ، ومن فارقه لم يسكن إلى أحد بعده . هي (٨) للقلوب كالقطر للنبات ، ومن العقول بمنزلة الضياء من الأبصار . بطنت (٩) الحكمة لكل شيء ، وظهرت عليه ، وعلت فوقه (١٠) ، وأحاطت به : فلها بكل شيء خير (١١) ، وعندها على كل خير (١٢) شهادة . ومن أعظم شأنها أنها (١٣) ليس أحد إلا وهو منتحل اسمها ومترين بها ؛ ولا حاجة بها إلى انتحال (١٤) شيء غيرها ، ولا التزين بغير زينتها . فان كنت من حملتها ففرغ لها قلبك ، وارفع إلى النظر فيها همتك (١٥) ، فإنها أطهر من

-
- (١) الملججين : أى الملحجين .
(٢) طلب : ناقصة في ط .
(٣) ط : فافترزت .
(٤) ط : ان شاء الله ، وهو حسبي ، س : ان شاء الله تعالى وحده العزيز ، ولا حول ولا قوة الا به .
(٥) وردت هذه الوصية في ترجمة مسكويه في « منتخب صوان الحكمة للسجستاني » منسوبة الى مسكويه نفسه (مخطوط مصور بدار الكتب المصرية رقم ٦٦٤٣ ح ، لوحة ١٦٤ - ١٦٨) .
(٦) في « المنتخب » : هي .
(٧) في « المنتخب » : من صحبتها لم . . .
(٨) ص : وهي . - في « المنتخب » : كالقطرة .
(٩) ص : وطيب .
(١٠) وظهرت عليه : ناقصة في ص .
(١١) ص : خير . (١٢) في « المنتخب » : على كل شيء شهادة .
(١٣) « المنتخب » : أنه . (١٤) ص : الانتحال .
(١٥) « المنتخب » : فهمك .

أن تجميع دنساً ، وأنزله من أن تخالط قدراً . فقد (١) رأينا من أراد الغرس في أرضه [١١٨] يبدأ فيقلع ما فيها من غرائب النبات ، ثم يأتي بكرائم الغرس فينصبه فيها . وكذلك من طلب الحكمة ورغب في اقتنائها ، فهو حقيق بأن يبدأ بما في قلبه من أضواءها فيمحقها ويظهر منها مثل الهوى والشهوات المردية (٢) ، ومثل الحقد والحسد ومحبة الكرامة والتبرع إلى الغضب ، وأشباه هذه الأشياء . فاذا تطهر منها استقبل الحكمة فأخذ منها (٣) ما استطاع . فاذا أظفرك الله بالحكمة وزرع فيك (٤) بذرها فلا يكون زارع أولى بالقيام على زرعه منك ، ولا يمنعك بعد غورها (٥) وكثرة أشباهها منها ، فانها من المعونة على نفسها مثل الذي بالشمس للإبصار على استنباتها والاستبانة لها . فمن صح بصر نفسه ثم وصل بما صح منه إلى ما يرد عليه من الحكمة ، أوراها شئ من الأمور لم يمنع ما فاتته منها أن يسمى حكيماً ، ويلحقه ما ظفر به بالحكماء ، كما لا يمنع البصر ما فاتته من المبصرات من أن يدعى بصيراً ويلحقه بالبصراء . فاذا صح لك من عقلك (٦) ما تعرف به وجوه الحكمة وترغب به في الخير وتميز بينه وبين الشر ، فليس بشهادة الناس ولا بما (٧) يسمونه حكمة تكون حكيماً ، ولا بعقولهم تعدد من العقلاء ، ولا بسائر ما يثنون (٨) عليه من ودهم ونصائحهم تكون فاضلاً . وإنما الناس رجالان : رجل لا خير فيه جاهل بحقيقة الحكمة فليس ملتفتاً إليه ، ورجل من أهل الحكمة لا يمتنع (٩) مما سهل الله (١٠) لك به سبيل الخير ، بل يبذله لك ، لأنه ليس يباع بضمن ولا يمنع من طالب ، ولا يكتتم كاستتمام الذنوب . واعلم أن العقل متوجه أينما وجه (١١) له ؛ وله غناء أينما صرف ، وبعض مصارفه [١١٨ ب] أنفع من بعض : فاذا صرف إلى الدين أحكمه وتفقه فيه ، وإذا (١٢)

(١) ط : وقد . - وكذلك في « المنتخب » .

(٢) ط : فيبدأ . (٣) المردية : ناقصة في ط .

(٤) ما : ناقصة في ط . (٥) ط : قبل .

(٦) ط : عودها . (٧) ص : عقلك .

(٨) ص : ولا . (٩) ص : عليهم .

(١٠) ص ، « المنتخب » : ما . (١١) ص « المنتخب » : له به .

(١٢) له : ناقصة في « المنتخب » . (١٣) ص : فاذا .

صرف إلى الدنيا أغنى بها واحتال فيها . فليس مستودعاً شيئاً إلا حفظه ، ولا مصبوغاً بصبغ إلا قبله ، ولا محملاً رشداً ولا غياً إلا تحمله^(١) . فإياك أن تعدله^(٢) عن رشد ، أو تصرفه إلى غى عامداً أو مخطئاً ، فانك لست محكماً به شيئاً من أمر دنياك إلا أضعت به أكثر منه من أمر دينك^(٣) ، ولا حافظاً به شيئاً من الأدب غير النافع^(٤) إلا أضعت به أكثر منه من نافع الأدب . غير أنك تجمع^(٥) إلى ضياع العناية بما لا ينفع استيجاب التبعة فيما أضعت . وليس شيء من أمر الدنيا صرفت إليه عقلك فأحكمته إلا سيعود محكمه عن وشيك ضائعاً وصالحه فاسداً ، لا يصحبك منه شيء في آخرتك ، ولا يثبت ببقائه لك في دنياك . وإنما وهن أمر صاحب الدنيا^(٦) وبطل سعيه لأنه بنى في غير داره وغرس في غير أرضه ، فلم^(٧) يكن له حين جاء من يشخصه إلا أن ينقضه ويدعه لغيره . ومن أخطأه العقل ظهر به الحمق والبله . ومن صرف عقله إلى غير الحق ظهر به الدهي^(٨) ، وبعض الدهي أبلغ في الشر من كثير من الحمق . وإنما القصد في ذلك أن يصاب الحق ، ثم لا يصرف به عن جهته .

اعلم أنه من غابت الحكمة عن عقله عجز عن إنفاذ الأمور كما تعجز العين الصحيحة عن رؤية الأشياء عند فقد الضياء . ولا يسلم له حق ، وإن حسنت ولايته ؛ وذلك أنه كان جواداً ، أفسد جوده التبذير وسوء موضع الصنعة . وذلك^(٩) أنه يصرف العطية إلى من لا حق له مع منع ذوى الحق ؛ وإن كان بليغاً أفرط في القول وأخطأ^(١٠) البغية ؛ وإن كان عالماً أفسد علمه العجب^(١١) ؛ وإن كان^[١١٩] حليماً أفسد حلمه الذل والمهانة ؛ وإن كان صموتاً أضر بصمته

(١) تحمله : ناقصة في ط • (٢) « المنتخب » : تعدل •

(٣) دنياك ... أمر : ناقصة في ص •

(٤) « المنتخب » : نافع • (٥) « المنتخب » : جمع •

(٦) « المنتخب » : الدنيا • (٧) « المنتخب » : ولم •

(٨) الدهي : الدهاء •

(٩) وذلك أنه : ساقطة في « المنتخب » •

(١٠) ط : بليغاً أخطأ البغية وأفرط في القول •

(١١) العجب ... حلمه : ناقصة في « المنتخب » •

الحي ؛ وإن كان ليناً بلغ لينة الضعف . فمن فقد الحكمة من أهل الخصال الحسنة ضاعت خصاله ، ومن فقدوها من غيرهم هلك كل الهلاك .

فأما (١) أنت ! فلا تحمدن نفسك (٢) على صدق في غير دين ، ولا تكن غاية الصدق في نفسك أن تقول بما رأيت وسمعت : فإن أكثر ما ترى غير نافع ، وجل ما تسمع كذب . ولا تكتفين مع ذلك من القول بالحق في الدين دون صدق النية وصواب الموضع (٣) ، وأعني بصواب الموضع أن ترغب في الأجر ، وتحصر على الخطوة فتنتق في غير موضع النطق ، أو تعطى من ينبغي أن تحرمه ، فإن إعطاء الفاجر تقرية له على الفجور ، والنطق عند الجاهل إغراء له بجهله وحمل له على عداوتك — وكذلك جميع الفضائل إذا لم تستعمل في مواضعها ضرت . لا يرضينك من نفسك براءتك من ذنوب تركتها عجزاً عنها أو حياءاً منها أو رغبة عن أسبابها . ولا تعدن مع ذلك تركك لها على تلك الوجوه تركاً ، ولا براءك منها (٤) براءة ، فانه ليس بينك وبين مقارئة (٥) ما تركت إلا أن يمكنك أو يخفى لك . واعلم أنه لا حمد لك في تركها إلا بعد القدرة عليها والاستمكان منها . فانه من كان شأنه (٦) ترك الذنوب مع القدرة عليها حمد على البراءة منها ومن لم يقدر عليها أو تركها لبعض ما ذكرناه من الحياء أو لئزاهة وكان من نيته ركوها إذا زالت تلك الأعراض ، لم يبرأ من مذمته . وإن استطعت ، مع ذلك ، أن تكون ، فيما امتنع [١١٩ ب] منك من عمل الخيرات ، على حال يعلم الله أنك إن قدرت عليه أمضيت العمل به فافعل ، فانك إذا كنت كذلك ثبت لك العذر بما تركت . وحق لك الأجر بما نويت (٧) . وإن عجزت عن إصلاح نفسك بجميع (٨) الوصايا الحكيمة فلا تدع أن تأمر به غيرك ؛ فانك (٩) إذا أطعت شاركت في الأجر من أطاعك ؛ وإن عصيت لم يخطئك ثواب ما نويت .

-
- (١) « المنتخب » : وأما . (٢) على صدق : ساقطة في ص و ط .
(٣) « المنتخب » : الموضع — كليهما . (٤) « المنتخب » : منه .
(٥) « المنتخب » ، ص : مفارقة . (٦) « المنتخب » : من .
(٧) الواو ناقصة في ط و « المنتخب » .
(٨) ص : فجميع .
(٩) ط : ان . — « المنتخب » : فان أطعت شرك .

واعلم أن نفس الانسان قد وضعت بحيث^(١) تكثر آفاته بين أعدائه ؛ فان هاج به الحرص أهلكه الطمع ، < وإن هاج به الغضب أهلكه الغيظ >^(٢) ، وإن عرض له الخوف شغله الحذر ، وإن أصابه نعيم دخلته العزة^(٣) ، وإن كفى بالغنى أطغاه المال ، وإن عضته الفاقة شغلته المهانة ، وإن رزق الكفاية عرض له الكسل ، وإن أجهده الجوع قعد به الضعف ، وإن أفرط في الشبع كظته البطنة . فكل إفراط له مفسد ، وكل تقصير به مضر . فخير أحواله أن يقصر به عن الغنى ، ويدفع عنه الفاقة ، ويصرف عنه الطمع ، ويبذل له الكفاف ، ويمنع من الكثرة ، ويقتصر به على القوت ؛ ولا يزال من أمره على قصد بين الغلو والنقصان .

إن كنت عرفت الهوى وعداوته للعقل ، فقد علمت أنه بعد درك العلم والتعب بالأدب الصالح ، يأتي ألا ركوب ما يشتهى ، والتثاقل عما لا يشتهى . فاذا رأيت منازعته إلى مضارّك ، وتثاقله عن منافعك ، فقابله بالورع ، فان الورع من قبل النية الثابتة والتمسك بالدين القيم . ومن عرف نفسه بالنية السيئة فليس يأمن الانقياد للهوى ، والانقياد للهوى استسلام ، والاستسلام هلكة . [١١٢٠] ولكن الرأي له إصلاح النية بالورع والدين ، وأن يجاهد بأحسن أخلاقه أسوأها جهاداً شديداً حتى يظفره الله — عز وجل^(٤) — بها وينتاشه منها ، إن شاء الله^(٥) عز وجل .

من يحتل^(٦) قلبه من مخافة خالقه لا يزال من أكثر خلائقه مرعوباً .
من كان ميله إلى غير رضا الله عز وجل كان ذلك الشيء هو الذي يهلكه .
ينبغي للعاقل أن يحفظ ما يحكم عليه عقله ويتقيه حتى لا يتسلط عليه

(١) « المنتخب » عبث لكثير آفاته (!) .

(٢) الزيادة في « المنتخب » .

(٣) « المنتخب » : العزة (!) .

(٤) عز وجل : ناقصة في ط .

(٥) الله : ناقصة في ط و « المنتخب » .

(٦) « المنتخب » : نحل ٠٠٠ مرغوبا .

النسيان ، بأن يديم تعهده . وقد سمي قوم من أهل (١) الحكمة إدامة نظر العقول (٢) إلى ما حصلت ذهنًا .

وقال : إن الذهن لا ينام ولا يغفل ولا يسكن ولا يغيب عنه عقله ولا يحتاج إلى تذكير ؛ وهي هذه الدرجة العليا التي بها (٣) يشبه من كانت فيه الملائكة والأرواح ، لأن العقل للبشر والذهن للملائكة ، فلذلك لا يعقل الانسان الشيء إلا بعد التفكير والتطلب والتمييز (٤) . وأما الملائكة فانها تنظر بالذهن كما ننظر نحن (٥) بالعين ، بلا حاجة إلى تفكير وتمييز وتطلب .

فصل

في الذكر جلاء صبدأ القلوب ، وتنبيه عن وسن النفوس ، وشجذ لما كل من الأفهام ؛ ولا سيما إذا استمع له السامعون باقبال من القلوب على تفهمه وصدق إرادة هدايته ، وعزم على الانتفاع به ، وتلق له بقبوله ، والدوام عليه . وللذكر ، على كثرة مناقبه وحسن مآدحه ، معارضات تحاول سلبه وتهجينه عند أهله ، يكثر عددها . فأحدها الإياس من إدامته ، والتزهيد في القليل منه ، إذا لم يكن سبيل إلى إدامته — يحاول بذلك الشيطان قطع الذكر [١٢٠ب] وإبعاده عن المسترشدين . ولكن الله — تعالى وتقدس — قد وهب لكل ذى عقل قوة يستعين بها على دفع هذه المكائد من الشيطان ، فانه قل مكتسب (٦) من العلوم إلا له ما يوضحه ، وقل (٧) مشتبّه إلا فيه بصائر يعطاه مستحقه وطالب الحق منه ، وقل مستغلق إلا له مفتاح يعطاه أهله حجة من الله تعالى ليكون بعضه وصلة إلى بعض فيفهم المكتوم بالمكشوف ، والبواطن بالظواهر . فعارضوا هذه

(١) من أهل الحكمة : ناقصة في « المنتخب » .

(٢) ط : نظر العقل الى ما حصله .

(٣) بها : ناقصة في ط .

(٤) هذه التفرقة هنا بين العقل والذهن تسترعى النظر . فالعقل هنا

يناطر intelligence أو Vernunft ، والذهن يناطر intuition .

(٥) نحن : زيادة في « المنتخب » .

(٦) ص ، ط : نهما اكتتم . (٧) ص : قل ما اشتبه .

المكيدة بأن تعلموا وتقولوا لأنفسكم : أن رب موهوب له نفع الذكر ، ومتنبى بشمرته من غير استدامة له ؛ وتزود القليل المرجو نفعه أقرب إلى الدرك من تعطيل الذكر كله . واعلموا أن مخالف هذه الغوائل وأنياب هذه المكائد ، وإن كثر تعاونها ، يكللها أدنى جنة تتلقى بها ويفلها أيسر متبرس بالعلم ؛ إن كيد الشيطان كان ضعيفاً . ومن أكبر معارضات الذكر مكيدةٌ وأشدّها على أهلها مؤونةٌ وأحجبها لهم عن المعادة أن يتصل بالذكر تكبير لمعصية كنتم تنطون على الرخصة فيها ، أو فطام النفس عن عادة في محرم كنتم تدعون تهوينه ، أو تغليظ في إصرار كنتم لا تخافونه ، أو الإخافة من ذنب كنتم استشعرتهم الأمن من عقابه ، سيما إن أعان على طمع النفوس تأول آية على غير تأويلها ، أو رجاء في موضع يأس^(١) من دركها ، أو استهانة في موضع عزيمة في مثلها — هنالك تجادل النفس عن أهوائها بتلك الشبهات ، وتذب عن شهواتها بتلك الأغاليط ؛ ويحملها ذلك على إنكار حق^[١١٢١] تسمعه ، وقبول باطل تميل إليه لتقيم على محرم ألفته وأمنية تركز إليها . وليس يتحرز من هذه المكيدة ونظائرها إلا بمعقل العلم وبصائر البرهان؛ ولا تُرتقى تلك المعقل إلا باستشعار التواضع ومهاجرة الأهواء وتجريد العزيمة وإيثار المصدق .

فأما الفكر فهو مفتاح كل علم ، ومستنبط كل حكمة ، وكاشف كل مستور ، واقتباس من نور الله ، وتزود من كل فائدة ، وشحن للعقول المستهمة ، وتدارك للحظوة الغائية^(٢) ، وبحث عن الكنوز المذخورة . فأحيوا بالفكر موات الهمم ، واجتهدوا^(٣) بها دفاثن الحكم ، واكشفوا ضباب الغفلة ، وحادثوا صقال النفوس .

أعازنا الله وإياكم من مواقف الشبهات ومسالك الشهوات ، إنه كريم جواد لطيف بالعباد .

(١) يأس . . . موضع : ناقص في ط .

(٢) ص : الفانية .

(٣) اجتهد البئر : نقاها أو نزحها : أى : استخرجوا .

فصل

إن النفوس ، وإن غمضت مواضعها ، وخفيت أوعيتها ، ولطفت مسالكها - فهي أوعية حكمة لا تعدو معادن خيرات لا تنزح ، وخزائن عجائب لا تحصى . ثم هي مدبرة الأبدان وجوارحها ، والقائمة على سياستها ، والمسلطة على استخدامهما وهي المعطاة خزائم الأجساد المطيعة لها ، وهي المملكة تصريف أعنتها . إليها تنتهى الجوارح بأعمالها ، وإليها تؤدي مكاسبها وتنتظر فضلها فيما توصل إليها من المعارف بالحواس ، وعنها تصدر الأقضية ، وإليها يأوى الحصول متصلة بالالهام والتأييد وقبول التوفيق . ولذلك قصدت إليها مكاييد الشيطان ، وحشدت عليها غوائل المغتالين ؛ فليس يضرها نقص المشاعر مع تمامها ، ولا وهن الجوارح على قوتها ، ولا تخاذلها مع انتصارها [١٢١ب] ، ولا غفلتها مع تحفظها . فلا تغيبوا عن معارك النفوس فيستولى عليها ^(١) عدوكم ، ولا تعطلوا أفهامكم عن مشاركة سرائركم فتفسد علانيتكم ، ولا تخلوا منها مقام عقولكم فتستباح حرائكم ، فان حرائم النفوس أضرب استباحة ، والغلبة عليها أنكأ جراحة ، وسباؤها أعظم ترة ، وأسرها أعسر فكأكأ ، وأودها أبطأ استقامة ، وغصبها أكبر ^(٢) مرزية .

رب حيرة أدخلها على القلوب تقصيرها في العلم ، وإدهانها ^(٣) في الرخص ، وتمينها ^(٤) في العبادة ، واحتجابها عن استماع الحجة ، وتصاممها ^(٥) عن منادى الحقيقة ، وتعاشيها دون برهان البصيرة . وليس كل عطية من الله استجابة ، ولا كل هبة مرضاة . وهذه ثلثة يدخل منها الشيطان ، ولم يخلها الله تعالى ^(٦) من إقامة حجة بازائها ، وتحصين لإعوارها ، وإنهاض لصرعها . والسلام ^(٧) !

(١) عليها : ناقصة في ط .

(٢) ص : وعصبيها أكرم ربة .

(٣) الادهان : المصانعة والنفاق والمواراة .

(٤) التمين : الكذب والتمويه والتضليل .

(٥) ط : تصاممها .

(٦) تعالى : ناقصة في ط .

(٧) والسلام : وردت في س و ص ، ولم ترد في ط .

آداب ابن المقفع ووضاياه

واسمه داذبه بن داذ حشنس^(١) ويسمى بعبد الله

قال (٢) :

يا طالب الآداب^(٣) ! اعرف الأصول والفروع ، فان كثيراً من الناس يطلبون الفروع مع إضاعة^(٤) الأصول فلا يكون دركهم دركا^(٥) . ومن أحرز الأصول اكتفى بها^(٦) . فان أصاب الفرع^(٧) بعد إحراز الأصل فهو أفضل .

فأصل^(٨) الأمر في الدين أن تعتقد^(٩) على الإيمان ، وتجنب الكبائر وتؤدى الفرائض^(١٠) . فالزم ذلك لزوم من لا غناء به عنه طرفة عين ومن

(١) ص : داذ حشنس ، وما أثبتناه عن س و ط .

(٢) هذا الفصل مأخوذ من الكتاب المسمى « الأدب الكبير » ، وقد نشره أحمد مفتاح في « مفتاح الأفكار » (سنة ١٣١٤ هـ) ، وأحمد زكى باشا (سنة ١٩١٢ م) ، ومحمد حسن المرصفي (سنة ١٩١٣ م) والأمير شكيب أرسلان . ونشره كرد على في « رسائل البلغاء » (ط ١) سنة ١٩٠٨ ، ط ٢ سنة ١٩١٢ ، ط ٣ سنة ١٩٤٤) عن نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ١٩٦٦ أدب ، وأخرى بدار الكتب المصرية برقم ٥٧ أدب . وسنشير هنا الى اختلافات القراءة بين هاتين المخطوطتين وبين مخطوطات كتابنا ، وسيتبين أن هذه الأخيرة أفضل كثيراً مما في مخطوطات « الأدب الصغير » على أنه يلاحظ أن ثمت خلافا في ترتيب الفقرات بين ما ورد هنا وما ورد في « الأدب الكبير » برقم ١٩٦٦ وسنشير اليه بالحرف د ، ثم ما ورد في « رسائل البلغاء » . وابتداء الكلام هنا وارد في « رسائل البلغاء » (ط ٣ سنة ١٩٤٤) في ص ٤٢ س ٣ - ص ٤٣ س ١١ .

(٣) كذا في ص و س ؛ وفي ط : العلم . وفي د : يا طالب الأدب ! اعرف الأصول ثم اطلب الفصول .

(٤) ط : اضافة . وفي د : يطلبون الفصول مع اضافة الأصول .

(٥) دركا : ناقصة في « رسائل البلغاء » ، مع أنها وردت في د .

(٦) د : بها عن الفصول .

(٧) في « رسائل البلغاء » : الفصل ، وكذا في د .

(٨) فأصل : ناقصة في ص .

(٩) د : تعتقد .

(١٠) د : الفريضة .

يعلم أنه (١) من حرمه هلك . ثم إن قدرت أن تجاوز ذلك إلى الفقه والعبادة فهو أفضل . + وأصل الأمر في إصلاح الجسد ألا تحمل عليه في المأكل والمشرب والباءة إلا حقاً . ثم إن قدرت أن تعلم [١٢٢] جميع منافع الجسد ومضاره والانتفاع به (٢) فهو أفضل . + وأصل الأمر في البأس ألا يتحدث نفسك بالإدبار وأصحابك مقبلون على عدوهم . ثم إن قدرت أن تكون أول حامل وآخر منصرف ، في غير تضييع للحذر (٣) ، فافعل ، فهو أفضل . وأصل الأمر في الجود ألا تضن بالحقوق عن أهلها ؛ ثم إن قدرت على أن تزيد ذا الحق على حقه وتتفضل (٤) على من لا حق له فهو أفضل . وأصل الأمر في الكلام أن تسلم من السقط بالتحفظ ؛ ثم إن قدرت على بلوغ (٥) الصواب فهو أفضل . وأصل الأمر في المعيشة ألا تنفى (٦) في طلب الحلال ، وأن تحسن التقدير لما تنفق (٧) ، ولا تغرنك من ذلك سعة تكون فيها — فإن أعظم الناس في الدنيا خطراً أحوجهم (٨) إلى التقدير والملوك (٩) أحوج إليه من السوق ، لأن (١٠) السوق قد تعيش بغير مال ، والملوك (١١) لا قوام لهم إلا بالمال ؛ ثم إن قدرت على الرفق واللفظ في الطلب والعلم بالمطالب فهو أفضل .

وإن (١٢) ابتليت (١٣) بالسلطان فتعوذ بالعلماء ، واعلم أن من العجب أن الرجل يبتلى بالسلطان فيريد (١٤) أن ينقص من ساعات نصبه وعمله فيزيدها في ساعات دعوته وهو (١٥) وشهوته . وإنما الرأي له والحق عليه أن يأخذ لعمله (١٦)

(١) ص : أنه ، وكذا في د .

(+ ... +) ما بين العلامتين ساقط في د .

(٢) ط : بذلك . (٣) د : للحزم فهو أفضل .

(٤) د : وتطول . (٥) ص : بارع .

(٦) د : عن . (٧) د : لما تغير وتنفق .

(٨) الى : ناقصة في ص . (٩) ص : فالملوك .

(١٠) د : فان . (١١) د : وان الملوك ... لها ...

(١٢) الواو ناقصة في ط .

(١٣) في « رسائل البلغاء » ص ٤٤ س ٥ — ص ٤٥ س ٥ .

(١٤) ص : فزيد أن . (١٥) د : وشهوته .

(١٦) د : بعمله .

من جميع شغله حتى يأخذ (١) له من طعامه وشرابه وتوممه وحديثه ولهو ونسائه .
فان تقلدت شيئاً من أمور (٢) السلطان ، فكُن فيه أحد رجلين : إما رجلاً
مغتبطاً به فحافظ عليه مخافة أن يزول (٣) عنك ، وإما رجلاً كارهاً له (٤) :
فالكاره عامل في سخرة : إما للملوك إن كانوا هم سلطوه ، وإما لله إذ ليس فوقه
شيء (٥) . وقد علمت أن (٦) من فرط في سخرة الملوك [١٢٢ب] أهل كوه ؛
فلا تجعل للهلاك على نفسك سبيلاً .

وإياك (٧) إن كنت والياً أن يكون من شأنك حب المدح والتزكية ،
وأن يعرف الناس منك ذلك (٨) فيكون ثلثة من الثلم يتقحمون عليك منها ،
وباباً يفتتحونك (٩) منه ، وغيبة يغتابونك بها ويضحكون منها .

واعلم أن قابل المدح كمدح نفسه ، والمرء يجب (١٠) أن يكون حبه للمدح
هو الذي يحمله على رده ، فان الرادَّ له ممدوح ، والمقاتل له (١١) معيب .

لتكن (١٢) حاجتك في الولاية (١٣) ثلاث خصال : رضا ربك ، ورضا
سلطان إن كان فوقك ، ورضا صالحى من تلى عليه . ولا عليك أن تلهو عن
المال والذكر ، فسيأتيك منهما ما يَكْفِي ويطيّب . واجعل الخصال الثلاث
بمكان (١٤) ما لا بد لك منه ، والمال والذكر بمكان (١٥) ما أنت منه واجد بدأ .
لا يقذفن (١٦) في روعك أنك إن استشرت الرجال ظهرت منك الحاجة
إلى رأى غيرك ؛ فانك لست تريد الرأى للفخر به ، ولكنك (١٧) تريده

-
- (١) د : فيأخذ .
(٢) د : تزول عنه .
(٣) د : تزول عنه .
(٤) د : إذ كان ليس فوقه غيره .
(٥) د : إذا .
(٦) د : يستفتحونك .
(٧) د : به .
(٨) د : ثلاث .
(٩) د : ساقطة من د .
(١٠) د : ساقطة من د .
(١١) د : ساقطة من د .
(١٢) د : ساقطة من د .
(١٣) د : ساقطة من د .
(١٤) د : ساقطة من د .
(١٥) د : ساقطة من د .
(١٦) د : ساقطة من د .
(١٧) د : ولكنما .

للانتفاع به . ولو أنك مع ذلك أردت الذكر ، كان أحسن الذكرين وأفضلهما عند أهل (١) الفضل أن يقال : لا ينفرد برأيه دون استشارة غيره (٢) من ذوى رأى .

اعرف (٣) أهل الدين وأهل الفضل والمروءة ، فيكونوا إخوانك وأعوانك وبطانتك وثقاتك .

اعلم (٤) أنك إن تلتمس رضا جميع الناس تلتمس ما لا يدرك . وكيف يتفق لك رضا المختلفين ؟ وما حاجتك إلى رضا من رضاه الجور ، وإلى موافقة من موافقته الضلالة والجهالة ! فعليك (٥) بالتماس رضا الأخيار وذوى العقل ، فانك متى نصبت ذلك تضع عنك مؤونة ما سواه .

لتعرف (٦) رعيته أبوابك التى لا ينال ما عندك [١٢٣] من الخير إلا بها ، والأبواب التى لا تخافك خائف إلا من قبلها .

احرص (٧) كل الحرص على معرفة أخبار عمالك ، فان المسمى يفرق من خبرتك قبل أن تصيبه عقوبتك ، وإن المحسن يستبشر بعلمك قبل أن يأتيه معروفك . عود (٨) نفسك الصبر على من خالفك من ذوى النصيحة ، والتعرج لمرارة قولهم وعذلم ؛ ولا تسهل (٩) سبيل ذلك إلا لذوى العقل والسن ، لئلا ينتشر من ذلك ما يجترأ به عليك (١٠) سفيه ، أو يستخف له شائى (١١) .

(١) ط : أهل الذكر الفضل أن ...

(٢) غيره من : ناقصة فى ط و د .

(٣) فى « رسائل البلغاء » ص ٤٥ س ١٠ - س ١١ ، وفى د ورقة ٦ س ٦ - س ٨ هكذا : أعرف أهل الدين والمروءة فى كل كورة وقريه وقبيلة ، فليكونوا ...

(٤) فى « رسائل البلغاء » ص ٤٦ س ٧ - س ١٠ ؛ وفى د ورقة ٦ ب بعنوان : « فى التماس رضا الناس » .

(٥) ص : وعليك .

(٦) فى « رسائل البلغاء » ص ٤٦ س ١٣ - ص ٤٧ س ٢ ، وفى د ورقة ٧ س ٢ الخ .

(٧) فى د : احرص كل الحرص أن تكون خيرا بأمور عمالك .

(٨) فى « رسائل البلغاء » (ط ٣ ، القاهرة سنة ١٩٤٤) ص ٤٧ س ٦ - ص ٤٨ س ٧ ؛ وفى د ورقة ٧ ب س ١ الخ .

(٩) د : تسهلن ... لأهل العقل والسن والمروءة ، لكيلا ينتشر ...

(١٠) عليك : لم ترد فى د . (١١) د : ويستخف له بشأن .

لا تترك مباشرة جسم أمرك ، فيعود شأنك صغيراً ، ولا تلزم نفسك (١) مباشرة الصغير فيضيع الكبير (٢) .

اعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه للمهم ، وأن مالك لا يسع (٣) الناس كلهم فاخصص به أهل الحق ، وأن كرامتك لا تطبق (٤) العامة فتوخّ بها أهل الفضل ، وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجتك وإن أدابت (٥) فيها نفسك ، وأنه ليس لك إلى الإداب فيهما سبيل مع حاجة جسدك إلى نصيبه منهما ؛ فأحسن قسمتهما (٦) بين عملك ودعتك .

واعلم أن ما شغلت من رأيك في غير المهم أزرى بالمهم ، وما صرفت من مالك في الباطل فقدته حين تريده للحق ، وما عدلت به عن كرامتك إلى أهل النقص أضربك في العجز عن أهل الفضل ، وما شغلت من ليلك ونهارك في غير الحاجة أزرى بك في الحاجة .

اعلم (٧) أن من الناس خلقاً (٨) كثيراً يبلغ من أحدهم الغضب (٩) ، إذا غضب ، أن يحمله ذلك (١٠) على الكلوح والقطوب في وجه غير من أغضبه ، وسوء اللفظ لمن لا ذنب له ، والعقوبة لمن لم يكن يهْمُ بعقوبته ، وسوء المعاقبة باليد واللسان (١١) لمن لا ذنب له. ثم يبلغ منه [١٢٣ب] الرضا أن يتبرع بالأمر ذي الخطر لمن ليس بمثّلة ذلك عنده ، ويعطى من لم يكن يريد إعطاءه ، ويكرم من لا حق له ولا مودة .

(١) نفسك : ناقصة في ط .

(٢) د : فيصير الكبير ضائعاً . (٣) د : لا يغنى .

(٤) د : تطبق (بالياء المثناة التحتية) .

(٥) أدابت : أتعبت . أداب الرجل الدابة : أتعبها . - وفي د : ادابت منهما ، وأنه ليس لك الى ادابهما سبيل . . .

(٦) د : قسمهما .

(٧) في « رسائل البلغاء » ص ٤٨ س ٨ - ص ٤٩ س ٤ (حتى قوله : جائزاً في صفته) ، وفي د ص ٨ س ٢ من أسفل .

(٨) د : ناساً . (٩) د : يبلغ أحدهم من الغضب .

(١٠) ذلك : ناقصة في د .

(١١) د : لمن لم تكن تريد به الا دون ذلك . ثم يبلغ . . .

فاحذر هذا الباب الحذر كله ، لأنه (١) ليس أحد أسوأ حالا فيه من ذوى (٢) السلطان الذين يفرطون لمكان القدرة (٣) فى غضبهم ورضاهم ، وأنه وصف (٤) بهذه الصفة من يلتبس بعقله أو من يتخطه المس أن يعاقب فى غضبه غير من أغضبه ، ويحبو عند رضاه غير من أرضاه — كان ذلك جائزاً فى صفته .

اعلم (٥) أن الملوك ثلاثة : مَلِكُ دِين ، وملك حزم ، وملك هوى . فأما ملك الدين فانه إذا أقام لأهله دينهم — وكان (٦) دينهم هو الذى يعطيهم ما لهم ويلحق بهم الذى عليهم — أرضاهم ذلك وأنزل الساخط منهم منزلة الراضى فى الاقرار والتسليم . وأما ملك الحزم (٧) فانه يقوم بالأمر (٨) ، ولكن لا يسلم من الطعن والتسخط ، ولن يضر طعن الدليل مع حزم القوى . وأما ملك الهوى فلعب (٩) ساعة ودمار دهر .

إذا (١٠) كان سلطانك عند جدة دولة فرأيت أمراً (١١) قد استقام بغير رأى وأعواناً أجزأوا (١٢) بغير فضيلة ، وعملاً أنجح بغير حزم — فلا تغتر (١٣) بذلك ولا تستم إليه . فان الأمر الحديد مما يكون له مهابة فى نفس قوم (١٤) وحلاوة فى قلوب آخرين فيعين قوم بأنفسهم (١٥) ويبقى قوم بما قبلهم . ويستتب ذلك

-
- (١) د : فانه .
(٢) د : يفرطون باقتدارهم فى غضبهم .
(٣) ص : لو أنصف ووصف بهذه ... د : فانه لو ...
(٤) فى « رسائل البلغاء » ص ٤٩ س ٦ — س ١٢ : وفى د ورقة ١٩ بعنوان : « فى أصناف الملوك » .
(٥) د : وكان ... يعطيهم الذى لهم ؛ ص : فكان .
(٦) ط : حزم .
(٧) د : به الأمر ، ولا يسلم ... والسخط .
(٨) د : فلهو .
(٩) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٠ س ٢ — س ٧ : وفى د ورقة ٩ ب بعنوان : « فى التحذير عند جدة دولة بغير حزم » .
(١٠) قد : ناقصة فى د .
(١١) ص : أجروا . — وأجزأوا : أغنوا وكفوا . / وفى د : وأعوانا بغير نيل .
(١٢) د : يغرنك ذلك .
(١٣) د : أنفوس أقوام .
(١٤) د : على أنفسهم .

الأمر غير طويل ، ثم تصير الشؤون إلى حقائقها وأصولها . فما كان من الأمور
 بنى على غير أركان وثيقة ولا عماد مملكة (١) — أو شك أن يتداعى ويتصدع .
 ليتفقد (٢) الوالى — فيما يتفقد من أمور رعيته — فاقة الأحرار : فليعمل فى سدها ،
 وطغيان السفلة منهم : [١٢٤] فليقمعه ؛ وليستوحش من الكريم الجائع واللثيم
 الشبعان ، فانما يصول الكريم إذا جاع ، واللثيم إذا شبع .
 لا يحسدن (٣) الوالى من دونه ، فانه فى ذلك (٤) أقل عذراً من السوقة
 الذين يحسدون من (٥) فوقهم — وكل لا عذر له .

ليعلم (٦) الوالى أن الناس على دينه (٧) إلا من لا بال به منهم (٨) : فليكن
 للبر والمروءة عنده اتفاق (٩) ، فانه سيكسد بذلك (١٠) الفجور والدناءة فى مملكته .
 إن (١١) ابتليت بصحبة السلطان فعليك بطول المراقبة (١٢) من غير طول
 معاتبة ، ولا يحدثن لك الاستئناس غفلة ولا تهاوناً .
 إذا رأيت السلطان يجعلك أخاً (١٣) فاجعله سيدياً (١٤) ، وإن زادك فزده .

-
- (١) بنى : ناقصة فى ص و ط ، ووردت فى د / د : محكم .
 (٢) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٢ س ١٣ — س ١ : وفى د ورقة ١١ ب
 السطر الأخير — ورقة ١٢ س ٦ .
 (٣) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٣ س ٢ — س ٣ : وفى د ورقة ١٢
 س ٦ الخ .
 (٤) د : أقل فى ذلك .
 (٥) ص ، ط : السوقة الذى يحسد من فوقه .
 (٦) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٤ س ١ — س ٢ : وفى د ورقة ١٣
 س ٢ الخ .
 (٧) د : زيه ، الا القليل منهم .
 (٨) منهم : ناقصة فى ص .
 (٩) أى رواج / د : نفاق ، فستكسد ...
 (١٠) ص : بذلك عنده / د : الدناءة والفجور فى آفاق الأرض .
 (١١) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٤ س ٨ — س ١٠ (حتى قوله : زادك
 فزده) : وفى د ورقة ١٣ س ١٢ الخ .
 (١٢) د : فى .
 (١٣) أول ورقة ١٥٧ بعد نهاية ١٤٦ ب فى ط .
 (١٤) فى « رسائل البلغاء » : أبا ، ثم ان زادك / د : ثم ان .

وإن (١) وجدت من الوالى منزلة وثقة فاعدل عنه كلام (٢) الملقى ،
ولا تكثرن من الدعاء له فى كل كلمة ، فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة ،
إلا أن يكلمك على رؤوس الملائ (٣) ، فلا تأل ما عظمته ووقرته به .

إن (٤) ابتليت بصحبة وال لا يريد صلاح رعيته ، فاعلم أنك قد
خبرت بين خلتين ليس (٥) ولا واحدة منهما خياراً : إما الميل مع الوالى على
الرعية — فهذا هلاك الدين والمروءة (٦) ؛ وإما الميل مع الرعية على الوالى — فهذا
هلاك الدنيا والنفس (٧) — ولا حيلة لك إلا الموت أو الهرب .

واعلم أنه لا ينبغي لك — وإن كان الوالى غير مرضى السيرة — إذا أعلقت
حبلك بحبله إلا المحافظة عليه ، — إلا أن تجدد إلى الفراق الجميل سبيلا .

تبصر (٨) ما فى الوالى من الأخلاق التى تحبها له والتى تكرهها (٩) له ،
وما هو عليه من رأى الذى ترضى له والذى لا ترضى (١٠) ، ثم لا تكابر
بالتحويل (١١) عما يحب [١٢٤ ب] ويكره ، فان هذه رياضة صعبة تحمل على
الإباء (١٢) والقلى ؛ فانك (١٣) قلما تقدر على نقل رجل عن طريقته التى
هو عليها بالمكابرة والمناقضة وإن لم يكن ممن يجمع (١٤) به عن السلطان ، ولكنك

-
- (١) فى « رسائل البلغاء » ص ٦٥ س ٥ — س ٧ .
(٢) ص : بكلام ٠ / د : اذا نزلت من الوالى بمنزلة الثقة فاعزل عنه
كلام ...
(٣) د : الناس ، فلا تأل فى عظمته وتوقيره .
(٤) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٦ س ٥ — س ١٠ (حتى قوله : الجميل
سبيلا) ؛ وفى د ورقة ١٤ ب س ٩ الخ .
(٥) د : ليس منهما خيار .
(٦) والمروءة : ناقصة فى د .
(٧) الدنيا : ناقصة فى ص ؛ والنفس : ناقصة فى د .
(٨) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٦ س ١١ — ص ٥٧ س ٨ ؛ وفى د ورقة
١٥ س ٦ الخ .
(٩) د : التى تحب له والتى تكره .
(١٠) ص : لا ترضى له ؛ د : الذى ترضاه والذى لا ترضى .
(١١) د : بتحويله .
(١٢) تحمل ... القلى : ناقصة فى د .
(١٣) ص ، د : وانك .
(١٤) د : وان لم تكن ممن يحتج به عز (كذا ! ولعله : عند) السلطان .

قادر^(١) على تشييد الرأي وتقويته . فاذا قويت فيه (٢) المحاسن كانت هي التي تكفيك المساوى^(٣) ، وإذا استحكمت منه ناحية^(٤) في الصواب كان هو الذي يبصره الخطأ بالطف من تبصيرك وبأعدل^(٥) من حكمك ، لأن الصواب يعدل بعضه بعضاً ويدعو بعضه إلى بعض^(٦) . وإذا وجد مكانه اقتلع الخطأ من أصله . فاحفظ هذا الباب وأحكمه .

إن^(٧) استطعت أن تجعل صحبتك لمن قد عرفته وعرفك بصالح أخلاقك قبل ولايته فافعل ، فان الوالى يلقاه الناس كلهم بالتصنع ، وكل يحتال لأن يثنى عليه عنده بما ليس فيه ، غير أن الإدراك يتناول ذلك من الرذال والسقاط أكثر ، لأن هؤلاء أشد تصنعاً وأعظم تودداً ومثابة وتمحلاً فلا يمتنع الوالى ، وإن^(٨) كان بليغ الرأي والنظر ، من أن ينزل عنده كثير من الأشرار بمنزلة الأخيار^(٩) ، وكثير من الخيانة^(١٠) بمنزلة الأمانة ، وكثير من الغدرة بمنزلة الأوفياء ، ويتغنى^(١١) عليه كثير من أهل الفضل الذين يصرفون أنفسهم عن التصنع والتحمل^(١٢) .

لا^(١٣) تخبرن الوالى أن لك عليه حقاً ، وأنتك تعتدُّ عليه ببلاء ، وإن استطعت أن لا ينسى حقك وبلاءك فافعل . وليكن ما يذكره ذلك تجديدك^(١٤)

-
- (١) د : تقدر أن تعينه على أحسن رأيه وتسبب له منه وتقوية به .
 (٢) د : منه . (٣) د : فاذا .
 (٤) د : من . (٥) ط : وأعدل ، وكذا في د .
 (٦) د : لأن الصواب يؤيد بعضه بعضاً . فاحفظ هذا الباب وأحكمه .
 (٧) في « رسائل البلغاء » ص ٥٥ س ٦ - س ١٣ ؛ وفي د ورقة ١٣ ب س ١٢ الخ هكذا : « ان استطعت أن تجعل صحبتك لمن عرفك بصالح مروءتك قبل ولايته فافعل ، فان الوالى لا علم له بالناس الا ما قد علم قبل ولايته . فاما اذا ولى ، فكل الناس تلقاه بالتزيين والتصنع ، وكلهم يحتال لأن يثنى عليه عنده بما ليس فيه ، غير أن الأندال والأرذال هم أشد لذلك تصنعاً وعليه مثابة ، فلا يمتنع . . . » .
 (٨) ص : فان .
 (٩) الأخيار . . بمنزلة (الأوفياء) : ناقص في ط .
 (١٠) د : الخونة . (١١) د : يغطي .
 (١٢) د : والتجمل .
 (١٣) في « رسائل البلغاء » ص ٥٨ س ١ - س ٦ ؛ وفي د ورقة ١٦ س ١ الخ .
 (١٤) ذلك : ناقصة في ص و ط .

النصيحة له والاجتهاد ، وألا يزال ينظرو^(١) إليك بآخر يذكره الأول ؛ فان السلطان إذا انقطع عنه الآخر نسي [١٢٥] الأول ؛ وإن أرحامهم مقطوعة وجباهم مصرومة إلا عن رضوا عنه وأغنى عنهم في يومهم وساعتهم .

إياك^(٢) والعتب على الوالى واستزادته ، فان ذلك إن ظهر له كان قلبه أسرع إلى التعتب والتعزز من قلبك فيمحق ذلك حسناتك الماضية ، وأشرف بك على الهلاك ، وصرت تعرف نفسك مستدبراً ، وتلتبس رضا سلطانك مستصعباً .

اعلم^(٣) أن أحضر الناس عدواً مجاهداً وحزباً مناوئاً وزير السلطان ذو المكانة عنده^(٤) ، لأنه منفوس عليه مكانه كما يحسد^(٥) غير أنه يجترأ عليه ولا يجترأ على السلطان ، لأن من جاسديه أجباء السلطان الذين يشاركونه في المنازل والمداخل ، وهم وغيرهم أعداؤه ، وليسوا كعدو السلطان النائى عنه المكتم منه . وهؤلاء لا ينقطع طمعهم من الظفر به ، ولا يغفلون عن نصب الحبائل له . فاعرف هذه الحال ، والبس^(٦) لهم سلاحك بالصحة والاستقامة فيما تسر وتعلن ، ثم روح عن قلبك كأنه لا عدو لك ولا حاسد . وإن ذكرك ذاكر عند السلطان بسوء في وجهك أو في غيبك فلا ترين^(٧) الوالى ولا غيره

- (١) د : ينظر منك الى آخر يذكره الأول . واعلم أن السلطان . . .
- (٢) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٨ س ٧ - س ١٣ باختصار شديد ، وفى د ورقة ١٦ س ١٢ الخ هكذا : « إياك أن يقع فى قلبك تعتب على الوالى واستزادة له ، فانه ان وقع فى قلبك بدا فى وجهك اذا كنت حليماً ، وبدا على لسانك اذا كنت سفهاً . واذا ظهر ذلك للوالى كان قلبه أسرع الى التعتب والتعزز من قلبك فمحق ذلك حسناتك الماضية . . . »
- (٣) فى « رسائل البلغاء » ص ٥٩ س ١ - ص ٦٠ س ٤ ؛ وفى د ورقة ١٦ ب س ٨ الخ .
- (٤) د : « واعلم أن أضر الناس عدو مجاهر وزير الملك ذا المكانة عنده . . . »
- (٥) د : كما ينفس على صاحب السلطان ومحسود كما يحسد ، غير أنه . . . وفى ص : كما يحسد غيره الا أنه يجترأ . . .
- (+ ...) ناقصة فى د .
- (٦) د : « وتسليح على هؤلاء الأعداء كلهم بالصحة والاستقامة ولزوم الحجة فيما تسر وتعلن ، ثم روح قلبك . . . »
- (٧) د : فلا يرين منك الوالى . . .

اختلاطاً ، ولا يقعن ذلك في نفسك موقع ما يكرثك . فانه إن وقع منك ذلك الموقع^(١) أدخل عليك أشياء مشتهية مؤكدة لما قال فيك العائب . فان اضطرك الأمر في ذلك إلى الجواب ، فايالك وجواب الغضب والانتقام ، وعليك بجواب الوقار والحلم والحجة ، ولا تشكن^(٢) في أن الغلبة والقوة [١٢٥ب] أبداً للحلم^(٣) . لا تعدن^(٤) شتم الوالى شتماً ولا إغلاظه إغلاطاً ، فان ربح العزة قد تبسط اللسان بالغلاظ في غير سخط ولا بأس^(٥) .

جانب المسخوط عليه والظنين عند السلطان ، ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل^(٦) ، ولا تظهرن له عذراً ، ولا تثنين عليه بخير^(٧) عند أحد من الناس . فاذا^(٨) سكن غضب السلطان عنه ورجوت أن يلين له ، فاعمل في إظهار عذره على لطف ورفق شديد .

لا^(٩) تسارن أحداً من الناس ولا تهمس إليه بشيء عند السلطان ، فان السرار مخيل إلى كل من يراه من ذى سلطان وغيره أنه يراة به ، فيكون ذلك في نفسه حسيكة^(١٠) ووغراً .

-
- (١) ط : أدخل ، وكذا في د/ وفي ص : دخل .
 (٢) في : ناقصة في ص و د ، وموجودة في ط .
 (٣) د : للحلم أبداً .
 (٤) في « رسائل البلغاء » ص ٦٠ س ٧ - ص ٦١ س ١ ؛ وفي د ورقة ١٧ ب س ٣ الخ . (٥) ولا بأس : ناقصة في د .
 (٦) ولا منزل : ناقصة في د . (٧) د : خيراً .
 (٨) د « فاذا رأيته قد بلغ في الاعتبار فيما سخط عليه مما يرجو ان يلين له ، و أيقنت أن الوالى قد استيقن مباعدتك إياه وشدتك عليه عند الناس ، فضع عذره عنده ، واعمل في رضاه عنه في رفق ولطف » .
 (٩) في « رسائل البلغاء » ص ٦١ س ٩ - س ١١ مع اختلاف ظاهر ، وفي د ورقة ١٨ ب هكذا : « ليكن ما تحكم من أمرك أن لا تسار أحداً ، ولا تهش اليه بشيء عن السلطان أو بعينه ، فان السرار يخيل الى كل من رآه من ذى سلطان وغيره . . . »
 (١٠) ص : حسييلة ! والحسيكة (بفتح الحاء المهملة بعدها سين مكسورة) : الضغن والعداوة ، كالحساسة (بضم الحاء المهملة) ، والحسكة (بالحاء المهملة المفتوحة بعدها سين مفتوحة) - وغر : ناقصة في د .

تنكب فيما بينك وبين الوالى ، وفيما بينك وبين الإخوان (١) خلقاً قد عرفناه فى بعض الوزراء والأصحاب : من الادعاء عند ما يظهر من صاحبه من حسن أثر وصواب رأى أنه عمل فيه أو أشار به وإقراره بذلك إذا مدحه به ماح . وإن استطعت أن (٢) يعرف صاحبك أنك تنحله صواب رأيك فضلاً عن صوابه ، وتسندة إليه وتزيينه (٣) به ، فافعل . فان الذى أنت آخذ بذلك أكثر مما أنت معط (٤) بأضعاف .

إذا (٥) كلمك الوالى فأصغ إلى كلامه (٦) ، ولا تشغل طرفك عنه بنظر ، ولا أطرافك بعمل ، ولا قلبك بحديث نفس . واحذر هذه من نفسك وتعهدا فيها (٧) .

ارفق بنظرائك من وزراء السلطان وأخلائه فاتخذهم (٨) إخواناً ولا تتخذهم أعداءً بأن (٩) تناقشهم فى الكلمة إذا تقرّبوا بها ، وفى العمل يؤثرون به . فانما (١٠) أنت أحد رجلين : إما أن يكون عندك فضل على ما عند غيرك [١٢٦] فسيبدو (١١) ذلك ويحتاج إليه منك فيلتمس وأنت مجمل ، وإما ألا يكون عندك فما أنت مصيب من حاجتك عند الوزراء وأخلاء (١٢) السلطان بمقاربتك

(١) وفيما بينك وبين الاخوان : ناقصة فى ط ٠ - وهذه الفقرة فى « رسائل البلغاء » ص ٦٢ س ١ - س ٦ ، وفى د ورقة ١٨ ب س ٧ الخ .

(٢) ص : يعرفك / د : واحذر فيما بينك وبين الوالى . . .

(٣) وتزيينه به : ناقص فى ط .

(٤) ط : معطيه / د : تعطى أضعافا .

(٥) فى « رسائل البلغاء » ص ٦٣ س ١٣ - ص ٦٤ س ٩ ؛ وفى د ورقة ٢٠ ب س ١ الخ .

(٦) د : لكلامه .

(٧) ص : فيك / فيها : ساقطة فى د .

(٨) د : وجلسائه ، واتخذهم اخوانا . . .

(٩) د : ولا تنافسهم فى الكلمة يتقربون بها أو العمل . . .

(١٠) د : فأما .

(١١) ص : فسدوا لك / د فسوف يبدو ذلك ويحتاج اليه ويلتمس منك وأنت . . .

(١٢) ط : عند وزراء السلطان وأخلائه د : عند وزراء السلطان وجلسائه . . .

إياهم ولينك لهم من موافقتهم إياك ولينهم لك أفضل مما أنت مدركه^(١) بالمنافسة والمكابرة والمنافرة .

إذا^(٢) سأل الوالى غيرك فلا تكونن المحيب^(٣) ، فان استلاب الكلام خفة بك واستخفاف منك بالمسؤول والسائل . وليت شعري^(٤) ما أنت قائل إن قال لك السائل : « ما إياك سألت » ، أوقال المسؤول^(٥) : « دونك فأجب ! » وإذا لم يخص السائل فى المسألة رجلا واحداً وعم بها جماعة من عنده فلا تبادل بالحواب ولا تسابق الجلساء ، ولا توابب الكلام مواببة ، فان فى ذلك ، مع شين التكلف والخفة ، أنك إن سبقت القوم إلى الكلام^(٦) صاروا لكلامك خصماء فتعقبوه بالعيب والطعن . وإذا أنت لم تعجل بالحواب وخليته للقوم اعترضت^(٧) أقاويلهم كلها^(٨) فتدبرتها وفكرت فيها وفيما عندك منها ، ثم هيأت من محاسن ما سمعت جواباً رضيعاً ، ثم استدبرت به أقاويلهم حتى تصيخ إليك الأستماع وتهدأ عنك الخصوم . وإن^(٩) لم يبلغك الكلام حتى تكفى^(١٠) بغيرك أو إن^(١١) انقطع الحديث قبل ذلك فلا يكونن من العيب عندك ولا من الغبن فى نفسك فوت ما فاتك من الجواب ، فان ضيانه^(١٢) القول خير من سوء وضعه ، وإن كلمة واحدة من الصواب تصيب بها موضعها^(١٣) خير من أمثالها الكثيرة فى غير مواضعها ، مع أن كلام العجلة والبدار موكل به الزلل وسوء التقدير

- (١) د : مدرك بالمخاشنة والمكابرة والمنافرة .
(٢) فى « رسائل البلغاء » ص ٦٢ س ٧ - ص ٦٣ س ١٢ (حتى قوله : والحسد والمرء) ؛ وفى د ورقة ١٩ س ٥ الخ .
(٣) د : أنت المحيب عنه ، فان استلابك الكلام . . .
(٤) وليت شعري : ناقصة فى د .
(٥) د : المسؤول عند المسألة يعارضك فيها : دونك فأجب . وإن لم . . .
(٦) د : كلام . (٧) ص : أعرضت .
(٨) كلها : ساقطة فى د . - وفى د أيضاً : ثم تدبرتها وفترت فيما عندك هيأت من تفكيرك ومحاسن ما سمعت .
(٩) د : فان . (١٠) د : يكتفى .
(١١) ان : ناقصة فى د .
(١٢) د : فان ترك اصابة القول . . .
(١٣) د : تصيب موقعها خير من مائة كلمة فى غير فرصها ومواقعها .

وإن ظن صاحبه أنه قد [١٢١ب] أتقن وأحكم . وأعلم أن هذه الأمور لا تملك إلا برحب (١) الذرع عند ما قيل وما لم يقل (٢) . وذلك بأن لا تستعظم ما ظهر منك ، وما لم يظهر ، وبأن تسخو نفسك عن كثير من الصواب مخافة الخلاف والعجلة والحسد والمراء .

لا (٣) تجترئن على خلاف الناس (٤) بحضرة الوالى ثقةً باعترافهم لك ومعرفتهم بفضل رأيك ؛ فانا قد رأينا الناس يعترفون (٥) . بفضل الرجل ويتقادون له ويتعلمون منه وهم فى خلوة (٦) ؛ فاذا حضروا السلطان لم يرض أحد منهم أن يقر له أو يكون عليه فى الرأى والعلم فضل ، فاجترأوا عليه بالخلاف والنقض (٧) . فان ناقضهم صار كأحدهم وليس بواجد فى كل شىء (٨) وحين سامعاً فهماً وقاضياً عدلاً . وإن ترك مناقضتهم كان (٩) مغلوباً مردود القول .

إذا (١٠) أصبت عند السلطان لطف منزلة بغناء (١١) تجده عندك وهوى يكون لك فيه فلا تطمحن كل الطماح ، ولا تزينن لك نفسك (١٢) أن تدخل بينه وبين أليفه وموضع سره وثقته قبلك وتلمس أن تقتلعه وتدخل دونه ، فان

-
- (١) ص : بوجب . والرحب : السعة / د : برحب الذراع .
(٢) د : وعند ما لم يقل ، وقلة الاعظام لما ظهر من المروءة وما لم يظهر ، وسخاء النفس عن كثير من الصواب
(٣) فى « رسائل البلغاء » ص ٦٤ س ١٠ - ص ٦٥ س ٤ ؛ وفى د ورقة ٢١ س ٤ الخ .
(٤) د : أصحابك عند الوالى . . . (٥) د : يعرفون فضل
(٦) د : وهم أخلاء . . . لم ير واحد منهم أن يقر له وأن
(٧) د : والمناقضة .
(٨) شىء : ناقصة فى ط و د ، وواردة فى ص / سامعا : فى د : متابعا قيما قاضيا . . . (٩) د : صار مغلوب الرأى .
(١٠) فى « رسائل البلغاء » ص ٦٥ س ٨ - ص ٦٧ س ٤ ؛ وفى د ورقة ٢١ ب س ٢ الخ .
(١١) ط : بغناء نجدة / د : لغنى يجده عندك أو هوى يكون له فيك .
(١٢) د : نفسك مزاولة منزلة الثقة وموضع ثقته قبلك ، فتلمس أن تدخل دونه ، فان هذه

هذه خلة من خلال السفهاء (١) ، وقد يتبلى بها الحكماء (٢) عند الدنو من السلطان حتى يحدث الرجل منهم نفسه (٣) بأن يكون دون الأهل والولد لفضل بظنه بنفسه أو لنقص بظنه بغيره . ولكل رجل من الملوك أذى مُنة (٤) من السوق أليف وأنيس قد عرف (٥) روحه وروحه ، واطلع قلبه على قلبه ، فليست عليه مؤونة في تبذل (٦) يتبدله عنده ، أو رأى يستنزه منه ، أو سر يفشيه إليه . غير أن تلك الأنسة وذلك الإلف يستخرج (٧) من كل واحد [١١٢٧] منهما ما لم يكن ليخرج عند الانقباض والتشدد . فاذا كلفتك نفسك السمو إلى منزلة من (٨) قد وصفت لك فاقدها عن ذلك بمعرفة فضل الأليف والأنيس . وإذا حدثتكَ نفسك أو غيرك (٩) أنك أولى بالمنزلة عند السلطان (١٠) من بعض ثقاته وذوى أنسه فاذكر الذى عند السلطان من حق أليفه وأنيسه فى التكرمة والذى يجده عند الأنيس (١١) والأليف (١٢) مما ليس واجداً عند غيره ، فليكن هذا ما تحفظه على نفسك (١٣) وتعرف به عذر السلطان . والرأى لك فى نفسك مثل ذلك إن أردك مريد على الدخول دون أليفك وأنيسك وموضع ثقتك وسرك (١٤) وجدك وهزلك .

-
- (١) د : السفه .
(٢) د : العلماء .
(٣) د : أن .
(٤) د : أذى هيبة من ...
(٥) د : عرفت .
(٦) د : تبدل يتبدله (بالبدال المهملة) .
(٧) د : لأن الأنس يخرج كل واحد منهما عن الانقباض والتشدد . - وهنا زيادة فى د .
(٨) قد : ناقصة فى ط . د : فاذا كلفتك نفسك الى السمو الى منزلة من وصفت ، فاقدها ...
(٩) د : أو غيرك ممن لعله يكون له فضل فى مروءة أنك أولى ...
(١٠) من بعض ... السلطان : ناقصة فى ص . د : بعض دخلائه وثقاته ... على السلطان ...
(١١) ط : الأليف والأنيس / د : حق الثقة وأنيسه .
(١٢) ص : ما / د : والذى يعينه على ذلك من الرأى الذى يجد عند الأليف والأنيس .
(١٣) د : مما تحفظ فيه على نفسك .
(١٤) د : وسرك وخذنك .

اعلم^(١) أن الرجل إذا كان ذا جاه عند السلطان فانه لا محالة سرى منه ما يخالفه من الرأي في بعض الأمور . فاذا أثر أن يكره كل ما يخالفه أو شك أن يمتنع من الخطوة يراها في المجلس ، أو النبوة في الحاجة ، أو^(٢) الرد للرأى ، أو^(٣) الادناء لمن لا يهوى إدناءه ، والاقضاء لمن يكره إقصاءه . فاذا وقعت في قلبه الكراهة تغير لذلك وجهه وكلامه^(٤) ورأيه ، حتى يظهر ذلك للسلطان وغيره ، فيكون لفساد منزلته سبباً . فذل^(٥) نفسك على احتمال ما خالفك من رأى السلطان ، وقررها بأن السلطان إنما كان سلطاناً لتتبعه^(٦) في رأيه وهواه وأمره ، ولا تكلفه اتباعك وتغضب من خلافه إياك .

لا تكونن^(٧) صحبتك للسلطان^(٨) إلا بعد رياضة منك لنفسك على طاعتهم في المكروه عندك وموافقهم فيما خالفك وتقدير الأمر^(٩) على أهوائهم دون هواك ، وعلى ألا تكتهمم شرك ، ولا [١٢٧ب] تستطلع ما كتموه وتخفى ما أطلعوك عليه حتى تحمى نفسك الحديث به ؛ وعلى الاجتهاد في رضاهم والتثبيت^(١٠) لحججهم والتصديق^(١١) لمقالتهم والتزيين لرأيهم ، وعلى قلة الانتفاء مما فعلوه إذا أساءوا ، وقلة الانتحال لما فعلوه إذا أحسنوا ، وكثرة النشر^(١٢) لمحاسنهم ، وحسن الستر^(١٣) لمساوئهم ، والمقاربة لمن قاربوا وإن كانوا بعداء ، والمباعدة لمن باعدوا

(١) في « رسائل البلقاء » ص ٦٧ س ١٢ - ص ٦٨ س ٧ ؛ وفي د ورقة ٢٣ ب س ٢ الخ : « اعلم أن الرجل ذا الجاه عند السلطان والخاصة لا تخاله أن ترى منه ما يخالفه من الرأي في الناس والأمور . فاذا كره كل ما خالفه أو شك ... »

(٢) في د : و . (٣) في د : و .

(٤) د : وجهه ورأيه وكلامه ، حتى يبدو ذلك للسلطان ...

(٥) ص : فدا ل/د : فذل نفسك باحتيال ما خالفك ...

(٦) د : لسعة .

(٧) في « رسائل البلقاء » (ط ٣ سنة ١٩٤٤ القاهرة) ص ٦٩ س ٣

وما يليه ؛ وفي د ورقة ٢٤ ب س ١ الخ .

(٨) د : الا من بعد رياضة منك نفسك .

(٩) د : الأمور .

(١٠) ص : والتثبت بحججهم/د : والتلطف لحاجاتهم والتثبت ..

(١١) ص : والتصديق ... والتزيين اليهم .

(١٢) ط : البشر . (١٣) د : السترة .

وإن كانوا أقرباء ، والاهتمام بأمرهم وإن لم يهتموا به ، والحفظ له وإن ضيعوه ،
والذكر (١) له وإن نسوه ، والتخفيف عنهم (٢) لمؤثنتك ، واحتمال كل مؤونة
لهم (٣) ، والرضا منهم بالعفو ، وقلة الرضا من نفسك (٤) بالمجهود .
وإن وجدت عن السلطان (٥) وعن صحبته غنى فأغن (٦) عنه نفسك ،
واعترله جهدك ، فانه من يخدم (٧) السلطان يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل
الآخرة .

من (٨) تمام حسن الأدب والخلق أن تسخو نفسك لصاحبك وأخيك
بما انتحل من كلامك ورأيك وتنسب (٩) إليه رأيه وكلامه وتزينه مع ذلك
بما استطعت .

اخزن (١٠) عقلك وكلامك إلا عند إصابة الرأي والقول ، باصابة الموضع .
فان أخطأت ذلك ، أدخلت الهجنة على علمك حتى تأتي به ، إن أتيت به ، في
غير موضعه (١١) وهو لا بهاء له ولا طلاوة .

ليعرف العلماء منك [أنك] إذا اجتمعت معهم أنك على أن تسمع أحرص
منك على أن تقول (١٢) .

-
- (١) د : والفكر .
(٢) د : عليهم .
(٣) د : والاحتمال لهم كل مؤونة . (٤) د : نفسك لهم .
(٥) في د : عن : ناقصة .
(٦) د : فأغن نفسك عنها واعتزلها . . .
(٧) د : من يأخذ للسلطان بحقه يحل بينه وبين لذة الدنيا وعمل الآخرة ،
ومن يأخذ بغير حقه يحتمل الفضيحة في الدنيا والوزر في الآخرة .
(٨) في « رسائل البلغاء » ص ٧١ س ١١ - س ١٢ وفي ورقة ٢٦ س ٢
الخ هكذا : « ومن تمام حسن الخلق والأدب في هذا الباب أن تسخو
نفسك لأخيك . . . » .
(٩) ص : وينتسب .
(١٠) في « رسائل البلغاء » ص ٧٢ س ٢ وما يليه ؛ وفي ورقة ٢٦ س ١
س ١١ الخ هكذا : « احرز عقلك . . . عند إصابة الموضع ، فانه ليس
في كل حين يحسن الصواب ، وانما تمام إصابة الرأي والقول إصابة
موضعه ، فان أخطأت . . . »
(١١) د : ان أتيت في موضعه وهو . . .
(١٢) د : ليعرف العلماء أنك على أن تسمع أحرص منك على أن تقول .

لا (١) تخلصن بالحد هزلا ، ولا بالهزل جدأ ؛ فانك إن خلطت بالحد هزلا هجنته (٢) ، وإن خلطت بالهزل جدأ كدبرته . غير أنى أقول : قد عرفت [١١٢٨] موضعاً (٣) واحداً إن قدرت أن تستقبل فيه الحد بالهزل أصبت الرأى ، وظهرت (٤) فيه على القرآن ؛ وذلك أن يتوردك متورد بالسفّه والغضب وسوء اللفظ فتجيبه إجابة الهازل المداعب برحب من الذرع وطلاقة من الوجه وثبات من المنطق .

إذا (٥) أقبل إليك مقبل بوده فسرك ألا يدبر عنك (٦) فلا تنعم الإقبال عليه (٧) والتفتح له ، فان الإنسان طبع على ضرائب (٨) لوّم : فمن شأنه أن يرحل عن لصق به ، ويلصق بمن رحل عنه .

لا تكثرن ادعاء العلم فى كل (٩) ما يعرض ، فانك من ذلك بين فضيحتين : إما أن ينازعوك فيما ادعيت فيهجم (١٠) منك على الجهالة والصلف ؛ وإما ألا ينازعوك ويخلو الأمر فى يديك (١١) فينكشف (١٢) منك على التصنع والدعوى فقط . إن (١٣) استطلت على الأكفاء ، فلا تثقن (١٤) منهم بالصفاء .

إن (١٥) أنست من نفسك فضلاً فتطلعت نفسك (١٦) إلى أن تذكره وتبديه ، فاعلم أن ظهوره منك بذلك الوجه (١٧) يقرر فى قلوب الناس من العيب

-
- (١) فى « رسائل البلغاء » ص ٧٢ س ٨ وما يليه الى ص ٧٣ س ٣ ؛ وفى د ورقة ٢٦ ب س ١٠ الخ .
(٢) ط : عجنته - وهى ناقصة فى س .
(٣) د : غير أنى قد علمت موطناً واحداً ... قدرت على أن ...
(٤) فيه : ناقصة فى د .
(٥) فى « رسائل البلغاء » ص ٧٣ س ١٣ وما يليه الى ص ٧٤ س ٦ ؛ وفى د ورقة ٢٧ ب س ٩ الخ .
(٦) عنك : ساقطة فى د . (٧) والتفتح له : ناقصة فى د .
(٨) جمع ضريبة : أى صفة وخلة . (٩) د : وكل .
(١٠) د : فيهجم بك على ... د : فى يديك الأمر .
(١٢) ط : فيكشف / د : فينكشف منك التضييع والمعجزة .
(١٣) فى « رسائل البلغاء » ص ٧٤ س ٩ ؛ وفى د ورقة ٢٨ س ٩ الخ .
(١٤) د : تثق .
(١٥) فى « رسائل البلغاء » ص ٧٤ س ١٠ - ص ٧٥ س ٢ ؛ وفى د ورقة ٢٨ س ١٠ الخ .
(١٦) د : فتطلع منك أن تذكره أو تبديه ...
(١٧) د : يقرر لك فى ...

أكثر مما يقرر لك من الفضل . وإنك إن صبرت ولم تعجل ، ظهر ذلك منك على الوجه (١) الحميل المعروف .

إذا (٢) أردت أن تلبس ثوب الجمال وتتحلى به وبحلية المودة عند العامة وتسلك الجدد الذى لا غبار فيه (٣) ولا عثار ، فكن عالماً كجاهل ، وناطقاً كعبي (٤) : فان قلة ادعاء العلم ينفي عنك الحسدة . والنطق ، إذا احتجت إليه ، فستبلغ حاجتك ، وأما الصمت فسيكسبك المحبة والوقار .

إذا رأيت الرجل يحدث حديثاً قد علمته أو ينجر خبراً (٥) قد سمعته (٦) [١٢٨ب] فلا تشاركه فيه ولا تفتحه عليه حرصاً على أن يعلم الناس أنك قد علمته ، فان في ذلك (٧) سوء أدب وخفة وشحاً .

اعلم (٨) أن لسانك أداة مغلبة يتغالب (٩) عليه عقلك وغضبك وهواك وجهلك ، وكل تغالب (١٠) عليه مستمتع به يصرفه في محبته . فاذا (١١) غلب عليه عقلك فهو لك ، وإذا غلب عليه شيء من أشباه ما سميت لك (١٢) فهو لعدوك ؛ فان استطعت أن تحتفظ به (١٣) حتى لا يكون إلا لك ، ولا يستولى (١٤) عليه أو يشاركك فيه عدوك ، فافعل .

(١) د : ظهر ذلك بالوجه ٠٠٠

(٢) فى « رسائل البلغاء » ص ٧٥ س ٥ - س ١٢ ؛ وفى د ورقة ٢٨ ب

(٣) س ٦ الخ هكذا : « ان أردت ٠٠٠ وتتحلى بحلية المودة ٠٠٠ » .

(٤) ص : خيار .

(٥) د : كعبي : فأما العلم فسيرشدك ، وأما قلة ادعاء العلم فينفي عنك

الحسد ، وأما المنطق اذا احتجت ٠٠٠ فيكسبك ٠٠٠

(٦) قد : ناقصة فى ط . (٧) د : ذلك خفة وسوء أدب وشح .

(٨) فى « رسائل البلغاء » ص ٧٩ س ٤ - س ٨ ؛ وفى د ورقة ٣١ ب

س ٩ الخ .

(٩) مغلبة : ناقصة فى ص/د : اعلم أن لسانك مغلبة مغالب غلبة بعقلك .

(١٠) د : غالب عليه أداة ومستمتع به . وصارفه فى محبته ٠٠٠

(١١) فاذا غلب ٠٠٠ فهو لك : ناقصة فى د .

(١٢) لك : ناقصة فى د . (١٣) د : فلا يكون .

(١٤) ولا يستولى ٠٠٠ فافعل : ناقصة فى د .

وإذا (١) أصاب أخوك فضل منزلة أو سلطان ، فلا ترين أن سلطانه زادك له ودأ ، ولا يعرفن (٢) منك عليه بماضى إخوانك تدللا ، وأره أن سلطانه زادك له توقيراً ، من غير (٣) أن يقدر أنك تزيد ودأ ونصحاً ، بل إنك ترى حقاً للسلطان الوقار والإجلال . وكن (٤) في مداراته والرفق به كالمؤتلف ما قبله ، ولا تقدر الأمور بينك وبينه (٥) على ما كنت تعرف من أخلاقه ، فان الأخلاق مستحيلة مع السلطان . وربما رأينا الرجل المدلل على السلطان بقدمه قد أضر (٦) به قدمه .

لا تحذثن (٧) إلا من يرى حديثك مغنيا ، ما لم يغلبك الاضطراب (٨) .
 احتس (٩) من سورة الغضب وسورة (١٠) الشهوات ؛ وأعدد لكل شيء من ذلك عدة تجاهده بها : من الحلم (١١) والتفكر والروية وذكر العاقبة وطلب الفضيلة .

واعلم أنك لا تصيب الغلبة إلا بالجهاد . واعلم (١٢) أن قلة الاعداد لمداغة الطباع المتطلعة هو الاستسلام ، وأنه ليس أحد إلا فيه [١١٢٩] من كل طبيعة سوء غريزة . وإنما التفاضل بين الناس بمغالبة طبائع السوء .

فاما أن يسلم أحد من أن تكون فيه تلك الغرائز فليس في ذلك مطمع . إلا أن الرجل القوي إذا كان يكابرها (١٣) أبدا بالقمع لها كلما تطلعت ، لا يلبث (١٤)

-
- (١) في « رسائل البلغاء » ص ٥٤ س ١١ - ص ٥٥ س ٤ ؛ وفي د ورقة ٣٢ س ١١ الخ .
 (٢) ولا يعرفن ... تدللا : ناقصة في د .
 (٣) من غير ... الاجلال : ناقصة في د .
 (٤) ط : وأنت وكن في ...
 (٥) د : على قدر ما كنت . (٦) د : أضر به ذلك .
 (٧) في « رسائل البلغاء » ، وفي د ورقة ٣٢ ب س ٩ - س ١١ .
 (٨) ص : الاصرار/ وفي د هكذا : يرى الى حديثك مغنيا .
 (٩) في « رسائل البلغاء » ص ٨١ س ٦١ - ص ٨٣ س ٣ (حتى قوله : بعزله منفذا) ، وفي د ورقة ٣٣ ب س ١٢ الخ .
 (١٠) د : الغضب وسورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل وأعدد ...
 (١١) ط : الحكم . / د : والتفكر والتروية .
 (١٢) د : وأن قلة ...
 (١٣) ص : مكابرها / د : اذا كابرها بالقمع ...
 (١٤) د : لم يلبث .

أن يمتها حتى كأنها ليست فيه ، وهي في ذلك كامنة ككفون النار في العود .
 فإذا وجدت قادحاً من سبب (١) أو غفلة استورت كما تستورى النار عند
 القدح ؛ ثم لا يبدأ ضررها إلا بصاحبها ، كما لا تبدأ النار إلا بعودها الذي (٢)
 كانت فيه .

ذللّ نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء ، فان ذلك
 مما لا يكاد يخطئك . وإن الصبر صبران : صبر الانسان على ما يكره ، وصبره
 عما يحب . والصبر على المكروه أكبرهما (٣) وأشبهما بأن يكون صاحبه مضطراً .
 واعلم أن اللثام أصبر أجساداً ، والكرام أصبر أنفساً ؛ وأيسر الصبر المحمود (٤)
 الممدوح أن يكون جلد الإنسان (٥) وقاحاً على الضرب ، أو رجله قوية على
 المشيء ، أو بدنه (٦) قوياً على العمل — فان هذه من صفات البهائم (٧) ،
 ولكن أن يكون للنفس غلباً (٨) ، ولأشياء محتملاً ، وفي الضراء متجعلاً (٩) ،
 ولنفسه عند (١٠) الحفاظ مرتبطاً ، وللحزم مؤثراً ، وللهوى (١١) مجانباً ، والمشقة
 التي يرجو عاقبتها مستخفاً (١٢) ، وعلى مجاهدة الأهواء والشهوات مواظباً ، ولبصيرته (١٣)
 بعزمه منفذاً .

عود (١٤) نفسك السخاء . والسخاء (١٥) سخاؤ : سخاء الانسان بما في يديه ،
 وسخاؤه عما في [١٢٩ب] أيدي الناس . وسخاء الإنسان بما في يديه أكثرهما (١٦)

-
- (١) د : علة •
 (٢) د : التي •
 (٣) ص : أكبرها •
 (٤) المحمود : ساقطة في د •
 (٥) الوقاح : الصلب ، وذو الوقاحة / وفي د : جلد الرجل وقاحا ...
 (٦) د : أو يده قوية على العمل •
 (٧) د : الحمير •
 (٨) ص : قلوبا •
 (٩) ص ، ط : محتملاً •
 (١٠) د : عند الرأى والحفاظ •
 (١١) د : تاركا •
 (١٢) (١٢) الواو ناقصة في ص •
 (١٣) ولبصيرته ... منفذا : ناقصة في د •
 (١٤) في « رسائل البلغاء » ص ٨٤ س ١ - س ٥ •
 (١٥) ط : واعلم أنهما سخاؤ / د : واعلم أنهما شيئان : سخاء
 الرجل بما في يده ...
 (١٦) ص : أكبرهما / د : وسخاء الرجل عما في يديه أقربهما من أن ...

وأقر بهما من أن تدخل فيه المفاخرة . وتركه ما في أيدي الناس أمحض^(١) في التكرم وأنزله من الدنس . فان هو جمعهما فبذل وعف ، فقد استكمل^(٢) الجود والكرم .

حبب^(٣) إلى نفسك العلم حتى ترأمة^(٤) وتألفه ويكون لهوك ولذتك وسلوتك^(٥) .

واعلم أن العلم علمان : علم للمنافع ، وعلم لتزكية العقول . وأفشى^(٦) العلمين وأحراهما أن ينشط له صاحبه من غير أن يحض عليه^(٧) هو علم المنافع . وللعلم ، الذي هو ذكاء العقول وصقالها^(٨) وجلأؤها ، فضل منزلة عند ذوى الألباب^(٩) .

ليكن^(١٠) مما^(١١) تصرف به الأذى والعذاب عن نفسك ألا تكون حسوداً ، واعلم أن الحسد خلق لييم ؛ ومن لؤمه أنه إنما يوكل بالأدنى فالأدنى من الأقارب والأكفاء والخلطاء .

ليكن^(١٢) مما تنظر فيه من أمر عبدوك وحاسدك أن تعلم أنه لا ينفعك أن تخبر عدوك أنك له عدو ، فتنذر نفسك وتؤذنه بحربك قبل الإعداد والفرصة

(١) د : أمحض للتكرم . (٢) د : استعمل .

(٣) في « رسائل البلغاء » ص ٨٣ س ٤ - س ٩ ؛ وفي د ورقة ٣٥ ب س ٤ الخ .

(٤) رثم الشيء (من باب علم) رأما : أحبه وألفه . / ترأمة : ناقصة في د . (٥) د : ويكون لذتك ولهوك وشهوتك .

(٦) ص : وأنشئ / د : وأحرى العلمين أن ينشط . . .

(٧) ص : وهو / هو : ناقصة في د .

(٨) وصقالها وجلأؤها : ناقصة في د .

(٩) د : فضيلة منزلة عند أهل الفضل .

(١٠) في « رسائل البلغاء » ص ٨٤ س ٦ - س ٨ ؛ وفي د ورقة ٣٥ ب س ١٠ الخ .

(١١) ص : ليكن ما تصرف به العذاب الا أن يكون حسودا / د : ليكن ما تصرف . . .

(١٢) في « رسائل البلغاء » ص ٨٥ س ١ - ص ٨٦ س ٢ ؛ وفي د ورقة ٣٦ س ١١ الخ هكذا : « ليكن ما تنظر . . . انك لا تنفع بأن تخبر عدوك . . . » .

فتحملة على التسليح^(١) لك ، وتوقد ناره عليك . واعلم أنه أعظم لخطرك أن تُرى عدوك^(٢) أنك لا تتخذة عدواً ، فإن ذلك غرة له وسبيل لك^(٣) إلى القدرة عليه . وإن أنت قدرت على اعتقاب^(٤) العداوة وارتفعت أن تكافئ بها ، فهناك استكملت عظم الخطر ، وإن كنت مكافئاً بالعداوة والضرر . وإياك^(٥) أن تكافئ عداوة السرّ بعداوة العلانية ، وعداوة الخاصة بعداوة العامة ، فإن ذلك هو الظلم والعار . واعلم أنه مع ذلك^(٦) ليس كل عداوة تكافئ بمثلها ، كالحيانة : فإنها^(٧) لا تكافئ بالحيانة [١٣٠] ، والسرقة فإنها^(٨) لا تكافئ بالسرقة . ومن الحيلة في أمر عدوك أن تصادق أصدقاءه وتؤاخى إخوانه ، فتدخل بينه وبينهم^(٩) في سبيل الشقاق والتجافى . وليس أحد به طرق^(١٠) يمتنع من مؤاخاتك إذا التمتت ذلك منه ؛ وإن كان إخوان عدوك غير ذوى طرق^(١١) فلا عدو لك . لا^(١٢) تتخذن اللعن والشتم سلاحاً على عدوك ، فإنه لا يجرح^(١٣) في نفس ولا مال ، ولا دين ولا منزلة ؛ ولا تدع ، مع السكوت عن شتم عدوك ، إحصاء معاييه ومعاثره ؛ وتنبع عوراته حتى لا يشذ عنك من ذلك كبير ولا صغير ، من غير أن يشيع ذلك عنده فينساء به أو يستعده له ؛ أو تذكره في غير موضعه ، فتكون كمتعرض الهواء بنبله قبل إمكان الرمي . فإن^(١٤) أردت أن

-
- (١) التسليم : فى س - وهو تحريف / د : فتحملة على توقد ناره عليك .
(٢) د : أن تريه أنك . . . (٣) لك : ناقصة فى د .
(٤) ص و ط : اغتفار - واعتقب السلعة : حبسها عن المشتري ، واعتقب الرجل : حبسه / د : فإن أنت قدرت فاستطعت اغتفار (؟ !) العداوة عن أن تكافئ بها . . . (٥) د : فاياك .
(٦) س : واعلم مع ذلك أنه ليس . . . / د : واعلم أنه ليس كل العداوة . . .
(٧) فإنها : ساقطة فى د . (٨) فإنها : ساقطة فى د .
(٩) ص : السبيل / د : سبيل التجافى والشقاق .
(١٠) الطرق : ضعف العقل - يمتنع : فى ص و ط يمتنع / د : وليس رجلاً به ظرف ممتنعاً من . . .
(١١) د : غير ذى ظرف .
(١٢) ورد تقديم وتأخير فى هذه الفقرة فى « رسائل البلغاء » ص ٨٦ س ٣ - س ١٣ ؛ وفى د ٣٧ س ١١ الخ .
(١٣) س : يخرج / د : على عدوك سلاحاً (فى المخطوط : صلاحاً) .
(+ ... +) ما بين العلامتين ناقص فى د .
(١٤) ط : أن .

تكون (١) ذاهياً فلا تظهرن للناس ذلك فيسمونك داهياً . فان من عرف بالدهاء صار خاتل علانية (٢) ، وحذره الناس حتى يمتنع (٣) منه الضعيف . ومن (٤) أرب الأريب (٥) دفن رأيه ما استطاع حتى يعرف بالمساحة في الخليقة والطريقة . ومن أربه ألا يوارب العاقل المستقيم الذى يطلع على غامض (٦) رأيه فيمقته عليه . إن (٧) أردت السلامة فأشعر قلبك التهيب (٨) للأمر من غير أن يظهر منك فيفطن الناس لتهيبك (٩) وتجروهم عليك ، ويدعوك ذلك إليك منهم كل الذى (١٠) تهاب . فاشعب (١١) - لمدارة ذلك وإظهار الجرأة والتهاون (١٢) - طائفة من رأيك . وإن ابتليت بمحاربة عدو (١٣) فخالف هذه الطريقة التى وصفت لك من استشعار الهيبة وإظهار الجرأة والتهاون (١٤) . وعليك (١٥) بالحدز فى عملك والجرأة (١٦) فى [١٣٠ ب] قلبك حتى تملأ قلبك جرأة وشجاعة ويستفرغ عملك الحدز (١٧) .

إن من (١٨) عدوك من سبيلك أن تعمل فى هلاكه ، ومنهم من تعمل فى مصالحته ، ومنهم من تعمل فى البعد منه . فاعرفهم على منازلهم . ومن أقوى

-
- (١) د : ذا دهاء ، فلا تجبن أن تسمى فانه من عرف ...
 (٢) س : عالية / د : خامل .
 (٣) س : يمنع به .
 (٤) د : وان من ...
 (٥) ص : ودفن/ د : دفن أربه ...
 (٦) د : غامض أربه .
 (٧) فى « رسائل البلغاء » ص ٨٧ س ١ - س ٧ : وفى د ٣٧ ب س ١٩ النخ .
 (٨) د : الهيبة .
 (٩) س ، ط : لهيبتك ؛ وكذا فى د .
 (١٠) د : على الذى تهاب ، فانبعث لمدارة ...
 (١١) فاشعب : ناقصة فى ط . - شعب الشيء (من باب قطع) شعبا : جمعه أو فرقه ، أصلحه أو أفسده . - والمقصود هنا : جمع .
 (١٢) د : باظهار المهانة و (.....) والتهاون .
 (١٣) ص : عدوك .
 (١٤) والتهاون ... والجرأة : ناقصة فى س . / لك : ناقصة فى د .
 (١٥) د : فعليك .
 (١٦) فى : مكررة فى ص .
 (١٧) د : جرأة وتستفرغ عملك بالحدز .
 (١٨) فى « رسائل البلغاء » ص ٨٧ س ٨ - ص ٨٩ س ٦ (حتى قوله : وخذ أهبتك لبغثاتها) .
 وفى ٣٨ س ٦ هكذا : « ان من عدوك من تعمل فى هلاكه » .

القوة على عدوك وأعز أنصارك في الغلبة (١) له : أن تحصي على نفسك العيوب والعورات كما تحصيها على عدوك ، وتنظر (٢) عند كل عيب تسمعه (٣) أو تراه لأحد من الناس : هل قارفت (٤) مثله أو ما يشاكله (٥) ؟ فإن كنت قد قارفت مثله شيئاً ، جعلته فيما (٧) تحصي على نفسك ؛ حتى إذا أحصيت ذلك كله فكأثر عدوك باصلاح عيوبك ، وتحسين (٨) عوراتك ، وإحراز مقاتلك (٩) وخذ نفسك بذلك ممسياً ومصبجاً (١٠) : فإن أنست منها دفعاً لذلك أو تهاوناً به ، فاعدد نفسك عاجزاً ضائعاً خائباً معوراً (١١) لعدوك ، ممكناً من رميك . وإن حصل من عيوبك وعوراتك بعض ما لا تقدر على إصلاحه من ذنب قد مضى (١٢) وأمر يعيبك عند الناس لا تعرفه أو (١٣) لا تراه أنت عيباً ، فاحفظ ذلك وما عسى أن يقول فيه قائل من حسبك أو (١٤) من مثالب آبائك أو إخوانك وأخذائك (١٥) ، ثم اجعل ذلك كله نصب عينك . واعلم أن عدوك يريدك به فلا تغفل عن التهيؤ له (١٦) والإعداد لحيلتك (١٧) وحجتك فيه سرّاً وعلانية .

فأما الباطل فلا تروعن به قلبك ، ولا تشغلن (١٨) بشيء من أمره ، فانه لا يهلك ما لم يقع ؛ وإن وقع ، اضمحل (١٩) .

-
- (١) د : ومن أقوى القوة لك على عدوك أن تحصي ...
(٢) عند : ناقصة في ص و ط • (٣) س : وتراه / ص : أو لأحد •
(٤) س : فارقت • (٥) أو ما يشاكله : ناقصة في د •
(٦) قد : ناقصة في ط و س • (٧) ص : مما •
(٨) د : تحسين - وهو تحريف ظاهر •
(٩) وإحراز مقاتلك : ناقصة في د . (١٠) ممسياً ومصبجاً : ناقصة في د •
(١١) معور : مريب - والفعل : أعور : أراب ؛ ورجل معور : قبيح السريرة ، ومكان معور : يخاف فيه القطع ، وطريق معورة : ذات عورة يخاف فيها الضلال والانقطاع - وفي د : معذر •
(١٢) ص ، س : و/د : بعض ما تقدر على صلاحه من ذلك فقد مضى ، أو أمر ...
(١٣) لا تعرفه أو : ناقصة في د • (١٤) من : ناقصة في س و د •
(١٥) ط : وأخواتك/د : مثالب آبائك وعيب إخوانك ثم اجعل ...
(١٦) د : التهيؤ • (١٧) ص : وختلك •
(١٨) د : ولا تستعدن له ، ولا يهلك ما لم يقع ، وإذا وقع اضمحل •
(١٩) ص : اضمحل جداً •

اعلم أنه قلما يُبدِه أحدٌ بشيء يعرفه من نفسه — وقد كان يطمع في خفائه^(١) على الناس — فغيره به معير^(٢) عند سلطان أو غيره، إلا كاد [١١٣١] يشهد عليه به وجهه وعينه ولسانه، للذي^(٣) يبدو منه عند ذلك، والذي يكون من انكساره وفتوره عند^(٤) تلك البداة. فاحذر هذه^(٥)، وتصنع لها، وتقدم في أخذ العدة لبغتها^(٦).

..

اعلم^(٧) أن أوقع الأمور في الدين وأنهكها للجسد وأتلفها للمال وأضرها بالعقل وأسرعها في ذهاب الحلالة والوقار — الإغرام بالنساء. ومن البلاء على المغرم بهن أنه لا ينفك يأجم^(٨) ما عنده وتطمع عينه إلى ما ليس عنده منهن. وإنما النساء^(٩) أشباه، وما يزين^(١٠) في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن على معروفاتهن^(١١) باطل وخدعة. بل كثير مما يرغب عنه الراغب مما عنده أفضل مما تتوق إليه نفسه. وإنما المرتغب عما^(١٢) في رحله منهن إلى ما في رحال الناس كالمرتغب عن طعام بيته إلى ما في بيوت الناس^(١٣)؛ بل النساء بالنساء أشبه من الطعام بالطعام؛ وما في رحال الناس من الأطعمة أشد تفاوتاً وتفاضلاً^(١٤).

(١) د : اختفائه .

(٢) ص : فغيره به منير / د : فيعييره به معير .

(٣) أي يسبب ما يبدو

(٤) ص : عند ذلك من البداة / وفتوره : ساقطة في د .

(٥) د : هذا .

(٦) وتصنع . . . لبغتها : ساقطة في د .

(٧) في « رسائل البلغاء » ص ٨٩ س ٩ — ص ٩١ س ٤ (حتى قوله : عند الريبة والشبهة والطمع) ؛ وفي د ١٣٩ س ١٣ الخ هكذا : « اعلم أن أوقع الأمور للدين . . . » .

(٨) ص : بأحمر : — أجم (من باب ضرب) أجمأ وأجيما الطعام وغيره : كرهه من المداومة عليه فهو أجم وقيل أجم / د : يوخر .

(٩) النساء : ناقصة في س .

(١٠) د : يريق .

(١١) ط : على باطل .

(١٢) عما . . . كالمرتغب : ناقص في س .

(١٣) د : الناس من الأطعمة ، ولعل ما في بيته من الأطعمة ومن النساء أشد تفاضلاً وتفاقماً مما في رحالهم . ومن العجب . . .

(١٤) ناقصة في س .

مما في رحالهم من النساء . ومن العجب أن الرجل الذي لا بأس به يرى المرأة من بعيد متلفعة في ثيابها فيصور لها في قلبه (١) الحسن والجمال حتى تعلقها نفسه من غير رؤية ولا خبر بخبر (٢) . ثم لعله يهجم منها على أقبح التقيح وأدم الدمامة (٣) فلا يعظه ذلك (٤) عن أمثالها ، ولا يزال مشغولاً بما لم يذق منها (٥) حتى لو لم يبق في الأرض غير امرأة واحدة لظن (٦) أن لها شأنًا غير شأن ما ذاق . وهذا هو (٧) الحمق والشقاء . ومن لم يحكم نفسه ويظلفها (٨) عن الهوى ويخليها عن الطعام والشراب والنساء في بعض أوقات [١٣١ ب] شهواته وقدرته كان أيسر ما يلحقه (٩) في ذلك ضعف حوامل جسده . وقلما يوجد الإنسان إلا مخادعاً لنفسه في أمر جسده : عند الطعام والحمية والدواء ، وفي أمر مروءته : عند الأهواء والشهوات (١٠) ، وفي أمر دينه : عند الريبة والشبهة والطمع .

..

إن (١١) استطعت أن تضع نفسك دون غايتك برتبة في كل مجلس ومقام ومقال ورأى (١٢) وفعل - فافعل . فان رفع الناس إياك (١٣) فوق المنزلة التي تحط إليها نفسك (١٤) وتقريهم إياك من المجلس (١٥) الذي تباعدت عنه وتعظيمهم

(١) د : نفسه . (٢) د : من غير رؤية ولا خبر .

(٣) س : أدم الدمامة / أدم الدمامة : ناقص في د .

(٤) س : من . (٥) منهن : ناقصة في د .

(٦) د : ظن . (٧) هو : ناقصة في د .

(٨) ص : يظلفها . / د : ومن لم يحكم نفسه عن الطعام والشراب

والنساء في بعض ساعات شهواته وقدرته كان ما يصيبه من وبال

ذلك انقطاع تلك اللذات من خمود نار شهواته وضعف جسده ،

وقلما يوجد الا ...

(٩) أول ورقة ١٤٧ بعد نهاية ١٦٦ ب .

(١٠) س : والشبهات .

(١١) في « رسائل البلغاء » ص ٩١ س ٥ - س ٨ وفي د ورقة ٤٠ ب

س ٨ الخ .

(١٢) س : ورأى وفعل . فان / د : ومقام ورأى فافعل .

(١٣) فوق ٠٠ إياك من : ناقص في س .

(١٤) نفسك : ناقصة في د . (١٥) د : للمجلس .

من أمرك ما لم تكن + تعظم ، وتزيينهم من كلامك ورأيك ما + لم تزين -
هو الجمال .

إن^(١) غلبت على الكلام فلا تغلبين على السكوت ، ولعله أن يكون
أشدّهما لك زينة ، وأجلّهما إليك مودة ، وأبقاهما^(٢) للمهابة ، وأنفاهما للحسد .
إذا^(٣) تراكت الأعمال عليك فلا تلتمس الروح بمدافعتها والروغان
منها ، فانه لا راحة لك إلا في إصدارها ، وإن الصبر عليها هو الذي يخففها^(٤)
عليك ، والضجر منها هو الذي يراكمها عليك . فتعهد من نفسك في ذلك^(٥)
خصلة قد رأيتها تعترى أصحاب الأعمال : أن الرجل يكون في أمر^(٦) من أموره
فيرد عليه شغل آخر ويأتيه شاغل من الناس يكره تأخيرها فيكدر نفسه تكديراً
يفسد ما كان فيه وما ورد عليه حتى لا يحكم^(٧) واحداً منهما . فان ورد عليك
مثل ذلك ، فليكن معك رأيك الذي تختار به الأمور . ثم اختر أولى الأمرين
بشغلك فاشتغل به حتى تفرغ منه ، ولا يعظمن عليك [١١٣٢] فوت ما فات
وتأخر^(٨) ما تأخر إذا وضعت الرأي موضعه وجعلت شغلك في حقه .

اجعل لنفسك في كل شيء^(٩) غاية ترجو القوة والتمام عليها . واعلم أنك
إن جاوزت الغاية في العبادة صرت إلى التقصير ؛ وإن جاوزتها في عمل العلم
صرت إلى الجهالة^(١٠) ؛ وإن جاوزتها في تكلف رضا الناس^(١١) والخفة معهم
في حاجاتهم كنت المحسور^(١٢) المضيع .

(+ .. +) ما بين العلامتين ناقص في د .

(١) في « رسائل البلغاء » ص ٩١ س ١١ - س ١٢ - ولم يرد في د .

(٢) ط : وأنفاهما .

(٣) في « رسائل البلغاء » ص ٩٢ س ١٠ - ص ٩٥ س ١ (حتى قوله :

يخترع بأضعاف) ، وفي د ورقة ٤١ ب س ١ الخ هكذا : « إذا

تزاحمت الأعمال عليك فلا تلتمس الاستراحة في مدافعتها ، فانه

لا راحة ... » .

(٤) د : عنك . (٥) د : في ذلك من نفسك .

(٦) س : أمرين . (٧) ص : واحد .

(٨) د : وتأخير ... إذا عملت الرأي وجعلت ...

(٩) ص : غاية في كل شيء . (١٠) د : من الجهال .

(١١) ص : الجماعة . (١٢) د : المحسور (بالخاء المعجمة) .

اعلم أن بعض العطية لوئم ، وبعض السلاطة عرى؄ ، وبعض العلم جهل .
فان استطعت ألا يكون عطاؤك جوراً ، ولا بيانك هذراً ، ولا علمك وبالا —
فافعل .

واعلم (١) أنه سيمر بك من الأحاديث (٢) ما يعجبك : إما مليحه ، وإما
رائعه (٣) . فاذا أعجبك كنت خليقاً أن تحفظه ، فان الحفظ موكل بما راع .
ثم ستحرص (٤) على أن تعجب منها أقواماً ، فان الحرص على التعجب (٥)
من شأن الناس ؛ وليس كل معجب لك معجباً لغيرك . فاذا نشرت ذلك المرة
والمرتين فلم تره وقع من السامعين موقعه منك؄ فانزجر من العود له؄ فان التعجب (٦)
من غير عجب سقط شديد .+ وقد رأينا من الناس من يعلق الشيء فلا يقلع عن
الحديث به ولا يمنعه قلة قبول أصحابه من أن يعود+ .

انظر في الأخبار (٧) الرائعة فتحفظ منها ، فان من شأن الناس (٨)
الحرص على الأخبار ، ثم لا سيما (٩) ما ترتاع له الناس . وأكثر الناس من
يتحدث بما سمع (١٠) ولا يبالي ممن سمع ذلك ؛ وهذا (١١) مفسدة للصديق ومزرة
بالرأى . فان [١٣٢ب] استطعت ألا تخبر بشيء إلا وأنت مصدق به ولا يكون
تصديقك إلا ببرهان — فافعل ، ولا تقل كما يقول السفهاء : « أخبركم (١٣)
بما سمعت » — فان الكذب أكثر ما أنت سامع ، وإن السفهاء أكثر من هو قائل .
وإن صرت للأحاديث واعياً (١٤) وحاملاً ، كان ما تعي وتحمل عن العامة
أكثر مما يخترع المخترع من الأحاديث بأضعاف (١٥) .

-
- (١) الواو : ناقصة في ط و ص . (٢) د : بك أحاديث تعجبك . . .
(٣) ص : رابعة .
(٤) س : تحرص / د : ثم ستحرص على أن يتعجب منها الأقوام .
(٥) د : التعجب . (٦) د : التعجب .
(+ ... +) ما بين العلامتين ساقط في د .
(٧) ص : الرابعة / د : ثم انظر الأخبار . . .
(٨) ص : ثم لاشياء / د : ما يرتاح . (٩) د : الانسان .
(١٠) ط : يسمع / د : من يحدث بما سمع .
(١١) د : وذلك مفسدة للصديق ومزرة للرأى .
(١٢) د : ولا يكونن . (١٣) د : أخبر . (١٤) بغير واو في د .
(١٥) س ، بالأضعاف / د : ويخترع المخترع بالأضعاف .

اعلم (١) أنك ستبتلى (٢) من أقوام بسفه ، وأن سفه السفه سيطلع لك منه جداً . فان عارضته (٣) وكافأته بالسفه ، فكأنك (٤) قد رضيت ما أتى وأحببت أن تحتذى مثاله . فان كان ذلك (٥) عندك مذموماً ، فحقق ذلك (٦) إياه بترك معارضته . فأما أن تدمه وتمثله فليس لك ذلك (٧) .

اعلم (٨) أن الحرب مقتلة ، وأن الحرص كحرمة . فانظر فيما رأيت أو سمعت : أمن قتل في الحرب مقبلاً أكثر ، أم (٩) من قتل مدبراً ؟ وانظر أمن (١٠) يطلب منك بالاجمال والتكرم (١١) : أحق أن تسخو له نفسك بطلبته ، أم من يطلب إليك بالشهر والحرص (١٢) ؟

اعلم أنه ليس كل من كان لك فيه هوى فذكره ذاكر بسوء أو ذكرته (١٣) أنت بخير ينفعه (١٤) ذلك أو يضره ذكرهم . فلا يستخفك ذكر أحد من صديق أو عدو إلا في موطن دفع أو محاماة ، فان صديقك ، إذا وثق بك في موطن المحاماة ، لم يحفل بما (١٥) تركت مما سوى (١٦) ذلك ، ولم يكن له عليك سبيل لائمة . وإن أكرم (١٧) ذلك في أمر عدوك ألا تذكره إلا حيث يضره ، وألا تعد يسير الضر ضرراً .

اعلم أن الرجل قد يكون حليماً فيحمله الحرص على أن يقول الناس هو جلد ، والخافة أن يقولوا هو مهين على أن يتكالف الجهل . وقد يكون الرجل

(١) في « رسائل البلغاء » ص ٩٥ س ٨ - س ١١ ، وفي د ورقة ٤٣ ب س ١١ الخ .

(٢) ط : ستبلى . (٣) وكافأته : ساقطة في د .

(٤) قد : ساقطة في د . (٥) ص : عندك ذلك .

(٦) د : ظنك وذلك ... (٧) د : ذلك لك .

(٨) في « رسائل البلغاء » ص ٩٧ س ٤ - ص ١٠٠ س ٤ (حتى قوله : يشكر للمكتتب) وفي د ٤٥ س ١ الخ .

(٩) ص : أمر . - أكثر : ناقصة في س .

(١٠) ص و د : من .

(١١) والتكرم ... اليك : ناقصة في س .

(١٢) د : بالشهر والدفع (!) .

(١٣) ص : لو . (١٤) ذلك : ناقصة في د .

(١٥) ص : يريك . (١٦) ذلك : ناقصة في ط .

(١٧) د : فان أكرم لك في أمر ... ولا تعد ...

زَمِينًا فيحمله الحرص [١١٣٣] على أن^(١) يقال هو لسن، والخافه من أن يقال^(٢) بكى على أن يقول في غير موضعه فيصير هذراً . فاعرف هذا وأشباهه^(٣) واحترس منه كله .

إذا بدهك^(٤) أمران متناقضان لا تدرى أيهما الصواب^(٥) : فانظر أقربهما إلى هواك فخالفه ، فان أكثر الصواب في خلاف^(٦) الهوى .

• ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم فيكون افتقارك إليهم في لين كلامك^(٧) وحسن بشرك ، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزك^(٨) .

اعلم^(٩) أنه ليس شيء من العلم يذكر عند غير أهله إلا عادوه ونصبوا له وأنغضوا^(١٠) عليه وحرصوا على أن يجعلوه جهلاً ، حتى إن كثيراً من اللهو واللعب الذي هو أخف الأشياء على الناس ليحضره^(١١) من لا يعرفه فيثقل عليه ويغتم به .

ليعلم^(١٢) صاحبك وصديقك أنك حذب على صاحبه وصديقه . وإياك — إن عاشرك امروء أو رافقتك — أن يرى منك ولو عاً بأحد من أعوانه وأصحابه ، فان

(١) على أن يقول ... الحرص : ناقصة في ص - والزميت : الشديد الوقار .

(٢) لكن : ناقصة في ص • وقد وردت في ط : لكن - وهي لم ترد في العربية ، انما الذي ورد : أكن للصفة ، فأخترنا ما ورد في س : بكى والبكى هو القليل الكلام هنا ، وناقة بكى : قل لبنها ، وبئر بكى : قل ماؤها/د ، ص : عبي .

(٣) وأشباهه : ناقصة في د • كله : ناقصة في د •

(٤) د : دهمك أبدا أمران لا تدرى ...

(٥) فانظر ... الصواب : ناقصة في ص •

(٦) س : مخالفة/د : فانظر أيهما أقرب الى هواك مخالفة ، فان أكثر الصواب في مخالفة الهوى •

(٧) د : كلمتك •

(٨) ط : في بقاء عزك ونزاهة عرضك •

(٩) في « رسائل البلغاء » ص ٩٩ س ٧ الخ ؛ في د ٤٦ ب س ١ الخ •

(١٠) أنغضوا : حركوا وألبوا • - نصب لقلان : عاداه • - وفي س : أنغضوا •

(١١) د : يحضره •

(١٢) في « رسائل البلغاء » ص ١٠٠ س ١ - س ٤ ؛ ساقط في د •

ذلك يأخذ من القلوب . ولطفك بصاحب صاحبك أحسن عنده موقعاً من لطفك به نفسه^(١) .

انتق^(٢) الفرح عند المحزون ، واعلم أنه يحقد على المنطلق ، ويشكر للمكتئب .

تعلم^(٣) حسن الاستماع كما تتعلم^(٤) حسن الكلام . ومن حسن الاستماع إمهالك المتكلم حتى يقضى حديثه ، وقلة التلفت^(٥) إلى الجواب ، والإقبال بالوجه ، والنظر إلى وجه المتكلم ، والوعى لما يقول^(٦) .

إذا^(٧) رأيت نفسك قد تصاغت الدنيا عندها ودعتك إلى الزهادة فيها على حال تعذر ، فلا يغرنك ذلك من نفسك على تلك الحال فإنها ليست بزهادة ، ولكنه ضجر واستخذاء وتغير من النفس عند ما أعجزها من الدنيا ، وغضب منك عليها^(٨) لما التوى عليك [١٣٣ ب] منها . فلو تمت على رفضها ، وأمستك عن طلبها ، أوشكت أن ترى من نفسك من الضجر والجزع أشد من ضجرك^(٩) الأول بالأضعاف . ولكن إذا دعتك نفسك^(١٠) إلى رفض الدنيا وهي مقبلة عليك فأسرع إجابتك^(١١) إياها .

إذا^(١٢) كنت في جماعة فلا تعمّن جيلاً من الناس أو أمة^(١٣) من الأمم

(١) س : نفسك / « رسائل البلغاء » : بنفسه .

(٢) ط : أين - وهو تحريف ظاهر .

(٣) في « رسائل البلغاء » ص ١٠١ س ٨ - س ١٠ ، وساقط في د .

(٤) ص : تعلم .

(٥) س : التقلب ؛ ط : التلفت . - ويجوز أن يكون الصواب : التلهف .

(٦) والوعى : ناقصة في س و ص .

(٧) في « رسائل البلغاء » ص ١٠٣ س ١٠ - ص ١٠٤ س ٤ ؛ وفي د

٤٦ ب س ١٢ الخ هكذا : « ان رأيت نفسك تصاغت ... الى الزهد

... تعذر من الدنيا ... على تلك الحال ... بزهة ، ولكن ذلك

من الضجر والاستجداء وتغير ... »

(٨) د : منها عليها لما التوى عليها منها . فان أمستك ...

(٩) د : ضجرها . (١٠) نفسك : ناقصة في د .

(١١) ص : اجابتها اليها/ د : الى اجابتها .

(١٢) في « رسائل البلغاء » ص ١٠٤ س ٩ - ص ١٠٥ س ٢ ؛ وفي د ٤٧

ب س ٣ الخ . (١٣) د : وأمة .

بشتم أو ذم ، فانك لا تدري لعلك تتناول بعض أعراض جلسائك . ولا تدمن مع ذلك اسماً من أسماء الرجال أو النساء بقول^(١) فتقول : هذا قبيح من الأسماء ، إذ كنت لا تدري لعلك^(٢) توافق بذلك بعض جلسائك في بعض أسماء الأهلين أو الحُرَم أو غيرهم . ولا تصغرن من هذا شيئاً فكله يجرح في^(٣) القلب ، وجرح اللسان كجرح اليد ، بل أشد .

اعلم^(٤) أن من تنكّب الأمور^(٥) ما هو حذر ، ومنه ما هو خور . فان استطعت أن يكون جنبك من الأمر قبل موافقتك إياه ، فان ذلك هو الحذر فافعله^(٦) ولا تنغمس فيه ، ثم تهيبه ، فان ذلك هو الخور .

قد^(٧) رأينا من سوء المجالسة أن الرجل تثقل عليه النعمة يراها بصاحبه فيكون^(٨) مما يشغى به من تصغير صاحبه وتكدير النعمة أن يذكر الزوال والنفاء والدول كأنه واعظ أو قاص ، فلا يخفى ذلك على من يعنى به ولا غيره ؛ ولا ينزل قوله بمنزلة الموعظة والإبلاغ ، لكن بمنزلة الضجر بالنعمة والاعتماد لها وبها^(٩) ، والاستراحة إلى غير رواح .

(١) د : تقول أن هذا لقبيح من الاسماء . . .

(٢) د : لعل ذلك يوافق لبعض جلسائك بعض أسماء الأهلين والحرم ، ولا تستصغرن من ذلك شيئاً ، فكله يجرح القلب ، وجرح اللسان أشد من جرح اليد .

(٣) س : يخرج .

(٤) في « رسائل البلغاء » ص ١٠٥ س ٦ - س ٨ ؛ وفي د ٤٨ س ٥ الخ .

(٥) ص : من الأمور . - وما أثبتناه عن ط / وفي س : من تيك الأمور / وفي د : من تنكّب الأمور ما يسمى حذرا ، ومنه ما يسمى خورا . فان استطعت أن يكون تجنبك . . .

(٦) فافعله : ناقصة في د .

(٧) في « رسائل البلغاء » ص ١٠٥ س ١٠ - س ١٣ ؛ وفي د ٤٨ س ١٠ .

(٨) فيكون مما . . . صاحبه : ناقصة في س/ د : فيكون ما يتشغى فيه في تصغير أمر صاحبه . . .

(٩) وبها : ناقصة في د .

قال (١) : إني مخبرك عن صاحب كان (٢) لى ، وكان أعظم الناس فى عيني . وكان رأس ما عظمه فى عيني (٣) صغر الدنيا فى عينه (٤) . كان خارجاً من سلطان بطنه ، فلا يشتهى (٥) ما لا يجد ، ولا يكثر إذا وجد (٦) . + كان خارجاً من سلطان لسانه ، فلا يقول [١١٣٤] فيما لا يعلم ، ولا ينازع فيما علم + . كان خارجاً من سلطان فرجه ، فلا تدعوه (٧) إليه مؤونة ، ولا يستخف له رأياً ولا بدناً . كان لا يأشر (٨) عند نعمة ، ولا يستكين عند مصيبة . كان خارجاً من سلطان الجهالة ، فلا يقدم أبداً (٩) إلا على ثقة بمنفعة (١٠) . كان أكثر دهره صامتاً ، فإذا قال بكذ القائلين . كان يرى متضاعفاً مستضعفاً (١١) ، فإذا جاء الحد كان الليث عادياً (١٢) . كان لا يداخل فى دعوى ، ولا يشرك (١٣) فى مرء ، ولا يدلى بحجة حتى يرى قاضياً عدلاً وشهوداً عدولاً (١٤) . كان

(١) أى ابن المقفع أيضاً . وهذه القطعة منسوبة فى « نهج البلاغة » الى الامام على . راجعها ص ٢٠٥ الى ص ٢٠٦ . طبعة الحلبي ، القاهرة (بغير تاريخ) ، مع بعض التغيير فى النص . وقد وردت أيضاً فى « الأدب الكبير » (راجع « رسائل البلغاء » ص ١٠٥ س ١٤ - ص ١٠٦ س ١٢) ، ونسبها ابن قتيبة فى « عيون الأخبار » (ج ٢ ص ٣٥٥) الى الحسن بن على بن أبى طالب ، ونسبها صاحب « زهر الآداب » (ج ١ ص ٢٢٤) الى ابن المقفع .

(٢) كان لى : ساقطة فى « رسائل البلغاء » ص ١٠٥ س ١٤ و د .
(٣) فى « رسائل البلغاء » : عندي .
(٤) صغر . . . عينه : ناقصة فى ط .
(٥) ط : يشتهى ؛ د : ما يشتهى .
(٦) كان خارجاً من سلطان بطنه . . . وجد : ناقصة فى س / فلا : ناقص فى س .

(+ ... +) ناقصة فى د .
(٧) ص : يدعو ؛ د : تدعو . اليه مروءته .
(٨) أشر (من باب علم) أشرا : بطر ، فهو أشر (بفتح الهمزة وكسر الشين وضمها) وأشران ؛ واطر : طغى بالنعمة . - وفى « رسائل البلغاء » : عند نقمة - وهو تحريف واضح .
(٩) أبداً : ناقصة فى « رسائل البلغاء » .
(١٠) د : فلا يقيم أبداً الا على ثقة بمنفعة .
(١١) مستضعفاً : ناقصة فى د .
(١٢) العادى : الواجب - وفى « رسائل البلغاء » : متضعفاً .
(١٣) ص : يشترك - د و « رسائل البلغاء » : يشرك فى رأى .
(١٤) ط : عدلاً / فى بعض المراجع : قاضياً فهما وشهوداً عدولاً .

لا يلوم أحداً على ما قد يكون في مثله^(١) العذر حتى يعلم ما اعتذاره . كان لا يشكو وجعاً عند من لا يجحد^(٢) عنده البرء ، ولا صاحباً إلا من يرجو عنده النصيحة لهما جميعاً . كان لا يتبرم^(٣) ولا يتسخط ولا يتشهى ولا يتشكى ، ولا ينتقم من الولي ، ولا يغفل عن العدو ، ولا يخص نفسه دون إخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته .

فعليك بهذه الأخلاق ، إن أطق ! ولن تطيق ، ولكن أخذ القليل خير من ترك الجميع .

تم كلام عبد الله^(٤) بن المقفع .

كلام أبي نصر الفارابي في وصايا يعم نفعها

جميع من يستعملها من جميع^(٥) طبقات الناس

قال : كل واحد من الناس متى ما رجع إلى نفسه وتأمل أحواله وأحوال غيره من أفناء الناس ، وجد^(٦) نفسه في رتبة يشركه فيها طائفة منهم ، ووجد فرق رتبته طائفة هم أعلى منه منزلةً بجهة أو جهات ، ووجد دونها^(٧) طائفة هم^(٨) أوضع منه [١٣٤ب] بجهة أو جهات ، لأن^(٩) الملك الأعظم ، وإن وجد نفسه في محل لا يرى لأحد من الناس في زمانه منزلة أعلى من منزلته ، فانه إذا تأمل حاله نعيمًا وجد فيهم من يفضل عليه بنوع من التفضيلة إذ ليس في أجزاء العالم ما هو كامل من جميع الجهات ، وكذلك الوضع الخامل الذكر يجحد من هو دونه بنوع من الضعة . فقد صح ما وصفنا .

(١) في « رسائل البلغاء » : العذر في مثله ؛ د : على ما يكون العذر في مثله حتى يعلم اعتذاره .

(٢) س و ط : وجعا الى من لا يرجو عنده البرء ، ولا صاحباً الا الى من يرجو . وفي « رسائل البلغاء » : وجعا الا الى من يرجو عنده البرء ، ولا يصحب الا من يرجو عنده النصيحة ، وكان لا يتبرم وجعا الا الى من يرجو عنده النصيحة .

(٣) د : يتبرد ولا يتسخط ولا يتبهي ولا يتشكى

(٤) كذا في ط و س . وفي ص : كلام ابن المقفع ؛ وفي د : تم الكتاب .

(٥) جميع : ناقصة في س .

(٦) س : ووجد .

(٧) س : رتبة طائفة

(٨) هم : ناقصة في س .

(٩) س : ووجد دونها لأن

وينتفع المرء باستعمال السياسات مع هؤلاء الطبقات الثلاث : أما مع الأرفعين فلينال مرتبتهم ، وأما مع الأكفء فليفضل عليهم ، وأما مع الأوضعين فلئلا ينحط إلى مرتبتهم .

ونقول أيضاً إن أنفع الطرق التي يسلكها المرء في استجلاب علم السياسة وغيرها من العلوم — إذ هو الطريق لا غير — أن يتأمل أحوال الناس وأعمالهم ومُتَصَرِّفاتهم : ما يشاهد وما غاب عنه مما سمعه وتناهى إليه منها ؛ وأن ينعم النظر فيها ويميز بين محاسنها ومساوئها ، وبين النافع والضار لهم منها ، ثم ليجهتد في التمسك بمحاسنها ليناله من منافعها ما نالهم ، وفي التحرز من مساوئها ليأمن مضارها ويسلم من غوائلها مثلما سلموا .

ونقول أيضاً إن لكل شخص من أشخاص الناس قوتين ^(١) : إحداهما عاقلة ، والأخرى بهيمية . ولكل واحدة منهما إرادة واختيار ، وهو كالمواقف بينهما . ولكل واحدة ^(٢) منهما نزاع ^(٣) غالب : فنزاع القوة البهيمية نحو مصادقة اللذات العاجلة الشهوية ، مثل أنواع الغذاء وأنواع الاستفرغات وأنواع الاستراحات . ونزاع القوة النطقية نحو العواقب المحمودة ، مثل أنواع العلوم وأنواع الأفعال التي تجدى العواقب الفاضلة ^(٤) [١١٣٥] السليمة . وأول ما ينشأ الإنسان يكون في حيز البهائم إلى أن يتولد فيه العقل أولاً وأولاً وتقوى فيه هذه القوة ، فالقوة ^(٥) البهيمية إذاً أغلب عليه . وكلما كان أقوى وأغلب ، كانت الحاجة إلى إخماده وتوحيته ^(٦) وأخذ الأهبة والاستعداد له أشد . فواجب على كل من يروم نيل فضيلة ألا يتغافل عن تقيظ نفسه في كل وقت وتحريضها ^(٧) على ما هو أصلح له ، ألا يهملها ساعة واحدة ؛ فانه متى أهملها وهى حية — والحي متحرك — لم يكن لها بد من أن تتحرك نحو الطرف الذي هو بهيمى ؛ وإذا تحركت نحوه تثبتت ببعض منه ، حتى إذا أراد ^(٨) ردها عما تحركت نحوه لحقه من النصب

(١) قوتان : فى ص و ط . وفى س كما أثبتنا .

(٢) ص و ط : واحد . (٣) س : إرادة نزاع .

(٤) ص : الفاضلة جدا السليمة . (٥) ط : والقوة .

(٦) ط : توحيته . (٧) ص : تحريضها .

(٨) ط : أرادها .

أضعاف ما كان يلحقه لو لم يهملها ، ويتعطل وقته الذي كان ينبغي أن يحصل فيه فضيلة لا اشتغاله بالاحتياال عما تحركت نحوه وفاته تلك الفضيلة .

ونقول (١) أيضاً إن المرء لا يخلو في جميع متصرفاته من أن يلقى أمراً محموداً أو أمراً مذموماً ، وله في كل واحد (٢) من الأمرين فائدة إن استفادها ، ويجد في كل واحد منهما نفعاً (٣) يمكنه جذبه إلى نفسه ، ويصادف في كل واحد منهما موضع رياضة لنفسه ، وهو أنه يحتال للتمسك بذلك الأمر المحمود الذي يلقاه إن وجد السبيل إلى التمسك به ، أو يتشبه بالتمسك به بقدر طاقته إن أعوزه ذلك ، أو يحسن ذلك الأمر عند نفسه وينبها على فضله ويوجب عليها التمسك به متى ما وجد الفرصة لذلك ، وهو لاشك واجد السبيل إلى أحد (٤) هذه السبل (٥) الثلاث . وإذا تلقاه الأمر المذموم فليجتهد في التحرز [١٣٥ب] منه والتباعد عنه . وإن لم يجد إلى ذلك سبيلا ، وهو واقع فيه ، فليبالغ في نفيه عن نفسه بغاية ما أمكنه . فان لم يمكنه التبري منه ، فليعزم على نفسه أنه إذا تيسر له الخلاص منه لا يعود إلى أسبابه ، وليقبح إلى نفسه دواعي ذلك الأمر ولينبها (٦) على الاعتبار بمن نالهم مضاراً مثلها — فقد ظهر أن المرء يصادف في جميع أحواله دِقِّها وجِلِّها ، خيرها وشرِّها ، موضع الرياضة لنفسه .

ونقول أيضاً إن أول ما ينبغي أن يتدبَّر به هو أن يعلم ويعتقد أن لهذا العالم وأجزائه صانِعاً — بأن يتأمل الموجودات كلها : هل لكل واحد منها (٧) سبب وعلة ، أم لا ؟ فانه يجد عند الاستقراء لكل واحد منها سبباً وعلة عنه وجِلِّد . ثم ينظر إلى تلك الأسباب القريبة من الموجودات : هل لها أسباب أيضاً ، أم ليست لها أسباب (٨) ؟ فانه يجد لها أيضاً أسباباً . ثم يتأمل وينظر : هل الأسباب ذاهبة إلى ما لا نهاية ، أم هي واقفة عند نهاية ، أم (٩) بعض الموجودات أسباب

(١) ط : وهو أيضا .

(٢) من الأمرين . . . واحد : ناقصة في ط .

(٣) نفعاً . . . منهما : ناقصة في س .

(٤) س : أخذ . (٥) ص : السبيل .

(٦) س : ولينبها .

(٧) ص ، ط : سبباً . وفي س : سبب أم لا .

(٨) س : أسباب أيضاً . (٩) ط : أم هي .

للبعض (١) على سبيل الدور؟ فانه يجد القول بأنها ذاهبة إلى غير نهاية محالا؛ ويجد القول بأن بعضها سبب للبعض (٢) على التعاقب محالا أيضاً، لأنه يلزم من ذلك أن يكون الشيء سبباً لنفسه، كما أنه لو كان أسبباً لب، وب سبباً لج، وج سبباً لـ أ لكان (٣) أسبباً لنفسه، وهذا محال؛ فبقي أن تكون الأسباب متناهية؛ وأقل ما يتناهى إليه الكثير هو الواحد؛ فسبب الأسباب موجود، وهو واحد. ولا يجوز أن تكون ذات السبب وذات المسبب واحداً. فسبب أسباب العالم منفرد بذاته وعمادونه. ولما لم يقدر [١١٣٦] الإنسان (٤) على معرفة شيء سوى ما شاهده بحواسه أو فهمه بعقله عما شاهده، لم يجد بداً من وصف الباري، الذي هو سبب الأسباب، والعبارة عنه بما وجد السبيل (٥) إليه من الألفاظ والأوصاف. فلما أراد العبارة والوصف له، علم أنه لا يلحقه شيء من جميع الأوصاف التي شاهدها وعلمها لتفرده (٦) بذاته ولأنه منزّه عن كل ما أحسه وعرفه — لم يجد (٧) طريقاً أحسن من (٨) أن ينظر في الموجودات التي لديه. فاذا تأملها وجدها صنفين: فاضلاً وخسيساً (٩)، ووجد الأليق بسبب الأسباب وموجدتها الواحد الحق أن يطلق عليه من كل صنفين أفضلهما: — مثل أنه رأى الموجود والمعدوم وعلم أن الموجود أفضلهما (١٠) فأطلق القول عليه، وقال: إنه موجود. ورأى الحى وغير الحى، وعلم أن الحى أفضل من غير الحى فأطلق القول عليه وقال: إنه حى. ورأى العليم وغير العليم فأضاف (١١) إليه العليم — وكذلك جميع الأوصاف. وعلى أن الواجب على كل صنف من الناس إذا

(١) ص: لبعض .

(٢) ص: لبعض . / ويجد القول بأن بعضها ... محالا : ناقصة
فى س .

(٣) ١ : ناقصة فى ط .
(٤) وعالم يقدر ... بحواسه : ناقص فى س . — بحواسه ...
عما شاهده : ناقص فى ص .

(٥) ص: التفردة . (٦) ص: أوجد اليه السبيل .

(٧) ص: يكن طريقاً . (٨) من : ناقصة فى ص .

(٩) ص ، ط : فاضل وخسيس — وما أثبتناه عن س .

(١٠) مثل ... أفضلهما : ناقصة فى ص .

(١١) ط : وأضاف .

أراد أن يصف البارى - عز (١) وجل - بصفة ما أن يخطر بباله مع تلك الصفة أنه منزّه عن أن يشبه تلك الصفة ، بل هو أفضل وأشرف وأعلى ، لأنه سبب وجود كل صفة وموصوف ، وأنه لا يمكن لأحد إحاطة العلم به كما هو وكما يستحق .

ثم إذا علم هذا الذى وصفناه ينبغى له أن يتأمل أجزاء العالم كلها ، فانه يجد أفضلها ما هو ذو نفس ويوجد أفضل ذوى الأنفس الذى له الاختيار والإرادة والحركة التى عن روية ، وأفضل ذوى الإرادة والحركة عن الروية الذى له النظر البليغ فى العواقب ، وهو الإنسان الفاضل . وأن يعلم مع ذلك أن الطبيعة لا تفعل شيئاً باطلاً ، فكيف [١٣٦ب] مبدع الطبيعة ! والبارى تعالى - حيث وهب الاختيار والروية والفكر للبرية - لم يكن ينبغى أن يهمل أمرها ، وكان من الواجب فى عدله وصنعه المتقن أن ينهج (٢) لها نهجاً يسلكونه . ولما كان كذلك بالواجب (٣) لم يكن ينبغى أن يرسل إليها من ليس من طبعها (٤) ، لأنهم لم يكونوا يقدرّون على الاستفهام ممن هو من (٥) غير طبعهم . وظاهر أن فى الناس وعقولهم وقوى أنفسهم تفاضلاً بيناً ، حتى إن الواحد منهم يفوق بالفن الواحد جميع ذوى جنسه ويعجز الباقون عنه . فممكن إذاً أن يكون من الناس من يقوى على أن يوحى إلى قلبه بما يعجز ذو جنسه عن مثله ، حتى يقوم ذلك الواحد بتبليغ ما يلقى إليه ، ويقدر بتلك القوة وذلك الإلهام على تشريع الأحكام وتنهيج السبل الداعية إلى صلاح (٦) الخلق .

ثم ينبغى أن يعلم أنه إذا ظهر مثل هذا الواحد (٦) وتبين أمره ، فالواجب على كل ذى تمييز أن يعلم أن لكل واحد من الناس مقداراً وتميزاً ومعرفة. ففى وجد الأفهام الكثيرة والآراء المختلفة مجتمعة على كلمة واحدة ولم يجد (٧) ما هو أظهر منه وأكشف وأقوى ، فليتبع الكثير والآراء المتفقة من الجميع ، فان الحق معهم ،

(١) عز وجل : ناقصة فى ط و س .

(٢) ط : بها / س : نهجات . (٣) س : فالواجب .

(٤) س : طبعهم . (٥) س : فى .

(٦) الى صلاح . . . الواحد : ناقص فى س .

(٧) ص ، س : لم (بدون واو) .

والسلامة أبدأً مع الكثير . وينبغي ألا تغرّه الوقعات في الندرة وفي الآراء المزخرفة ،
فإن أكثرها أباطيل إذا توكلت نِعَمًا .

ثم ينبغي أن تعلم أن المكافأة واجبة في الطبيعة ، وأنها إنما تجب في الأعمال
المقرونة بالنيات . والدليل على ذلك أن المرء لا يجازى على ما يعمل في نومه ،
ولا على ما ليس بارادته [١٣٧] واختياره ، مثل سعاله وعطاسه وحياته وموته
وتنفسه ، ولا على اغتذائه واستفراغه — وإن كان فيها بعض الإرادة . ولا يجازى
أيضاً على نيّاته المحرّدة .

وأول ما ينبغي أن يستدل المرء به على وجوب المكافأة (١) هو أنه إذا
عرف ربه واعتقد ذكرنا من وحدانيته وتنزهه عن صفات المخلوقين ومعرفة
رسوله في أى زمان كان وانتهج النهج الواضح ، وجد في صدره سعة ، وفي أحواله
استقامة ، وعن الأشرار سلامة ، وعند الأخيار حُظوة ، وفي معاشه سداداً بمقدار
ما يفعله وينويه منه . فإذا تيقن (٢) ذلك فينبغي له أن يقدم على سياسة أحواله
بقلب قوى ونية صالحة وصدر واسع وثقة بأن ما يأتيه من ذلك — وإن قلَّ —
يجدى عليه نفعاً مجلّ .

ويبدأ بتعهد الرؤساء بما سنصفه فنقول : إن الإنسان لا يخلو مع من فوقه
من الرؤساء من أن يكون متصدياً لخدمته ، أو يكون بينه وبينه حال يلقاه بها
في بعض الأوقات ، أو يكون بالبعد عنه لا يلقاه إلا بالذكر . فواجب على المرء
أن يستعمل — مع من هو متصدي لخدمته — ما نقوله : وهو أن يكون بينه وبينه
اتصال وملازمة دائمة لما هو بصدده ، ويكون مواظباً على ما فوض إليه ،
ويجتهد أبدأً أن يكون نصب عينه إذا ذكره ولا ينسى الملal (٣) ، وخصوصاً
من الملوك ، لأن موضع (٤) الملal إنما يكون عند كثرة غشيان الناس المواضع
التي ليس لهم فيها عمل ، وأن يكون مادحاً له مقرظاً لجميع ما يأتيه الرئيس من

(١) ص : وهو . وكذلك في س .

(٢) س : تبقى .

(٣) س : المال — وهو تحريف ظاهر .

(٤) س : مواضع .

دَقِّ (١) وجِلِّ ، مجتهداً في تحسين كل [١٣٧ب] ما يفعله ويقولوه ، وهو واجد (٢) ذلك
 إذ ليس شيء من أمور العالم إلا وله وجهان : أحدهما جميل ، والآخر قبيح ،
 فليطلب لكل أمر من أموره وجهاً جميلاً يصرفه إليه ، ويتكلف ذكره بحضرته
 وغيبته . فان كان المرء ممن إليه تدبير ذلك الرئيس - مثل أن يكون وزيراً أو
 مشيراً أو معلماً ، ولا بد له من تعريفه وجه الصلاح في الأعمال - فليعلم أن
 الرئيس كالسبل المنحدر من الرتبة إن أراد المرء أن يصرفه إلى ناحية من النواحي
 وواجهه أهالك نفسه (٣) وأتى عليه السبل فغرقه . فان سعى معه وعلى جانبيه
 وتلطف لصرفه إلى الناحية التي يريد بها بأن يطرح في بعض جوانبه مقداراً من
 السدد (٤) وتطرق له من الجانب الآخر لا ينشب أن يصرفه حيث شاء .

وينبغي له أيضاً أن يستعمل مع الرئيس في صرف وجهه عما يريد صرفه
 عنه أن يجري معه فيما هو جار نحوه ولا يواجهه بأمر ولا نهى ، بل يريه وجه
 الصلاح في خلاف ما يأتيه ويقبح عنده - في الوقت بعد الوقت ، على سبيل
 الحكايات عن غيره والحيل اللطيفة - بعض ما يعرض مما هو فيه . فانه إذا
 استعمل معه هذه (٥) الطريق لا يلبث أن تعود الحال بمراده وأن يكون كاتماً لأسراره .
 والحيلة في ذلك أن يكتم جميع أحواله (٦) الظاهرة بما يقدر عليه . فان من كان
 كاتماً (٧) للأحوال الظاهرة ، فكتم بالحرى ألا يعثر منه على إفشاء سر باطن !
 ولا يؤمن على السر المكتوم أن يظهر ببعض الأحوال الظاهرة ، لأن الأمور
 والأحوال متصلة متعلقة بعضها ببعض . وأن يعلم [١٣٨] أن للرؤساء همماً ينفردون
 بها عن (٨) سواهم من الناس ، وهي أنهم يعتقدون في جميع من دونهم الاستخدام
 والاستعباد ، وفي أنفسهم الإصابة في جميع ما يأتونه . وإنما تحدث هذه الهممة
 فيهم لكثرة مدح الناس لهم وإطرائهم أعمالهم وتصويهم آراءهم ، وذلك في طباع

(١) أى من دقيق ما يأتيه وجليله .

(٢) ص ، ط : واحد . (٣) ط : أهلكه .

(٤) جمع سدة (بضم السين وتشديد الدال) : جريد يشد بعضه الى بعض : الابواب : الظلل . - وفى ط : بفتح السين والدال بعدها .

(٥) س : هذا . (٦) س : أسراره .

(٧) س : فان من كتم الأحوال . (٨) س : عن .

كل الناس . وأن يحترز كل الاحتراز بأن يخبر عن نفسه بحضرة الرئيس شيئاً يمكن أن يتخذ بوجهه^(١) من الوجوه جرمًا عليه وإن كان في غاية الانبساط معه ، وألا يقرب بما يخبر الرئيس عنه مما يستقبح : فشتان بين الخبر وبين الإقرار ! وليس يؤمن تغيير^(٢) الأحوال . فأما إذا اعترض^(٣) بينه وبين الرئيس حال لا يمكن صرف القبيح إلا إليه أو إلى الرئيس فقط ، فليجتهد في صرف ذلك القبيح إلى نفسه وليجعل لذلك أوجهًا . فإذا اتجه القبيح نحوه وتبرأت ساحة الرئيس منه أو كاد أن يتجه — فليحتل^(٤) لأن يطلب لذلك الأمر سبباً يكون بدؤه من غيره لترجع اللائمة عليه ، وإن كان بالقصد الثاني كيلا يلتزم اللائمة . وما من شيء أبلغ وأعم نفعاً في باب العبودية من ترك المرء حظ نفسه في جميع ما يباشر من الأعمال لرئيسه^(٥) . فانه ما من أمر يتعاطاه الإنسان مما هو بينه وبين الرئيس إلا ويجد لنفسه موضع حظ . فينبغي له أن يتركه ويتجنبه ويستخلص ما هو حظ الرئيس . فانه مهما فعل ذلك ، اجتنى ثمرة خيره . ومهما اشتغل باستيفاء حظه ، لم يقع الأمر على جهته ووقع فيه خلل . وترك الأمر خيراً من إفساده . وينبغي أن يتلطف^(٦) كل [١٣٨ ب] التلطف^(٧) في نيل المنافع من جهة الرؤساء بالألا يلح في السؤال وألا يديمه ولا يظهر الطمع والشره من نفسه ، ويجتهد في أن يطلب من الرؤساء أسباب المنافع ، لا المنافع أنفسهم ، مثل إطلاق اليد في وجوه تجلب منها الأموال والمنافع ليقبل السؤال ويكثر النفع . ويجتهد في أن ينتفع بالرئيس^(٨) ، لا أن ينتفع منهم ، لأن من انتفع بهم أعزوه ، ومن انتفع منهم ملوه ، ويضع نفسه عندهم في صورة من ينخلع عن ملكه وقنيتة لهم بأهون كلمة وأدون سعى . وليحذر كل الحذر من أن يتصور عندهم منه أنه يرضن^(٩) بماله أو يحب أن يستأثر بشيء من مقتنياته ، فانه حينئذ يصير بعرض من

- (١) س : ذلك بوجه ... (٢) ص : تغيير ؛ س : من تغيير .
(٣) ص : عرض . (٤) ص : فليتحيل .
(٥) ص : الرئيسية . (٦) س : ذلك التلطف .
(٧) أول ورقة ١٦٧ بعد نهاية ورقة ١٥٦ ب .
(٨) ص : الرئيس ... منه .
(٩) س : يظن — وهو تحريف سمعى .

الاستقصاء ، والمندوع محروص عليه ، والمبذول مملول منه . ويجتهد في أن يظهر في كل ما يقتنيه أنه إنما يفعله لتكون زينته وجماله للرئيس ، لا لنفسه ، فانه ملاك الإبقاء . وليحذر أن يتخذ لنفسه شيئاً مما ينفرد به الرئيس أو مما يليق بالروءاء الذين فوقه ، فان كل من اتخذ شيئاً من ذلك فقد عرض نفسه للهلاك ، وعرض ذلك الشيء للذهاب .

وينبغي ألا يظهر من نفسه الاستغناء عن الرؤساء ، ولا فيما يقل مقداره ؛ وأن يكون مُظهراً أبداً قناعة ورضا بكل ما يتصرف فيه من الأمور والأموال . ومتى ما لحقته سخطة من الرئيس أو ملال أو ما أشبهه فليجتهد في ترك الشكاية عنده ، وليحذر من إظهار العداوة له والحقد ، وليصرف وجه الذنب فيه إلى نفسه . ثم ليجتهد وليتلطف لتجديد حال [١٣٩] تزيل تلك السخطة بأهون ما يقدر عليه . فهذه قوانين ينتفع باستعمالها في معاشره الرؤساء .

..

فأما (١) التي ينبغي أن يستعملها مع الأكفاء فسندكر منها ، ونقول : إن الأكفاء لا يخلون من أن يكونوا أصدقاء أو أعداء ، أو لأصدقاء ولا أعداء . والأصدقاء صنفان : أحدهما الأصفياء المخلصون في الصداقة ، وينبغي للمرء أن يديم ملاطفهم وتعهدهم أسبابهم وإهداء ما يستحسنه وما يتيسر له إليهم في كل وقت ويحيي الحال فيما بينه وبينهم بذلك من غير أن يظهر منه ملال أو تقصير ويجتهد في الاستكثار منهم ، فان الصديق زين المرء وعضده وعونه وناصره ومذيع فضائله وكاتم هفواته ومأوى زلاته . ومهما كان (٢) هؤلاء أكثر ، كانت أحوال المرء فيما بينهم أحسن وأقوم . والصنف الآخر هم الأصدقاء في الظاهر من غير صدق فيما يظهر منه ، بل بتشبه وتصنع — فينبغي للمرء أن يجاملهم ويحسن إليهم ولا يطلعهم على شيء من أسرارهم ، وخصوصاً من عيوبهم ، ولا يلقى إليهم خواص أحاديثه وأحواله ، ولا يحدتهم عن نعمه ولا عن أسباب منافعه ، وليجتهد في استئثارهم والصبر معهم ، ومعاملتهم بحسب الظاهر دون أخذهم بالبواطن ، ولا يأخذهم بالتقصير ولا يقطع عتابهم فيما يقع منهم من التقصير .

(١) س : وأما الذي ينبغي . . . (٢) ص ، س : هو .

ولا يجازيهم على ذلك . فانه مهما فعل ذلك يرجى صلاحهم ورجوعهم إلى مراده ولعلمهم يصيرون في رتبة الأصفياء له . وليس شيء أدل على [١٣٩ب] صدق (١) الإخاء وإضمار الوفاء ولا أشد استجلاباً للمحبة ووجوب الحق من تعهد أحوال (٢) الأصدقاء . فان المرء ، إذا رأى صديقه وهو يتعهد أحوال أخلائه والمتصلين به ، يستدل بذلك على صدق محبته له ويثق بوداده ويقوى تأمليه ورجاؤه عنده .

وأفضل ما يستعمله المرء مع أصدقائه هو أن يتعهد أحوالهم عند الحاجة والفاقة ، ويواسيهم بما يمكنه من غير أن يحوجهم إلى المسئلة ، ويتفقد أقاربهم وعيالاتهم إذا ماتوا . فانه (٣) متى شهِرَ بذلك رغب في صداقته كل أحد ، وبذلك تكثر أصدقائه .

والأعداء أيضاً صنفان : أحدهما ذوو الأضغان والأحقاد . وينبغي للمرء أن يحترس منهم كل الاحتراس ، ويبحث عن أحوالهم ، ويستطلع أخبارهم بكل ما أمكنه . ومهما اطلع منهم على مكر أو خديعة أو تدابير (٤) يدبرونها فليقابلهم بما يناقض تدبيرهم ، ويكثر الشكاية منهم إلى الرؤساء وأفناء الناس ليعرفوا بعداوتهم حتى لا تنجح فيه مكائدهم ولا ينفق (٥) عليهم قوْلهم فيه (٦) ، وليصيروا متهمين عند الناس في أقوالهم وأفعالهم بما ظهر عند الناس من عداوتهم إياه . وكل من يئس من صلاحه وتيقن سوء طبعه وتمكن الضغينة من قلبه ، فليتنهز الفرصة في إهلاكه ؛ ومهما وجدها ، فليتنهزها ولا يتغافل عما يمكنه إذا تيقن أمره من إهلاكه . واعلم أنه ربما لا يقدر على إتمام (٧) أمره والنجاة منه ، فلا تشرع في شيء منه لئلا يجد العدو عليك ما يتعلق (٨) به عند الناس مما يمهّد لنفسه عندهم في عداوته علناً .

والصنف الآخر من الأعداء هم الحساد . وينبغي للمرء أن يظهر أبداً ما يغیظهم وما يؤذيهم بأن يلقي إليهم [١١٤٠] ذكر النعم التي يختص بها المرء

- | | |
|--------------------------|-------------------------------|
| (١) ص : صديق . | (٢) س : الأحوال . |
| (٣) س : فانهم . | (٤) ط : تدبير . وكذلك في س . |
| (٥) أى : يروج . | (٦) فيه : ناقصة في ص . |
| (٧) س : أمر النجاة منه . | (٧) ما يتعلق به : ناقص في س . |

لتذوب لها نفوسهم ، ويحترز مع ذلك من دسيسهم ويحتال لظهور حسدهم فيه وفي غيره من الناس ليعرفوا بذلك.

فأما سائر الناس الذين ليسوا بصديق ولا عدو ولا متصنع فهم طبقات سندكر مجلها وجُل ما ينبغي للمرء أن يستعمل مع كل طائفة منها .

فمنهم النصحاء الذين يتبرعون بالنصيحة . فالواجب على المرء أن يتفرغ للخلوة مع كل من ادعى أنه ناصح له ، ويستمع إلى قوله ، ويعزم على قابله ألا يغتر بكل قول يسمعه ، وألا يعجل إلى قوله ، ولا يعمل بكل ما ينهى إليه ، بل يتأمل (١) أقاويلهم ، ويتعرف أغراضهم غاية التعرف ، ليقف من معرفة أغراضهم على حقيقة أقاويلهم . وإذا لاح له (٢) وجه الصواب وحقيقة الأمر في شيء مما ألقوه إليه ، بادر إلى إنفاذ الأمر فيه . وليكن تلقيه لكل منهم بهاشة وإظهاراً للحرص (٣) على ما يلقيه إليه .

ومنهم الصلحاء ، وهم ناس يتبرعون لإصلاح ما بين الناس ، فيجب على المرء أن يمدحهم أبداً على ما يفعلونه ، وأن يتشبه بهم في جميع أحواله . فان مذاهبهم مرضية عند جميع الناس . ومهما تشبه المرء بهم ، عرف بالخير وحسن النية ، وميز من السفهاء .

فأما السفهاء فيجب على المرء أن يستعمل معهم الحلم ، وألا يواثبهم ولا يقابلهم بما هم (٤) فيه من السفاهة ، بل يتلقاهم أبداً بحلم رزين (٥) وسكون بليغ ، ليعرفوا قلة مبالاته بما هم فيه ولا يؤذونه . ومتى تلقوه بالشم والسفه ، فيجب أن يتلقاهم بالحقرة وقلة الاكتراث .

ومنهم أهل الكبر والمنافسة . فيجب على المرء أن يقابلهم بمثله ، لأنهم [١٤٠ ب] إن تواضع لهم أحسوا فيه (٦) بضعف ، وتوهموا أن فيه ليناً ، وأن فعلهم ذلك (٧) صواب ، وأنه لا بد للناس من التواضع لهم . ومتى (٨) ماتكبر المرء عليهم وكابرهم

-
- | | |
|----------------------------|---------------------|
| (١) ص : تأمل | (٢) له : ناقصة في ط |
| (٣) ط : حرص لما يلقيه إليه | (٤) هم : ناقصة في س |
| (٥) س : وزين | (٦) س : بالضعف |
| (٧) س : صواباً | (٨) ص : ومتى تكبر |

في الأحوال وتأذوا به ، علموا أن الذنب في ذلك لهم ، ورجعوا إلى التواضع وحسن السيرة .

• فأما (١) الذي ينبغي للمرء أن يستعمله مع من دونه من الناس ، فإننا نصف منه ما تيسر فنقول : إن منهم الضعفاء ، وهم صنفان : أحدهما المحتاجون ذوو الفاقة ، وهم صنوف :

منهم الملحئون ، فينبغي ألا يعطيهم ولا يبذل لهم على إلحاحهم شيئاً لينزجروا عنه ؛ إلا إذا علم أنه صادق الحاجة إلى الشيء الضروري ؛

ومنهم الكاذبون فيما يدعونه من الفاقة . فينبغي أن يميز بينهم : فإن كان تعتمدهم للكذب لضرب من التدبير ، فلتكن معاملته معهم في المواساة وسطاً من غير منع ولا بذل تام ؛

ومنهم الضعفاء الصادقون فيما يدعونه من الحاجة ، فيجب أن يواسيهم بغاية (٢) ما يمكنه من غير أن يخل بأحوال نفسه بما يواسيه .

والصنف الآخر هم (٣) المتعلمون وذوو الحاجة إلى العلم . فمنهم ذوو الطباع الرديئة يقصدون تعلم العلوم ليستعملوها في الشره . فينبغي للمرء أن يحملهم على تهذيب الأخلاق ، ولا يعلمهم شيئاً من العلوم التي إذا عرفوها استعملوها فيما لا يجب ؛ ويجتهد في كشف ما هم عليه من رداءة الطبع ليحذروا . — ومنهم البليد الذي فيه أدنى ذكاء ، ولا ترجى براعته فينبغي أن يحثه على ما هو أعود عليه (٤) . — ومنهم المتعلمون ذوو الأخلاق الطاهرة والطباع الحيدة ، فيجب ألا يدخر عنهم شيئاً مما عنده من العلوم .

ثم إنه ينبغي للمرء أن يرجع [١١٤١] إلى خاص "أحواله فيميزها ويعلم طريقة حاله وصلاحها" (٥) ، ويستعمل في كل (٦) حال من أحواله ما يعود بصلاحها ،

(١) ط : وأما الذي ينبغي للمرء أن يستعمله مع ٠٠٠ ص : ينبغي أن يستعمله المرء ٠٠٠ وما أثبتناه عن س .

(٢) ص : بما يمكنه . (٣) هم : ناقصة في س .

(٤) فينبغي ٠٠٠ عليه : ناقصة في س .

(٥) س : صلاحه . (٦) حال : ناقصة في ص .

ويستقصى النظر في أبواب^(١) الدخل والوجوه التي يمكنه استجلاب المال منها إلى ملكه ، فيبالغ في استجلابه من حيث لا يضر بشيء مما تقدم ذكره من الأصول ، أعني لا يخل بدينه ولا مروءته ، ولا بعرضه ، فانه ليس كل وجه تكون فيه منفعة يحسن بكل أحد أن يتعرض له — مثال ذلك الدباغة والكناسة والتجارات الخسيسة والقمار ، والوجوه التي لا يحسن بذى^(٢) المروءة أن يجتلب المال منها . فاذا تجنب هذه الوجوه واكتسب المال من وجهه ، فيجب أن يخرج به بحسبه ، أعني بقدر دخله ؛ ويجتهد في أن يعرف بالسخاء ، وليس السخاء بذل الأموال^(٣) حيث اتفق ، لكن بذلها كما ينبغي ، وحيث ينبغي ، بالمقدار الذي ينبغي على سبيل الاعتدال اللائق بحال طبقة طبقة من الناس .

ومن ذلك الجاه^(٤) . فينبغي للمرء أن يجتهد^(٥) كل الجهد في إحراز الجاه لنفسه . ومتى ما استقبله أمران يكون في أحدهما^(٥) زيادة المنافع ، وفي الآخر زيادة الجاه ، فليبادر إلى الأمر الذي هو أعود عليه في زيادة الجاه ، إذ الجاه العريض يكسب المال بالضرورة ، أو ما يقوم مقامه ، وليس المال مما يكسب الجاه ضرورة^(٦) . ومن أنفع ما يستعمله المرء في معاشه أن يستجلب لذاته وشهواته إلى نفسه بجاهه ، لا بماله ، بكل ما أمكنه . فان من استجلب اللذات بماله دون جاهه ، لم يصل إليها كما يشتهي ، ولا ينشأ أن يتلف^(٦) ماله ويصير سخرية بين الناس ، ويصير كل من انتفع [ب ١٤١] به عدواً له . ومن استجلب اللذات بجاهه وقضاء حاجات الناس ، وصل إليها كما يشتهي وفوق^(٧) ما يشتهي . وكل من جلب إليه لذة لطعمه^(٨) في جاهه ، كان صديقاً له داعياً ومحباً لخيراتاه ، مالياً . ولسنا نوصي إلى أنه لا^(٩) ينبغي أن ينفق من ماله شيئاً في استجلاب لذاته ، ولكن إلى أن يكون معوله في ذلك على الجاه ، لا على المال .

(١) س : أسباب

(٢) س : بذوى (٣) ص : المال

(٤) ص : فينبغي أن يجتهد المرء كل ...

(٥) ط : احدهما (٦) س : يعلب

(٧) ولا ينشأ ... كما يشتهي : ناقص في ط

(٨) ص : لطعمه (٩) لا : ناقصة في س

ونقول الآن في تحصيل الأسرار^(١) ، وفي استخراجها من المناوئين .
وإذا عرف المرء أحد هذين البابين حصلت له المعرفة بالباب الآخر . ولكل طائفة
من أهل الطبقات الثلاث نوع من التحصيل ، ونوع من الاستخراج . وما نذكره
من الأصول فيها^(٢) يصلح لكل طائفة منها على مقداره ومرتبته .

فأول منافع تحصيل الأسرار وكتمانها هو أن يكون المرء أبداً قادراً على
إجالة^(٣) الرأي في تدبيره وعلى إنفاذه والإمساك عنه إلى أن يتجه له وجه الصواب
فيه . فانه ما دام الأمر مكتوماً ، كان قادراً عليه . فاذا ظهر ، خرج الأمر
عن يده ولم يقدر عليه . وفي كتمان الأمر^(٤) والآراء والتدابير^(٥) سلامة^(٦)
الآفات : ومن آفات الأعراض التي تعرض من إذاعتها ، فتصير موانع من
إنفاذها ، ويغيب ذو^(٧) الرأي عن رأيه بتلك الأعراض .

ومنها ذهاب حدته وثمرة رأيه ونفاذه في جدته وطراءته .
ومنها أن الرأي إذا ظهر قصد المناقضة . وإذا كان محصناً سلم من المناقضة^(٨) .
ولكل أمر نقيض .

ومنها أن المرء الذي فيه التدبير والرأي [١٤٢] لا يفتن له حتى يقع به
فيبهته ويرد عليه ما لا يحتسبه . وإذا ظهر قبل الوقوع ، قبول بالتحرز والتحفظ
وبطل الرأي والتدبير ، وتعطل الوقت الذي أفنى في إحكامه .

ولا بد للمرء من المشاورة مع غيره في آرائه وتدابيراته . فينبغي أن يستودعها
ذا النبل وكبر^(٩) الهمة وعزة النفس وذوى العقل^(١٠) واللب . فان أمثالهم لا يذيعونها ؛

(١) ص : الأسرا - س : في تحصيل الأسرار .

(٢) س : قبل .

(٣) ط : إحالة (بالحاء المهملة) ، وكذا في س .

(٤) الامر : ناقصة في ط - ص ، ط : التدبير ؛ وما أثبتناه عن س .

(٥) ط : عن . (٦) س : اذاعتها .

(٧) ص : وتعنى - غيب الشيء وعنه (من باب علم) يغيب غيباً وغبابة
(واوى) : لم يفتن له .

(٨) واذا كان ... المناقضة : ناقصة في س .

(٩) ط : وكبر النفس وذوى العقل .

(١٠) س : العقول .

وأن يباشر في وقت إنشاء الرأي الأمور التي يستعان بها على إحكام ذلك الرأي من الاستشارة والنظر في أخبار المتقدمين والاستماع إلى الأحاديث في السياسات اللائقة بذلك التدبير ، وأن^(١) يستر بجهد هذه الأمور الظاهرة المتعلقة بذلك التدبير^(٢) التي يظهر بظهورها السر ، ويستعمل ما يضاد ذلك الرأي — من غير أن يظهر من نفسه حرصاً على استعمال الأضداد ، فانها أيضاً إذا كانت مع حرص مفترط تدل على نفس الأمر وتوقع التهمة — ويطلب معرفة الأسرار من الأمور الظاهرة والباطنة^(٣) جميعاً .

أما الأمور الظاهرة فما يبدو عن الرئيس من أخذ العزم وإعداد العدد وأخذ الأهبة للأمور التي كان فيها قبل على التقصير ، ومن جمع المتفرقات وتفریق المجتمعات ، وبالجملة تغيير الأحوال الظاهرة . وأيضاً من الإمساك عن أمور كان يباشرها قبل ذلك ، ومن^(٤) إدناء من كان قاصياً ، وإقصاء من كان دانياً ، وشدة التطلع للأخبار ، وحرص زائد في الوقوف على الأحاديث المختلطة ، ومن السقوط الزائد على ما كان [١٤٢ب] قبل ذلك .

وأما من الأمور الباطنة ، فعن استطلاع أحوال البطانة والخدم ، وعن إمساكهم عما كانوا مستعملين له ، واستعمال ما كانوا ممسكين عنه . فان البطانة والخواص إذا لم يكونوا حزمة ظهر من مصادر أمورهم ومواردها ما يسيّر الرئيس ويستطلع من أفواه العُجَم والصبيان والجهال والنساء والذين هم قليلو التمييز والعقول ، فانه ليس مع هؤلاء حصافة ، ولا عندهم من الرزانة ما يمكنهم به^(٥) التحرز من الإفشاء للأسرار . وأجود ما تستخرج به^(٥) الأسرار كثرة المحادثة . فان لكل واحد من الناس من يستأنس به ويلقى إليه جميع أحواله أو جلها . وإذا كثر الكلام والمحادثة فانه لا بد أن يأتي على جل^(٦) ما في الضمائر . وأيضاً فانه ليس كل^(٧) أمر وكل تدبير يكون بموافقة الجميع ممن بحضرة الرئيس أو صاحب التدبير .

(١) س : بذلك التدبير أن يشير بجهد . . .

(٢) س : الذي .

(٣) والباطنة . . . الظاهرة : ناقصة في س .

(٤) س : ومن أدنى كان . . . به : ناقصة في ص و ط .

(٦) س : كل . (٧) ص : لكل .

وملاك أسباب الظفر بالأعداء هو ما نذكره فنقول : إن أول ما يجب أن يستعمل هو أن يطلب المرء العدو على عدوه في كل فضيلة يذكرها إن كان من أهل الفضل ، ويتحرى أن يقف العدو على ذلك ويعلمه منه ، فإن ذلك مما يضعفه ويخمد نأثرته . وأن يحصى عليه معاييه حتى لا يبقى صغيراً ولا كبيراً ، ولا ظاهراً ولا باطناً من عيوبه إلا جمعه ونشره في الناس . وليتوخَّ في ذلك (١) الصدق ؛ وليتجنب (٢) الكذب على العدو . فإن الكذب عليه قوة له ، وأن (٣) يتعرف أخبار العدو وأخلاقه وشيمته وعادته ليقابل كل واحد منها (٤) بما يضاده ويناقضه (٥) [١٤٣] ، وليجتهد في ذلك وفي معرفة ما يضجره ويقلقه ، فيוכל بكل واحد وكل سبب من أسباب ضجره وقلقه ما يهجمه . فإن في ذلك ملاك الظفر به ، وهو من أنفع أسباب الفضيحة عليه .

وأصل ذلك كراه المرجع هو طلب السلامة منه ومن مكائده بكل ما أمكن بزيادة (٦) على طلب النكاية فيه . ومما ينتفع المرء به غاية المنفعة هو الأرب . وأصل الأرب مزيلة الأرب في الظاهر . ومن ذلك معرفة العورات وطلب العثرات . وعمدة الأرب شدة التطلع على ما عند الناس ، والحرص على التباعد من أن يعرف الناس ما عند المرء (٧) . ومنه أيضاً أن يقصد الإنسان لغير المقصود ، ثم يقصد المقصود . ومنه أن يتبدى بالإعطاء من الأدنى فالأدنى إلى الأعلى فالأعلى (٨) . فإن كان الرضا مع هذا الاستعمال ، ففي خلافه السخط . ومنه أن يحصل الأصعب ثم الأخف . ومنه ألا يظهر الغضب ولا الرضا بافراط . ومن ذلك أيضاً المطل إذا تعقبه الإنجاح . ومنه الصبر إلى أن يظفر بالفرصة . ومن ذلك أن يقدم للأمر مقدمات تصير توطئة له . ومنه (٩) أن يلتقي الأمر بلسان غيره .

-
- | | |
|---------------------------|--------------------------------|
| (١) ص : مع ذلك . | (٢) ط : ليتجنب . |
| (٣) ص : لن . | (٤) س : ما . |
| (٥) ص : يضادها ويناقضها . | (٦) ص : زيادة . |
| (٧) ص : ومنها أن ... | (٨) فالأعلى : ناقصة في ط و س . |
| (٩) ص : ومنها . | |

< خاتمة >

ونحن الآن ذاكرون من أقاويل القدماء وأهل الفضل شطراً يصبر خاتمة قولنا هذا ، فان للحكايات والنوادر والأمثال في مثل هذا الفن غناءً عظيماً . فنقول :

..

قال أفلاطن : الشيء الذى لا ينبغي لك أن تفعله فلا تفعله أبداً (١) .
وقال : من استحق منك الخير فلا تنتظر ابتداءه بالمسئلة ، ليكون أكمل التذاذاً وأهنأ موقفاً .

وقال : لا تحكم من قبل أن تسمع [١٤٣ ب] قول الخصمين ودعواهما (٢) .
وسئل : لِمَ كلما علمتم كانت عنايتكم بالتعلم أشد ؟
قال : لأنا كلما ازددنا معرفة ، ازددنا معرفةً بمنفعة العلم .
وسئل : أى الأشياء أهون ؟
قال : لائمة الجهال .

وسئل : أى شيء يقدر كل أحد أن يوجد به ؟
فقال : محبته الخير للناس .
وسئل : ما أفضل ما يُتعزى به عن المصائب ؟
فقال : أما للعلماء فعلمهم بأنها ضرورية ، وأما لسائر الناس فالتأسى (٣) .
وسئل : أى حسنة لا يحسد عليها ، وأى سيئة لا يقبلها أحد ؟
فقال : التواضع حسنة لا يحسد عليها ، والكبر سيئة يرذلها كل أحد .
وقال : إذا تقدم ضمان المرء للشيء ثم لم يَف به صار (٤) كالمنام الحسن .
وسئل (٥) : ما الشيء الذى إذا فقدته المرء كان دائم البلاء ؟
فقال : العقل .

وقال أيضاً : لا تأمن الكذاب (٦) ، فان من كذب لك يكذب عليك .

(١) أبداً : ناقصة فى ط • (٢) ودعواهما : ناقصة فى ط •

(٣) تأسى : تعزى وتصبر ، و - به : اقتدى •

(٤) ص : كان الضمان كالمنام •••

(٥) ط : سئل • (٦) الكذاب فان : ناقصة فى ط •

وقال (١) : شتم من لا يحتمل شتمك استدعاء منك للشتم ، وشتم من يحتمل شتمك لوئم (٢) .

وقيل : الأدب يزين غنى الغنى ، ويستر فقر الفقير .

وقيل : يجب على من اصطنع معروفاً أن يناساه من ساعته ، ويجب على من أسدى إليه أن يكون ذكره أبداً بين عينيه (٣) .

وسئل : أيما أحمد : الحياء أم الخوف ؟

فقال (٤) : الحياء ، لأنه يدل على العقل ، والخوف يدل على الجبن .

وقال أيضاً (٥) : إن أحببت ألا تفوتك شهوتك ، فاشته ما يمكنك .

وقيل : أحسن ما عوشر به الملوك اثنان : البشاشة وتخفيف المؤونة .

وقيل : أفضل ما يقتنيه المرء الصديق الخالص .

وقيل : مَنْ برى من ثلاثة أشياء نال ثلاثة أشياء : مَنْ برى من الشره

[١١٤٤] نال العز ؛ ومن برى من البخل (٦) نال الشرف ؛ ومن برى من الكبر

نال الكرامة .

وقيل : ثلاث لا يتم المعروف إلا بهن : تعجيله ، وأن يستقله وإن كان

كثيراً ، وأن يترك الامتنان (٧) .

وقيل : من تشاغل بالأدب فأقل ما يربح منه ألا يتفرغ للخطأ .

وقيل : لا ينبغي للمرء أن يبلغ (٨) من مرارة النفس إلى حد يظن به معه

أنه شرير ، ولا (٩) من لين الجانب إلى حد يظن به معه أنه ملائق .

وقيل : لا تحبوا من الأشياء ما ملتم إليه ، ولكن أحبوا ما هي محبوبة في أنفسها .

وقال لما سئل : بماذا ينتقم الإنسان من أعدائه وبأى شيء يغيظهم ؟ - :

بأن يزداد فضلاً .

(١) ط : وقيل .

(٢) استدعاء شتمك : ناقصة في ص .

(٣) ط : يكون ذكره بين عينين أبداً .

(٤) ص : قال . (٥) أيضاً : ناقصة في ط .

(٦) ط : الشره - وهو تكرار . (٧) ط : الامتنان به .

(٨) ص : يبلغ مراد النفس . (٩) ط : ولا يبلغ .

(١) هو أبو الحسن محمد بن يوسف العامري - قال عنه صاحب « منتخب صوان الحكمة » (مخطوط مصور بدار الكتب المصرية برقم ح ٦٦٤٣ لوحة ١٣٦ - ١٣٨) : « تفلسف بخراسان • وقد قرأ على أبي زيد أحمد بن سهل البلخي - وسيأتى ذكره في « تنمة صوان الحكمة » وقصد بغداد وتصدر بها ، وإن لم يرض أخلاق أهلها ؛ وعاد وهو فيلسوف تام • وقد شرح كتب (هي : كتاب) الحكيم أرسطوطيلس ، وشاخ فيها • وهذا فصل من كتابه الملقب بـ « الأمد على الأبد » ذكر فيه تصانيفه ، وأتيت به على وجهه • قال : « وبعد ! فإن الله تعالى لما وفقني لتصنيف الكتب المفتنة في إيضاح المعاني العقلية ، قصد معونة (ص : المعونة) ذوى الألباب على تعزيز المعالم النظرية ، ويسر لي التأليف في الابانة عن علل الديانة ، وفي الاعلام بمناقب الاسلام ، وفي الارشاد لتصحيح الاعتقاد ، وفي النسك العقلي والتصوف الملى ، وفي الاتمام لفضائل الانام ، وفي التقرير لأوجه التقدير ، وفي انقاذ البشر من الجبر والقدر ، وفي الفصول البرهانية للمباحث النفسانية ، وفي فصول التأدب وفصول التحجب ، وفي الابشار والاشجار ، وفي الافصاح والايضاح ، وفي العناية والدراية ، وفي الأبحاث عن الأحداث ، وفي استفتاح النظر ، وفي الابصار والمبصر ، وفي تحصيل السلامة من الحصر والأسر ، وفي التبصير لأوجه التعبير - وغيرها من المسائل الوجيزة ، وأجوبة المسائل الدينية المتفرقة ، وشرح الأصول المنطقية ، وتفسير المصنفات الطبيعية ، وما استتب في تأليفها بأسمى الأمراء والرؤساء بالفارسية ، ووجدت هذه المؤلفات منتشرة في البلاد ، ومقبولة عند أفاضل العباد • ثم علمت أن معرفة الانسان بحاله بعد موته وعقيب مفارقة روحه لجسده ، الى أن يحشر في القيامة ويبعث في النشأة الأخيرة ، مما لا يعذر الغافل في جهله ويستحب أن يوقف على كنهه • وليس يوجد لطبقات المصنفين كتاب يتضمن تحقيق هذا الفن ، وقد كثرت فيه شبهات الملحدين واعتراضات الطبيعيين وشكوك المتكلمين ومطاعن أعداء الدين - استخرت الله تعالى في تصنيف مجرد لنعته ، مؤيد بالأدلة الواضحة الصادقة عليه ، وسميته كتاب : « الأمد على الأبد » ، وتحريت فيه ثوب الأحد الصمد ، جل وعلا ، وجعلته مفصلاً ليقف الناظر بفهمه على تأمل كل قصد منه على حدته ، ولا يجاوزه الى الذى يتلوه الا بعد الاحاطة بمضمونه • - وقال في آخر الكتاب المسمى « النسك العقلى » : « من الواجب أن يعلم أن غاية الأدب أن يستحى الانسان من نفسه ، فان كمال المروءة أن لا تكون في الانسان خبيثة لو ظهرت استحيا منها » وقال أيضاً : « شاهد البهيمى الحس ، وشاهد النطقى العقل ، وليست الفضيلة في حسن العيش ، بل في تدبير العيش • والانفصال من الشر مفتتح الخير ، وما يفعله الجاهل أخيراً ، يفعله العاقل أولاً • =

قال : سل واهب العقل إضاعة^(١) العقل ، وابدأ بالأول في إثبات الأولى ،
واعرف الأولى بإيثار الأول .

= وحيث لا عفة ولا عقل فهناك البهيمية المحضة . والعقل يضجر عند
مجاورة الجاهل . وكفى للهوى ذلاً أن لا تساكبه الحكمة . ومن
استعمل الصلف والاعتزاز ، فقد فسد خلقه . والفطن من استفرغ
أيامه لأداء ما خلق له ، والمغيوط من كفى الاهتمام بما يشغله عن
الخير المطلق . والحمية أن تدع أبداً في الشهوة بقية ، ومن قلل القنية
قلت مصائبه . والمؤيد بعقله يبادر الى اصلاح ما يخاف التأنيب عليه .
ولن يرفع الشريف درجة في الظاهر عند الناس الا حط بقدره من
نفسه في الباطن عند الله . ولا خير في عمر لم يكن خالصاً لطاعة الله
تعالى الذي له الخلق والأمر .

- (وهنا أورد ما يرد بعد في ١٥٦ ب من قوله : « مراتب
التعرف ... » حتى قوله : « على الإطلاق » .

وقيل له : لما عاد من بغداد : كيف رأيت الناس بها ؟ - قال :
رأيت عندهم ظرفاً ظاهراً وشارة معجبة ، ومراة معشوقة . لكني
رأيت من وراء ذلك سخفاً غالباً ، ووداً فاسداً ، واستحقاراً لأهل
خرسان وجميع البلدان . وأصلح ما يتفق للانسان أن تكون طينته
مشرقية وصورته عراقية : فانه يصير بهذا جامعاً بين متانة خراسان
وظرف العراق ، مفارقاً لبلادة (ص : لبلاد) خراسان ورعونة
العراق . - وكان أبو الحسن قريح القلب من أخلاق العراقيين ،
فانهم سلخوه وفسخوه وهجروا معه الانصاف ، فضلاً عن الاسعاف .
وقال في بعض كتبه في صفة الباري : « ظهوره منع من ادراكه ،
لاخفاؤه : انظر الى الشمس هل منعك من مقابلة قرصها الا سلطان
شعاعها وانتشار نورها ؟ » (وراجع أيضاً المخطوط الآخر المصور
من « منتخب صوان الحكمة » برقم و ٢٦٦٣ بدار الكتب المصرية ،
لوحه ٩٥ - ٩٦) . وورد ذكره في مواضع أخرى من « منتخب صوان
الحكمة » منها : في لوحه ٤ (من المصورتين السالفتين) ، وفي لوحه
١٠٤ (المصورة برقم و ٢٦٦٣ = لوحه ١٤٧ من رقم ح ٦٦٤٣) .
كماورد ذكره في كتاب « الرد على المنطقيين » لابن تيمية ص ٣٣٧ .
ص ٤٤٧ (طبع الهند سنة ١٩٤٩ : المطبعة القيمة في بمبای) ،
وفي « كشف الظنون » في الكلام على كتابه : « الأمد على الأبد » و « انقاذ
البشر من الجبر والقدر » و « التقرير لأوجه التقدير » ؛ وفي « الملل
والنحل » ج ٣ ص ٩٣ (بهامش « الفصل » لابن حزم) .

وطالما ذكره أبو حيان التوحيدى ووصفه ، خصوصاً في : « الامتاع
والمؤانسة » ج ١ ص ٣٥ ، ص ٣٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ؛ ج ٢ ص ٨٤ ،
٨٦ ، ٨٨ ، ج ٣ ص ٩٤ ؛ - ثم في « المقابسات » ص ١٦٥ ، ٢٠٢ ،
٢٠٧ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ (نشرة السندوبي ، القاهرة سنة ١٩٢٩) .
وقد توفي سنة ٣٨١ هـ (= ٩٩١ م) .

(١) اضاءة العقل : ناقصة في ف .

أشرف أبواب النظر هو ما أفاد تمييز الفناء من البقاء ، وأشرف أبواب العمل^(١) إخلاص العبادة لخالق البرية ، وأشرف الأفعال إعداد النفس للسعادة العظمى ، وأشرف المجاهدات قمع الشيطان — عدو الله — بسلطان^(٢) العقل — ولى الله ، وأشرف القنيات^(٣) حذف المؤمن بصدق القناعة .
غاية سعى العبد الاتحاد بمولاه . وتتمام هذا السعى هو الاستغناء عن جميع من هو^(٤) دونه .

من لم يعقل العقل ويستضيء بنوره فقد صيره حجة عليه ، لا له .
إجالة الفكر في نظام الخليقة يحلّي النفس بجمال الفضيلة .
بليدته نشأ في صحبة الأفاضل خير من ذكي نشأ في صحبة الأراذل^(٥) .
الجهل مع العفة خير من العلم مع الفسوق .
ليس الكمال في اقتناء النعم ، بل الكمال في إفاضة النعم .
الوضيع أحسن^(٦) [١٤٤ب] حالاً من الخسيس ، فان الوضيع مذموم في بعض أحواله ، والخسيس مرذول في كل أحواله .
كما أن الأنثى لا تأتى بالمولود إلا بألم يتقدمه ، كذا النفس لا تنتج الفضيلة إلا بمشقة تتقدمها .

من خصائص الرذالة سلوك النفس إلى النقص بعد الظفر بالتمام^(٧) ؛ ومن خصائص الرذالة التشبه بالضعفاء مع وفور الطاقة .
من ظفر بالأفضل فهو في إحدى منزلتين : إما أن يستولى^(٨) على من قنع بالأرذل ، وإما أن يستغنى عنه . فأما القانع بالأرذل ، فإنه لا يستولى على من ظفر بالأفضل ، ولا يستغنى^(٩) عنه .

-
- (١) ف : الكل .
(٢) ف : لسلطان .
(٣) جمع قنية . - وفي ص : القناية .
(٤) هو : ناقصة في ط - وفي س : من سواء .
(٥) الأفاضل . . . صحبة : ناقصة في ص .
(٦) ط : أمثل . وكذا في س .
(٧) من خصائص . . . التمام : ناقصة في ص . - وفي س : من خصائص المهانة سلوك اليقين إلى النقص بعد الظفر بالتمام .
(٨) س : يستولى على من قنع . . . وفي ص : أن يتولى عمن قنع . . .
(٩) فأما القانع . . . عنه : ناقصة في ص .

النفس العزيزة هي التي لا تؤثر فيها النكبات ، والنفس الكريمة هي التي لا تثقل عليها المؤونات .

مقابل العزيز هو الذليل ، ومن علامته التلون في أحواله بسرعة^(١) ؛ ومقابل الكريم اللئيم ، ومن علامته أن يدخل عليه الخلل في أحواله فيرضى به . هجران القاذورات يكون به التدرج إلى الخيرات ، ثم التمسك بالخيرات يكون به التحصن من الهفوات ، وفي التحصن من الهفوات منال المقامات .

إتصال العبد بمولاه يكون على أربع مراتب ، وهي التي تسمى المقامات : أولاها رتبة المتقين ، وهي^(٢) من نتائج الخوف ؛ والثانية رتبة المحسنين ، وهي من نتائج الرجاء ؛ والثالثة رتبة الأبرار ، وهي من نتائج المحبة ؛ والرابعة رتبة الصالحين ، وهي من نتائج الإخلاص . — ثم الاستقامة مادة كل^(٣) واحدة من هذه المراتب . وانقطاع العبد عن مولاه يكون على أربعة^(٤) مساقط : فالأول الإعراض ، وهو من لواحق الاستهانة ؛ والثاني الحجاب ، وهو من لواحق الاستخفاف ؛ والثالث الطرد ، وهو من لواحق الإنكار ، والرابع الخسأة ، وهو من لواحق البغض . — ثم السخافة [١٤٥] واعوجاج الطريقة مادة كل واحد^(٥) من هذه المساقط .

اختصاص كل واحد من الموجودات بفعل له على حدة^(٦) يحقق أنه صدر عن حكم تام الحكمة ، وانحسار العقل عن تَوَهُُّم موجود آخر أصلح لذلك الفعل منه يحقق أنه تام القدرة .

ليس ينتفع بتأدية الفعل على الصواب إذا لم ينته إلى غرض ، ولا ينتفع بانتهائه إلى الغرض إذا لم يحصل على أبلغ كماله^(٧) ، ولا ينتفع بحصوله على أبلغ كماله إذا لم يؤمن عليه من طرآن الآفات ، ولا ينتفع بحصوله محفوظاً من طرأها عليه إذا لم يبق على صورته أبدياً سرمدياً .

(١) في س تكرار لما ورد في الجملة التالية ونقص : التلون في أحواله بسرعة .

(٢) من : ناقصة في ط . (٣) س : واحد .

(٤) ص : أربع ؛ وكذا في س . (٥) ط : واحدة .

(٦) س : حدته . (٧) س : كمال .

ليس يكون المرء عارفاً بذاته إلا بعد أن يتحقق مبدؤه ويتحقق منهاه ويتحقق الوسطة بينهما . فأما التحقق لذاته بحسب المبدأ فيتعلق بتعرف أربعة معان وهو أن يعلم : ماذا هو ، ومن جاء^(١) به ، ومن ماذا جاء به ، وكيف كان مجيئه . وأما التحقق لذاته بحسب المنتهى فيتعلق بأربعة معان ، وهى : أن يعلم لماذا هو ، وكيف السبيل إليه ، وما الذى يحتاج إليه فى التوجه نحوه ، وما الذى يعوقه عنه وعن باوغه . فأما^(٢) التحقق لذاته بحسب الوسطة بين مبدؤه ومنهاه فيتعلق بأربعة معان ، وهى : (٣) أن يعلم مرتبة شخصه من الجوهر الإنسى ماذا هى ، وأن قسطه من خاص مرتبته أى قسط هو ، وهل^(٤) هو على الزيادة فيها أو على النقصان^(٥) منها ، وثابت عليها أو مترجح فيها . وإن الإنسان متى علم أن الشيء مما يجب أن يعلمه وليس يعلمه ، فقد صار المغفول^(٦) عنه محروصاً عليه .

إذا سعد العبد بوصول مولاه على الحقيقة فقد صارت [١٤٥ب] دنياه آخرته وموته حياته ، وفقره غناه ، ومرضه صحته ، ونومه يقظته ، وضعفه قوته ، وحزنه فرحه^(٧) . وإذا شقى العبد بانقطاعه عن مولاه فقد انقلب به الأمر فى كل ما ذكرناه إلى الضد^(٨) ، وبالعكس . وإن العبد^(٩) لن ينال الغبطة بوصاله إلا بأربعة مدارج : أولها الاهتمام ، ثم التعرف لطرقه ، ثم السلوك إليه ، ثم التمسك به .

كما أن نور الدين جعل لذوى السياسة مركباً ، كذا^(١٠) نور التنزيل جعل للحكماء مركباً ، ونور الإلهام لذوى التدبير^(١١) مركباً ، ونور^(١٢) التوفيق جعل لذوى الاجتهاد مركباً ، ونور الحرية لذوى الخود مركباً .

-
- (١) ومن جاء به : ناقص فى ص . د فى س : ومن جلبه ، ومن ذا جاء به .
(٢) ص : وما - وكذا فى س .
(٣) ط : وهو - وكذا فى س . (٤) هل : ناقصة فى س .
(٥) وفيها : ناقصة فى ص ، وكذلك : منها .
(٦) ط : المعقول - وهو تحريف ظاهر .
(٧) وحزنه فرحه : ساقطة فى س .
(٨) س : الصدر . (٩) س : العبد كلما .
(١٠) س : كما . (١١) ط : السياسة .
(١٢) ونور التوفيق . . . مركباً : ساقطة فى س .

من شأن العقل أن يفرق^(١) بين الحسن والقبيح ؛ وهو يسكن إلى الحسن ، وينفر من القبيح . وقد يمدح الشيء^(٢) كذباً وزوراً وهو مذموم ، كما يذم الشيء كذباً وزوراً وهو ممدوح . وهناك يعرض للعقل الناقص الخداع واغترار ، وعند ذلك يمتاز المقلد من المستبصر ، وذو التماسك من المنحل .

إن الطبع ، لأجل محبته للذيد ، يسوق البدن عن النقص العارض إلى كماله الأخص به ؛ وكمال البدن الصحة والقوة ؛ والعقل ، لأجل محبته الفضيلة ، يسوق النفس عن النقص^(٣) العارض لها إلى كمالها الأخص بها . وكمال النفس الحكمة ، والفضيلة .

ومحبة الطبع للذيد يكون قوياً جداً ، وليس للإلف والعادة في تقويته كبير معونة^(٤) . فأما محبة العقل للجميل فانه يكون بذاته ضعيفاً جداً ، إلا أن للإلف والعادة في تقويته معونة عظيمة مفرطة . والذيد متى كان [١١٤٦] قبيحاً ثم عشقه الطبع بالإفراط واستحوذ على العقل^(٥) بالغلبة عميت النفس عن قبحه وتصورته بصورة الحسن . والجميل متى كان مؤلماً ، ثم عشقه العقل بالإفراط^(٦) واستحوذ على الطبع بالغلبة ، صار الأمر بالعكس . ومتى اتفق للشيء^(٧) الواحد أن يتعلق به كمال أحدهما وعرض له نقص^(٨) الآخر فهناك يفتقر إلى القوة التدبيرية والشرعية^(٩) الإلهية .

ومن أمارات السعادة أن يكون سرور الإنسان بما أنعم عليه من العقل الصريح والرأى الصحيح ، وأكرم به من الثقة بمن له الخلق والأمر — جل جلاله — ووفق له من التمييز والتشهير^(١٠) للحكم الخالصة ، وأيد به من الاستعلاء بروحانيته على عالمي العلو والسفل ، والإحاطة^(١١) بما فيهما^(١٢) من التدبير الإلهي

-
- (١) بين : ناقصة في س .
 (٢) كذباً : ناقصة في س .
 (٣) س : العقل .
 (٤) س : والعادة كثير مؤونة .
 (٥) العقل . . . واستحوذ على : ناقصة في ط .
 (٦) بالافراط . . . الطبع : ناقصة في س .
 (٧) ص : الشيء .
 (٨) س : آخر .
 (٩) ص : الشريعة .
 (١٠) س : والتشهير من الحكم . . .
 (١١) من التدبير الالهى . . . عقله فيهما : ناقصة في س .
 (١٢) ص : فيها .

والنظام الحكيم ، وما أوتيته من الغبطة بسياحة عقله^(١) فيهما وجولان نفسه في زهراتهما — شاغلا^(٢) له عن الالتذاذ بالذهب والفضة والمسك والعنبر والبستان والغلمان ، بل تصير هذه الأشياء كلها وتحة^(٣) في عينه ، حقيرة في نفسه .
وحيثئذ يستعد جوهره لصحبة أفاضل الروحانيين ووصلة المقربين .

إن العبد الأفضل لا يختار الفعل الأحسن إلا لأحد أمرين : إما أن يستجلب به أشرف التقنيات لأشرف الأغراض ، وإما أن يستصلح به أشرف الجواهر لأشرف التقنيات . والسعادة العظمى أشرف الأغراض ؛ فالأفضل من العبيد لا يسعى إلا له ، ولا يدوم إلا عليه . ومهما علم أن الأحد الحق — تعالى وتقدس — هو المنفرد بتقويم ذاته وإتمام تثقيفه [١٤٦ب] ، فانه يجرد المحبة ، ويخلص العبودية^(٤) ، ويلازم النظر إليه والاعتصام بحبله ، بل لا يسكن إلا إليه ، ولا يأنس إلا به^(٥) ، ولا يتقوى إلا بمعونته ، ولا يؤثر غيره عليه ، فيصير هو بعينه لفرط الاتصال به والتقرب إليه عقلاً خالصاً وحقاً محضاً وروحاً صافياً ونوراً إلهياً ، فيطلع على جميع ما في العالم إلهاماً ، ويغبط بالاحتواء على ما فيه من الحكم إكراماً — وذلك هو الكمال الحقيقي للجوهر الإنسي .

بدء التعاون افتقار ، وتمامه استغناء ، وبدء التوكل استغناء ، وتمامه افتقار .
ومن فاز بشرف الملك فانه يصير مغتبطاً^(٦) بالعوام . ممتحناً في نفسه . ومن فاز بشرف الحكمة فانه يصير ممتحناً بالعوام ، مغتبطاً في نفسه . ومتى^(٧) اقترن أحد الفوزين بالآخر فقد كملت بهما^(٨) النخبة واستحكمت الأمانة . ومتى عاون البعض البعض فقد استغنى الجميع .

متى تجاذب الحصان — أعنى العقل والطبع — شيئاً واحداً ، أعنى الملد القبيح^(٩) والمؤلم الجميل ، بحسب غرضهما ، أعنى الكمال الجسماني والكمال

(١) ص : فيها .

(٢) ص : شاغلا ولها له / س : شاغلا لها بالالتذاذ .

(٣) ص : وسنحة — والوتج هو الوسخ .

(٤) العبودية ويلزم : نهاية ورقة ١٧٧ ب في ط وبعدها نقص .

(٥) س : الا اليه ، ولا يقوى الا بمعونة .

(٦) س : يصير مغتبطاً على ما فيه بالعوام

(٧) ص : من . (٨) س : بهم . (٩) س : أو .

الروحاني ، وافتقر إلى الحكم المنصوب بينهما ، أعنى القوة المدبرة - فعند ذلك يبادر الشيطان إلى نصره الطبع ، ويبادر الملك إلى نصره العقل . فتنى كان الحكيم (١) شيطاني السوس ، اتبع العقل الطبيعية ؛ ومتى كان ملكي السوس ، اتبع الطبيعة العقل . وأعنى بالملكي السوس الأحكام الإلهية ، وأعنى بالشيطاني السوس (٢) الأسباب التي تلهو بها طبقات الفسقة . ولن (٣) يصير الحكيم ، أعنى القوة المدبرة ، شيطانية [١٤٧] السوس بنفس الجيلة دون أن يتفق لها الأراذل من القرناء . ولن يصير أيضاً ملكي السوس بنفس الجيلة دون أن يتفق لها (٤) الأفاضل من القرناء . ومبدأ الأمر فيه ليس بموكول إليه ، لكنه موكول إلى من يلي التدبير عليه . . .

مراتب الأفعال الحيوانية ثلاثة : أولها الافتقارية ، وهي كمرتبة الفرخ في التربية والصبي في التلقين ؛ ثم الاستغنائية ، وهي كمرتبة الطائر إذا نهض من عشه والصبي بعد التلقين من معلمه (٥) ؛ ثم الجودية ، وهي كمرتبة المربي لفرأخه والمرشد للغير إلى مصالحه . فالمرتبة الأولى قريبة الحال من الطبيعية (٦) . والمرتبة الثانية قريبة الحال من الإلحائية (٧) ؛ والمرتبة الثالثة هي الاختيارية المطلقة (٨) . وإذا عرف هذا في الأفعال الإنسية ، علم (٩) أن المرتبة الافتقارية ليست بمستصلحة للشئ . بل هي مضطرة إلى من يصلح ذات المطبوع عليها . وأما المرتبة الاستغنائية فهي مصلحة للواحد الفرد من المطبوعات . وأما المرتبة الجودية فهي (١٠) المستصلحة للكثير . وإن كان الاستصلاح للواحد (١١) الفريد من الناس فاضلاً محموداً ، فاستصلاح العدد الكثير أفضل .

-
- (١) الحكيم : ناقصة في س .
(٢) السوس : ساقطة من ص . - والسوس (بضم السين المهملة) : الطبيعية والسجية .
(٣) ص : ولكن . - س : ولن يصبر الحكماء على القوة المدبرة . . .
(٤) س : له .
(٥) ص : معمله .
(٦) س : الطبيعة .
(٧) ص : الالجابية .
(٨) س : مطلقاً .
(٩) ص : وعلم .
(١٠) س : المصلحة .
(١١) س : الواحد .

لن تصير النفس الإنسانية مستعدة لنيل السعادة العظمى إلا إذا سلمت من انحلالها ، ونقيت من صدها . فأما الممنون بهما^(١) فلا يصلح لاقتناء الحكمة ، والعدام للحكمة لا يفوز [١٤٧ب] بالسعادة . فأما انحلالها فيكون على أربع درجات : أولها الكسل ، ثم الغباوة ، ثم القحّة ، ثم الانهماك . وعلاجه : استشعار^(٢) التقوى ، والمحافظة على العبادات ، والنفقة في أبواب البر . فأما^(٣) أضدادها فتكون أيضاً على أربع درجات : أولها الزيف ، ثم الرين ، ثم الغشاوة ، الختم . وعلاجه : الإيمان بالله ، والتقوى ، واليقين بالآخرة ، والتصديق بالديانة .

حال الإنسان الكامل لا يجب^(٤) أن تكون قريباً من أحوال السلطان ، والطبيعة لا يجب^(٤) أن تكون ذات انحلال ولا ذات صداً ، والرفقاء لا يجب أن يكونوا سبعين ولا بهيمين . واستصلاح الواحد ينزل منزلة اقتناء الممالك ، واستصلاح الجميع ينزل منزلة اقتناء الممالك . وحيث^(٥) يوجد المالك يوجد المالك ، ولا ينعكس . فإن^(٦) الإنسان لا يشرف بأن يصير مالكاً ، بل يشرف بأن يصير مملوكاً . وفعل^(٧) المالك حفظ القنية على خاص صورته ، وفعل المملوك حفظ^(٨) المراتب على حاقّ درجاتها .

تأدية الفعل بحسب الفضيلة على صورة العبودية لن يقع إلا بمجموع معانٍ أربعة^(٩) ، وهى الخوف والرجاء والحب واليقين . وأول درجات الإقبال على العبودية الاعتقاد بأنه لم يعرف مولاه إلا به ، ثم اليقين بأنه لا يستغنى في شيء من حالاته عنه ، ثم العرفان بأنه كلما كان أخلص له وأبعد من الاستبداد دونه كان أدخل في طبقة من سلم وغم . وإن تقرب^(١٠) العبد إلى المولى بحسب العمل تعش إلى^(١١) مراتب ثلاث ، وهى : الإفضال ، والتفويض ، والمثوبة [١١٤٨]

(١) س : لا . (٢) س : الاستشعار .

(٣) س : وأما صدها . (٤) ص : يجب .

(٥) وحيث . . . الملك : ناقص فى س .

(٦) س : فاذن . (٧) س : وحظ .

(٨) حفظ . . . الفضيلة : ناقصة فى س .

(٩) أربعة : ناقصة فى س . (١٠) ص : لن .

(١١) ص : يقين الى . - ونعشه الله (كمنعه) : رفعه ، كأنعشه ونعشه .

وإن النعمة الموضوعية عند غير المستحق لما قد تحسن بالغرض لجهات ثلاث ،
وهي : الامتحان ، والعبرة ، والاستدراج .

آفات الشياطين بحسب تسويل الأباطيل لا تتعلق بالإخطار بالبال : فانه
عارض اتفاقى ، ولا بالانجذاب بالشوق : فانه حادث طبيعى — ولكنه يتعلق
بالعمى عن جهة إصابة المطلوب ، أعنى أن يدعوه إلى الإقدام عليه ، لا من
الوجه الذى تجده الشريعة ، بل من أقرب وجوهه على ألد جهاته . ثم لا يكون
تسويلها لديه بحسب (١) تزيين ذاته عند نفسه ، بل بإيهامه أنه أرفع محلا من أن
تعمل عليه الآفات المعدلة لذوى الرذاعة ، وبه يكون خداعها للعقول النواقص .
ثم آفة (٢) الإفراط فيه تكون عائدة بالضرر على الغير . وآفة التقصير فيه
تكون عائدة بالضرر على ذاته . وليس يشك أن ضرره بذاته أقطع ، إلا أن
الضرر بالغير يكون أشنع .

إن العبد متى أخلص لمولاه العبودية فقد حظى بالقرب منه ، ومتى لازم
القرب منه سعد بوصاله ، ومتى تمسك بوصاله وثق بفيض الجود منه ، ومتى
وثق به لم يتهمة فى إيجابه (٣) ولا شكاه فى حالاته . فإذا المستزيد لمولاه غير واثق
بفيض جوده (٤) ، وغير الواثق ليس بمستعد له ولا مستسعد بوصاله ، لا يلدوم
على الزلفة لديه ، وغير الدائم على الزلفة إليه (٥) لا يخلص العبودية له ، وغير
المخلص للعبودية لا يقلع عن الذنب (٦) المألوف ، والمقارن للذنب معرض لكل
آفة ، وهدف لكل بلية .

ذوالكثرة المتحدة قد يوصف بالنقص بحسب ما يفوته من كل واحد [١٤٨ ب]
من تلك الكثرة ؛ ولن يوصف بالكمال إلا بسلامة المجموع . فمن أراد أن يسكن
فى هذا العالم (٧) فليقترب إلى الله (٨) رب العالمين بملازمة الخدمة له ، وليتمسك

(١) بحسب . . . أنه : ناقص فى س .

(٢) فى س : ثم انه التقصير فيه تكون عائدة بالضرر على الغير . . .

(٣) ص : انحيائه . — وما أثبتناه عن س / ف : أنحائه .

(٤) س : الجود منه . . . — وهنا تكرار .

(٥) ف : لديه . (٦) عن الذنب : ناقصة فى س .

(٧) ص : فليقترب / س : فليقترب الى رب العالمين بملازمة . . .

(٨) ف : الله تعالى .

في خدمته بشرائع دينه ، فان الشريعة هي المقومة للخلق على حسن الخدمة ؛ وإن العبد متى عرف مولاه وأنه سبب تمام كل تمام^(١) عرف أيضاً أنه قد أفاض عليه من صنوف الإحسان أفضلها — فقد لزمه أن يجعل تأدية شكره^(٢) لا على صورة الطمع في مكافأته ، بل بحسب المعونة .

لكل صنف من الناس ضعف عن إحكام مولاته ليستجرهم إليه بجهد ، بل يستصفيهم عن شوائب غرورهم ، ويؤديهم إلى خاص^(٣) كمالهم ، ويستخلصهم من مكائد أعدائهم .

لن يسعد العبد بالعيش الفاضل إلا^(٤) أن يكون مستنكفاً من أن يكون سكونه إلى المال الممهد والمجد المؤئل أقوى من سكونه إلى واهب المال وموئل المجد ، فلا يشتاق في مصارفة إلا إليه ، ولا يسر في أحواله إلا بالقرار لديه ، وأن يعتقد أن كل خير أصيب دونه فهو ذو وهي^(٥) وخل ، وكل حياة تكون بمعزل عنه فهو ضئيل وخل ، فيكون قد أغنى نفسه^(٦) بموالة مبدع العالم ووصال من له الخلق والأمر عن كافة من سواه ؛ فلا يهتم للملك^(٧) ، ولا ما دون الملك إلا على أحد وجهين : إما الرأفة والرحمة ، وإما التمسك بالطاعة . السياسة صنفان ، وأغراضها اثنان ، ولولازمها حالتان : فأحد صنفى السياسة هو الإمامة^(٨) وغرضها تكميل الخليفة ، ولازمها^(٩) نيل السعادة ؛ وأما الصنف الآخر فالغلب ، وغرضه استعباد الخليفة [١٤٩] ، ولازمه الشقاء^(١٠) والمذمة . ومتى ألزم السائس نفسه التمسك بالشريعة وجعل رعيته أصدقاء له ، فبالحق الواجب يملأ مدينته بالخيرات العامة^(١١) : كالسكون والسلامة والتوادر والأمانة والعدل والعفاف . ومتى جعل نفسه عبداً لشهوته ، وجعل رعيته خوكاً

(١) عرف أيضاً . . . الإحسان : ساقط في س .

(٢) لا : ساقطة في س . (٣) س : حياض .

(٤) س : إذا كان ، وكذا في ف .

(٥) ص : وهن . — والوهى : الشق ؛ وهي (كوعى) : تشقق .

(٦) س : بمولاه . (٧) لا : ناقصة في س و ف .

(٨) ف : الأمانة . . الخلقية .

(٩) ولازمها . . . الخليفة : ناقص في ف .

(١٠) ص : بالشقاء . (١١) = العامة .

— فبالحق الواجب يملأ مدينته بالشُرور العامية : كالغدر والخيانة والعسف
والرعونة والتسخّر والسخافات .

إن الله (١) عدل (٢) ولا يحب إلا العدل ، والله (٣) طاهر (٤) ولا يحب
إلا الطاهر . وكل من جار أو تدنس فقد عاند موالاته وصار في عداد من سلب
البهاء والجودة ، وحرّم النعماء والمحمدة ، وشقّى بالمقت والمذلة ، واستوجب الهوان
والخساسة .

وإذا كان قوام الجوهر الإنسي معلقاً بانتظامه للقلب والروح ، ثم كانت
النفس تتماية السنج ، ولهذا ما تشتاق ، عند صفوتها بالحكمة الحقيقية والأعمال
الصالحة ، إلى العالم العلوى ، وكان القلب أرضى السنج ، ولهذا ما يشتاق — عند
تكدره بالجهالة المغوية والأعمال السيئة — إلى العالم السفلى . فإذاً يجب علينا أن
نتلزم ما هو خير مطلق لنصلح به النفس لما هو مشوقها ، ونحترز مما هو
شر مطلق لئلا ينجذب به القلب إلى ما هو مشوقه ، وأن نعلم أن التزامنا للحالة
الثانية هو المذلة الأبدية .

إن النفس (٥) إليها الطلبة ، والبدن بمنزلة المطية ، وقائدها نحو الخير
رفع المهمة ، وعملها الإمعان بالعزم الصحيح نحو الغاية ، وآفتها استدبارها الجهة
من أجل التلون في المهمة ، وسبب آفتها الميل إلى الراحة واللذة ، ونجحها استخلاص
الجوهر من شوائب الكدورة ، وفضيلتها أن توافق العقل والحكمة ، وتحالف الهوى
والشهوة ، وشينها أن تصدأ بالسهو والغفلة فلا تميز بين الخمول والرفعة ، ومفتتح
عملها جمع المهمة على تقوية العزيمة ، وغاية كمالها أن تطلع على الخير بعين البصيرة ،
وتتمام غرضها الفوز بالسعادة في الدنيا والآخرة .

(١) ف : الله تعالى عادل لا يحب إلا العدل .

(٢) الواو غير موجودة في س و ف .

(٣) ف : والله تعالى .

(٤) الواو غير موجودة في س و ف .

(٥) س : لها طلبية .

إصابة درجات^(١) الاعتدال ، أعنى صورة العدالة المطلقة ، تحصل^(٢) للإنسان بثلاث غايات : وهى تركية النفس ، ورياضة البدن ، وتدبير الملك . فأما تركية النفس^(٣) فعلاقة بالعفة والنجدة والحكمة والعدالة . وأما رياضة^(٤) البدن فعلاقة بالخلادة والصبر والنظافة والزينة . وأما تدبير الملك فعلق بأدب الاقتناء وأدب التثمير وأدب الانفاق . وقد يقال إن هاهنا^(٥) غاية رابعة ، وهى معاشرة الإخوان [١٥٤ ب] ، ومدارها على الطلاقة والاحتمال والظرف والإكرام .

فعل القوة الشهوية ربما يقع من الإنسان بحسب جذب المشتى إلى نفسه ، وربما يقع بحسب الانجذاب إلى مشتهاه تطلباً لخاصة الاتحاد . وفعل القوة الغضبية ربما يقع بحسب دفع المؤلم عن نفسه ، وربما يقع بحسب الاندفاع عن مؤلمه تطلباً لخاصية^(٦) النفور والبعد . ومتى أفرطت القوة الشهوية فى جذب الشىء عرض منه الإضرار بالغير ، ويكون ردعها بتخييل فوت الشىء الذى هو أشهى إليها منه ، أو بتخييل لحاق مؤذ يكدر ذاتها . ومتى أفرطت القوة الغضبية فى دفع الشىء عرض منه الإضرار بالغير . ويكون ردعها إما بتخييل مؤذ آخر أشد إيلاماً منه ، وإما بفوت مشتهى يسهل بلواها ؛ كما أن العقل الصريح لا يسكن إلى عرفان المبدأ القريب من الشىء دون أن يعرف المبدأ الأول على الإطلاق ، وما بين المبدأ وبين الوسط ، كذا أيضاً النفس القويمة لا تهدأ فى عرفان الغرض القريب من الشىء حتى تعرف الغرض البعيد على الإطلاق وما بين الغرضين من الوسائط . وحسب الإنسان من كمال ذاته أن يلاحظ السعادة المطلقة ويؤثرها ويجرد القصد لها ، ويكون صادق الرغبة إلى الله^(٧) جل وعز فى أن يجعله من الفائزين بها . فأما أن يأمن العوارض الشاغلة له عنها وهو ذوهيكل جسمانى يدور عليه الفلك ، فليس لأحد فيه مطمع أصلاً^(٨) .

(١) س : درجة • (٢) ص : تحصل جدا •

(٣) س : البدن - وهو تحريف ظاهر •

(٤) هـ : الرياضة • (٥) ها هنا = il ya

(٦) ص : للخاصية فى النفور •••

(٧) س : عز وجل • (٨) ص : ان منه •

حصول المحبة علة^(١) لمصير المتحابين معاً ، وخلوص المحبة علة^(٢) لمصير المتحابين واحداً^(٣) . فاذاً بدء التحاب علةٌ للاجتماع ، وتمام التحاب علةٌ للاتحاد^(٤) .

وصاحب النجدة لا تتم له القوة إلا ببقاء الأصدقاء ، وصاحب النعمة لا تتم له الغبطة إلا ببقاء الأصدقاء ، وصاحب^(٥) المحبة لا تتم له السلوة إلا ببقاء الأصدقاء^(٦) ، وصاحب المشورة لا تتم له الروية إلا ببقاء الأصدقاء^(٧) . وكل ذلك لما في التحاب من خاصية الاتحاد .

ليست الكرامة الحقيقية من علائق^(٨) المدح ، فان الصبي قد يمدح ؛ ولا من علائق العطية ، فان الكلب قد يعطى [٤٩ ب] ؛ ولا من علائق التخاصع ، فان الفاتك^(٩) قد يتخاصع له ؛ ولا من علائق الزينة ، فان المرأة قد تزين ؛ — لكنها متعلقة^(١٠) بحيازة ما يقتنى به الشرف الأبدي ، وهو الحكمة والعدالة . فأما الثروة والرياسة فتى روعيتنا على موجب الشريعة نزلة منزلة الأجنحة المرقية بالنفس إلى الكرامة الحقيقية ، وهى الحكمة والعدالة . فإذا الفاتر بهما هو الكاسب لذاته رتبة عالية لا تفارقه أبداً . وليس البدن المكرم أيضاً هو الحميل ولا الصحيح^(١١) ولا القوى ، لكنه المستعمل لحماله وصحته وقوته على ما يفيدته الأمانة والسلامة ، وهو مقتضى الشريعة .

من تعهد الصلحاء بالمصافاة ، والأكفاء بالمكارمة ، وذوى التنصل بالمغفرة ، وذوى الاعتراف بالرافة ، والجيران بالركة ، والأقرباء بالمواساة ، والمصاحبين

(١) هنا خلط واضطراب شديد فى ترتيب النسخ جميعها ، فرتبناها حسب ما رأيناه أوفق فى السياق .

(٢) ص : عليه . (٣) س : أحدا .

(٤) ص : للتحاب . — وفى س سقط قوله : للاجتماع . علة .

(٥) وصاحب النعمة . . . الأصدقاء : ناقصة فى ص / ف : بملاقاة الأصدقاء .

(٦) وصاحب النعمة . . . السلوة الا بقاء الأصدقاء : ساقط من ف .

(٧) ف : بملاقاة الأصدقاء . (٨) ص : علامة .

(٩) ص : القائل قد يتخادع ويتخاصع له .

(١٠) متعلقة : ناقصة فى س . (١١) س : الفصيح .

بالمساعدة ، والرؤساء بالتقريظ ، والماوك بالطاعة ، والمعيشة بالإصلاح وذا
الرحم بحسن التفقد - فقد استحق المحمدة . ومن تعاهد الأعداء بالأذى ، وذوى
الاغتيال^(١) بالمناقضة ، وذوى الحسد بالمغابطة ، وذوى البغى بالمداخسة^(٢) ،
وذوى السفه بالحلم والإغضاء ، وذوى الموائبة بالوقار ، وذوى المشاتمة بالاستحقار
وذوى الدغل بالاحتراس - فقد استفاد الأمانة . ولا يوصف الإنسان باقتناء
العدالة المطلقة إلا بالجمع بين^(٣) الحالتين ، واستحكام الدربة فيهما ، واستيلاء
المران عليهما .

إن المساعدة هى ترك الخلاف على المعاشرين بالنطق ، إثارة لأن يلتذوا
بمخالطته ، والشكاسة هى [١٥٠] الاعتياص^(٤) على المعاشرين بالنطق^(٥)
تعمداً للخلاف عليهم فى شرائط الأئس . والتلق هو التمجيب إلى المعاشرين مع
التغافل عما يلحقه من شنار الاستخفاف به . والحب هو انجذاب النفس إلى
الاتحاد بالشئ المرغوب فيه^(٦) . والسرور^(٧) هو التذاذ النفس بما تحذثه^(٨)
من الخيرات . والخوف هو ألم نفسانى عارض^(٩) لفوت المحبوب . والحياء هو
ألم نفسانى عارض للنفس من فرع عار النقيصة . والحجل هو حيرة النفس لاستيلاء
الحياء عليها بالإفراط . والدجاج هو التماذى فى العناد إلى الفعل المزجور عنه .
والوقاحة هى لجأ النفس فى تعاطى ما يذم عليه من الأفعال . والإباء هو
استعصاء النفس بالترفع عن الانقياد للواجب . والحسد هو الاغتمام للخيرات
التي تنفق للأختيار .

-
- (١) ص : الاعتيال ، وكذا فى س . ولا معنى له هنا ، ولا يصح تصحيحها
بالغين المعجمة ، لأن الاغتيال : القتل غيلة .
(٢) دحس بين القوم دحسا : أفسد ؛ والدحس : التدسيس للأمور ؛
والمقصود بالمداخسة : ايقاع الفساد بين ذوى البغى حتى تضرب بعضهم
ببعض . (٣) س : من .
(٤) ص : الاعتياص / س : الاعصاض - واعتاض الأمر عليه : اشتد - أى
الاشتداد على المعاشرين الخ .
(٥) بالنطق . . . المعاشرين : ساقط فى س .
(٦) فيه : ناقصة فى س .
(٧) ابتداء من هنا وقع اضطراب فى س ، وسيأتى بعد فى موضع آخر .
(٨) ص : بما يتحد به من الخيرات - والتصحيح عن س .
(٩) لفوت . . . عارض : ناقص فى س .

إن الاستهانة من الإنسان (١) بالإنسان تلحق النفس شبيهاً بالذبول .
ومهما انتقم عادت إلى حالتها الأولى . وإن استحكام العفة سبب لمصير النفس
أبية (٢) واستحكام النجدة سبب لمصير النفس عليّة ، وإن مجموعهما سبب (٣)
لمصير النفس مستعدة لقبول الحكمة . وتجريد السعى لإصابة اللذة ليس له
معنى (٤) فإن اكتساب الفضيلة سيؤدى إليها لا محالة ، وتجريد السعى لرفع الألم به
معنى ، فإن إفراط الألم مدهشة للعقل ، وفي هجران اللذة تعب عظيم ، فلا
تصابر إلا على ما حسن منه واحتيج إليه .

العفيف العادل مغبوط على الإطلاق ، والشره الجائر مرجوم على الإطلاق ،
فإن أصل الغبطة الأمن (٥) والكرامة ، والعفيف العادل قد حازهما ، والشره الجائر
قد حرهما ، وإن الخير — بما يتعاطاه من الأفعال الحميدة [١٥٠ ب] — يفوز
بالكرامة وبالتقريظ الأبدى ، وتلك خطوة أشرف من خطوة الملك ؛ والشرير —
بما يتعاطاه من الأفعال الذميمة — يتلى بالإهانة (٦) ويلحقه التأنيب الأبدى ،
وتلك حالة أخس من حالة العبودية . وكل من أكرم الشره الجائر وقرظه فهو
يفعل ذلك تحزناً من شره ، وإلا فهو مُشَنِّئ مهين .

حصول المحبة علة (٧) مبدأ الحكمة . فإن كل إنسان ، لفرط محبته لنفسه ،
يغلط فيها فيحبسها أكمل مما هى عليه فيؤديه ذلك إلى الجهل ، والجهل يتلف
النفس ولا يرحم صاحبه . وفى لذة الحكمة مجامع المدح ، ولهذا يحرص على
إفاضتها ؛ وفى لذة الشهوة مجامع الذم ، ولهذا يحرص على كتمانها . والمؤثر
للحكمة لا يخضع لجأه وإن جل ، ولا للذة وإن قويت ، فإنها أثر من آثار
كبرياء الله ، ولا كبر فوق كبريائه .

(١) بالإنسان : ناقصة فى س .

(٢) ص : أبية . (٣) ناقصة فى ص .

(٤) فإن اكتساب . . به معنى : ناقص فى ص ، فأثبتناه عن س .

(٥) س : هو الأمن .

(٦) بالاهانة . . . الأبدى : ناقصة فى س .

(٧) هذا الموضع ورد فى س فى ص ٧٤ لوحة ٦٣ ب ؛ وفى ف — وهى

تتفق مع ص فى الترتيب — ورقة ٢١٥ ب السطر الأخير .

التقصانات البدنية كلها أعدام في الحقيقة . والعدم المطلق هو النهاية في الخسة . وكلما كانت الآفات أكثر ، فهو في الأعدام أغرق ، وإلى الخسة المطلقة أقرب . إلا أن العاقل ، متى تحقق نقائصه ، وفجع بازدهام أوجهها عليه ، واغتم باعتياض الكمال على ذاته — فقد استحدث بذلك كمالاته ، واستوجب بهذا الكمال ثواباً . ومن جعل همومه همماً^(١) واحداً كفاه الله سائر الهموم ، ومن ترك همومه تسيح في كل وادٍ لم يُبال به ربه ، ولم يحفل بأياها هلك . ولو لم يقع بين النفس والقلب — بحسب قوى العقل والطبع في الحيلة — عناد ذاتي ، لما انطلق على الانسان شيء من الأمر والنهي الإلهي ، ولبطل أن يكون مستوجباً للثواب الأبدي .

إن الأحداث يؤخذون [١٥١] بتحسين الأخلاق ، والشيوخ يطالبون بتكامل الفضائل ، وإحدى الحالتين مدرجة إلى الأخرى — وهذا بحسب القوة العملية^(٢) . ثم إن الأحداث يؤخذون بطريق التقليد ، والشيوخ يطالبون بطريق التحقيق ، وإحدى الحالتين مدرجة إلى الأخرى ، وهذا^(٣) هو بحسب القوة العلمية .

وللحكمة زمان كتمان ، ولها أيضاً زمان إظهار ، فلا يصلح زمان الكتمان لإظهارها ، ولا زمان الإظهار لكتمانها ، وهي تنقص أهلها في غير حينها كما تزيدهم في حينها^(٤) ، وتضعهم عند غير المستحقين لها^(٥) كما ترفعهم عند المستحقين لها .

ومن كان غرضه من تأدية أعماله جودتها في نفسه ، لم يبدر منه غير الجيد أصلاً ، وذلك لعلمه بأن واحداً من أعماله متى صودف غير جيد لم تصنه^(٦) جودة البواق عن السبب والعار ، بل يصير أشنع له وأقبح في أعين الناظرين ، فيبور لأجله سعيه ويحبط جميع ما^(٧) عمله .

(١) هما ... همومه : ناقصة في ص ، فأثبتناها عن س .

(٢) س : العلمية — وهو تحريف ظاهر .

(٣) هو ساقطة في س .

(٤) كما تزيدهم في حينها : ساقطة في س .

(٥) كما ترفعهم ... لها : ساقطة في س .

(٦) س : لم تضعه . (٧) س : ويحبط عمله أجمع .

فضيلة الفلاحين هو التعاون بالأعمال ، وفضيلة التجار هو التعاون بالأموال ، وفضيلة الملوك هو التعاون بالآراء السياسية ، وفضيلة الإلهيين هو التعاون بالحكم الحقيقية^(١) . ثم هم جميعاً يتعاونون على عمارة المدن بالخيرات والفضائل . وكما أن اللواء لا يأخذه إلا من قوى عليه ، والغذاء لا يؤخذ منه إلا بقدر ما يمكن هضمه — كذا أيضاً لا ينصب للرياسة إلا الناهض بأعبائها ، وهو^(٢) الأكمل في الفضائل الخمس : أغنى العفة والتجدة والحرية والعدالة والحكمة .

كما أن العنان يكبح الفرس الجموح إلى ما تدبره الرياضة من نهج فضيلة ، كذا [١٥١ب] الشريعة تكبح العامى المتخبط إلى ما تدبره^(٣) الحكمة من نهج فضيلتها . وكما^(٤) الملك لا يرضى الانحطاط إلى أن تدبره حُرْمُهُ وضَعْفُهُ حاشيته ، والعالم^(٥) الكامل لا يرضى بالانحطاط^(٦) إلى ما يدبره أصاغر تلاميذه .

من تشبه بخيار الناس فقد ازداد عند شرارهم نفاقاً ، ومن تشبه بشرارهم فقد ازداد عند خيارهم كساداً ؛ والتماس الراحة^(٧) بالراحة يورث طول النصب . وإفراط الإنسان في محبة ذاته مدعاة للأذْمَين من الخصال : وهما العجب والترف ، وتارك التأدب رأساً بالحري^(٨) أن يكون عائلاً^(٩) فقيراً .

القوة التمييزية ، كلما كانت أوفى قسطاً من التمييز وأبقى من الدرن والشوب ، كانت^(١٠) أسلس قياداً للعقل . ومهما لحقها الشرور ، فإن نسبتها إلى العقل تصير مضاهية لنسبة الأعضاء^(١١) المفلوجة إلى البدن القوى . فكما أنها متى حركت نحو اليمين تحركت نحو الشمال لمسا عرض لها من الآفة الحسمانية ، كذا حال الشره والمظلوم والمتهور والجبان في تحريك هذه القوى منهم على خلاف

-
- (١) ص : الحقيقة . (٢) ص : وهى .
(٣) س : تريده . (٤) ص : وكما أن الملك ...
(٥) س : والعالم . (٦) س : الى ما تدبره طبيعة خاصية
(٧) ص : الراحة من الراحة نصب يورث طول النصب .
(٨) ص : التأدب رأساً وأن يكون ...
(٩) العائل : الفقير ، ومنه الآية : « ووجدك عائلاً فأغنى » .
(١٠) ص : كان ، وكذا فى س . (١١) س : المفلوجة .

ما يوجهه العقل . بل لا خلاف بين المتحركين والحركتين إلا أن أحدهما يحس ،
والآخر لا يحس (١) .

مفتتح السعى في تحصيل الاستقامة هو التعرف للسيرة التي هي أدوى
والسيرة التي هي أشقى (٢) لنفسين إحداها إلى الأخرى فيؤثر منها الأعلى . ومتى
ألفاهما (٣) من التساوى بحيث يقصر عقله عن إثبات الحكم فيها التجأ إلى الشريعة
الإلهية ، ولا يثق في أمرها بالعقل الجزئي . فمن أحب أن يعيش عيشة المتلذذين
على الإطلاق فهو مفتقر في اختيار السيرة إلى استبراء هذه الحالات . [١١٥٢]
وكل من أهمل أمره فهو إما عادم التأدب ، وإما منحل العزيمة .

إن للإيمان (٤) درجات شتى : أولاها الخوف ، ثم الرجاء ، ثم اليقين ،
ثم الحب ، ثم الاتصال ، ثم الاتحاد . وللكفر (٥) درجات شتى : أولاها الزيف ،
ثم الرين ، ثم الغشاوة ، ثم الطبع ، ثم الغلاف ، ثم القفل . وللقبول درجات
شتى : أولاها الارتضاء ، ثم التقريب ، ثم الاحتباء (٦) ، ثم الاصطفاء ،
ثم الاستخلاص ، ثم الرفع بالإجلال . وللدرد درجات شتى : أولاها الخط ،
ثم القطع ، ثم الإبعاد ، ثم الطرد ، ثم الحسأة ، ثم الطرح بالإهلاك .

الإيمان هو إذعان النفس للحق على سبيل التصديق له باليقين ؛ ومتى
صار ملكة للنفس فانه سيؤديه إلى العمل بما يوافق الحق . ومن (٧) حرص
على ما لا يحتاج إليه وترك ما يحتاج إليه فكأنه تكلف ما لم يخلق له وأسقط
ما خلق له . والفطن الكيس (٨) من استفرغ أيامه لتأدية ما خلق له . والمغبوط
من كفى (٩) الاهتمام بما يشغله عن الخير المطلق .

(١) والآخر لا يحسن : ساقطة من س .

(٢) س : هي أشقى لنفسين ؛ وفي ص : التي أدوى والسيرة التي هي أشقى
إحداهما

(٣) من هنا اضطراب في س وتداخل كلام بعض في بعض ، وقد ورد
ما يتلو في س في غير موضعه في ورقة ٧٣ ب (لوحة ١٦٣) .

(٤) س : للتوفيق .

(٥) س : وللخدلان . - درجات شتى الارتضاء : ناقصة في س .

(٦) ص الاحتيا . (٧) ص : ومتى .

(٨) ص : متى . (٩) س : بالاهتمام .

الإلحاد هو العدول عن الحق ، إما باللجاج والمعاندة ، وإما بالعادة والافتداء بالغواية من الجمهور ، وإما بالقصور عن النظر . والفاضل من اطرح العناد وترك تقليد غيره ونظر لنفسه .

إن كان الانفعال الحسداني — كالشهوة والغضب والخوف والخور — أبلغ شاعل للعقل ، وكان الاعتصام بمن له الخلق والأمر وبه الحول والقوة أبلغ ما يتقوى به العقل ، فبالحرى أن يكون الدعاء الخالص حصناً حصيناً من النقائص [١٥٢] . والمقدم صادق ، فالتالى (١) إذا صادق .

كل من لم يقر على معالجة العالم إذا مرض وحفظه على صحته إذا برىء . فليس يستحق إمامة العالم إلا من شيئين : أحدهما الملك التغلبى ، والآخر التجاذب الهرجى . فأما الملك التغلبى فهو قبيح بذاته ، ويتراءى للنفس الفاسدة أنه (٢) حسن . وأما التجاذب الهرجى فهو مؤلم بذاته ، ويتراءى للنفس الشريرة أنه مُلِذٌ . وعلاج أمر (٣) الاثنين الإقبال على الله والتمسك بدينه القويم . ومهما نقه العالم من مرضه فقد صارت الولاية للقوة التدبيرية ، فاستجرت بها الأنفس إلى الفضيلة الحقيقية .

من أيقن بشرف الحكمة ثم شاهد جماعة ، ليسوا من أهلها ، أغبط عيشاً فى هذه الدنيا ممن هو من أهلها ، فقد اضطره الرأى إلى أن يوجب الشرف للغبطة فى الدار الأخرى . ثم إذا كره الموت الذى هو المعبر إلى نيل تلك الغبطة فكأنه كره الرفعة التى لأجلها حرص على اقتناء الحكمة ، وخصوصاً إذا علم أن نعيم الدنيا — أعنى المال والرياسة والأتباع والحاشية — شواغل عنها ، وأنه جدير أن يرفض عامة ما يعوقه عن اقتنائها ، وأن يقيم جسده مقام الثغر الذى فيه تقاتل النفس القوية أعداءها المعترية : كالحرص والشهوة والغضب وغيرها ، ليفوز عند الظفر (٤) عليها بالكنوز والكرامات المعدة لها ؛ وأن يعلم أنه لا شىء أنفع له من صيانة النفس عن هذه الآفات ، وأن الحكمة فى ذاتها عاجلة المؤنة آجلة (٥) .

(١) المقدم والتالى : هما قسمي القضية الشرطية .

(٢) أول ورقة ١٧٨ فى ط . (٣) س : أمره .

(٤) ط : القدرة ، وكذا فى س . (٥) ص : ثم آجلة .

المنوبة ، وأنه لا شيء أسرع إلى الفساد من عقل المعنى بها ، وذلك لفرط لطافتها ودقيق صفاتها . على أنه لو لم يكن في اقتناء الحكمة إلا [١٥٣] اكتساب اسمها الشريف على الأبد ، وإلا التفصي (١) من عار الجهالة وشين الغفلة للزم العاقل أن يتمسك بها وينفض (٢) شغله (٣) على استيفاء الحظ منها . فكيف وقد علم أنها (٤) مفضية بأربابها إلى الخلود ، ومدفعة عن نفوسهم روعة الهلاك ، وجاعلة همومهم كلها همأً واحداً ، ومؤدية لجواهرهم إلى خصائص كمالاتها . وللإنسان (٥) استكمالان : استكمال طبيعي ، واستكمال نطقي . وأما (٦) الاستكمال الطبيعي فسيحدد به طبعاً ، وأما الكمال النطقي فليس يفوز به إلا من صدقت عنايته بنفسه في معاناة الأمور المختارة بالذات علماً وعملاً . ولهذا قيل : إن وجود الكمال المطلق للأشياء المحصلة بالعقل ليس بمتبع لحصول ألياتها (٧) ، بل هو نافع لخصائص أفعالها وانفعالاتها . ولذلك شبهوا الكمال الطبيعي بصورة الحيوانية في الدجاجة والفرخ ، وشبهوا الكمال النطقي بصورتها في البيضة والبرز (٨) . بل لهذا ما أحوجوا في الكمال النطقي إلى معونة من خارج حسب احتياج البيضة (٩) إلى حاضن يسوقه نحو كماله الأخص . ولولا ذلك لما افتقر كل واحد من البشر في عنفوان نشوئه وابتداء جبلته إلى متعطف بالعناية الصادقة عليه ليسلخه بالتدريج عن حالته الطبيعية إلى كماله النطقي ، أعني الحالة التي يستغني لها بجوهره عن معنى من خارج (١٠) ، فيتهز عند ذلك بنفسه إلى درك كماله (١١) حتى يصير إنساناً بالفعل ، أعني بالهيئة الحقيقية ، لا بالصورة التخطيطية .

(١) س : عين . . . وشين الغلة . (٢) ص : ينقص .

(٣) س : عن . (٤) س : منقضة .

(٥) الواو ناقصة في ط و س و ف ، ومضافة في ص .

(٦) ط : فأما \ س : فالاستكمال .

(٧) جمع أنية = tò òv ، أوجع آنية = tò èival = الوجود .

(٨) ص : والبرز - والبرز (بالزاي) : كل حب يبذر للنبات ، والجمع :

بزور .

(٩) كذا ! الأولى أن تكون : البيض .

(١٠) س : مخارج . (١١) س : كما يصير .

ولهذا (١) قيل إن : لا أن (٢) خير من بئس الآن ، يعنون بذلك أن : لا حياة خير من بئس [١٥٣ب] الحياة . وعلامة « بئس الحياة » ألا يأخذ ما اتفق له من الخيرات الخارجة (٣) عن القصد الأول والكفاية حسب ما تأخذه الحيوانات الأخر ، بل (٤) يسرف على نفسه بجذب ما يستغنى عنه ، ويجنى على غره بمنع ما يحتاج إليه ، اتباعاً لشهواته الفاسدة والظنون الكاذبة ، فيرتبك طول عمره في الآلام والحسرات . ومن ها هنا يعلم أن الكمال الطبيعي قد يستفيده الإنسان بالقهر والضرورة . فأما الكمال المنطقي فليس يستفيده إلا باستحكام اللدبة بالأفعال الإرادية . بل يعلم أن الأفعال الإرادية المؤدية إلى هذا الكمال أكثرها يوجد على سبيل الإلحاء . ويشبه (٥) أن يكون الإلحاء حالاً (٦) متوسطة بين الطوع والضرورة . فان الإنسان ، وإن كان مختصاً (٧) بالاختيار ، فاخياره ليس بمتوجه أبداً نحو الصلاح والصحة ، بل يفتن إلى طرفي (٨) الصحة والفساد : وأعني بهذا أنه يجري ذلك منه لطلب اللذة أو الراحة (٩) على سبيل الانجذاب إليه بالشهوة ، حسب ما يجري ذلك (١٠) لفائدة (١١) نطقية وعلى سبيل الحمل

(١) قيل : ناقصة في ط / وفي س : ولهذا ما قيل \ ف : ولهذا قيل :

لا أن خير من بئس الوجود .

(٢) $\tau\acute{o} \acute{o}\nu =$ وجود - أى : لا وجود خير من بئس الوجود .

(٣) ط : وعلى - وكذا في س ، ف .

(٤) س : يشرف .

(٥) ويشبه . . . الإلحاء : ساقط في س .

(٦) س : حالة . (٧) س : محضاً .

(٨) س : طرفي فيه (!) ، وهنا يأتى في س موضع أصله في موضع سابق .

كما أشرنا . (٩) ط : راحة .

(١٠) من هنا حتى قوله : لفائدة نطقية وعلى سبيل الحمل عليه بالغلبة . . .

(راجع بعد) : ناقص في ط / في ف ورد هكذا : وذلك منه لفائدة

نطقية ، وعلى سبيل الحمل عليه بالغلبة ، إلا أن احدهما مستدعى

إليه طبعاً . . . \ في ص : حسب ما يجري ذلك على طريقة الاستحقاق .

فصل : كما أن قوام البدن بالطبيعة . . .

(١١) ورد هذا الموضع في س ص ٧٦ (لوحه ٦٤ ب) بعد قوله : هي أشقى

لنفسين احدهما الى الأخرى فيؤثر منهما الأعلى ومتى ألفاهما الصحة

والفساد ، وأعني بهذا أنه يجري ذلك منه لطلب لذة أو راحة وعلى سبيل

الانجذاب اليه بالشهوة حسب ما يجري ذلك منه لفائدة نطقية وعلى

سبيل . . .

عليه بالغبلة ، إلا أن أحدهما مستدعى إليه [١٥٥] طبعاً ، والآخر مستدعى إليه عقلاً . ولما كان النطق ينقسم قسمين : - وذلك^(١) أن المعاني المنطقية هي كذلك^(٢) ، أعني أنها تنقسم إلى الموجودات التي لا يمكن وجود أوائلها بنوع آخر ، وهي المعاني الضرورية كالمساوية للشيء الواحد متساوية ، وإلى الموجودات التي لا يمتنع وجود أوائلها بنوع آخر ، وهي المعاني الممكنات كاكْتِسَابُ المسال الموهوم حصوله من صناعات مختلفة ، ثم كان العمل واقعاً في هذا القسم حسبما كان العلم واقعاً في ذاك^(٣) القسم ، وكان^(٤) الكمال الإنسي متعلقاً بمجموعهما^(٥) - فكذا صارت السعادة التي هي الكمال المطلق أيضاً منقسمة قسمين : أحدهما غاية النطق العملي ، وهو الكمال الإنسي^(٦) ، وتسمى سعادة أدنى ، وحدها فعل للنفس^(٧) بفضيلة كاملة خلقية^(٨) ، والأخرى غاية النطق النظري وهو الكمال الروحاني ، ويسمى سعادة قصوى ، وحدها فعل للنفس بفضيلة كاملة حكيمة . وبالكمال^(٩) الإنساني ، وهو الأول ، يسمى الرجل متعلقاً ظريفاً ، وبالكمال الروحاني وهو الثاني يسمى الرجل^(١٠) عاقلاً حكيماً . على أن العمل لا يشرف إلا بعلم ما . غير أن علمه قد يقع من جهة التسليم للآراء المحمودة أولاً ، وبالتجارب والاختبارات ثانياً . على أن العلم التجريبي لا يكاد يصفو إلا بالعمل الصائب ، بل لا يصح له الحكم بما يبشره منه إلا باكتساب الهيئة الفاضلة بالعادات الحميلة . وذلك أن من كان ذا رذيلة واحدة لم يصلح^(١١) للاختيار المحمود أصلاً ، لأنه يظن لأجلها أن ما ليس بأفضل هو الأفضل^(١٢) ، أو يؤثر النافع الجميل [١٥٥ب]^(١٣) أو اللذيذ على الخير . فإذا كانت هذه حال^(١٤) ذي رذيلة واحدة ، فما ظنك بالذي امتلأ بالرذائل ! على أن العلم

(١) ف : وذلك .

(٢) س : هذا .

(٣) ص : لمجموعها وكذا / ف : لمجموعها فكذا .

(٤) ط : الانساني .

(٥) ص : النفس .

(٦) وبالكمال الانساني . . . ظريفاً : ساقطة من س .

(٧) س : حكيماً عاقلاً .

(٨) (١١) ط : لم يصح .

(٩) س : و .

(١٠) (١٢) ط : و .

(١١) س : ذوى / ف : حال رذيلة واحدة .

المطلق أيضاً ليس^(١) مما يصفو لأحد من غير عمل ، فان من لم مجرد سعيه لطلب الحكمة^(٢) ولم يستخلص همه له ، ولم يأخذ الخيرات النافعة التي يستعين^(٣) بها على السلوك نحوها ، ولم يتوَجَّه أن تكون إصابته لها على سبيل الهوى والمفاخرة ، بل على سبيل الترقى^(٤) نحو الفضيلة ، تقسمت أوقاته كلها ، وتشعبت حالاته أجمعها ، ولم يكمل البحث^(٥) عن واحد من مقصوداته ، بل عاقه أحد الخيرات العرضية^(٦) — كالمال أو الرئاسة أو اللذة أو الراحة — عن حاق^(٧) الخير المحض الذي هو أولى الأمور به ، أعنى الإحاطة بأشرف المعلومات ، والثقة بما يتيقن^(٨) به منها .

أحق اللذات بالطلب الألد منها ، وليس يعرفها إلا من ذاق جميعها ، ومن ذاق جميعها^(٩) فقد ذاق لا محالة لذة الحكمة ، وليس يذوقها غير محب الحكمة . فإذاً الفائز بهذه اللذة قد تطعم جميع اللذات بفضل التجربة ، وأيقن أن لذات^(١٠) البدن مؤدية إلى الأحزان ، لاسيما عند الغلط بالافراط أو^(١١) التفریط . ولذة الترائس جالبة التحاسد وبغضة الأقران ، ولا سيما عند تعذر الغلبة ووقوع الأمر بالضد ، فانها تجلب الشماتة ورغم الأصدقاء . فأما لذة الحكمة فهي صافية حقيقية مستتبعة لسائر اللذات ، إذ هي بأجمعها لهذه اللذة كالظل من الشخص . وهذه اللذة الواحدة هي اللذة الخالصة الخاصة بجوهر الإنسان بما هو إنسان ؛ وأعنى بهذا أن اللذات الأخر [١٥٦] واصله إليه لا بما هو إنسان ، بل^(١٢) بما هو حيوان . وكل لذة لم يكن خلوصها له من حيث هو إنسان ، فليس يعد العمر المصروف إليها عمراً مختاراً بذاته ، بل هو مختار لغيره . ومن قطع عمره عن ذات نفسه فقد ماتت همته الإنسانية ، وقد خلصت عيشته للخاصة الحيوانية . ومن

-
- (١) مما : ساقطة في س . (٢) س : ولا .
(٣) ط : يستغنى . (٤) الترقى : ناقصة في ص .
(٥) ط : للبحث ، وكذا في ف . (٦) ص : العارضية .
(٧) ص : حقائق . — وما أثبتناه عن ط و س . — والحاق = الحقيقة .
(٨) به : ناقصة في ف .
(٩) ومن ... جميعها : ساقطة في س .
(١٠) س : الأبدان . (١١) ط : و .
(١٢) بما : ناقصة في ص .

رضى لنفسه بمثل هذه الحال فقد صار ظالماً لها^(١) ، لأنه يستفسد جوهره خلقه الله تعالى لأشرف الأغراض وأجلها ، ويظهر من نفسه أنه ليس بمستأهل للإحسان^(٢) إليها ، وهذه هي الشقاوة^(٣) التامة . فالسعادة إذن بالضد من هذه الحالة . فالسعيد إذاً من عرف جوهره ، وعرف كماله الأخص به^(٤) ، وصرف سعيه إلى تحصيله ، فيصبح ملتزماً بجوهره ، مغتبطاً بما أوتيته من فضيلة ذاته ، مسعوداً بما يناله من الزلفى إلى من له الخلق والأمر والطوبى في بقاء^(٥) الأبد . وليس يظفر بهذه المرتبة إلا من أيقن أنه لا راحة لمن تعجل الراحة ، ولا لذة لمن انهمك في اللذة ، ولا مهناً لمن أولع بطلب الثروة ، ولا عز لمن تذلل في طلب الرياسة ، ولا ملك لمن كان عبداً لشهواته ، ولا شرف لمن صار آلة لبطنه وفرجه ؛ ولم يبلغ التمام من لم تكن سيرته على نظام .

فصل

كما أن قوام البدن بالطبيعة ، وقوام الطبيعة بالنفس ، وقوام النفس بالعقل — كذلك قوام المدن بالملك ، وقوام الملك بالشرعية ، وقوام الشرعية بالحكمة لأنها تصدر عن الحكيم العليم . فتي^(٦) ظهرت الفاحشة في المدينة فارقتها الحكمة ، ومتى فارقتها الحكمة خذلت الشرعية ، ومتى خذلت الشرعية زالت زينة الملك ، ومتى زالت زينة الملك حطت الفتنة أعلام المروءة ، وعثرت بذوى النعم [١٥٤] عواثر النقم . وقوة فكر الملك أبلغ^(٧) في حراسة الملك من قوة الجند . والجهل في مبادئ الأمر يضر في عاقبتها وفي كل ما يتبعه ؛ والجهل في أواخره^(٨) يقتصر في مضرته على الشيء المجهول .

(١) لها : ناقصة في ص .

(٢) س : للانسان .

(٣) س : السعادة .

(٤) به : ساقطة في س .

(٥) ط : ببقاء الأبد / س : ببقاء الأدب .

(٦) س : فمن .

(٧) س : من .

(٨) س : أوائله .

وقال (١) الجاحظ : احذر كل الحذر أن يختدعك الشيطان عن الحزم
فيمثل لك التواني في صورة التوكل ، ويسلبك الحذر باحاثتك على القدر . فان
الله - عز وجل - إنما أمرنا بالتوكل عند انقطاع الحيل ، وبالتسليم للقضاء
بعد الإعذار ؛ وأنت تجد ذلك (٢) في الكتب المنزلة وسنن الرسل عليهم السلام .

..

وقال العامري (٣) : كل من (٤) امتنع عليه إبراز (٥) [١٥٦ ب] فعله الخاص
به ، فقد صار وجوده مضاهياً لعدمه . وتلك هي (٦) خسارة ذاته .
الإنسان (٧) لن يشرف بأن يصير مالكاً ، بل يشرف إذا صار مملوكاً .
وفعل المالك حفظ القنية على صورتها ، وفعل الملك حفظ مراتب القنيات
على درجاتها .

إن كان الأول المحض والآخر المحض بالذات شيئاً واحداً - وإن اختلف
الوصفان عليه بالإضافة - فبالحرى أن يكون المبدأ المحض والغرض المحض أمراً
واحداً غير مختلفين بالذات وإن اختلفا بالإضافة .

مراتب (٨) التعرف للذات بحسب المبدأ أربع مراتب : وهي (٩) أن تعرف
ما هو ، ومن نجا به ، ومن ماذا جىء به ، وكيف كان مجيؤه . فأما تعرف
الذات بحسب (١٠) الغاية فهو أيضاً أربع مراتب : وهي أن يعرف لماذا هو ،
وكيف السبيل إليه ، وما الذى يحتاج إليه فى التوجه نحوه (١١) ، وما الذى
يعوقه عن بلوغه .

(١) الواو ناقصة فى ط و س . (٢) س : ذلك عيانا فى ...

(٣) ط : العامري (عنوان فى وسط السطر) . وكذا فى س .

(٤) ط : ما .

(٥) س : ايراد . (٦) س : فى .

(٧) تكرر من قبل فى س ٣٥٥

(٨) راجع من قبل شبيه هذا فى ص ٣٥١ س ٢ - س ٦ - وقد ورد الفصل
التالى فى « منتخب صوان الحكمة » (مخطوط مصور بدار الكتب
المصرية برقم ح ٦٦٤٣ لوحة ١٣٧) .

(٩) وهي : ناقصة فى « المنتخب » .

(١٠) ط : الغرض . وفى (المنتخب) : بحسب الغرض أى الغاية .

(١١) نحوه : ناقصة فى س .

من سوس^(١) العقل الصريح التفرقة^(٢) بين الحسن والقبيح ، ثم السكون إلى الحسن ، والنفور عن القبيح . إلا أن الشيء^(٣) متى كان مفرطاً في الحسن فانه يبهـر العقل الجزئى ، فلذلك^(٤) يحتاج فيه إلى التدريج إليه ، ثم التمرين عليه . لن ينتفع بسياسة الشيء إلى الكمال إذا لم يحفظ عليه ، ولن ينتفع بالحفظ عليه إذا لم يُصَيَّر^(٥) ذاته بنفسه مستحفظاً^(٦) لطباعه على أخص^(٧) كماله ، ولن ينتفع بمصير ذاته مستحفظاً بطباعه على أخص كماله ما لم^(٨) يصير آمناً من طرآن الآفة المغيرة له^(٩) عنه . ولن ينتفع بالأمن منه إذا لم يكن الأمن^(١٠) أبدياً على الاطلاق .

فصل

البيان باللسان بمتحن ، والعقل بالتدبير يقتبس ، والحزم بالعزم يختبر
الصمت خير من مناوأة^(١١) الجهال
القطيعة خير من مواصلة الأشرار
العقم^(١٢) خير من الولد الأحمق
الخمبول أسنى من الذكر الذميم
العاقل [١٥٧] المحروم أفضل من الأحمق المرزوق
سقوط المنزلة عند السلطان السوء خير من التوجه عنده
خشونة العيش مع الصلاح خير من لينه مع الفساد
الفاقة خير من غنى البخيل

-
- (١) أى : طبيعة – تقول : فلان من سوس صدق وتوس صدق : أى من أصل صدق .
(٢) فى « المنتخب » : المعرفة .
(٣) س : المسئ .
(٤) س : فكذاك لا يحتاج .
(٥) ط : يصير ذاته مستحفظاً . وفى « المنتخب » : يصير .
(٦) س : مستخفا .
(٧) فى « المنتخب » : أخلص .
(٨) ولن ينتفع . . . كماله : ناقصة فى ص وفى « المنتخب » و س .
(٩) فى « المنتخب » : منه .
(١٠) الأمن : ناقصة فى « المنتخب » .
(١١) س : منافات .
(١٢) س : العم – وهو تحريف ظاهر .

الرجال أربعة : جواد ، وبخيل ، ومسرف ، ومقتصد : فالجواد من أعطى نصيب ديناه لنصيبه من آخرته ؛ والبخيل من لا يعطى واحداً منهما نصيبهما ؛ والمسرف الذى يجمعهما لديناه ؛ والمقتصد الذى يعطى كل واحد منهما نصيبه .

إذا كان العقل صحيحاً ، والفهم قوياً ، كان يسير التجربة له كثيراً .
فأما قوة الأبدان فانما جعلت قسماً لمن لا حظ له من العقل ، بمنزلة البهائم .
من اشتاق إلى الجنة تسلى^(١) عن الشهوات ؛ ومن^(٢) أشفق من النار رجع عن الخطايا .

من زهد فى الدنيا تهاون بالمصائب .

من ارتقب الموت سارع إلى الخيرات .

اليقين يتم بأربع^(٣) شرائط : بتبصرة الفطنة ، وتأويل الحكمة ، وموعظة العبرة ، وسنة الأولين . فمن صبر على الفطنة تأول الحكمة ، ومن تأول الحكمة عرف العبرة ، ومن عرف العبرة فكأنما عاش فى الأولين والآخرين .

الجهاد على أربع شُعب : على أمرٍ بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وصدق فى المواطن ، وشنآن المنافقين .

وقال^(٤) بعض العلماء : يعذب الله المرء على الذنب بعد مقامات كثيرة من السر والعلانية : فأولها الخاطر ، ثم الاهتمام ، ثم نسيان مولاه ، ثم قبول الوسوسة ، ثم الفكر ، ثم الإرادة ، ثم العزم ، ثم الإظهار ، ثم الطلب ، ثم الفعل ، ثم الإصرار ، ثم الطغيان ، ثم التماذى — إلى أن يموت عليه . فان تاب بعد هذا كله قبل حضور الموت ، تاب الله عليه . فانظر إلى هذه المقامات : سرها وعلانيتها [١٥٧ ب] فان سبها الهوى وتمكن الشيطان من مرتبة بعد مرتبة : وهى كالسُكر الذى يحجب العقل عن الذكر . ولا علاج له إلا مجاهدة الهوى . وترك الاستجابة لشيء من أسبابه إلا بعد الروية ومشاورة العقل والالتجاء إلى الرب تعالى ذكره . فاذا لم يحاسب المرء نفسه فى صغير ما يخطر بباله وكبيره ،

(٢) ط : من ، وكذا فى س .

(٤) ط : قال ، وكذا فى س .

(١) ط : سلا .

(٣) ص : بأربعة .

ولم يفتش عن أحواله كلها ، ولم يقهر هواه بعقله — كيف يسلم من خديعة عدوه الذى هو معه لا يفارقه طرفه عين ، ويوسوس إليه بالشبه والأغاليط !!
وقال العارف فى قوله (١) عز وجل : « يؤمنون بالغيب » (٢) — قال :
الغيب كل ما لم يظهر لحواسك . فالله — عز وجل — غيب ، ووعد (٣) غيب ، والآخرة غيب . وإنما سُمِّيت هذه غيباً لأنه خفى على غير أهله حتى دق وارتفع على الحواس واتصل بعلوم أهل الحكمة من العلماء والصديقين ، وانتهى إلى علوم الأنبياء عليهم السلام (٤) ثم اتصل علمه بالله سبحانه وتعالى (٥) فكان الغاية والمنتهى . وقد تفاضل العلماء فيما أعطوا من ذلك (٦) ، فقال عز وجل :
« وفوق كل دى علم عليم » (٧) .

..

قال الأستاذ أبو على أحمد بن محمد مسكوية :
إنى لم أطمع فى استيعاب جميع الحكم الجزئية . وكيف أطمع فيما لا نهاية له !
وإنما أطمع (٨) . ويطمع العاقل فى الأصول والقوانين التى تجمع الفروع وتحتوى على الجزئيات بالقوة . وقد أحكمت ذلك (٩) بقدر الطاقة فى غير هذا الكتاب . وكان غرضى فى هذا التأليف ما ذكرته فى أوله من إتمام كتاب « جاويزدان » (١٠) خرد « بما يلىق به من حكم الفرس والهند والعرب والروم [١١٥٨] » (١١) — الجزئيات التى ينتفع بها جمهور الناس ، فيشاركون أعيانهم وخواصهم . وسيمر بك المكرر فى المعنى واللفظ ؛ والقصد فى ذلك أن تعلم أن عقول الأمم (١٢) كلها تتوافى

-
- (١) س : قوله تعالى .
 - (٢) سورة « البقرة » آية ٢ .
 - (٣) س : وعنده غيب .
 - (٤) عليهم السلام : ناقصة فى ط و س ، ووردت فى ص .
 - (٥) وتعالى : ناقصة فى ط و س ، ووردت فى ص .
 - (٦) س : من هذه المنزلة والعلم ، فقال ...
 - (٧) سورة « الشورى » آية : ٧٦ .
 - (٨) أطمع و : ناقصة فى ط و س ، وواردة فى ص .
 - (٩) ل : لك ذلك .
 - (١٠) س : جاويزدان خرد — وكذا فى ط (بالذال المعجمة فى كلا اللفظين) .
 - (١١) الجزئيات : ساقطة فى ط .
 - (١٢) ص : العلماء الأمم .

على طريقة واحدة ، ولا تختلف باختلاف البقاع ، ولا تتغير بتغير الأزمنة ، ولا يردّها رادٌّ على الدهور والأحقاب . ويصح بذلك لقبه ، أعني « جاويدان »^(١) خرد »^(٢) . فلذلك يجب أن يقتصر على مبلغ ما أحصيته ، ولا تطاب الغاية فيما لا غاية له .

تم الكتاب المسمى « جاويدان خرد »

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

والحمد لله رب العالمين

[[تم الكتاب المبارك في واحد وعشرين^(٤) من شهر ربيع الأول

من سنة ثمان عشرة وثمانمائة^(٥) . نسخة العبد الفقير بالبوغا

ملوك سليمان العادلي ، رحم الله من ترحم عليه

وعلى جميع المسلمين . آمين^(٦)]]

(١) س ، ط : جاويدان (بالذال المعجمة) .

(٢) اذ معناه : « الحكمة الخالدة » .

(٣) ط : نجز كتاب جاويدان خرد بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ، على

يد أضعف العباد وأحوجهم الى عفوه ، أحمد بن السهروردي ، في

سلخ شوال سنة اثنتين وتسعين وستمائة ، حامدا لله تعالى على نعمه

ومصليا على نبيه محمد ، نبي الرحمة وشفيع الأمة وآله وعترته

الطاهرين ومسلما .

(٤) ص : وعشرون .

(٥) هذا التاريخ فيه ترميج ، وان كتب بنفس الخط والجبر .

(٦) وبالهامش : بلغت مقابله والحمد لله وحده ، وصلواته على محمد

وآله . - وفي س : تم كتاب « جاويدان خرد » بعون الله تعالى وفضله

ومنه ، فله الحمد أولا وآخرا ، باطنا وظاهرا . وفرغ من كتابته

ابن نصر الملقب بركن النيريزي ، في أواخر شهر ذي الحجة

حجة ثلاث وخمسين وسبعمائة . والحمد لله وحده ، والصلاة على أنبيائه

ورسله وآلهم وأتباعهم وأصحابهم أجمعين . »

فهرس الكتاب

تصدير عام ٧ وما يتلوها
صفحة

حكم الفرس

٢٢ — ١ كتاب جاويدان خرد
٨٨ — ٢٦ آداب الفرس :
٤١ — ٢٩ من آداب بزرجمهر
٤٥ — ٤١ من حكم كسرى قباد
٤٨ — ٤٥ كتاب بزرجمهر إلى كسرى
٦١ — ٤٩ حكم توتثر عن أنوشروان
٦٧ — ٦١ حكم لبهن الملك
٧٤ — ٦٧ فصل من كلام حكيم آخر فارسي وغيره
٨٥ — ٧٤ وصية أخرى للفرس
٨٦ — ٨٦ فصل آخر
٨٨ — ٨٧ فصل من كلام حكيم آخر

حكم الهند

١٠٠ — ٨٩ حكم الهند
----------	------------------

حكم العرب

٢٠٨ — ١٠١ حكم العرب :
١١٠ — ١٠٣ أحاديث نبوية
١١٣ — ١١٠ ما يوتثر عن علي بن أبي طالب
١١٨ — ١١٤ حكم للتابعين والحسن البصري والصدر الأول

١١٩ - ١١٨	... من إشارات الصوفية
١٢١ - ١٢٠	... العقل والعلم والدين
١٢١ - ١٢١	... ألفاظ لبعض الملوك الأدباء
١٢٧ - ١٢٢	... كلمات متفرقة
١٢٨ - ١٢٧	... من وصايا لقمان لابنه
١٥٥ - ١٢٨	... كلمات متفرقة
١٥٦ - ١٥٥	... وصية قس بن ساعدة لابنه
١٦٤ - ١٥٦	... كلمات متفرقة
١٦٥ - ١٦٤	... من كلام الحسن البصري
١٧١ - ١٦٥	... كلمات متفرقة
١٧١ - ١٧١	... ومن حكم العرب في الجاهلية
١٧٤ - ١٧١	... كلمات متفرقة
١٧٤ - ١٧٤	... من كلام أكرم بن صيفي
١٧٦ - ١٧٤	... كلمات قيلت عند حضور الموت
١٨٠ - ١٧٦	... كلمات متفرقة
١٨٢ - ١٨١	... وصية لحكيم
١٨٧ - ١٨٢	... كلمات متفرقة
١٨٧ - ١٨٧	... في ذم الهدية
١٩٢ - ١٨٧	... كلمات متفرقة
١٩٤ - ١٩٣	... كلام لبعض المتصوفة
٢٠٨ - ١٩٥	... حكم للعرب وأمثال لها سائرة

حكم الروم

٢١٣ - ٢١١	... سقراط
٢١٦ - ٢١٤	... هرمس
٢١٦ - ٢١٦	... ديوجانس

٢١٧ — ٢١٧ بطلميوس
٢١٩ — ٢١٧ وصية أفلاطون لتلميذه أرسطوطاليس
٢٢٥ — ٢١٩ وصية أرسطوطاليس للاسكندر
٢٢٨ — ٢٢٥ وصية فيثاغورس المعروفة بالذهبية
٢٦٢ — ٢٢٩ ذكر قابس الأفلاطوني ولغزه أولوح قابس
٢٦٦ — ٢٦٥ حكايات عن سقراط وأفلاطون
٢٦٧ — ٢٦٦	آداب لأرسطوطاليس كتبها في صحيفة وكان يعلمها الإسكندر
٢٧٠ — ٢٦٨ ومن الآداب أيضاً
٢٧٨ — ٢٧٠	وصية أفلاطون في تأديب الأحداث، نقلها اسحق بن حنين
٢٨١ — ٢٧٨ رسول أرسطو والاسكندر
٢٨٢ — ٢٨١ حكم لسقراط

حكم الإسلاميين المحدثين

٢٩٠ — ٢٨٥ وصية
٢٩٢ — ٢٩٠ فصل
٢٩٢ — ٢٩٢ فصل آخر
٣٢٧ — ٢٩٣ آداب ابن المقفع ووصاياه
	كلام أبي نصر الفارابي في وصايا يعم نفعها جميع من
٣٤٢ — ٣٢٧ يستعملها من طبقات الناس

خاتمة

٣٤٦ — ٣٤٥ أقوال لأفلاطون
٣٧٢ — ٣٤٧ من وصايا أبي الحسن العامري وآدابه
٣٧٥ — ٣٧٢ كلمات للملاحظ وأخرى متفرقة